

الكاملا

في اللغة والأدب

لِلْعَلَامَةِ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمَعْرُوفِ
بِالْمُهَرَّرِ الْخَوَّيِّ
المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

تَعْيِمْ زَرْزُور

تَغَارِيْدُ بَيْضُون

أَجْزَاءُ السَّائِفِ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

الکامل
فی اللغة والأدب

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

الطبعة الثانية

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
صيف: ١١/٩٤٢٤ تلخس: 41245 Le Nasher
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

كتابخانه مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی شماره ثبت: ۰۰۴۰۲۳ تاریخ ثبت:
--

الكامل في اللغة والأدب

لِلْعَلَّامَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ
الْمَعْرُوفِ بِالْمَبْرَدِ النُّجَوِيِّ
المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

الجزء الثاني

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن
الأدب وأركانه أربعة دواوين وهي كتاب الكامل للمبرد
وأدب الكاتب لابن قنينة وكتاب البيان والتبيين للمجاط
وكتاب النوادر لأبي علي الفاي البغدادي وما سوى هذا
الأربعة فتبع لها وفروع منها أهدى

ابن خلدون

بسم الله الرحمن الرحيم
٤٦ - باب في ما يريح القاريء ويصرف عنه الملل

قال أبو العباس نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئاً لتكون فيه استراحة للقاريء، وانتقال ينفي الملل لحسن موقع الاستطراف، ونخلط ما فيه من الجد بشيء يسير من الهزل ليستريح إليه القلب وتسكن إليه النفس.

قال أبو الدرداء رحمه الله: إني لأستجيم^(١) نفسي بالشيء من الباطل ليكون أقوى لها على الحق، وقال علي بن أبي طالب رحمه الله، القلب إذا أكره عمي، وقال ابن مسعود رحمه الله: القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة. وقال ابن عباس رضي الله عنه العلم أكثر من أن يؤتى على آخره فخذ من كل شيء أحسنه، وليس هذا الحديث من الباب الذي ذكرنا ولكن نذكر الشيء بالشيء إما لاجتماعهما في لفظ وإما لاشتراكهما في معنى.

وقال الحسن وليس من هذا الباب: حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور، وأقدعوا هذه الأنفس فإنها طلعة وانكم إلا تزعوها تنزع بكم إلى شر غاية، وقد مضى تفسير هذا الكلام. وقال أروشير بن بابك إن للأذان مجة وللقلوب ملاً ففرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماماً، وكان أنوشروان يقول: القلوب تحتاج إلى أقواتها من الحكمة كاحتياج الأبدان إلى أقواتها من الغذاء.

ويروى أنه أصيب في حكمة آل داود لا ينبغي للعاقل أن يخلي نفسه من

(١) استجم: أريح.

واحدة من أربع: من غَدُوَ لمعاد، أو إصلاحٍ لمعاشٍ، أو فِكْرٍ يَقِفُ به على ما يُضْلِحُهُ مما يفسده، أو لَذَّةٍ في غير مُحَرَّمٍ يستعينُ بها على الحالات الثلاث.

وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه يوماً: يا أبتِ إنك تنامُ نومَ القائلة^(١). وذو الحاجةِ على بابك غيرُ نائمٍ، فقال له يا بُنيَّ إن نفسي مَطِيَّتِي فإن حملتُ عليها في التَّعَبِ حَسَرْتُهَا.

تأويلُ قوله حَسَرْتُهَا بَلَغْتُ بها أقصى غاية الإغْياء.

قال الله جل وعز: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾^(٢) وأنشد أبو عبيدة:

إن العَسِيرَ بها داءٌ مُخَامِرُهَا فَشَطَرُهَا نَظَرُ الْعَيْنِينَ مَحْسُورِ

قوله فشطرها يريد قَصْدَهَا، وَنَحَوَهَا قال الله جل وعز: ﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٣) قال الشاعر:

لَهُنَّ الْوَجَا لَمْ كُنْ عَوْنًا عَلَى النَّوَى وَلَا زَالَ مِنْهَا ظَالِعُ حَسِيرُ

يعني الإبل يقول هي المفارقة كما قال الآخر:

مَا فَرَّقَ الْأَلْفَ بَعْدَ مَدِّ اللَّهِ إِلَّا الْإِبْلُ

وَلَا إِذَا صَاحَ غُرَا بٌ فِي الدِّيارِ احْتَمَلُوا

وَمَا غَرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا نَاقَةٌ أَوْ جَمَلُ

قال أبو الحسن وزادني فيه غيرُ أبي العباس:

وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرَا بَ الْبَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا

وَالْبَائِسُ الْمَسْكِينُ مَا تُطَوِّي عَلَيْهِ الرِّحْلُ

(ويقال إنه لأبي الشَّيْصِرِ).

(١) القائلة: نصف النهار.

(٢) سورة الملك: الآية ٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٠.

قال أبو العباس : فمن قال آلف للواحد ، قال للجميع ألف كعامل وعُمالٍ
وشارب وشُرَّاب وجاهل وجُهاًل ، ومن قال إلف قال للجميع آلاف وتقديره
عدل وأعدال وجمل وأحمال وثقل وأثقال وقد أنصف الإبل الذي يقول :

ألا فرعى الله الرواحل إنما مطايا قلوب العاشقين الرواحل
على أنهم الواصلات عرى النوى إذا ما نأى بالآلفين التواصل
وقال الآخر :

أقول والهوجاء تمشي والفضل قطعت الأحداج أعناق الإبل
الهوجاء التي تجد في البر وتركب رأسها كأن بها هوجاً . كما قال :

لله ذرّ الأعمال الهوج

وكما قال الأعشي :

وفيها إذا ما هجرت عَجْرَفِيَّة^(١) إذا جلت حِزْبَاءُ الْوَدِيقَةِ أَصِيدَا^(٢)
والفضل مشية فيها اختيال ، كأن مشيتها تخرج عن حطامها فتفضل عليه ،
والأصل في ذلك أن يمشي الرجل وقد أقضل من إزاره وتمشي المرأة وقد
أفضلت في ذيلها ، وإنما يفعل ذلك من الخيلاء^(٣) ، ولذلك جاء في الحديث
فضل الإزار في النار .

وقال رسول الله ﷺ لأبي تميم الهجيمي : وإياك والمخيلة ، فقال يا رسول
الله : نحن قوم عرب فما المخيلة ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : سبل الإزار ، وقال
الشاعر : (ويقال إنه لقيس بن الخطيم)^(٤) .

ولا يُنْسِنِي حَدَثَانُ عِرْضِي ولا أُرْخِي من المرح الإزار

(١) عجرفية : يقال . جل عجرفي إذا كان ذا إقدام في هوج .

(٢) الأصيد الذي يرفع رأسه عند اشتداد الحر .

(٣) الخيلاء : بالضم أو الكسر الكبير والعجب وكذا المثلة .

(٤) قيس بن الخطيم : هو قيس بن الخطيم الأنصاري .

وقال أبو قيس بن الأسَلْتِ الأنصاري :

تَمْشِي الْهُوَيْنَا إِذَا مَشَتْ فُضْلاً كَأَنَّهَا عَوْدُ بَانَةٍ قَصِفُ^(١)

(قال أبو الحسن علي بن سليمان ما نعرف هذا البيت إلا لقيس بن الخطيم الأنصاري أعني تَمْشِي الْهُوَيْنَا).

الوليد بن يزيد يفتخر

وقال أبو العباس : وقال الوليدُ بن يزيد :

أَنَا الْوَلِيدُ الْإِمَامُ مُفْتَخِرًا أَنْعِمُ بِأَلِي وَأَتَّبِعُ الْغَزْلَا
أَنْقُلُ رَجُلِي إِلَى مَجَالِسِهَا وَلَا أَبَالِي مَقَالَ مَنْ عَذَلَا
غُرَاءُ^(٢) فَرَعَاءُ^(٣) يُسْتَضَاءُ بِهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا إِذَا مَشَتْ فُضْلاً

ثم نعود إلى الباب ؛ قال الراجز يعني إبْلَهُ أَوْ نَاقَتَهُ :

إِنَّ لَهَا لَسَائِقًا خَذَلْجًا لَمْ يُذَلِّجِ اللَّيْلَةَ فِيمَنْ أَدْلَجَا

الْخَذَلْجُ الْمُدْمَجُ السَّاقِينَ وَإِنَّمَا عَنِ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَاقَهُ حَبَهُ إِلَيْهَا، وَالْكَلَامُ
يَجْرِي عَلَى ضُرُوبٍ، فَمِنْهُ مَا يَكُونُ فِي الْأَصْلِ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَنْهُ بغيره،
وَمِنْهُ مَا يَقَعُ مَثَلًا فَيَكُونُ أَبْلَغُ فِي الْوَصْفِ.

ضروب الكناية

والكناية تقع على ثلاثة أضرب أحدها التَّعْمِيَةُ والتَّغْطِيَةُ، كقول النابغة
الجعدي :

أَكْنَى بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَدَ مَ اللَّهُ خِفَاتِ كُلِّ مُكْتَتَمٍ

(١) قصف: بكسر الصاد. اللين الخوار.

(٢) غراء: البيضاء.

(٣) الفرعاء: التي تم شعرها.

وقال ذو الرمة استراحة إلى التصريح من الكناية :
أحبُّ المكانَ القفرَ من أجلِ أني به أَتَغْنَى بِاسْمِهَا غيرَ مُعْجَمٍ

وقال أحد القرشيين هو محمد بن نمير الثقفي :

وقد أُرْسَلْتُ فِي السَّرِّ أَنْ قَدْ فَضَّخْتَنِي وَقَدْ بُحْتُ بِاسْمِي فِي النَّسِيبِ^(١) وَمَا تَكْنِي
ويروى أن عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة قال شعراً وكتب به بحضرة ابن
أبي عتيق إلى امرأة مُحَرَّمَةٍ وهو :

أَلِمَّا بِذَاتِ الْخَالِ^(٢) فَاسْتَطْلَعَا لَنَا عَلَى الْعَهْدِ بَاقِي وَدَّهَا أَمْ تَصَرَّمَا
وَقَوْلَا لَهَا إِنَّ النُّوَى^(٣) أَجْنَبِيَّةٌ^(٤) بَنَا وَيَكُم قَدْ خِفْتُ أَنْ تَتَيَمَّمَا

قال فقال له ابن أبي عتيق ماذا تريد إلى امرأة مسلمة محرمة تكتب إليها
بمثل هذا الشعر؟ قال فلما كان بعد مُذِيذَةَ قال له ابن أبي ربيعة : إما علمت
أن الجواب جاءنا من عند ذاك الإنسان ، فقال له ما هو فقال كَتَبْتُ :

أَضْحَى قَرِيضُكَ بِالْهَوَى نَمَامَا فَأَقْصِدْ هُدَيْتَ وَكُنْ لَهُ كَتَامَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْحَالَ حِينَ ذَكَرْتَهُ قَعِيدَ الْعَدُوِّ بِهِ عَلَيْكَ وَقَامَا

ويكون من الكناية وذاك أحسنها الرغبة عن اللفظ الخسيس المُفْجِشِ إلى
ما يدل على معناه من غيره .

قال الله ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ^(٥)﴾ إِلَى
نَسَائِكُمْ^(٦) وقال ﴿أَوَلَمْ تَسْتُمِ النِّسَاءَ^(٧)﴾ وَالْمَلَامَسَةُ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ

(١) النسب : ذكر محاسن المرأة والتشبيب بها في الشعر .

(٢) الخال : شامة في البدن يخالف لونها لونه

(٣) النوى : يصح أن يراد بالنوى الوجه الذي يذهب فيه .

(٤) أجنبية : معناه تهاوننا وتباعدا ويراد به البعد وأجنبية على هذا تأكيد لمعنى البعد .

(٥) الرفث : محركا كلام متضمن لما يستقبح من ذكره كالجماع .

(٦) سورة البقرة : الآية رقم ١٨٧ .

(٧) سورة المائدة : الآية رقم ٦ .

مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ غَيْرُ كُنَايَةٍ إِنَّمَا هُوَ اللَّمْسُ بَعِينَهُ، يَقُولُونَ فِي الرَّجُلِ تَقَعُ يَدُهُ عَلَى
أَمْرَاتِهِ أَوْ عَلَى جَارِيَتِهِ بِشَهْوَةٍ إِنْ وَضُوهُ قَدْ انْتَقَضَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي قَضَاءِ
الْحَاجَةِ جَاءَ فُلَانٌ مِنَ الْغَائِطِ، وَإِنَّمَا الْغَائِطُ الْوَادِي وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ قَالَتْ عَمْرُو بْنُ
مَعْنِي كَرِبَ الزُّبَيْدِيُّ :

فَكَمْ مِنْ غَائِطٍ مِنْ دُونِ سَلَمَى قَلِيلِ الْإِنْسِ لَيْسَ بِهِ كَتِيعٌ^(١)
وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ فِي الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ وَأُمِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴿كَانَا
يُكَلِّانِ الطَّعَامَ﴾^(٢) وَإِنَّمَا هُوَ كُنَايَةٌ عَنْ قَضَاءِ الْحَاجَةِ. وَقَالَ: وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ
لَمَّا شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا، وَإِنَّمَا هِيَ كُنَايَةٌ عَنِ الْفُرُوجِ وَهَذَا كَثِيرٌ.

متابعة ضروب الكناية

والضرب الثالث من الكناية التفعيم والتعظيم ومنه اشتقت الكناية وهو أن
يُعْظَمَ الرَّجُلُ، أَنْ يُدْعَى بِاسْمِهِ وَوُقِعَتْ فِي الْكَلَامِ عَلَى ضَرْبَيْنِ: وَقَعَتْ فِي
الضَّرْبِ عَلَى جِهَةِ التَّفَاوُلِ بِأَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَيُدْعَى بِوَلَدِهِ كُنَايَةً عَنْ اسْمِهِ، وَفِي
الْكَبِيرِ أَنْ يُنَادَى بِاسْمِ وَلَدِهِ صِيَانَةً لاسْمِهِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ كُنِّي عَنْ كَذَا بِكَذَا أَيْ
تَرِكَ كَذَا إِلَى كَذَا لِبَعْضِ مَا ذَكَرْنَا. وَكَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ لَعَنَهُ اللَّهُ
يُنْعَنُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَرِضْوَانَهُ عَلَى الْمَنْبَرِ فَيَقُولُ: فَعَلَّ اللَّهُ
عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بَنَ عَبْدِ مَنَافٍ ابْنِ عَمِّ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَزَوْجِ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ وَأَبِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَى
النَّاسِ فَيَقُولُ أَكْنَيْتُ، فَهَذَا تَأْوِيلُ هَذَا. قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَنَرْجِعُ إِلَى الْبَابِ الَّذِي
قَصَدْنَا لَهُ.

(١) ن به كتيع: أي أحد يذكر أن بينه وبين محبوبته أودية كثيرة لا يمكن السفر فيها فيصعب
الوصول إليها.

(٢) سورة المائدة: الآية رقم ٧٥.

قال إعرابي :

وَحُقَّةٌ مِسْكٌ^(١) من نساءٍ لِبِسْتُهَا شَبَابِي^(٢) وَكَأْسٌ بَاكَرْتَنِي شَمُولُهَا^(٣)
جَدِيدَةٌ سِرْبَالِ الشَّبَابِ كَانِهَا أَبَاءَةٌ بَرْدِي سَقَتْهَا غُيُولُهَا^(٤)
مُخَمَّلَةٌ بِاللَّحْمِ^(٥) من دون خَصْرُهَا تَطُولُ الْقِصَارَ وَالطَّوَالَ تَطُولُهَا

قوله باكرتني شمولها زعم الأصمعي أن الخمر إنما سُميت شمولاً لأن لها عَصْفَةً كعصفة الريح الشمال. وقوله إبَاءة وَيَرْدِي، الأبَاءَةُ الْقَصْبَةُ وجمعها الأبَاءُ.

قال كعب بن مالك الأنصاري :

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ يُرْعِبِلُ^(٦) بَعْضُهُ بَعْضاً كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُحْرِقِ

المعمعة صوت إحراقه، يقال سمعت معمعة القصب والقوصرة^(٧) في النار، أي صوت احتراقها وإنما شبه المرأة بالبردية والقصبه لنقاء اللون المستر منها وما والاها ورقته. قال حميد بن ثور الهلالي :
لَمْ أَلْقَ عَمْرَةَ بَعْدَ إِذْ هِيَ نَاشِيَةٌ^(٨) خَرَجْتُ مُعْطَفَةً^(٩) عَلَيْهَا مِزْرُ
(العطاف الوشاح من النساء)

(١) وحقة مسك : الحقة بالضم المرأة وأضافها إلى المسك لطيبها وتعلق النفس بها.

(٢) لبستها شبابي : يريد تيممت بها في شبابي كله.

(٣) الشمول بالفتح الخمر أو البارد منها لأنها تشمل الناس بريحها.

(٤) الغيول : جمع غيل بالفتح ، الماء الجاري على وجه الأرض.

(٥) مخملة باللحم في معنى مقدفة باللحم.

(٦) يرعبل بعضه بعضاً : أي يمزق ويقطع.

(٧) القوصرة بتشديد الراء وعاء للتمر يتخذ من القصب.

(٨) الناشيء : الجارية الغلام جاوز حد الصغر.

(٩) المعطفة : التي ليست العطاف مثل كتاب وهو الراء وسمي عطافاً لوقوعه على العطفين وهما ناميتا العنق.

بَرَزَتْ عَقِيلَةً أَرْبَعٌ^(١) هَادِيْنَهَا^(٢) بِيضُ الْوَجْهِ كَأَنَّهُنَّ الْعُنُقَرُ

(الْعُنُقَرُ أَصُولُ الْقَصَبِ يُقَالُ عُنُقَرٌ وَعُنُقَرٌ) وَفِي هَذَا الشَّعْرِ:

ذَهَبْتُ بِعَقْلِكَ رِبْطَةً مَطْوِيَّةً وَهِيَ الَّتِي تُهْدَى بِهَا لَوْ تُنْشَرُ

(قَالَ أَبُو الْحَسَنِ أَنشَدَنِيهِ ثَعْلَبٌ فِي قَوْلِهِ لَوْ تُنْشَرُ تُشْعُرُ):

فَهَمَمْتُ أَنْ أَغْشَى إِلَيْهَا مَحْجَرًا^(٣) وَلَمْثُهَا يُغْشَى إِلَيْهِ الْمَحْجَرُ

وَقَوْلُهُ سَقَتْهَا غَيُولُهَا الْغَيْلُ^(٤) هَهُنَا الْأَجْمَةُ وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ: أَسْدُ غَيْلٍ . قَالَ طَرَفَةُ:

أَسْدُ غَيْلٍ فَإِذَا مَا شَرَبُوا وَهَبُوا كُلُّ أُمُونٍ^(٥) وَطِيمِرٌ^(٦)

وَقَدْ أَمَلْنَا جَمِيعَ مَا فِي الْغَيْلِ وَالْغَيْلِ . وَقَوْلُهُ تَطُولُ الْقَصَارَ وَالطَّوَالُ تَطُولُهَا طَالٌ يَكُونُ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا تَقْدِيرُهُ فَعَلَ وَهُوَ مَا يَقَعُ فِي نَفْسِهِ انْتِقَالًا لَا يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ نَحْوِ مَا كَانَ كَرِيمًا فَكْرُمَ، وَمَا كَانَ وَضِيعًا وَقَدْ وَضِعَ وَمَا كَانَ شَرِيفًا وَقَدْ شَرُفَ، وَكَانَ الشَّيْءُ صَغِيرًا فَكَبُرَ وَكَذَلِكَ كَانَ قَصِيرًا فَطَالَ وَأَصْلُهُ طَوَّلَ، وَقَدْ أَجْبَرْنَا بِقِصَّةِ الْيَاءِ وَالْوَاوِ إِذَا انْفَتَحَ مَا قَبْلَهُمَا وَهُمَا مُتَحَرِّكَانِ . وَعَلَى ذَلِكَ يُقَالُ فِي الْفَاعِلِ فَعِيلٌ نَحْوُ شَرِيفٍ وَكَرِيمٍ وَطَوِيلٍ فَإِذَا قُلْتَ طَاوَلَنِي فَطُلُّتُهُ أَيْ فَعَلَوْتُهُ طَوْلًا، فَتَقْدِيرُهُ فَعَلَ نَحْوَ خَاصِمَنِي فَخَصَمْتُهُ وَضَارَبَنِي فَضَرَبْتُهُ وَفَاعِلُهُ طَائِلٌ كَقَوْلِكَ ضَارَبَ وَخَاصِمٌ . وَفِي الْحَدِيثِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوْقَ الرَّبْعَةِ وَإِذَا مَشَى مَعَ الطَّوَالِ طَالَهُمْ .

(١) عَقِيلَةٌ أَرْبَعٌ: أَيُّ أَكْرَمِ نِسَاءِ أَرْبَعٍ .

(٢) هَادِيْنَهَا: يُقَالُ تَهَادَتِ الْمَرْأَةُ فِي مَشِيَّتِهَا تَمَاطَلَتْ وَكُلٌّ مِنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِأَحَدٍ فَهُوَ يَهَادِيهِ .

(٣) مَحْجَرٌ يَفْتَحُ فَسَكُونٌ قِصْبَةٌ بِالْيَمَامَةِ وَمَوْضِعٌ بِدِيَارِ بَنِي عَقِيلٍ وَوَادٍ بَيْنَ بِلَادِ بَنِي عَذْرَةَ وَغَطَفَانَ .

(٤) الْغَيْلُ: هَذَا مُرَادِفٌ لِلْمَعْنَى الَّتِي وَرَدَ سَابِقًا .

(٥) الْأُمُونُ بِالْفَتْحِ النَّاقَةُ الْقَوِيَّةُ الْوَثِيقَةُ الْخَلْقُ .

(٦) الطِّمِرُ: بِالْكَسْرِ الطَّاءُ: الْفَرَسُ وَالْجَوَادِيْقُولُ: إِنَّهُمْ أَهْلُ شَجَاعَةٍ وَنَجْدَةٍ وَكَرَمٍ إِذَا شَرَبُوا وَهَبُوا أَكْرَمَ أَمْوَالِهِمْ .

جواب رياح بن سنبح لجريز

وقال رياح بن سنبح الزنجي مولى بني ناجية وكان فصيحاً يجيب جريز

لما قال جريز:

لا تُطْلُبُنَّ خَوْلَةً فِي تَغْلِبٍ فَالزَّنجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ أَمْ خَوَالَا

فتحرك رياح فذكر أكثر مَنْ وَلَدَتْهُ الزنج من اشراف العرب في قصيدة

مشهورة ومعروفة يقول فيها:

وَالزَّنجُ لَوْ لَا قَيْتَهُمْ فِي صَفِّهِمْ لَا قَيْتَ ثُمَّ جَحَاجِحاً^(١) أَبْطَالَا

مَا بَالُ كَلْبِ بَنِي كَلْبٍ سَبَّهُمْ إِنْ لَمْ يُوَازِنْ حَاجِباً وَعَقَالَا

إِنْ الْفَرَزْدَقُ صَخْرَةٌ عَادِيَّةٌ طَالَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَجْبَالَا

يريد طالت الأجبال فليس تنالها. ثم نعود إلى ذكر الباب.

من غزل مروان بن أبي حفصة

وقال مروان بن أبي حفصة وهو مروان بن سليمان بن يحيى بن يحيى بن

أبي حفصة واسم أبي حفصة يزيد:

إِنَّ الْغَوَانِي طَالَمَا قَتَلْتُنَا بَعِيُونَهُنَّ وَلَا يَسْدِينَ قَتِيلَا

مِنْ كُلِّ آنَسَةٍ^(٢) كَأَنَّ جِجَالَهَا^(٣) ضَمْنُ أَخَوَرٍ فِي الْكِنَاسِ كَحِيلَا

أُرْدَيْنَ عُرْوَةً وَالْمُرْقَشِ قَبْلَهُ كُلُّ أُصِيبَ وَمَا أَطَاقَ ذُهِولَا

وَلَقَدْ تَرَكْنَا أَبَا ذُوَيْبٍ هَائِماً وَلَقَدْ تَبَلَّنُ^(٤) كَثِيراً وَجَمِيلَا

وَتَرَكْنَا لَابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ مَنْطِقاً^(٥) فِيهِنَّ أَصْبَحَ سَائِراً مَحْمُولَا

(١) الجحاجح: السيد الكريم.

(٢) الأنسة: المرأة الطيبة النفس.

(٣) الججال: جمع حجلة بالتحريك وهي بيت يستر بالثياب له أضرار كبار يتخذ للنساء وغيرهن.

(٤) تبلن: ذهني يعقله.

(٥) منطقاً أراد به الكلام يقول إن النساء حملن ابن أبي ربيعة أن يقول فيهن كلاماً أصبح سائراً في

الناس والأمثال يحمله كل غاد ورائح.

إِلَّا أَكْسُنُ مِمَّنْ قَتَلَنَ فَإِنِّي مِمَّنْ تَرَكْنَ فَوَادُهُ مَخْبُولًا^(١)
 قوله ولا يدين قتيلاً، يقال وَدَى يَدِي وكل ما كان من فَعَلَ مما فَاوَهُ واو
 ومضارعه يَفْعَلُ فالواو ساقطة منه لوقوعها بين ياء وكسرة، وكذلك ما كان منه
 على فَعِلَ يَفْعَلُ لأن العلة في سقوط الواو كسرة العين بعدها وقد مضى تفسير
 هذا ولكن في يدين علة أخرى، وهي أن الياء التي هي لام الفعل بعد كسرة
 فهي تَعْتَلُّ اعتلال آخر يَرْمِي وأوله يعتل اعتلال واو يَعُدُّ واحتمل علتين لأن
 بينهما حاجزاً. ومثل ذلك وَعَى يعي وَوَقَى يقي وَوَشَى يشي وَوَنَى في أمره يني
 وما أشبه ذلك، ويقع في فَعِلَ نحو ولي الأمير الآن يلي، فإذا أمرت كان
 الفعل على حرف واحد في الوصل لاتصاله بما بعده تقول: يا
 زيد، ع كلاماً وشِ ثوباً.

في الساكن والمتحرك

وتقول: لي غمراً يا زيد من وليت. فإذا وقفت قلت له، وشبه وقفه لا يكون
 إلا ذلك لأن الواو تسقط فتبتدىء بمتحرك لا يحتاج إلى ألف وصل. فإذا
 وقفت احتجت إلى ساكن تقف عليه، فأدخلت الهاء لبيان الحركة في الأول
 ولم يجز إلا ذلك. ومن قال لك: أَلْفِظْ لي بحرف واحد غير موصول فقد
 سألك محالاً لأنك لا تبتدىء إلا بمتحرك، ولا تقف إلا على ساكن فقد قال
 لك، أَلْفِظْ لي بساكن متحرك في حال. وقوله ضَمَّنْ يقال ضَمَّنَ القبرُ زيداً أو
 ضَمَّنَ القبرُ زيدٌ كلٌ صحيح فمن قال: ضَمَّنَ القبرُ زيداً وإنما أراد جَعَلَ القبرُ
 ضَمِّنَ زيد، ومن قال ضَمَّنَ زيدُ القبرَ وإنما أراد جَعَلَ زيد في ضَمِّنَ القبر،
 وَيُنشَدُ هذا البيت على وجهين (لأبي حَيَّة النَّمِيرِي):

وما غائبٌ مَنْ غابَ يُرْجَى إِيَابُهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ ضَمَّنَ اللَّحْدَ غَائِبٌ

ومن روى مَنْ ضَمَّنَ اللَّحْدَ غَائِبٌ يريد من ضَمَّنَهُ اللَّحْدَ، وَحَذَفَ الهاء
 من صلة مَنْ وهذا من الواضح الذي يحتاج إلى تفسير، وقوله، أحوَرُ يعني

(١) مخبولاً فاسد العقل.

ظَنِيًّا وَأَهْلُ الْغَرِيبِ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنْ الْحَوْرَ فِي الْعَيْنِ شِدَّةُ سَوَادِ سَوَادِهَا وَشِدَّةُ بَيَاضِ بَيَاضِهَا، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْعَرَبُ إِنَّمَا هُوَ نَقَاءُ الْبَيَاضِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَضَحَّى السَّوَادُ، وَقَدْ فَسرْنَا الْحَوْرَ وَالْحَوَارِيَّ. وَالْكِنَاسُ حَيْثُ تَكُنُّسُ الْبَقْرَةُ وَالظَّبْيَةُ وَهُوَ أَنْ تَتَّخِذَ فِي الشَّجَرَةِ الْعَادِيَّةِ كَالْبَيْتِ تَأْوِي إِلَيْهِ وَتَبْعُرُ فِيهِ، فَيَقَالُ إِنْ رَائِحَتِهِ أَطِيبَ رَائِحَةُ لَطِيبٍ مَا تَرْتَعِي.

من غزل ذي الرمة

قال ذو الرمة:

إِذَا اسْتَهَلْتُ^(١) عَلَيْهِ غَيَّةً أَرَجْتُ مَرَابِضُ^(٢) الْعَيْنِ حَتَّى يَأْرَجَ الْخَشْبُ
كَأَنَّهُ بَيْتُ عَطَّارٍ يُضْمِنُهُ لَطَائِمُ الْمِسْكِ يَحْوِيهَا وَتَنْتَهَبُ

قوله غيبة هي الدُّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ تَتَحَرَّكُ الرَّائِحَةُ، وَالْأَرْجُ تَوَهُّجُ الرِّيحِ وَإِنَّمَا يَسْتَعْمَلُ فِي الرِّيحِ الطَّيْبَةِ وَالْعَيْنُ جَمْعُ عَيْنَاءَ يَعْنِي الْبَقْرَةَ الْوَحْشِيَّةَ وَبِهَا شَبَّهَتِ الْمَرْأَةَ فَقِيلَ حَوْرٌ عَيْنٌ، وَاللَّطِيمَةُ الْإِبِلُ الَّتِي تَحْمِلُ الْعَطَرَ وَالْبَزُّ لَا تَكُونُ لغير ذلك فيقول: ضَمِنَ ظَنِيًّا أَحْوَرَ الْعَيْنِ أَكْحَلَ، وَجَعَلَ الْحِجَالَ كَالْكِنَاسِ.

مركز تحقيقات كليات علوم ودراسات

من طرائف العشاق

وقال ابن عباس في قول الله جل وعز: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنْصِ الْجَوَارِ الْكُنْصِ﴾^(٣). قَالَ: أُقْسِمُ بِبَقْرِ الْوَحْشِ لِأَنَّهَا خُنْصُ الْأَنْوَفِ وَالْكَنْصُ الَّتِي تَلْزَمُ الْكِنَاسَ. وَقَالَ غَيْرُهُ أُقْسِمُ بِالنَّجُومِ الَّتِي تَجْرِي بِاللَّيْلِ وَتَخُنْصُ بِالنَّهَارِ وَهُوَ الْأَكْثَرُ. وَقَوْلُهُ: أُرْدَيْنَ يَقُولُ أَهْلَكُنَّ وَالرَّدَى الْهَلَاكُ وَالْمَوْتُ مِنْ ذَا وَالذَّهْوَلُ وَالْإِنْصَرَفُ؛ يَقَالُ ذَهَلَ عَنْ كَذَا وَكَذَا إِذَا انْصَرَفَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ. (قَالَ اللَّهُ عَزَّ

(١) استهلت: اشتد أنصبابها.

(٢) المرابض: جمع مريض وهو الموضع الذي تأوي إليه البقر والغنم.

(٣) سورة التكوين: الآية رقم ١٥٠.

وجل ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾^(١) أَي تَسْلَى وَتَنْسَى عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ. قَالَ كَثِيرٌ:

صَحَا قَلْبُهُ^(٢) يَا عَزَّ أَوْ كَادَ يَذْهَلُ^(٣) وَأَضْحَى يَرِيدُ الْبُصْرَ^(٤) أَوْ يَتَدَلَّلُ^(٥)

وقوله: وَلَقَدْ تَبَلَّنَ كُثِيرًا وَجَمِيلًا، أَصْلُ التَّبَلِّ التَّرَةُ يُقَالُ تَبَلَّى عِنْدَ فُلَانٍ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

تَبَلَّتْ فَوَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ تَشْفِي الضَّجِيعَ بِبَارِدِ بَسَامٍ

وَالْخَرِيدَةُ الْحَيَّةُ. وَقَوْلُهُ مِمَّنْ تَرَكْنَ فَوَادَهُ مَخْبُولًا، يَرِيدُ الْخَبْلَ وَهُوَ الْجَنُونُ وَلَوْ قَالَ مَخْبُولًا لَكَانَ حَسَنًا يَرِيدُ مَصِيدًا وَاقِعًا فِي الْجِبَالَةِ، كَمَا قَالَ الْأَعَشَى:

فَكُنَّا هَائِمًا فِي إِثْرِ صَاحِبِهِ دَانٍ وَنَاءٍ وَمَخْبُولٌ وَمُخْتَبِلٌ

وُخْبِرْتُ أَنَّ رَجُلًا جَافِيًا عَشِيقَ قَيْنَةٍ حَضْرِيَّةٍ فَكَلِمَهَا يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ فَلَمْ تَكَلِّمْهُ فَظَنَّ أَنَّ ذَاكَ حَيَاءً مِنْهَا فَقَالَ: يَا خَرِيدَةُ قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُكَ عَرُوبًا^(٦) فَمَا بَالُنَا نَمُكُّكَ وَتَشْتَنِينَا فَقَالَتْ: يَا ابْنَ الْخَيْثَةِ اتَّجَمِّشْنِي^(٧) بِالْهَمْزِ^(٨).

الْخَرِيدَةُ الْحَيَّةُ وَالْعَرُوبُ الْحَسَنَةُ التَّبَعْلُ وَفُسِّرَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى ذَلِكَ فِي قَوْلٍ: ﴿عَرُوبًا أْتَرَابًا﴾^(٩) فَقِيلَ هُنَّ الْمُحِبَّاتُ لِأَزْوَاجِهِنَّ. قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ:

(١) سورة الحج الآية رقم ٢.

(٢) صَحَا قَلْبُهُ: تَرَكَ الصَّبَا وَالْبَاطِلَ.

(٣) كَادَ يَذْهَلُ: يَسْلُو وَيَنْصَرِفُ عَنِ الْهَوَى.

(٤) الْبُصْرُ: الْقَطِيعَةُ وَالْهَجْرُ.

(٥) يَتَدَلَّلُ: يَتَّقُ بِالْمَحَبَّةِ فَيَسْرِفُ.

(٦) عَرُوبًا: بِالْفَتْحِ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ الضَّحُوكُ.

(٧) اتَّجَمِّشْنِي: مِنَ التَّجْمِيشِ وَهُوَ الْمَلَاعِبَةُ وَالْمُغَازَلَةُ.

(٨) الْهَمْزُ: الْقُرْصُ وَالضَّغْطُ شَبِهَتْ كَلَامَهُ بِذَلِكَ لِحَفَاقَتِهِ وَغُلْظَتِهِ.

(٩) سورة الواقعة: الآية ٣٧.

(ويقال عبيد بن الأبرص):

وقد لَهَوْتُ بمثل الرُّثْمِ آنَسَةٍ تُصْبِي الحَلِيمَ غروبٍ غير بِكْلاَحٍ

وذكر الليثي أن رجلاً أحب جارية ولم يكن يُحْسِنُ مما يُتَوَصَّلُ به إلى النساء شيئاً إلا أنه كان يحفظ القرآن، فكان يُتَوَصَّلُ إليها بالآية بعد الآية فكان أن وَعَدَتْهُ فَأَخْلَفَتْهُ، وَتَحَيَّنَ وقت مرورها فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾^(١). وإن خرجت خَرْجَةً وَلَمْ يَعْلَمْ بها فينتظرُ تَحَيُّنَهَا في أخرى فتلا: ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير، وإن وَشَى به إليها واش كُتِبَ إليها: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تُصيوا قوماً بجهالة﴾^(٢)، وذكروا أن أبا القَماقِمِ بن بَحرِ السَّقَاءِ عَشِيقَ جارية مدينية فبعث إليها أن إخواناً لي زاروني فابعثي إليّ برؤوس حتى نأكلها ونُصْطَبِحَ على ذِكْرِكَ ففعلت، فلما كان اليومُ الثاني بعث إليها أن القوم مقيمون لم نفترق فابعثي إليّ بِقَلْبِيَّةٍ جَزْرِيَّةٍ^(٣) وَبَقَرِيَّةٍ قَدِيَّةٍ حتى نَتَغَذَّاهَا وَنُصْطَبِحَ على ذِكْرِكَ. فلما كان في اليوم الثالث بعث إليها إنا لم نفترق فابعثي إليّ بِسَنَبُوسِكِ حتى نصطحب اليوم على ذِكْرِكَ. فقالت لرسوله إني رأيت الحُبَّ يَحُلُّ في القلب وَيَفِيضُ إلى الكبد والأحشاء وإن حُبَّ صاحِبنا هذا ليس يَجَاوِرُ المِعْدَةَ.

هدية أبي العتاهية إلى أمير المؤمنين

وُخْبِرْتُ أن أبا العتاهية كان قد استأذن في أن يُطْلَقَ له أن يَهْدِيَ إلى أمير المؤمنين المَهْدِيَّ في النُّيُوزِ^(٤) والمَهْرَجَانِ فأهدى في أحدهما بَرْنِيَّةً ضخمة فيها ثوب ناعم مُطَيَّب، قد كَتَبَ في حواشيه.

نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مَعْلُوقَةٌ اللَّهُ وَالْقَائِمُ المَهْدِيُّ يَكْفِيهَا

(١) سورة الصافات: الآية ٢.

(٢) سورة الحجرات: الآية رقم ٤٩.

(٣) جزرية: مقطعة جاهزة للأكل.

(٤) النُّيُوز: عند الفرس أول يوم تنزل الشمس فيه برج الحمل وعند القبط أول السنة.

إني لأياسُ منها ثم يُطمِئني فيها احتِقَارُكَ للدُّنيا وما فيها

فَهُمْ يَدْفَعُ عُتْبَةَ إِلَيْهِ فَجَزَعَتْ وَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُرِّمْتَنِي وَخَدَمْتَنِي^(١)
أَتَدْفَعْنِي إِلَى رَجُلٍ قَبِيحِ الْمَنْظَرِ بَائِعِ جِرَارٍ وَمُكْتَسِبِ بِالْعَشْقِ فَأَعْفَاهَا،
وَقَالَ: إِمْلُوا هَذِهِ الْبَرْنِيَّةَ مَالًا فَقَالَ لِلْكَتَّابِ أَمْرٌ لِي بِدَنَانِيرٍ فَقَالُوا مَا نَدْفَعُ ذَلِكَ
وَلَكِنْ إِذَا شِئْتَ أَعْطَيْنَاكَ دِرَاهِمَ إِلَى أَنْ يُفْصَحَ بِمَا أُرِدَ فَاخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ حَوْلًا:
فَقَالَتْ عُتْبَةُ: لَوْ كَانَ عَاشِقًا كَمَا يَزْعَمُ لَمْ يَكُنْ يَخْتَلِفُ مُنْذُ حَوْلٍ فِي التَّمْيِيزِ
بَيْنَ الدِّرَاهِمِ وَالْدَنَانِيرِ وَقَدْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي صَفْحًا. وَدَعَتْ أَبَا الْحَرِثِ جُمَيْرَ
وَاحِدَةً كَانَ يَحِبُّهَا فَجَعَلَتْ تَحَادُّثَهُ وَلَا تَذْكُرُ الطَّعَامَ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ بِهِ قَالَ
جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ لَا أَسْمَعُ لِلْغِذَاءِ ذِكْرًا! قَالَتْ أَمَا تَسْتَحْيِي أَمَا فِي وَجْهِ مَا
يَشْغُلُكَ عَنْ ذَا؟ قَالَ لَهَا جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ لَوْ أَنَّ جَمِيلًا وَبُثْنَةً قَعْدَا سَاعَةً لَا
يَأْكُلَانِ شَيْئًا لَبَزَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ وَافْتَرَقَا. وَأَنْشَدَتْ لِأَعْرَابِي:

وَقَدْ رَابَنِي مِنْ زَهْدٍ أَنْ زَهْدَمًا يَشْدُ عَلَى خُبْزِي وَيَكِي عَلَى جُمْلِي
فَلَوْ كُنْتُ عُذْرِي الْعَلَاقَةَ لَمْ تَكُنْ سَمِينًا وَأَنْسَاكَ الْهَوَى كَثْرَةَ الْأَكْلِ
وَقَالَ أَعْرَابِي:

ذَكَرْتُكَ ذِكْرَةً فَاصْطَدْتُ ضَبًّا وَكُنْتُ إِذَا ذَكَرْتُكَ لَا أَحْيَبُ

من نسيب ذي الرمة

وقال ذو الرمة:

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا مَيَّ أَنَا وَبَيْنَنَا ذَكَرْتُكَ أَنْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ
مِنْ الْمُؤَلَّفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاءُ^(٣) حُرَّةٌ^(٤) مَهَا وَلِطَرْفِ الْعَيْنِ فِيهِنَّ مَطْرَحُ
أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرَبُ^(٢) وَتَسْنَحُ^(٢) شُعَاعُ الضُّحَى فِي لَوْنِهَا يَتَوَضَّحُ^(٥)

(١) حرمتي وخدمتي: أي اذكرهما لي. وفي ذلك استعطاف واستمتاع

(٢) تسنح: يقال سنع الظبي سنوحا.

(٣) الأدماء: التي لونها الأدمة بالضم وهي في الظباء لون مشرب بياضاً وقد آدم كعلم وكرم.

(٤) الحرة بالضم الكريمة.

(٥) يتوضح: يظهر ويستبين.

هي الشَّبهُ أعطافاً وَجيداً ومقلّةً وميَّةً أُنْهَى بعدُ منها وأملحُ
كَانَ الْبَرَى والعاج عِيجَتْ مُتُونُهُ على عُشْرِ^(١) نَهْيٍ^(٢) به السَّيْلُ أبطح
لئن كانت الدنيا عليّ كما أرى تباريحُ من ذكراك لَلَمَوْتُ أَرْوَحُ

قوله -مها وواحدتها مَهْوَاة وهو الهواء بين الشَّيْثَيْنِ، ويقال لفلان في داره مطرح إذا وصفها بالسَّعَةِ، يقال: فلان يَطْرَحُ بَصْرَهُ كذا مرة وكذا مرة، وأنشد
سيبويه:

نَظَارَةٌ^(٣) حين تَعْلُو الشمسُ رَاكِبَهَا طَرَحاً بعيني لِيَاحٍ فيه تحديدُ

اللياح من البياض واللُّوحُ الهواء والشادن الذي قد شَدَنَ أي تحرك. وقوله
تَشْرَبُ يُقال إذا وقف ينظر كالمتحير قد اشْرَابَ نحوي ويقال هو يَسْرَحُ في
الْمَرْعَى. وقوله من المؤلفات يقال آَلَتْ المكانَ أُولِفُهُ إيلافاً ويقال أَلِفَتْهُ أَلْفاً
وفي القرآن: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٌ إِيْلَافِهِمْ﴾^(٤) وقرؤا إِيْلَفِهِمْ على القصير. وقوله
الرمْلُ النصب فيه أجود بالفعل ويجوز الخفض على شيء تذكره بعد الفراغ،
من هذا الباب إن شاء الله. وأصل الهجان الأبيض والعُطْفُ ما انثنى من العنق
قال ثَنَى عِطْفِهِ ويقال للأُرْدِيَةِ الْعُطْفُ لأنها تقع على ذلك الموضع.

من أحاديث عمر بن الخطاب

وفي الحديث أن قوماً يزعمون أنهم من قريش أتوا عمر بن الخطاب رحمه
الله وكان طائفاً ليشبّتهم في قريش فقال: إخرجوا بنا إلى البقيع فنظر إلى أكْفِهِمْ

(١) العشر كصرد شجر فيه حراق وهو شجر طويل تشبه به النساء في الطول واللين.

(٢) النهي بالفتح: والكسر القدير أو شبهه وكأنه أراد ذي نهي أي عشر.

يصف النساء عليهن الحلى وفي أطرافهن الأساور والخلاخليل يشبههن بهذا الشجر الغض
اللين.

(٣) النظارة: يصف ناقته بالنشاط والقوة

(٤) سورة قريش: الآية ١.

ثم قال أطرحوا العُطْفَ واحدها عِطَافٌ ثم أمرهم فأقبلوا وأدبروا ثم أقبل عليهم فقال ليست بأَكْفَ قريش ولا شَمائلها فأعطاهم فيمن هم منه . والجيدُ العنق والبرى الخلاخيل واحدها بُرَّة وهي من الناقة التي تقع في مارِنِ الأنف والذي يقع في العظم يقال له الخشاش^(١) . والعاجُ كان يتخذ مكان الأسورة . قال جرير :

تَرَى الْعَبْسَ الْخَوْلِيَّ^(٢) جَوْنًا بَكْوَعَهَا لَهَا مَسْكَأ^(٣) مِنْ غَيْرِ عَاجٍ وَلَا ذَبْلٍ

العيس ما يتعلق من الأبعاد والبول بأذنان الإبل والودخ الذي يتعلق بأطراف الأءِ الشاء . ويكون العيس في أذنان الإبل من البول إذا خثر . والجون ههنا الأسود وهو الأغلب فيه والكوع رأس الزند الذي يلي الإبهام والكُرسوعُ رأسه الذي يلي الخنصر والمَسْكَةُ السوارُ والذبلُ شيء يُتخذ من القرون كالأسورة ويقال سوارٌ وسوارٌ وإسوار قالت الخنساء .

كَأَنَّهُ تَحْتَ طَبِيِّ الْبُرْدِ اسْوَار .

والعشرُ شجرٌ بعينه والأبطح ما انبطح من الوادي يقال أَبْطَحُ وَيَبْطَحُ يا فنى وَأَبْرَقُ وَيَرْقَأُ وَأَمْعَزُ وَمَعْزَاءُ وهذا كثير . والتباريح الشدائد يقال بَرَحَ به ، وفي الحديث فأين أصحاب النهر قال لقوا بَرَحًا ، والعرب لا تعرفه إلا ساكن الراء .

قال جرير :

مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَشْغُوفٍ أَضْرَّ بِهِ بَرَحُ^(٤) الْهَوَى وَعَذَابُ غَيْرِ تَفْتِيرٍ^(٥)

(قال أبو الحسن وقد سمعنا من غير أبي العباس يقال : لقيت منك بَرَحًا بالفتح ويقال لقي منه الْبُرَجِين أَي الدواهي الشدائد التي تُبْرِحُ) . قال أبو

(١) الخشاش : بالكسر ما يدخل في عظم أنف البعير من خش .

(٢) الخولي : نسبة إلى الحول .

(٣) المسك بالتحريك الأساور والخلاخيل .

(٤) برح : أذى .

(٥) التفتير : سكون الشيء بعد شدته ومدته وهنا يقول الشاعر إن الهوى والعشق برح بخلق كثير .

العباس في المثل السائر: قيل لرجل: ما خفي؟ قال ما لم يكن. وفي تفسير هذه الآية يَعْلَمُ السُّرُّوماً أَخْفَى قال ما حَدَّثَتْ به نَفْسُكَ كما قال أو أَكُنْتُمْ في أنفسكم. وتقديره في العربية وَأَخْفَى منه والعرب تحذف مثل هذا فيقول القائل مررت بالفيل أو أعظم وأنه لكالبقة أو أصغر، ولو قال رأيت زيدا أو شبيهاً لجاز لأن في الكلام دليلاً، ولو قال رأيت الجمل أو راكباً وهو يريد عليه لم يجزلأنه لا ايل فيه. والأول إنما قَرَّبَ شيئاً من شيء وههنا إنما ذكر شيئاً ليس من شُكْلٍ ما قبله. فأما قوله جل ثنائه: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^(١) ففيه قولان أحدهما وهو المرضي عندنا إنما هو وهو عليه هَيِّنٌ لأن الله جل وعز لا يكون عليه شيء أَهْوَنَ من شيء آخر وقد قال مَعْنُ بن أوس:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيْنَا تَعْدُو الْمَيِّئَةُ أَوَّلُ

أراد: وإني لَوَجَلُ وكذلك يتأول ما في الأذان، الله أكبر الله أكبر أي الله كبير لأنه إنما يُفَاضَلُ بين الشيئين إذا كانا من جنس، يقال هذا أكبر من هذا إذا شاكله في بابٍ فأما الله أَجْوَدُ من فلان والله أعلم بذلك منك فوجه بَيِّنٌ لأنه من طريق العلم والمعرفة والبذل والإعطاء.

مركز تحقيقات علوم اسلامی

في صفات الله

وقومٌ يقولون: الله أكبر من كل شيء وليس يقع هذا على مُحَضَّرِ الرؤية لأنه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء وكذلك قول الفرزدق:

إِن الَّذِي سَمَكَ^(٢) السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعْزُ وَأَطْوَلُ

جائز أن يكون قال للذي يخاطبه من بيتك فاستغنى عن ذكر ذلك بما جَرَى من المخاطبة والمفاخرة، وجائز أن تكون دعائمه عزيزة طويلة. قال الراجز:

(١) سورة الروم: الآية رقم ٢٧.

(٢) سمك السماء: رفعها.

قُبُحْتُمْ يَا آلَ زَيْدٍ نَفَرًا الْأُمُّ قَوْمٍ أَصْغَرًا وَأَكْبَرًا

يريد صِغَارًا وَكِبَارًا. فأما قول مالك بن نويرة في ذؤاب بن ربيعة حيث قَتَلَ
عُتَيْبَةَ بن الحرث بن شهابٍ وفَخَّرَ بني أسد بذلك مع كثرة من قَتَلَتْ بنو يَرْبُوعٍ
منهم:

فَخَرَّتْ بَنُو أَسَدٍ بِمَقْتَلِ وَاحِدٍ صَدَقَتْ بَنُو أَسَدٍ عُتَيْبَةُ أَفْضَلُ

فإنما معناه أفضل ممن قتلوا على ذلك يدل الكلام وقد أبان ما قلنا في
بيته الثاني بقوله:

فَخَرُّوا بِمَقْتَلِهِ وَلَا يُوفَى بِهِ مَثْنَى سَرَاتِهِمُ الَّذِينَ نُقُتِلُ

والقول الثاني في الآية وهو أهون عليه عندكم لأن إعادة الشيء عند
الناس أهون من ابتدائه حتى يجعل شيئاً من لا شيء ثم نعود إلى الباب.
قال زهير:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيقَةٍ (١) وَلَوْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

فهذا مثل المثل الذي ذكرناه؛ وقال عمرو بن العاص: إذا أنا أَفْشَيْتُ
سِرِّي إِلَى صَدِيقِي فَأَذَاعَهُ فَهُوَ فِي حِلٍّ فَقِيلَ لَهُ: وكيف ذاك؟ قال أنا كنتُ أَحَقُّ
بِصَيَانَتِهِ. وقال امرؤ القيس:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَانٍ

وَأَحْسَنُ مَا سُمِعَ فِي هَذَا مَا يُعْزَى إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
لقائل يقول هو له ويقول آخرون قاله متمثلاً ولم يُخْتَلَفْ فِي أَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ
إِنْشَادَهُ:

فَلَا تُفْشِرْ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنْ لَكَ نَصِيحٌ نَصِيحًا

وإني رأيتُ غُوَاةَ الرِّجَا لَمْ لَا يَتْرَكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا (٢)

(١) الخليفة: الطبيعة.

(٢) أديماً صحيحاً: كناية عن وقوعهم في الأعراض ونهشهم لها.

وذكر العُتْبِيُّ أن معاوية أسرَّ إلى عثمان بن عَنبَسَةَ بن أبي سفيان حديثه، قال عثمان: فجئت إلى أبي فقلت إن أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثك أفأحدثك به قال لا إنه مَنْ كَتَمَ حديثه، كان الخيارُ إليه وَمَنْ أَظْهَرَهُ كان الخيار عليه، فلا تجعل نفسك مملوكاً بعد أن كنت مالِكاً، فقلت له أَوْ يَدْخُلُ هذا بين الرجل وأبيه؟ فقال لا ولكنني أكره أن تُدَلِّلَ لسانك بِإفشاء السر. قال فرحت إلى معاوية فذكرت ذلك له فقال معاوية أَعْتَقَكَ أَخِي مِنْ رِقِّ الْخَطَا. وقال معاوية أَعِنْتُ عَلَى عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِأَرْبَعٍ: كَتَمْتُ رَجُلًا أَكْتَمَ سِرِّي وكان رجلاً ظَهَرَهُ وَكُنْتُ فِي أَطْوَعِ جُنْدٍ وَأَصْلَحِهِ وكان في أَخْبَثِ جُنْدٍ وَأَعْصَاهُ وَتَرَكْتُهُ وَأَصْحَابَ الْجَمَلِ وقلت إن ظَفِرُوا به كانوا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْهُ، وَإِنْ ظَفِرَ بِهِمْ اعتدَدْتُ بها عليه في دينه، وَكُنْتُ أَحَبَّ إِلَيَّ قَرِيشٍ مِنْهُ، فَيَا لَكَ مِنْ جَامِعٍ إِلَيَّ وَمُفَرِّقٍ عَنْهُ وَعَوْنٍ لِي وَعَوْنٍ عَلَيْهِ.

وقال أَرْدَشِيرُ: الداءُ في كل مكتوم. وقال الأَخْطَلُ:
 إِنَّ الْعِدَاوَةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قَدِمْتُ ^(١) كَالْعُرَى ^(٢) يَكْمُنُ حِيناً ثُمَّ يَنْتَشِرُ
 وقال جَمِيلٌ:

وَلَا يَسْمَعَنَّ سِرِّي وَسِرُّكَ ثَالِثُ ^(٣) الْأَكْلِ سِرٌّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ شَائِعٌ
 وقال آخر وهو مسكين الدارمي:

وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرِ أَنِّي جَمَاعُهَا ^(٢)
 يَظْلُونَ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ وَسِرُّهُمْ إِلَى صَخْرَةٍ أَغْيَا الرِّجَالَ انْصِدَاعُهَا ^(٣)
 لِكُلِّ امْرِئٍ شَعْبٌ ^(٤) مِنَ الْقَلْبِ فَارِغٌ وَمَوْضِعُ نَجْوَى ^(٥) لَا يُرَامُ أَطْلَاعُهَا

(١) - العر: داء معد يصيب الإبل.

(٢) - جماعها بالكسر والتحقيق أي أجمع ما تفرق منها.

(٣) - انصداعها: أي قطعها وشقها وضرب ذلك مثلاً لحرصه على كتمان السر وعدم إفشائه لأحد.

(٤) - الشعب بالكسر أصله الطريق في الجبل.

(٥) - النجوى: السر.

وقال آخر:

سَأَكْتُمُهُ سِرِّي وَأَحْفَظُ سِرَّهُ وَلَا غَرْنِي أَنِّي عَلَيْهِ كَرِيمٌ^(١)
حَلِيمٌ فَيَنْسَى أَوْ جَهُولٌ يُضِيعُهُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا جَاهِلٌ وَحَلِيمٌ

وكان يقال أصبر الناس مَنْ صَبَرَ عَلَى كِتْمَانِ سِرِّهِ وَلَمْ يُبْدِهِ لِصَدِيقِهِ
فِيوْشِكَ أَنْ يَصِيرَ عَدُوًّا فَيُذِيعُهُ. وقال آخر:

وَلِي صَاحِبٌ سِرِّي الْمُكْتَمُ عِنْدَهُ مَخَارِقُ نِيرَانٍ^(٢) بَلِيلٌ تُحْرِقُ
عَظَفْتُ عَلَى أَسْرَارِهِ فَكَسَوْتَهَا ثِيَاباً مِنَ الْكِتْمَانِ لَا تَتَحَرَّقُ
فَمَنْ تَكُنْ الْأَسْرَارُ تَطْفُو بِصَدْرِهِ فَأَسْرَارُ صَدْرِي بِالْأَحَادِيثِ تُغْرِقُ
فَلَا تَوَدِّعَنَّ الدَّهْرَ سِرَّكَ أَحْمَقًا فَإِنَّكَ إِنْ أَوْدَعْتَهُ مِنْهُ أَحْمَقُ
وَحَسْبُكَ فِي سِتْرِ الْأَحَادِيثِ وَاعِظًا مِنَ الْقَوْلِ مَا قَالَ الْأَرِيبُ الْمُوَفَّقُ
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضِيقُ



وقال كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ الْغَنَوِيُّ:

وَلَسْتُ بِمُعْبِدٍ لِلرِّجَالِ سَرِيرَتِي وَمَا أَنَا عَنْ أَسْرَارِهِمْ بِسُؤْلٍ
وَلَا أَنَا يَوْمًا لِلْحَدِيثِ سَمِيعُهُ إِلَى هَهْنَامِنْ هَهْنَا بِنُقُولٍ

وقد ذكرنا قول العباس بن عبد المطلب رحمه الله لابنه عبد الله إن هذا
الرجل قد اختصك من دون أصحاب رسول الله ﷺ فاحفظ عني ثلاثاً: لا
يُجَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِباً، وَلَا تُفْشِيَنَّ لَهُ سِراً، وَلَا تَغْتَبِ عِنْدَهُ أَحَدًا، فقبل لابن
عباس: كل واحدة منهن خير من ألف دينار فقال: كل واحدة منهن خير من
عشرة آلاف.

(١) كريم: عزيز.

(٢) مخاريق نيران: جمع غرقاق وهو في الأصل ثوب لف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً استعارها
للشعل التي تشعل النار فيها.

بين الكذب وإفشاء السر

وقال بعض المُحدثين:

لي حيلة فيمن ينمُّ وليس في الكذاب حيلة
مَنْ كان يَخْلُقُ ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة

وقال آخر: (قال أبو الحسن هو أبو العباس المُبرّد).

إن النُومَ أُعْطِيَ دونه خَبَري وليس لي حيلة في مُفْتَرِي الكَذِبِ

وقال بعض المُحدثين:

كَتَمْتُ الهَوَى حَتَّى إِذَا نَطَقْتُ بِهِ بَوَادِرُ مِنْ دَمْعٍ تَسِيلُ عَلَى خَدِّي
وَشَاعَ الَّذِي أَضْمَرْتُ مِنْ غَيْرِ مَنْطِقٍ كَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ يَرْشَحُ مِنْ جِلْدِي

وقال جميل بن عبد الله بن معمر العُدَريّ:

إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرُّ فَإِنَّهُ بِنْتُ (١) وَإِفْشَاءُ الْحَدِيثِ قَمِينُ

وتأويل قَمِينٍ وَحَقِيقٍ وَجَدِيرٍ وَخَلِيقٍ وَاحِدٌ أَي قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ هَذِهِ حَقِيقَتُهُ،

يُقَالُ: قَمِنُ وَقَمِينٌ فِي مَعْنَى قَالَ الْحَرْثُ بْنُ خَالِدٍ الْمَخْزُومِيُّ.

مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا فَلَا قُحُوءَةَ مِنَّا مَنْزِلَ قَمِينُ

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ بَاعَ دَارًا أَوْ عَقَارًا» (٢) فَلَمْ يَرُدِّدْ

ثَمَنَهُ فِي مِثْلِهِ، وَذَلِكَ مَالٌ قَمِنٌ أَلَا يَبَارِكُ فِيهِ».

وقال الرقاشي:

إِذَا نَحْنُ خِفْنَا الْكَاشِحِينَ فَلَمْ نُطِيقْ كَلَامًا تَكَلَّمْنَا بِأَعْيُنِنَا سِرًّا
فَنَقْضِي وَلَمْ يُعْلَمْ بِنَا كُلِّ حَاجَةٍ وَلَمْ نَكْشِفِ النَّجْوَى وَلَمْ نَهْتِكِ السِّرَّ

(١) نث الخبر: إفشاء.

(٢) العقارة بالفتحة الضبعة أو النخل أو الأرض.

وقال معاوية لعياش بن صحر العبدِّي ما أقرب الاختصار قال لمحة دالة .

وقيل خير الكلام ما أغنى اختصاره عن إكثاره وقيل النائم سهم قاتل .

وقال بعض المُحدثين :

لا أَكْتُمُ الأسرار لكن أنمُّها ولا أدع الأسرار تغلي على قلبي
وإن أحقَّ الناس بالسُّخفِ ^(١) لأمره تُقلِّبه الأسرار ^(٢) جنباً إلى جنب
وقال آخر :

وأمنع جارتِي من كل خَيْرٍ وأمشي بالنَّميمة بين صَحْبِي

ويقال للنمام القَتَات وفي الحديث : « لا يُرَاحُ القَتَاتُ رائحة الجنة » . وفي الحديث عن النبي ﷺ « لعنَ الله المُثلَّثَ » ، فقيل : يا رسول الله ومن المُثلَّثُ ، فقال : الذي يَسْعَى بصاحبه إلى سُلْطانه فيَهْلِكُ نفسه وصاحبه وسُلْطانه . وقال معاوية للأحنف بن قيس في شيء بلغه عنه فانكر ذلك الأحنف ، فقال له معاوية : بَلَّغني عنك الثقة فقال له الأحنف يا أمير المؤمنين إن الثقة لا يُبلَّغ عنها .

وقال أحد الماضين (وهو طريح بن إسماعيل الثقفي) .

إِنْ يَسْمَعُوا الخَيْرَ يُخَفُّوهُ وَإِنْ سَمَعُوا شَرًّا أُذِيعَ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا

وقال المهلب بن أبي صفرة : أدنى أخلاق الشريف كتمان السر ، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسِرَّ إليه . ويقال للنكاح السِّرُّ على غير وجهه وليس هذا من الباب الذي كنا فيه ولكن يُذكر الشيء بالشيء ، وهذا حرف يُغلط فيه لأن قوماً يجعلون السِّرَّ الزنى وقوم يجعلونه الغشيان ، وكلا القولين خطأ إنما هو الغشيان من غير وجهه .

(١) السخف : بالضم دقة العقل ونقصه .

(٢) الأسرار : النكاح وهنا كناية .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ولكن لا تواعدوهن سرّاً إلا أن تقولوا قولاً
معروفاً﴾^(١) فليس هذا موضع الزنى .

وقال الحطيئة .

ويَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ

وقال الأَعَشَى لِسَلَامَةَ ذِي فَائِشٍ الْخَمِيرِيُّ^(٢) .

وَقَوْمُكَ إِنْ يَضْمَنُوا جَارَةً وَكَانُوا بِمَوْضِعِ انْضَادِهَا^(٣)

فَلَنْ يَطْلُبُوا سِرَّهَا لِلْغِنَى وَلَنْ يُسْلِمُوهَا لِإِزْهَادِهَا^(٤)

في هذا قولان أحدهما أنهم لا يطلبون اجترأها إليهم على رَغْمِ أوليائها،
من أجل مالها غَضَباً للجوار ولا يُسْلِمُونَهَا إذا انقطع رجاؤهم من الشواب
والمكافأة، والآخر أنهم لا يرغبون في ذوات الأموال وإنما يرغبون في ذوات
الاحساب اختياراً للأولاد وصيانة للأصهار أن يطمع فيهم مَنْ لا حَسَبَ له .
وقول الحطيئة «ويأكل جارهم أنف القصاع» إنما يريد المستأنف الذي لم يؤكل
قَبْلُ منه شيء ؛ يقال : رَوْضَةُ أَنْفٍ إذا لم تُرْعَ وكَأْسُ أَنْفٍ إذا لم يُشْرَبْ منها شيء
قَبْلُ ، قال لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ :

إِنْ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ^(٥) وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ^(٦) الْحُسْنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَنْفَ
«لِلطَّاعِنِينَ الْخَيْلَ وَالْخَيْلَ خُنْفَ»^(٧)

(١) سورة البقرة : الآية رقم ٢٣٥ .

(٢) لسلامة ذي فائش بن يزيد وكان يظهر لقومه في العالم مرة مبرقعا ، وفائش وإذا كان يحميمه سلام .
فنسب إليه .

(٣) الانضاد : جمع نضد بالتحريك وهو متاع البيت أو السرير الذي تنضد عليه الثياب ويجعل بعضاً
فوق بعض يريد وكانوا بموضع يتمكنون فيه منها .

(٤) لإزهادها : لفلة مالها .

(٥) النشيل : بالفتح ما طبخ من اللحم بغير تابل .

(٦) القينة : بالفتح الأمة غنت أو لم تغن وكثيراً ما أطلقت على المغنية .

(٧) خنف : جمع خنيف كأمير وهو الذي فيه مرح ونشاط .

قال أبو العباس وهذا باب اشترطنا أن نخرج فيه من حزن إلى سهل ومن جد إلى هزل ليستريح إليه القارئ ويدفع عن مستمعيه الملل نحن ذاكرون ذلك إن شاء الله تعالى .

بكر بن النطاح يمدح مالك الخزاعي

قال بكر بن النطاح في كلمة له يمدح فيها مالك بن علي الخزاعي .
 عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنَ الْمَنَى لَتَرْضَى فَقَالَتْ قُمْ فَجِئْنَا بِكَوَكِبِ
 فَقُلْتُ لَهَا هَذَا التَّعْنُتُ ^(١) كُلُّهُ كَمَنْ يَتَشَهَّى لَحْمَ عَنَقَاءَ مُغْرِبِ
 فَلَوْ أَنِّي أَصْبَحْتُ فِي جُودِ مَالِكِ وَعَزَّتْهُ مَا نَالَ ذَلِكَ مَطْلَبِي
 فَتَى شَقِيتُ أَمْوَالَهُ بِسَمَاحِهِ كَمَا شَقِيتُ قَيْسُ بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ

مدح الخليل لعاصم الغساني

وقال الخليل في كلمة يمدح بها عاصم الغساني :

أَقُولُ وَنَفْسِي بَيْنَ شَوْقٍ وَحَسْرَةٍ وَقَدْ شَخَصَتْ ^(٢) عَيْنِي وَدَمْعِي عَلَى خَدِّي
 أَرِيحِي بِقَتْلِ مَنْ تَرَكْتَ قُوَادَةً بِلَحْظَتِهِ بَيْنَ التَّأْسُفِ وَالْجَهْدِ
 فَقَالَتْ عَذَابُ فِي الْهَوَى قَبْلَ مَيَّةٍ وَمَوْتُ إِذَا أَقْرَحْتَ قَلْبَكَ مِنْ بَعْدِي
 لَقَدْ فَطَنْتَ لِلْجَوْرِ فِطْنَةَ عَاصِمٍ لَصْنَعِ الْأَيْدِي الْغُرِّ فِي طَلَبِ الْحَمْدِ
 سَأَشْكُوكَ فِي الْأَشْعَارِ غَيْرَ مُقْصِرٍ إِلَى عَاصِمٍ ذِي الْمَكْرُمَاتِ وَذِي الْمَجْدِ
 لَعَلَّ فَتَى غَسَّانَ ^(٣) يَجْمَعُ بَيْنَنَا فَتَأْمَنَ نَفْسِي مِنْكُمْ لَوْعَةَ الصَّدِّ

وقال إسماعيل بن القاسم :

إِنَّ السَّلَامَ وَإِنَّ الْبِشْرَ مِنْ رَجُلٍ فِي مِثْلِ مَا أَنْتَ فِيهِ لَيْسَ يَكْفِينِي

(١) التعتت : إلزام ما يصعب تنفيذه .

(٢) شخصت : أي ارتفعت أجفانها وتحدد نظرها وأزعج وهذا لا يكون إلا عند الجهد والشدة .

(٣) لعل فتى غسان : هذا مما يعاب عليه فإن هذا ليس من المدح في شيء بل إنما جعله قواداً .

هذا زمانُ ألح الناسُ^(١) فيه على زهو الملوك وأخلاق المساكين
أما علمت جزاك الله سالحةً عني وزادك خيراً يا ابن يقطين
أني أريدك للدنيا وعاجلها ولا أريدك يوم الدين للدين

وقال يزيد بن محمد بن المهلب المهلب في كلمة يمدح بها إسحق بن

إبراهيم:

إن أكن مهدياً لك الشعراني لأبن بيت تُهدى له الأشعارُ
غير أني أراك من أهل بيت ما على الحر أن يسودوه عار

وقال أيضاً في كلمة أخرى:

وإذا جدت^(٢) فكل شيء نافع وإذا جدت فكل شيء ضائرُ
وإذا أتاك مهلب في الوعى والسيف في يده فينعم الناصرُ

وقال عبد الله بن الزبير لما أتاه قتل مصعب بن الزبير أشهدهُ المهلب بن
أبي صفرة، قالوا لا، كان المهلب في وجوه الخوارج قال: أفشدهُ عبّاد بن
الحصين الحبطي قالوا لا. قال أفشده عبد الله بن خازم السلمي قالوا لا
فتمثل عبد الله بن الزبير فقال: *مرآتيتك في يوم رمي*

فقلت لها عيبي^(٣) جعارٍ وجرري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

جعار اسم من أسماء الضبع وهي صفة غالبية لأنه يقال لها جاعرة، فهذا
في بابه كفساقٍ ولكاعٍ وحلاقٍ للمنية، وقد فسرنا هذا الباب مستقصى على
وجوه الأربعة. ويروى أن ابنة جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان قالت
له يوماً:

أهمام بن مرة حنّ قلبي إلى اللائي يكنّ مع الرجال

(١) ألح الناس: أكثروا الطلب.

(٢) إذا جدت: أي أتاك الله حظاً.

(٣) عيبي: من العيث وهو الإفساد وقولهم عيبي جعار يضرب مثلاً في شيء يتمكن من طالبه.

فقال يا فساق أردتِ صَفِيحَةً^(١) ماضيةً فقالت :

أهمام بن مرة حن قلبي إلى صَلْعَاءٍ مُشْرِفَةٍ الْقَذَالِ
فقال فجارٍ أردتِ بَيْضَةً حَصِينَةً فقالت :

أهمام بن مرة حن قلبي إلى أَيْدٍ أَسْدُ بِهِ مَبَالِي
قال فقتلها .

من الأشعار التي قيلت في سعيد بن سلم

قال أبو العباس قال أبو الشَّمَقْمَقِ وهو مَرْوَانُ بن محمد . وزعم التَّوْزِيُّ
عن أبي عبيدة قال أبو الشَّمَقْمَقِ ومنصور بن زيادٍ وَيَحْيَى بن سُلَيْمٍ الْكَاتِبُ من
أهل خُرَّسَانَ من بُخَارِيَّةِ عبيد الله بن زيادٍ (وَبُخَارِيَّةُ اسم قرية من قرى خراسان
وبها كان عبيد الله بن زياد) وكان أبو الشَّمَقْمَقِ ربما لَحَنَ ويَهْزُلُ كثيراً وَيُجِدُّ
فيكثر صوابه . قال يمدح مالك بن علي الخُزَاعِيَّ وَيَذُمُّ سَعِيدَ بن سلمٍ
الباهلي :

قد مَرَرْنَا بِمَالِكٍ فَوَجَدْنَاهُ
مَا يُبَالِي أَنَاهُ ضَيْفٌ مُخَفٌ^(٢)
فَأَنْتَهَيْنَا إِلَى سَعِيدِ بن سَلَمٍ
وَإِذَا خُبْرُهُ عَلَيْهِ سَيَكْفِي
وَإِذَا خَاتَمُ النَّبِيِّ سُلَيْمًا
فَارْتَحَلْنَا مِنْ عِنْدِ هَذَا بِحَمْدٍ
جَوَادًا إِلَى الْمَكَارِمِ يَنْمِي
أَمْ أَتَتْهُ يَأْجُوجُ مِنْ خَلْفِ رَدَمٍ
فَإِذَا ضَيْفُهُ مِنَ الْجُوعِ يَرْمِي^(٣)
كَهْمُ اللَّهِ مَا بَدَأَ ضَوْءُ نَجْمٍ
نَ بْنَ دَاوُدَ قَدْ عَلَاهُ بِخَتَمٍ
وَارْتَحَلْنَا مِنْ عِنْدِ هَذَا بِذَمٍّ

في رثاء سعيد بن سلم

وقال عبد الصَّمَدِ بن الْمُعَدَّلِ يرثي سَعِيدَ بن سَلَمٍ :

(١) الصفيحة : السيف العريض .

(٢) مخف : سيء الحال يقال أخف الرجل إذا خفت حاله وقل ذات يديه .

(٣) يرمي : من رمي السحاب إذا اجتمع .

كَمْ صَغِيرَ جَبْرَتُهُ بَعْدَ يَتَمِ
وَفَقِيرَ نَعَشَتِهِ^(١) بَعْدَ عُدَمِ
كُلَّمَا عَضَّتِ الْحَوَادِثُ^(٢) نَادَى
رَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَلَمِ

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ غَرَضَ لِي أَعْرَابِي فَمَدَحَنِي فَبَلَغَ فَقَالَ :
أَلَا قُلْ لِسَارِي اللَّيْلِ لَا تَخْشَ ضَلَّةً
لَنَا سَيِّدُ أَرْبَى^(٣) عَلَى كُلِّ سَيِّدٍ
سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلَادٍ
جَوَادُ حَتَّى فِي وَجْهِهِ كُلِّ جَوَادٍ
قَالَ فَتَأَخَّرْتُ عَنْ بَرِّهِ قَلِيلًا فَهَجَانِي فَبَلَغَ فَقَالَ :

لِكُلِّ أَخِي مَدْحٌ ثَوَابٌ يُعَدُّهُ
مَدَحْتُ ابْنَ سَلَمٍ وَالْمَدِيحُ مَهْزَةٌ^(٤)
وَلَيْسَ لِمَدْحِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابٌ
فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ

وَقَالَ أَبُو الشَّمْقَمَقِ :

قَالَ لِي النَّاسُ زُرْ سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ
وَأُمِيرِي فَتَى خُزَاعَةَ بِالْبَصْرِ
وَلِنِعْمِ الْفَتَى سَعِيدٌ وَلَكِنْ
قُلْتُ لِلنَّاسِ لَا أَزُورُ سَعِيدًا
رَبَّةً قَبْلَ عَمَّهَا سَمَاحًا وَجُودًا
فَقَالَ لِدُودَتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَكَرْنِي مَعَ مَالِكٍ وَإِنَّهُ أَخَذَ مِنِّي أُمْنِيَّتَهُ . وَقَالَ أَبُو
الشَّمْقَمَقِ أَيْضًا :

هِيَئَاتَ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ
وَاللَّهِ لَوْ مَلَكَ الْبَحَارَ بِأَسْرِهَا
يَبْغِيهِ مِنْهَا شَرْبَةً لَطُهُورِهِ
إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي نَوَالِ سَعِيدٍ
وَأَتَاهُ سَلَمٌ^(٥) فِي زَمَانِ مُدَوِّدٍ
لَأَبَى وَقَالَ تَيَمَّمَنْ بَصْعِيدٍ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

(١) نَعَشَتُهُ : جَبْرَتُهُ وَأَحْسَنَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ فَقْرِهِ .

(٢) عَضَّ الْحَوَادِثُ : شَدَّتْهَا يَرِيدُ كَلِمًا نَالَتْهُ الْحَوَادِثُ وَالْخَطُوبُ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْإِدْعَاءِ لِسَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ
يَتَذَكَّرُهُ عِنْدَ الشَّدَةِ لِأَنَّهُ كَانَ يَكْشِفُهَا عَنْهُ .

(٣) أَرْبَى : زَادَ فِي الْمَكْرَمَاتِ .

(٤) الْمَدِيحُ مَهْزَةٌ : يَرِيدُ أَنَّهُ يَبْعَثُ الْمَمْدُوحَ عَلَى الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ وَيَحْرُكُ نَفْسَهُ إِلَيْهِ .

(٥) أَتَاهُ سَلَمٌ : يَعْنِي فِي زَمَانِ مَمْدُودٍ جَمَعَ مَدَّ وَهُوَ السَّيْلُ وَزَمَنُ السَّيْلِ زَمَنُ الرِّخَاءِ عِنْدَهُمْ .

لو أن قُصْرَكَ يا ابن يوسف كُلَّهُ
وَأَتَاكَ يَوْسُفُ يَسْتَعِيرُكَ إِبْرَةً
وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

دُيُونُكَ لَا يُقْضَى الزَّمَانُ غَرِيمَهَا (١)
سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ أَلَامَ النَّاسِ كُلَّهُمْ
يَزِيدُ لَهُ فَضْلٌ وَلَكِنْ مَزِيداً
خُزَيْمَةٌ لَا بَأْسُ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ
وَبُخْلُكَ بُخْلُ الْبَاهِلِيِّ سَعِيدِ
وَمَا قَوْمُهُ مِنْ بُخْلِهِ بِبَعِيدِ
تَذَارَكَ مِنَّا مَجْدُهُ بِيَزِيدِ
لِمَطْبَخِهِ قُفْلٌ وَبَابُ جَدِيدِ

في رثاء سعيد بن سلم

وَقَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمُعَدَّلِ يَرْثِي عَمْرُو بْنَ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ وَكَانَ عَمْرُو
هَئِلَكَ بُعِيدَ سَعِيدِ بَيْسِيرِ .

رُزِينَا أَبَا عَمْرٍ فَقَلْنَا لَنَا عَمْرُو
وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو مُعَارَاً حَيَاتُهُ
سَيَكْفِيكَ ضَوْءُ الْبَدْرِ غَيْبُوهُ الْبَدْرِ
بِعَمْرٍو فَلَمَّا مَاتَ مَاتَ أَبُو عَمْرٍو

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ يَوْمَاً لِسَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ : يَا سَعِيدُ مَنْ بَيْتُ قَيْسٍ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَنُو فِزَارَةَ قَالَ فَمَنْ بَيْتُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ قَالَ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ شَرَفْتُمُوهُ قَالَ صَدَقْتَ ، أَنْتَ وَقَوْمُكَ . وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ
الْقَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سُلَيْمَانَ الْهَاشِمِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَالَ :
رَأَيْتُ فِي مَنَامِي سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ فِي حَيَاتِهِ وَفِي نَعْمَتِهِ وَكَثْرَةِ عَدَدِ وَلَدِهِ وَحُسْنِ
مَذْهَبِهِ وَكَمَالِ مُرُوءَتِهِ قَالَ : فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا أَجَلُ مَا أُعْطِيَهُ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ !
فَقَالَ لِي قَائِلٌ وَمَا ذَخَرَهُ اللَّهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرُ . وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ إِذَا
اسْتَقْبَلَ السَّنَةَ الَّتِي يَسْتَأْنَفُ فِيهَا عِدَدَ سِنِيهِ أَعْتَقَ نَسَمَةً وَتَصَدَّقَ بِعَشْرَةِ آلَافِ
دِرْهَمٍ ، فَقِيلَ لِمَدِينِي إِنْ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ يَشْتَرِي نَفْسَهُ مِنْ رَبِّهِ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ
فَقَالَ إِذَا لَا يَبِيعُهُ .

(١) الغريم : الدائن .

مبلغ احتقار العرب لباهلة

وقال أحمد بن يوسف الكاتب لولد سعيد بن سلم .

أبني سعيد إنكم من معشر قوم لباهلة بن يعصّر إن هم
لا يعرفون كرامة الأضياف نسيبوا حسبتهم لعبد مناف
زاداً لعمر أبيك ليس بكاف قرنوا الغداء إلى العشاء وقربوا
رحلي نزلت بأبرق العزاف^(١) وكأني لما حططت إليهم
يلحون في التبذير والاسراف بينا كذاك أتاهم كبراهم

وأنشدني المازني :

سَلِ اللّٰهَ ذَا الْمَنْ مِنْ فَضْلِهِ وَلَا تَسْأَلُنْ أَبَا وَائِلَهُ
فَمَا سَأَلَ اللّٰهَ عَبْدٌ لَهُ فخاب ولو كان من باهله

قال أبو الحسن وزادني بعض أصحابنا :

(تَرَى الْبَاهِلِيَّ عَلَى خُبْرِهِ إِذَا رَامَهُ أَكَلٌ أَكَلَهُ)

وأنشد أبو العباس لرجل من عبد القيس :

أبَاهِلٌ يَنْبَحُنِي كَلْبُكُمْ وَأَسْدُكُمْ كِكِلَابِ الْعَرَبِ
ولو قيل للكلب^(٢) يا باهلي عوى الكلب من لؤم هذا النسب

وحدثني علي بن القاسم قال : حدثني أبو قلابة الجرمي قال : حججنا مرة مع أبي جزء بن عمرو بن سعيد : قال : وكنا في ذراه وهو إذا ذاك بهي وضيء ، فجلسنا في المسجد الحرام إلى أقوام من بني الحرث بن كعب لم نر أفصح منهم ، فرأوا هيئة أبي جزء وإعظامنا إياه مع جماله فقال قائل منهم له : أمين

(١) أبرق العزاف : ماء لبني أسد .

(٢) ولو قيل للكلب . . . البيت : هذا قمة الفحش في الهجاء واقزعه والعرب تبالغ في مثل هذا مبالغة لا تتفق مع العقل ولا العادة ولكنهم يريدون بالمهجو وإيلامه وإثارة غضبه .

[illegible]

مرکز تحقیق و ترویج علوم اسلامی
 في مجلس قتيبة بن مسلم

وَحَدَّثْتُ أَنَّ إِعْرَابِيًّا لَقِيَ رَجُلًا مِنَ الْحَاجِّ فَقَالَ: لَهُ مِمَّنِ الرَّجُلُ قَالَ:
بَاهِلِي قَالَ: أَعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: إِي وَاللَّهِ وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ مُوَلَّى لَهُمْ،
فَأَقْبَلَ الْأَعْرَابِيَّ يَقْبَلُ يَدِيهِ وَيَتَمَسَّحُ بِهِ، قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: وَلِمَ تَفْعَلُ ذَاكَ؟ قَالَ:
لَأَنِّي أَتَقُ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْتَلِكْ بِهَذَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.
وَيَزَعُمُ الرَّقَاشِيُّ أَنَّ قُتَيْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ لَمَّا فَتَحَ سَمَرْقَنْدَ أَفْضَى إِلَى أَثَاثٍ لَمْ يَرِ مِثْلُهُ
وَالِىَ آلَاتٍ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا فَأَرَادَ أَنْ يُرِيَ النَّاسَ عَظِيمَ مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ،

(١) إعرض ثوب الملبس: يضرب مثلاً للرجل يبعد في الانتساب، يقال ممن أنت، فيقول من مضر أو من ربيعة مثلاً. أي عممت ولم يخص وذكورت مطلباً عريضاً لا يحاط به، وفي رواية أبي عبيدة عرض ثوب الملبس، بتشديد الراء.

ويعرفهم أقدار القوم الذين ظَهَرَ عليهم، فأمرَ بدار فُقِرِشَتْ وفي صحنها قُدور
تُرْتَقَى بالسالام فإذا بالحُضَيْنِ بن المنذر بن الحرث بن وُعْلَةَ الرقاشي قد أقبل
والناس جُلوسٌ على مراتبهم والحُضَيْنِ شيخ كبير، فلما رآه عبد الله بن مسلم
قال لقتيبة: ائذن لي في معاتبته قال: لا تُرِذُّهُ فإنه خبيث الجواب، فأبى
عبد الله إلا أن يأذن له وكان عبد الله يُضَعِّفُ وكان قد تَسَوَّرَ حائطاً إلى امرأة
قبل ذاك فأقبل على الحُضَيْنِ فقال: أَمِنَ الباب دخلت يا أبا ساسان قال: أَجَلُ
أَسْنٍ عَمُكَ عن تَسَوَّرِ الحيطان، قال: أَرَأَيْتَ هذه القُدور؟ قال هي أعظم من
أن لا تُرى قال ما أَحْسِبُ بَكَر بن وائل رأى مثلها قال: أَجَلُ ولا غِيلان ولو كان
رأها سُمِّيَ شُبَّعَان ولم يُسَمَّ عيلان، قال له عبد الله يا أبا ساسان: أتعرف
الذي يقول:

عَزَلْنَا وَأَمَرْنَا وَبَكَر بن وائل تَجُرُّ خُصَاها ^(١) تَبْتَغِي من تُحَالِفُ
قال أعرفه وأعرف الذي يقول:

وَخَيْيَّةَ مَنْ يَخِيبُ عَلَى غَنِيٍّ وباهلة بن يَعْصَرَ والركاب
(يريد يا خيبة من يخيب) قال أفتعرف الذي يقول:

كَأَنَّ فِقَاحَ ^(٢) الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ وقد غَرِقَتْ أَفْواه بَكَر بن وائل
قال أعرف هذا وأعرف الذي يقول:

قَوْمٌ قُتِيْبَةُ أُمُّهُمْ وَأَبُوهُمْ لولا قُتَيْبَةُ أَصْبَحُوا في مَجْهَلٍ
قال: أما الشعرُ فأراك ترويه ولكن هل تقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: أقرأ منه
الأكثر الأَطْيَبَ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً
مَذْكُوراً﴾ ^(٣) قال: فأغضبه فقال والله لقد بلغني أن امرأة الحُضَيْنِ ^(٤) حُمِلَتْ

(١) شجر خصاها: كناية عن الغلبة والقهر.

(٢) الفقاح: جمع فقة بالفتح وهي الدبر أو حلققتها.

(٣) سورة الإنسان: الآية رقم ١.

(٤) هو الحُضَيْنِ بن المنذر بن الحارث أحد بني عمرو بن شيان بن ذهل.

إليه وهي حُبْلَى من غيره قال: فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى، ثم قال على رَسْلِهِ وما يكون تِلْدُ غُلَاماً على فراشي فيقال فلان بن الحَضِين، كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قَتِيْبَةٌ على عبد الله فقال لا يُبْعِدُ اللَّهُ غَيْرَكَ هذا الحَضِين بن المنذر بن الحرث بن وعله وكان الحَضِين بيده لواء علي بن أبي طالب رحمه الله على رِبِيعَةٍ وله يقول القائل:

لِمَنْ رَايَةً سَوْدَاءُ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَّمَهَا حَضِينُ تَقْدَمَا

مديح للأعشى

وللحرث بن وعله يقول الأعشى وكان قَصْدُهُ فلم يَحْمِذْهُ وَعَرَجَ عنه إلى هَوْدَةَ بن علي ذي التاج، وهودَةُ من بني حنيفة بن لُجَيْم بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل، والحرث بن وعلَةَ من بني رَقَاش وهي امرأة وأبوهم مالك بن شَيْبَانَ بن ذُهَل بن ثَعْلَبَةَ بن عُكَّابَةَ بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، فقال الأعشى يذكر الحرث بن وعله وهودَةَ بن علي:

أَتَيْتُ حُرَيْثاً زَائِراً عَنْ جَنَابَةٍ	فَكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِي جَامِداً
إِذَا مَا رَأَى ذَا حَاجَةٍ فَكَانَ مَا	يَرَى أَسْداً فِي بَيْتِهِ وَأَسَاوِداً ^(١)
لَعَمْرُكَ مَا أَشْبَهْتَ وَعِلَةَ فِي النَّدَى	شَمَائِلُهُ ^(٢) وَلَا أَبَاهُ مُجَالِداً
وإِنَّ أَمْرًا قَدْ زُرْتُهُ قَبْلَ هَذِهِ	بَجَوِّ لَخِيرٍ مِنْكَ نَفْساً وَوَالِداً
تَضَيَّفْتُهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَجْلِسِي	وَأَصْفَدَنِي ^(٣) عَلَى الزَّمَانَةِ ^(٤) قَائِداً
وَأَمْتَعَنِي عَلَى الْعِشَاءِ ^(٥) بَوَلِيدَةً	فَأَبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا هَوْدَةَ ^(٦) حَامِداً

(١) الأساود: الحيات، جمع أسود وهو أنخبث الحيات وانكأها وليس شيء من الحيات أجراً منه.

(٢) شمائله: بدل اشتعال من وعله.

(٣) اصفدني: أعطاني.

(٤) الزمانة: العاهة.

(٥) العشاء: بالقصر سود البصر ليلاً.

(٦) هود: ترخيم هودَة.

فَتَى لَوْ يُبَارِي الشَّمْسَ آلَقَتْ قِنَاعَهَا أَوْ الْقَمَرَ السَّارِي لَأَلْقَى الْمَقَالِدَا
يَرَى جَمْعَ مَا دُونَ الثَّلَاثِينَ قُصْرَةً وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَّلَاثِينَ وَاحِدَا

شرح هذا الشعر

وهي كلمة قوله أَتَيْتُ حُرَيْثًا يريد الحرث وتصغيره على لفظه حُوَيْرِثٌ وهذا التصغير الآخر يقال له تصغير الترخيم، وهو أن تَحْذِفَ الزوائد من الاسم ثم تُصَغِّرَ حروفه الأصلية، فتقول في تصغير أحمد حُمَيْدٌ لأنه من الحمد وفي الحَرِثِ حُرَيْثٌ لأنه من الحَرِثِ وفي غَضَبَانِ غُضَيْبٌ لأنه من الغَضَبِ. لأن الألف والنون زائدتان وكذلك ذوات الأربعة تقول في تصغير قُنَيْدِلٍ على لفظه قُنَيْدِيلٌ فإن صغرته مُرَخِّمًا حذفت الياء فقلت قُنَيْدِلٌ فعلى هذا مجزى الباب. وقوله عن جنابة يقول عن غُرْبَةٍ وَبُعْدٍ يقال هم نَعَمَ الْحَيُّ لَجَارِهِمْ جَارُ الْجَنَابَةِ أي الغربة. يقال رجل جُنُبٌ ورجلٌ جَانِبٌ أي غريب قال الله جل وعز ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾^(١). وقال الحُطَيْثَةُ:

وَاللَّهِ مَا مَعَشَرُ لَامُوا أَمْرًا جُنُبًا فِي آلِ لَا بْنِ شَمَّاسٍ بِأَكْيَاسٍ

مركز تحقيقات كليات علوم رسيدي

وقال غُلَقْمَةُ بْنُ عَبْدِ:

فَلَا تَحْرَمْنِي نَسَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ فَإِنِّي إِمْرُؤُ وَسَطُ الْقَبَابِ غَرِيبُ

فمن قال للواحد جُنُبٌ قال للجميع أَجْنَابُ كقولك عُنُقٌ وَأَعْنَاقٌ وَطُنُبٌ وَأَطْنَابٌ ومن قال للواحد جانبٌ قال للجميع جُنَابٌ كقولك رَاكِبٌ وَرُكَّابٌ وضاربٌ وضَرَابٌ قالت الْخَنَسَاءُ:

أَبْكِي أَخَاكَ لِأَيْتَامٍ وَأَرْمَلَةٍ وَأَبْكِي أَخَاكَ إِذَا جَاوَرْتَ أَجْنَابَا

وإن كان من الجنابة التي تُصِيبُ الرَّجُلَ. قلت رجل جُنُبٌ ورجلان جُنُبٌ وكذلك المرأة والجميع وقد يجوز وليس بالوجه رجلان جُنُبَانِ وامرأة جُنُبَةٌ وقوم

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

أجناب. وقوله يرى أسداً في بيته وأساود يريد جمع أسود سالخ^(١) وأسود ههنا نعت ولكنه غالب فلذلك جرى ههنا مجرى الأسماء لأنه يدل على الحيّة، وأفعل إذا كان نعتاً بنفسه فجمعه فُعل نحو أحمَر وأحمَر وأسود وسود. وإذا كان نعتاً فأجري مجرى الاسماء فجمعه أفاعل نحو أساود وأجادل وأداهم إذا أردت القيد لأنه نعت غالب يجري مجرى الأسماء وإن أردت أدّهم الذي هو نعت محض قلت دهم. قال الأشهب بن رُميلة:

أسود شري لاقت أسود خفيّة تساقوا على حرّ دماء الأساود

فأجراه مجرى الأسماء نحو الأصاغر والأحاميد. وقوله لعمر ك ما أشبهت وعلة في الندي شمائله، فإنه جعل شمائله بدلاً من وعلة والتقدير ما أشبهت شمائل وعلة والبدل على أربعة أضرب فواحد منها أن يُبدل أحد الاسمين من الآخر إذا رجعا إلى واحد ولا بُالي أمعرفتين كانا أم معرفة ونكرة وتقول مررت بأخيك زيد لأن زيدا هو الأخ، وكذلك مررت برجل عبد الله فهذا واحد، وآخر أن يُبدل بعض الشيء منه نحو ضربت زيدا رأسه لما قلت ضربت زيدا أردت أن تبين موضع الضرب منه فمثل الأول قول الله تبارك وتعالى: ﴿أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾^(٢) وقوله: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله﴾^(٣) ﴿ولنسقاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة﴾^(٤). ومثل البدل الثاني قوله: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾^(٥) من في موضع خفض لأنها بدل من الناس ومثله إلا أنه أعيد حرف الخفض ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لِمَن آمن منهم﴾^(٦) والبدل

(١) السالخ: إسم لأسود من الحيات والأنثى أسود ولا توصف بسالخة.

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٦.

(٣) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٤) سورة العلق: الآية ١٦.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٦) سورة سبأ: الآية ٣٢.

الثالث مِثْلُ ما ذكرنا في البيت أبدل شمائله منه وهي غيره لاشتغال المعنى عليها، ونظير ذلك أسألك عن زيد أمره لأن السؤال عن الأمر وتقول على هذا سلب زيد ثوبه فالثوب غيره ولكن به وَقَعَ السَّلْبُ كما وقعت المسألة عن خبر زيد ونظير ذلك من القرآن: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾^(١) لَأَنَّ المسألة إنما كانت عن القتال. هل يكون في الشهر الحرام. قال الشاعر (وهو الأخطل):

إِنَّ السِّيفَ غَدَوُهَا وَرَوَّاحَهَا تَرَكَتْ هَوَازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الْأَغْضَبِ

ويبدل رابع لا يكون مثله في القرآن ولا في الشعر وهو أن يَغْلَطَ المتكلم فَيَذَرُكْ غلطه أو يَنْسَى فَيَذْكُرْ فيرجع إلى حقيقته ما يَقْصِدُ له، وذلك قولك مررت بالمسجد دار زيد، أراد أن يقول مررت بدار زيد فأما نسي وإما غلط فاستدرك فوضع الذي قَصَدَ له في موضع الذي غَلِطَ فيه. وقوله بجوفه قَصَبَةُ اليمامة. وقوله تَضَيَّفَته يوماً إنما هو تَفَعَّلْتُهُ من الضيافة. يقال ضَيَّفْتُ الرجل أي نزلت به وأضافتني أي أنزلني. وقوله وأصْفَدَنِي يقول أعطاني وهو الإصفاد والصفْدُ الإسم والإصفاد المصدر. قال النابغة (فلم أَعْرِضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بالصفْدِ) ويقال: صَفَّدْتُ الرجل فهو مَصْفُودٌ من القيد ولا يقال في القيد أصفدت ولكن صَفَّدْتُهُ صَفْدًا واسم القيد الصَفْدُ، قال الله عز وجل ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾^(٢) كقولك جَمَلٌ وَأَجْمَالٌ وَصَنَمٌ وَأَصْنَامٌ. وقوله: فتى لو يُبَارِي الشمس يقول: يُعَارِضُ يقال، إنبرى لي فلان أي اعترض لي في هذا المعنى، وفلان يُبَارِي الريح من هذا، أي يعارض الريح بجوده. فهذا غير مهموز فأما بَارَأَتِ الْكَرِيَّ^(٣) فهو مهموز لأنه من أبرأني وأبرأته. ويقال برأ فلان من مرضه وبري يا فتى والمصدر منهما البرء فاعلم، وبرئت القلم غير مهموز والله البارئ المصنوع. ويقال ما برأ الله مثل فلان، مهموز. وقولك البرية أصله من الهمز ويختار فيه

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٧.

(٢) سورة الأصفاد: الآية ٤٩.

(٣) الكري: المكاري.

تخفيف الهمز ولفظ التخفيف والبدل واحد . وكذلك يُختار في النبي التخفيف ومن جعل التخفيف لازماً قال في جمعه أنبياء كما يفعل بذوات انباء والواو وتقول وصي وأوصياء وتقي وأتقياء وشقي وأشقياء . ومن همز الواحد، قال: في الجميع نباء لأنه غير معتل كما تقول حكيم وحكماء وعليم وعلماء وأنبياء لغة القرآن والرسول ﷺ، وقال العباس بن مرداس السلمي:

يا خاتم النبأ إنك مُرسلٌ بالحق كلُّ هدى السبيل هُداكا
وقوله أو القمر الساري لألقى المقالدا فأسكن الباء ضرورة وإنما جاز ذلك لأن هذه الباء تَسْكُنُ في الرفع والخفض . فإذا احتاج الشاعر إلى إسكانها في النصف قاس هذه الحركة على الحركتين الضمة والكسرة الساقطتين فشبها بهما فجعلها كالآلف التي في مثني التي هي على هيئة واحدة في جميع الإعراب . قال النابغة:

رَدَّتْ عليه أقاصيه وَلَبَّدَهُ ضَرْبُ الوليدة بالمِسْحاة^(١) في النَّادِ
فَأَسْكَنَ الباء في أقاصيه . وقال رؤبة:
كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ^(٢) الْفَرْقُ^(٣) (أَيْدِي جَوَارٍ يَتَعَاظِينَ الْوَرَقَ)
وقال:

سَوَى مَسَاجِيَهُنَّ تَقْطِيطُ^(٤) الْحَقَقُ

(ويروي تقطيط بالنصب وهو أجود لأن بعده:)

تَقْلِيلُ مَا قَارَعَنَ مِنْ سُمْرِ الطَّرَقِ

وَالطَّرَقُ جَمْعُ طُرُقَةٍ) وقال آخر:

كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءِ كَافٍ وَلَيْسَ لِحَبْهَا مَا عِشْتُ شَافٍ

(١) المسحاة: بالكسر . آلة يسحى بها الطين ويجرف .

(٢) القاع: أرض سهلة مطمئنة وقد انفرجت عنها الجبال والأكام .

(٣) الفرق: ككتف المستوي من الأرض والضمير في أيديهن للإبل يصفها بالسرعة شبه أيديهن في سرعة نقلها بأيدي جوار يلتقطن ورقاً يتخبط لرعي الدواب .

(٤) التقطيط: قطع الشيء الصلب وإحقق جمع حقة بالضم وهي وعاء من خشب .

وأما قوله: وأمتعني على العشا بوليدة فأبت بخير منك يا هوذ حامدا
فإنه كان يتحدث عنه ثم أقبل عليه يخاطبه وترك تلك المُخاطبة، والعرب
تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة
الغائب. قال الله جل وعز: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرّين بهم بريح
طَبِيَّةٍ﴾^(١). كانت المخاطبة للأمة ثم انصرفت إلى النبي ﷺ إخباراً عنهم. وقال
عُترة:

شَطَّتْ مَزَارُ العاشقين فأصبحت عسراً علي طلائك ابنة مخزم
فكان يتحدث عنها ثم خاطبها. ومثل ذلك قول جرير:
وَنَرَى الْعَوَاذِلَ يَتَدَرَّنَ^(٢) مَلَامَتِي فَإِذَا أَرَدَنَ سِوَى هَوَاكِ عُصِينَا
وقال الآخر:

فِدَى لَكَ وَالِدِي وَسِرَاة قُومِي وَمَالِي أَنَّهُ مِنْهُ أَتَانِي
وهذا كثير جداً. وقوله: يرى جمع ما دون الثلاثين قُصْرَةً أي قليلاً من
الإقتصار ويروي ويغدو جميعاً. وكان هُوَذَةُ بْنُ عَلِيٍّ ذَا قَدْرٍ عَالٍ وَكَانَتْ لَهُ
خَرَازَاتٌ تُنْظَمُ فَتَجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ تَشْبَهُاً بِالْمُلُوكِ. وحدثني التُّوزِيُّ عَنْ أَبِي
عُبَيْدَةَ، قَالَ: مَا تَتَوَجَّحُ مَعْدِي قَطُّ إِنَّمَا كَانَتِ التَّيْجَانُ لِلْيَمَنِ قَالَ: فَسَأَلْتَهُ عَنْ
قَوْلِ الْأَعَشِيِّ:

مَنْ يَرِ هُوَذَةَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّبِعٍ^(٣) إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا
قال إنما كانت خَرَازَاتُ تُنْظَمُ لَهُ. وكتب رسول الله ﷺ إلى هُوَذَةَ كَمَا كَتَبَ
أَلَى الْمُلُوكِ، وَكَانَتْ بَنُو حَنِيفَةَ بْنِ لُجَيْمٍ أَصْحَابَ الْيَمَامَةِ. وَيَقُولُ بَعْضُ النَّسَابِينَ
إِنَّ عُبَيْدَ بْنَ حَنِيفَةَ كَانَ أَتَى الْيَمَامَةَ وَهِيَ صَخْرَاءُ، فَاخْتَطَّهَا فَجَعَلَ يَرْكُضُ
حَوَالَيْهَا وَيَخُطُّ بِرَمَحِهِ فِي الْأَرْضِ عَلَى مَا أَصَابَ مِنَ النَّخْلِ وَأَنَّهُمْ أَكَلُوا مَا

(١) سورة يونس: الآية رقم ٢٢.

(٢) يتدرن: يسرعن ويعجلن.

(٣) غير متب: غير مستعد.

أصابوا تحته من التمر، فلما طَلَعَ لهم التمرُ بَعُدُ لم يهتدوا الصعود النخل فأقبلوا يَجْدُونَهُ حتى فَكَّرُوا فَأَعْدُوا له السلالم . فلما عَمِرَتِ اليمامةُ جَعَلَتِ العربُ تَنْتَجِعُهُمْ^(١) لموضع التمر فيجاورون العَزيزَ منهم، وكان يقال لمن دخلها من هؤلاء السواقط^(٢) ممن كانوا . ويقال أن اليمامة والبحرين والقريتين ومواقع هناك كانت لِطَسْمٍ وَجَدِيسَ، والخبر في ذلك مشهور بِزُرْقَاءِ اليمامة وقد ذكر ذلك الأعشى في قوله :

(ما أَنْظَرْتُ ذاتُ أَشْفَارٍ كَنَظَرَتِهَا^(٣)) حَقًّا كَمَا نَطَقَ الذَّنْبِيُّ إِذْ سَجَعَا
قالت أرى رَجُلًا في كَفِّهِ كَتِفُ أو يَخْصِفُ النعلَ لَهْفِي أَيْةً صَنَعَا
وَكَذَّبُوهَا بما قالت فَصَبَّحَهُمْ ذُو آلِ نَعْسَانَ يُزْجِي الموتَ وَالشُّرْعَا

وحدثني التَّوْزِيُّ عن أَبِي عبيدة والأصمعي عن أَبِي عمرو قال، قال : لي رجل من أهل القريتين أَصَبْتُ ههنا دراهم وَزَنُ الدرهم ستة دراهم وأربعة دوانيق^(٤)، من بقايا طَسْمٍ وَجَدِيسٍ فخفت السلطان فأخفيتهما . وقد ذكر ذلك زُهَيْرٌ في قوله :

عَهْدِي بِهَا يَوْمَ بابِ الْقُرَيْتَيْنِ وَقَدْ زال الهماليج^(٥) بِالْفُرْسَانِ وَاللُّجَمِ
فاسْتَبَدَلْتُ بَعْدَنَا داراً يَمَانِيَةً تَرَعَى الْخَرِيفَ^(٦) فَأَذْنَى دارها ظِلْمٌ
وقال جرير يهجو بني حنيفة :

هَجَانِي النَّاسُ مِلَّ حَيَاءٍ كُلِّهِمْ حتى حَنِيفَةٌ تَقْسُو في مَنَاجِيهَا
(تُعَيِّرُ بَنُو حَنِيفَةَ بِالْفُسُولَانِ بِلَادِهِمْ بِلَادَ نَخْلٍ فَيَأْكُلُونَهُ، وَيُحَدِّثُ فِي

(١) ننتجعهم : نطلب ما عندهم .

(٢) السواقط الذين يردون اليمامة لامتياز التمر .

(٣) ذات أشفار : جمع شفر بالضم وهو أصل منبت الشعر في الجفن والضمير في نظرتها لزرقاء اليمامة .

(٤) الدوانيق : جمع دائق وهو سدس درهم .

(٥) الهماليج : واحده هملاج بالكسر وهو البرذون .

(٦) ترعى الخريف : أراد ما ينبت في فصل الخريف وهو ثلاثة أشهر بين القَيْظِ والشتاء .

أجوافهم الرياح والقراير:).

أصحابُ نخلٍ وحيطانٍ ومزرعةٍ سيوفهم خُشبٌ فيها مساحيها
ذُلْتُ وأعطتُ يداً لِلسُّلَمِ صاغرةً من بعدما كاد سيفُ الله يُفنيها
صارت حنيفةً أثلاثاً فثلثُهم أضحوا عبيداً وثلثٌ من موالِها

قوله مناحيها المَنحاةُ مقام السانية على الحوض، والحائط البستان. وقوله من بعدما كاد سيف الله يفنيها، يعني خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم في وقعته بمسيلة الكذاب، وللنسابين بعدهذا قولٌ مُنكرٌ. وقال جرير:

أبني حنيفةً نهينها^(١) سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا
أبني حنيفةً انني أن أهبكم أدع اليمامة^(٢) لا تُواري أربنا

عمارة بن عقيل بهجو حنيفة

وقال عمارة بن عقيل:

بل أيها الراكب الماضي لِطَيِّتِهِ^(٣) بلغ حنيفةً وأنشُرَ فيهم الخبرا
أكان مسلمةً الكذابُ قال لكم لن تذكروا المجد حتى تُغضبوا مضرا
مهلاً حنيفةً أن الحرب أن طرختُ عليكم بُركها أسرعتُم الضجرا
البركُ الصدر، إذا فتحت الباب فكَرْتُ، وأن أردت التأنيث كسرت الباء، قلتُ بركةً. قال الجعديُّ:

ولوحا ذراعين في بركةٍ إلى جُوجُؤ رَهْلٍ^(٤) المنكبِ

(١) نهيه: كفه وزجره. توعدهم بالهزاء.

(٢) أدع اليمامة: يريد هجاءه الصواعق التي تحرق كل شيء مرت به فإذا هجاهم ترك بلادهم لا نبات بها ولا شجر وهذا من المبالغة بمكان

(٣) الطية: بالكسر الوجه يقصده المسافر.

(٤) رهل لحمه: كتب اضطرب واسترخى.

وزعم الأصمعي أن زياداً كان يقال له أشعرُ بركاً لأنه كان أشعر الصدر.

للوليد بن عقبة

وغير الأصمعي يزعم أن هذا كان يقال: للوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْطُ بن أبي عمرو بن أمية، وذكروا أن عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي قال يوماً: ألا تعجبون لهذا أشعر بركاً يُولَّى مثل هذا المصّر، والله ما يُحسِنُ أن يَقْضِي في تمرتين. فَبَلَغَ ذلك الوليد فقال على المنبر أنشد الله رجلاً سَماني أشعر بركاً إلا قام، فقام عدي بن حاتم فقال أيها الأمير إن الذي يقوم فيقول: أنا سميتك أشعر بركاً لجريء. فقال إجلس يا أبا طريف فقد بَرَأكَ الله منها. فجلس وهو يقول والله ما بَرَأني الله منها، وكانت أم الوليد بن عقبة أم عثمان بن عفان رحمها الله وهي أروى بنت كُرَيْز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وأُمها البَيْضَاء بنت عبد المطلب بن هاشم، ومن ثم قال: الوليد لعلي بن أبي طالب رحمه الله، أنا القى رسول الله ﷺ بأمي من حيث تلقاه بأبيك. وكان يقال للبَيْضَاء بنت عبد المطلب قُبَّة الدِيَّاج واسمها أم حكيم. ولذلك قيل لعثمان أو للوليد يا ابن أروى ويا ابن أم حكيم وقال الوليد لبني^(١) هاشم لهذا السبب حين قُتِلَ عثمان رحمه الله:

بني هاشم رُدُّوا سلاح ابن أختكم ولا تُنهبوه لا تحِلُّ مناهبه
بني هاشم كيف الهَوَادَةُ بيننا وعند عليٍّ دِرْعُهُ ونَجَائِبُهُ
هُم قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كما غَدَرَتْ يوماً بِكُسْرَى مَرَارِنُهُ
وهذا القول باطل. وكان عُرْوَةُ بن الزبير إذا ذكر مَقْتَلَ عثمان يقول: كان عليّ اتقى لله من أن يُعِينَ في قتل عثمان، وكان عثمان اتقى لله من أن يعين في قتل عليّ. وقال الوليد بن عقبة:

(١) قال الوليد لبني هاشم تذكروا أنه لما قتل عثمان أرسل علي رضي الله عنه فأخذ ما كان في داره من سلاح وأبل الصدقة فقال الوليد بن عقبة هذا الشعر.

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتل التجويي^(١) الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وبكي أقاربي وقد حجت عنا فضول أبي عمرو

وقالت ليلى الأخيلية أنشدني الرياشي عن الأصمعي :

أبعد عثمان ترجو الخير أمته وكان آمن من يمشي على ساق
خليفة الله أعطاهم وخولهم^(٢) ما كان من ذهب جم وأوراق
فلا تكذب بوعده الله وأرض به ولا توكل على شيء بإشفاق
ولا تقولن شيء سوف أفعله قد قدر الله ما كل امرئ لاق

وقال آخر :

ألا قل لقوم شارب كأس علقم بقتل إمام بالمدينة محرم
قتلتهم أمين الله في غير ردة ولا حد احصان ولا قتل مسلم
تعالوا ففاتونا فإن كان قتله لسواحدة منها فحل لكم دمي
والأفاعظم بالذي قد اتيتم ومن بات ما لم يرضه الله يظلم
فلا يهين الشامتين مصائبه فحظهم من قتله حرب جرهم
وأنشدني الرياشي عن الأصمعي : (قال أبو الحسن هذا الشعر لابن الغريرة الضبي).

لعمرو أبيك فلا تذهلن لقد ذهب الخير إلا قليلا
وفد فتن الناس في دينهم وخلي ابن عفان^(٣) شراً طويلا

ومثله قول الراعي :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم أر مثله مخذولا

(١) التجويي نسبة إلى نجوب وهي قبيلة من حمير وقتيله هو عثمان رضي الله عنه .

(٢) خولهم : أعطاهم المال متفضلاً عليهم .

(٣) خلي ابن عفان يريد أن يقتله فتج على الناس فتن كثيرة ولا يزال المسلمون فيها إلى اليوم وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

فَتَفَرَّقَتْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَصَاهُمْ^(١) شِقَاقًا^(٢) وَأَصْبَحَ سَيِّفُهُمْ مَغْلُولًا
 قَوْلُهُ مُحَرَّمًا يُرِيدُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَكَانَ قُتِلَ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ رَحِمَهُ
 اللَّهُ، وَقَالَ أَيُّمُنُ بْنُ خُرَيْمٍ بْنُ فَاتِكِ الْأَسَدِيِّ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ:

فِي رِثَاءِ عَثْمَانَ

تَفَاقَدَ الذَّابِحُو عَثْمَانَ ضَاحِيَةً أَيُّ قَتِيلٍ حَرَامٍ ذُبُّحُوا ذَبُّحُوا
 نَسَجُوا بِعَثْمَانَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَمْ يَخْشَوْا عَلَى مَطْمَحِ الْكَفِّ الَّذِي طَمَحُوا
 فَأَيُّ سُنَّةٍ جَوْرَ سَنَ أَوَّلُهُمْ وَبَابِ جَوْرِ عَلَى سُلْطَانِهِمْ فَتَحُوا
 إِذَا أَرَادُوا أَصْلَ اللَّهِ سَعْيَهُمْ مِنْ سَفْحِ ذَلِكَ الدَّمِ الزَّاكِيِّ الَّذِي سَفَحُوا
 فَاسْتَوْرَدَتْهُمْ سُيُوفُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى تَمَامِ ظَمٍّ كَمَا يُسْتَوْرَدُ النَّصِخُ
 إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مَقْتَلَهُ سَفَهَا لَاقُوا أَثَامًا وَخُسْرَانًا فَمَا رَبِحُوا

الظَّمُّ مَا بَيْنَ الشَّرْبَتَيْنِ. وَقَوْلُهُ ضَحُّوا بِعَثْمَانَ إِنَّمَا أَصْلُهُ فَعَلَ فِي الضَّحَى
 قَالَ زَهِيرٌ:

ضَحُّوا قَلِيلًا عَلَى كُتُبَانِ أَسْمَةٍ وَمِنْهُمْ بِالْقِسُومِيَّاتِ مُعْتَرِكُ
 أَيُّ نَزَلُوهُ ضَحَى. وَيُقَالُ بَيَّعُوا ذَلِكَ أَيُّ فَعَلُوهُ لَيْلًا، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِذْ
 يَبِيتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾^(٣). وَأَنشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ:

أَتُونِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا وَكَانُوا أَتُونِي بِأَمْرِ نُكْرٍ
 لَأُنَكِّحَ أَيَّمَهُمْ مُنْذِرًا وَوَهْلَ يُنَجِّحُ الْعَبْدَ حُرًّا لَحْرَ

وَقَوْلُهُ فِي سَفْحِ ذَلِكَ الدَّمِ الزَّاكِيِّ الَّذِي سَفَحُوا أَيُّ فِي صَبِّ ذَلِكَ الدَّمِ،
 يُقَالُ سَفَحْتُ دَمَهُ وَسَفَكَتُ دَمَهُ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ
 دَمًا مَسْفُوحًا﴾^(٤). وَقَوْلُهُ عَلَى تَمَامِ ظَمٍّ فَهَذَا مَثَلٌ، وَأَصْلُ الظَّمِّ أَنْ تَشْرَبَ

(١) عَصَاهُمْ: يُرِيدُ جَمَاعَتَهُمْ.

(٢) شِقَاقًا: الشَّقُّ بِالْكَسْرِ وَاحِدُهَا شَقٌّ بِالْكَسْرِ أَيْضًا وَهِيَ الشَّظِيَّةُ مِنَ الْعَصَا وَهَذَا عَلَى الْمَثَلِ.

(٣) سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ ١٠٨.

(٤) سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ ١٤٥.

يوماً ثم تُغَبَّ يوماً لا تَرِدُ الماء، فما بين الشَّربَتَيْنِ ظمء فيكون الظمء يومين فيقال له الرَّبْعُ كما يقال: في الحُمَّى لَانْهَم يَعْثَدُونَ بَيَّومِي شُرْبِهَا، والخَمْسُ أَنْ تَظْمَأَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، والنَّضْحُ الحَوْضُ، والأَصَامُ الهَلَاكُ. قال الله عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾^(١) ثم فسر فقال ﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَاناً﴾،^(٢) فجزم يُضَاعَفُ لِأَنَّهُ بَدَلَ مَنْ قَوْلُهُ يَلْقَى أَثَاماً إِذْ كَانَ إِسَاءَةً فِي الْمَعْنَى. وأنشدني أبو عبيدة:

جَزَى اللَّهُ ابْنَ عُرْوَةٍ إِذْ لَحِقْنَا عُقُوقاً وَالْعُقُوقُ مِنَ الْإِثَامِ

وقوله على مَطْمَحِ الكَفِّ يقول: على رَفْعِهَا وَإِبْعَادِهَا، يُقَالُ طَمَحَ بَصَرُهُ إِذَا ارْتَفَعَ فَأَبْعَدَ النَّظَرَ. قال امرؤ القيس:

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَاخُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا



مركز تحقيقات كليات علوم اسلامی

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٨.

(٢) سورة هود: الآية ٢٠.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٤٧ - باب من تشابه العرب

قال أبو العباس: وهذا باب طريفٌ نَصِلُ به هذا الباب، الجامع الذي ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمُحْدِثِينَ بعدهم.

فأحسن ذلك ما جاء بإجماع الرواة، ما مر لأمريء القيس في كلام مختصر أي بيت واحد من تشبيه شيء في حالتين بشيئين مختلفين وهو قوله:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا^(١) لَدَى وَكْرِهَا^(٢) الْعُنَابُ^(٣) وَالْحَشَفُ^(٤) الْبَالِي

فهذا مفهوم المعنى فإن اعترض معترض، فقال: فَهَلَّا فَضَّلَ فقال كأنه رَطْبًا الْعُنَابُ وكأنه يَابَسًا الْحَشَفُ. قيل له العربيُّ الفَصِيحُ الْفَطْنُ اللَّقْنُ يَرْمِي بالقول مفهوماً وَيَرَى ما بعد ذلك من التكرير عِيًّا. قال الله جل وعز وله الْمَثَلُ الْأَعْلَى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٥) عِلْمًا أَنَّ الْمُخَاطَبِينَ يَعْرِفُونَ وَقْتَ السَّكُونِ وَوَقْتَ الْإِكْتِسَابِ. ومن تمثيل أمريء القيس العجيب قوله:

كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْحُلُنَا الْجَزْعُ^(٦) الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ

(١) رَطْبًا وَيَابَسًا: حالان من قلوب الطير.

(٢) الْوَكْرُ: عَشَّ الطَّائِرُ وَإِنْ لَمْ يَكُن الطَّائِرُ فِيهِ.

(٣) الْعُنَابُ نوع من الثمر معروف.

(٤) الْحَشَفُ بالتحريك وهو النمر.

(٥) سورة القصص: الآية رقم ٧٣.

(٦) الْجَزْعُ: الْحَزْزُ الْيَمَانِي فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ وَمَا شَبِهَتْ بِهِ الْأَعْيُنُ إِلَّا مِنْ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ هَذَا.

ومن ذلك قوله :

إِذَا مَا الثُّرَيَّا^(١) فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفْصَلِ^(٢)
وقد أَكْثَرَ النَّاسُ فِي الثُّرَيَّا فَلَمْ يَأْتُوا بِمَا يَقَارِبُ هَذَا الْمَعْنَى وَلَا بِمَا يَقَارِبُ
سُهولةَ هَذِهِ الْأَلْفَافِ.

ومن أعجب التشبيه قول النابغة :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَنَّى^(٣) عَنْكَ وَاسِعُ
وقوله :

خَطَاطِيفُ^(٤) حَجَّجْنُ^(٥) فِي جِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ
وقوله : فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ

من شعر ذي الرمة

وَرَدْتُ اعْتِسَافاً^(٦) وَالثُّرَيَّا كَأَنَّهَا عَلَى قُمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ^(٧) مُحَلَّقُ^(٨)
وقوله : فَجَاءَتْ بِنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ عَلَى عَصَوِيهَا سَابِرِي^(٩) مُشْبِرَقُ^(١٠)

(١) هذا مما عيب على امرئ القيس قال أبو عمر والثريا لا تتعرض وإنما عنى الجوزاء كما قال زهير
كأمر عاد يريد كأمر ثمود وهو قدار بن سالف عاقر الناقة واعتذر عنه ابن سلام فقال الثريا تتعرض
عند السقوط كما أن الوشاح إذا طرح تلقاك بناحية هذا والتعرض التحرف وقوله تعرض أثناء
الوشاح أي كتعرضها إذا ألقى الوشاح ، وأثناءه . جوانبه وحواشيه .
(٢) المفصل : الذي فصل بين كل خريزتين منه بلولة يريد تجاوزت هذه المصاعب حين تصويت الثريا
وانحدرت .

(٣) المتنأى : الموضع البعيد شبهه بالليل في أنه يدرك كل واحد قرب أو بعد .

(٤) الخطاطيف : جمع خطاف وهي حديدة حجناء في جانبي البكرة يكون فيها المحور .
(٥) والحجناء المعوجة .

(٦) الاعتساف : يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادة .

(٧) ابن ماء : ما يسكن الماء من الطيور .

(٨) محلق : الطائر الذي يرتفع في الجو .

(٩) سابري : ثوب رقيق جيد ومنه عرض سابري .

(١٠) المشبرق : المنحرف : يصف تغير الماء وما يكون عليه من طول المكث .

وتأويل هذا أنه يَصِفُ ماءً قديماً لا عَهْدَ له بالواردة فقد اصْفَرَّ واسْوَدَّ
فقال :

وماءٌ قديمٍ العَهْدِ بالإنسِ آجِنٌ ^(١) كأنَّ الدُّبِّي ماء الغضا فيه تَبْصُقُ
وقد أجاد علقمة بن عبدة الفحل في وصف الماء الآجن حيث يقول :
إذا وَرَدَتْ ماءً كَانَ جِمامُهُ ^(٢) من الأَجِنِ ^(٣) حَنَاءٌ مَعاً وَصِيبٌ ^(٤)
فقال ذو الرمة في وصف هذا الماء فَقَرَنَ بتغيره بَعْدَ مَطْلَبِهِ :

فأدلى غلامي دَلْوَهُ يَبْتَغِي بها شِفَاءَ الصُّدَى ^(٥) والليلُ أَذْهَمُ أُبْلَقُ
يريد أن الفجر قد نَجَمَ فيه فجاءت، يعني الدلو، بنسج العنكبوت كأنه
على عصوبها سابري مشبرق، والسابري الرقيق من الثياب والدروع والمشبرق
الممزق. وأنشد أبو زيد :

لَهَوْنَا بِسَرْبَالِ الشَّبَابِ مَلَاوَةً ^(٦) فَأَصْبَحَ سَرْبَالُ الشَّبَابِ شَبَارِقَا
ومن التشبيه العجيب قولُ ذي الرمة في صفة الظليم :
شَخْتُ الْجُزَارَةِ مِثْلُ الْبَيْتِ سَائِرُهُ ^(٧) مِنَ الْمَسْوُوحِ جَذْبٌ ^(٨) شَوْقٌ ^(٩) خَشِيبٌ
الشخت الضَّئِيلُ اليابس الضعيف والجزارة القوائم. وقوله مثل البيت،
سائره من المسووح يعني إذا مَدَّ جَنَاحَيْهِ وَإِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ علقمة بن عبدة :

(١) الآجن : الماء المتغير اللون .

(٢) جمام الماء، معظمه .

(٣) الآجن : التغير .

(٤) الصيب : العصفر أو الدم .

(٥) الصدي : العطش .

(٦) ملاوة : برهة من الدهر .

(٧) الخدب : الضخم من النعام .

(٨) الشوقب : الطويل . الخشب : بالكسر العاري العظام في صلابته .

صَعَلَ جَنَاحِيهِ وَجُوجُوهُ بَيْتُ أَطَافَتْ بِهِ خَرَقَاءُ مَهْجُومٌ^(١)
الصعل الصغير الرأس، والخرقاء: التي لا تُحَسِّنُ شَيْئاً فَهِيَ تُفْسِدُ مَا
عَرَضَتْ لَهُ. قَالَ الْحُطَيْثَةُ:

هُمْ صَنَعُوا لَجَارِهِمْ وَلَيْسَتْ يَدُ الْخَرَقَاءِ مِثْلَ يَدِ الصَّنَاعِ
والمهجوم المهدوم، وفي الخبر أنه لما قُتِلَ بِسَطَامُ بْنُ قَيْسٍ لَمْ يَبْقَ بَيْتٌ
فِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ إِلَّا هُجِمَ، أَيْ هُدِمَ، وَالْخَدْبُ الضَّخْمُ، وَالشُّوْقَبُ الطَوِيلُ،
وَالْخَشَبُ الَّذِي لَيْسَ يَلِينُ عَلَى مَنْ نَزَلَ بِهِ. وَمِنَ التَّشْبِيهِ الْمَصِيبُ قَوْلُهُ: فِي
صِفَةِ رَوْضَةٍ.

قَرَحَاءُ^(٢) حَوَاءُ أَشْرَاطِيَّةٌ وَكَفَتْ^(٣) فِيهَا الذِّهَابُ^(٤) وَحَفَّتْهَا الْبَرَاعِيمُ
قَرَحَاءُ يَرِيدُ الْأَنْوَارَ، وَقَوْلُهُ حَوَاءُ يَقُولُ: تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ لَشِدَّةِ رِيحِهَا
وَحُضْرَتِهَا.

وَكَذَلِكَ الْمَفْسُرُونَ يَقُولُونَ، فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿مُذْ هَلُمَّتَانِ﴾^(٥)
تَضْرِبَانِ إِلَى الذُّهْمَةِ لَشِدَّةِ خَضْرَتَيْهِمَا وَرِيحَيْهِمَا. وَقَوْلُهُ: أَشْرَاطِيَّةٌ لَيْسَ مِمَّا قَصَدْنَا
لَهُ وَلَكِنَّهُ مِمَّا يَجْرِي فَيُفْسَرُ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهَا مُطَرَّتٌ بِنَوءِ الشَّرْطَيْنِ^(٦). وَحَدَّثَنِي
الزِّيَادِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ وَسُئِلَ بِخَضْرَتِي أَوْ سَأَلَتْهُ عَنْ قَوْلِهِ: أَشْرَاطِيَّةٌ
فَقَالَ: بِأَمْتِهِ وَأَسْتِ عَرْسِهِ وَذَاكَ أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ كَانَ لَا يَنْشُدُ وَلَا يُفَسِّرُ مَا كَانَ فِيهِ
ذِكْرُ الْأَنْوَاءِ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، لِأَنَّ الْخَبَرَ فِي هَذَا
بَعِينُهُ مُطَرَّنَا بِنَوءٍ كَذَا وَكَذَا وَكَانَ لَا يَفْسِرُ وَلَا يَنْشُدُ شِعْراً فِيهِ هِجَاءٌ وَكَانَ لَا يَفْسِرُ

(١) بيت مهجوم: حلت أطافه فهدم.

(٢) قرحاء: فيها نور أبيض.

(٣) الكف: القطر.

(٤) الذهب جمع ذهب بالكسر فيها وهي المطرة الضعيفة.

(٥) سورة الرحمن: الآية رقم ٦٤.

(٦) الشرطان: نجمان من برج الحمل.

شعراً يوافق تفسيره شيئاً من القرآن، هكذا يقول أصحابه، وسُئِلَ عن قول
الشَّمَاخِ.

طَوَى ظُمَامَهَا^(١) فِي يَبِضِهِ الصَّيْفِ بَعْدَمَا جَرَى فِي عِنَانِ الشَّعْرَيْنِ^(٢) الْأَمَاعِزُ^(٣)

فأبى أن يفسر في عِنَانِ الشعرين. وأما قوله الذَّهَابُ فهي الأمطار اللينة
الدائمة. ويقال أنها أَنْجَعُ المطر في النبت وكذلك الْعِهَادُ وأنشد الأصمعي:
أَمِيرُ عَمٍّ بِالنُّعْمَاءِ حَتَّى كَأَنَّ الْأَرْضَ جَلَّلَهَا الْعِهَادُ
وَالْبَرَاعَمُ وَاحِدَتَهَا بُرْعُومَةٌ وَهِيَ أَكْمَةُ الرَّوْضِ قَبْلَ أَنْ تَتَفَتَّقَ، يُقَالُ لَوَاحِدِهَا
كِمٌّ وَكِمَامٌ فَمَنْ قَالَ: كِمَامٌ فَجَمَعَهُ أَكْمَةٌ مِثْلَ صِمَامٍ وَأَصِمَّةٍ وَزِمَامٍ وَأَزِمَّةٍ، وَمَنْ
قَالَ: كِمٌ فَالْجَمَاعُ أَكْمَامٌ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾^(٤)
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ. أَحْسَبُهُ تَوْبَةً بِنِ الْحُمَيْرِ. (قَالَ أَبُو الْحَسَنِ يُقَالُ أَنَّهُ
لِمَجْنُونٍ بَنِي عَامِرٍ وَهُوَ الصَّوَابُ):

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قَبْلَ يُغْدَى بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةُ غَزَّهَا^(٥) شَرَكُ فَبَاتَتْ تُعَالِجُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
لَهَا فَرُخَانٍ قَدْ غَلِقَا بِوَكْرٍ فَعُشَّهْمَا تُصَفِّقُهُ السَّرِيحُ
فَلَا بِاللَّيْلِ نَالَتْ مَا تُرْجِي وَلَا بِالصَّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَاخُ^(٦)

ويروى تجاذبُهُ فهذا غاية الاضطراب، وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم
يلغوا هذا المقدار. وقال الشيباني للحجاج.

هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةٍ فِي الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ
فَهَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ، فِي الْخَفَقَانِ وَفِي الذَّهَابِ الْبَتَّةُ. وَمِنْ التَّشْبِيهِ

(١) الظمء ما بين الشريتين والوردين.

(٢) الشعران بالكسر الشعرى العبور والشعرى الغميصاء اختا سهيل.

(٣) الأماعز جمع امعوز بالضم وهو السرب من الطباء أو جماعة الأوعال.

(٤) سورة الرحمن: الآية ١١.

(٥) غزها: غلبها.

(٦) كان لها براح: بالفتح أي بعد ومفارقة لما هي فيه.

المحمود قول الشاعر:

طَلِيقُ اللَّهِ لَمْ يَمُنْ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي كَثِيرٍ
وَلَا الْحَجَّاجُ عَيْنِي بِنْتِ مَاءٍ تَقَلَّبُ طَرْفَهَا حَذَرَ الصَّقُورِ

وهذا غاية في صفة الجبان، ونَصَبَ عيني بنت ماء على الذم وتأويله أنه إذا قال: جاءني عبدُ الله الفاسقُ الخبيثُ. فليس يقول: إلا وقد عرفه بالخُبثِ والفسق، فنصبه بأعني وما أشبهه من الأفعال نحو أذكرُ، وهذا أبلغ في الذم أن يقيم الصفة مقامَ الاسم.

وكذلك المدح. وقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾^(١). بعد قوله ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾^(٢) إنما هو على هذا، ومن زعم أنه أراد ومن المقيمين الصَّلَاةَ فمخطيء في قول البصريين لأنهم لا يعطفون الظاهرَ على المضمَر المخفوض، ومن أجازه من غيرهم فعلى قُبْحِ كالضرورة. والقرآن إنما يُحْمَلُ على أشرف المذاهب. وقرأ حمزة: ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(٣) وهذا مما لا يجوز عندنا إلا أن يُضْطَرَّ إليه شاعرٌ كما قال:

فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتَمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بَكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ

وقرأ عيسى بن عمرو ﴿أَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ أراد ﴿وَأَمْرَاتُهُ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾^(٤) فنصب حَمَالَةَ على الذم، ومن قال: إن امرأته مرتفعة بقوله: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾^(٥) فهو يجوز، وليس بالوجه أن يُعْطَفَ الْمُظْهَرُ الْمَرْفُوعُ على المضمَر حتى يُؤَكَّدَ نحو ﴿إِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا وَأَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٦) فأما قوله: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾^(٧) فإنه لما طال

(١) سورة النساء: الآية رقم ١٦٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية رقم ٧.

(٣) سورة النساء: الآية ١.

(٤) سورة المسد: الآية رقم ٥.

(٥) سورة المسد: الآية رقم ٤.

(٦) سورة المائدة: الآية رقم ٢٤.

(٧) سورة الأنعام: الآية رقم ١٤٨.

الكلام وزادت فيه لا احتمال الحذف وهذا على قبحه جائز أعني ذهبُ وزيدُ
وأذهبُ وعمرُ. وقال جرير:

في المدح والذم

وَرَجَا الْأَخِيْطُلُ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبُ لَهُ لِينَالَا
وقال ابن أبي ربيعة:

قُلْتُ إِذَا أَقْبَلْتُ وَزُهْرٌ تَهَادَى كِنَعِاجِ الْمَلَا تَعْسُفُنَ رَمَلَا
ومما ينصب على الذم قول النابغة:

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيْنٍ لَقَدْ نَطَقْتُ بُطْلًا عَلَيَّ الْأَقَارِعُ
أَقَارِعُ عَوْفٍ لَا أَحَاوِلُ غَيْرَهَا وَجُوهَ قُرُودٍ تَبْتَغِي مَن تُخَادِعُ
وقال عروة بن الورد العبسي:

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْنُفُونِي عُدَاةُ اللَّهِ^(١) مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ
والعربُ تُشَدُّ قول حاتم الطائي رفعا ونصبا:

إِنْ كُنْتُ كَارِهَةً مَعِيشَتَنَا هَاتَا^(٢) فَحَلِي فِي بَنِي بَدْرِ
الضَارِبِينَ لَدَى أَعْنَتِهِمْ وَالطَّاعِنِينَ وَخَيْلُهُمْ تَجْرِي

وإنما خفضوهما على النعت وربما رفعوهما على القطع والابتداء.
وكذلك قول الخرنق بنت هفان القيسية من بني قيس بن ثعلبة.

لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي^(٣) الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُرُزِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبِينَ^(٤) مَعَاقِدَ الْأَزْرِ

(١) عداة الله بضم العين جمع عادي وهو العدو.

(٢) هاتا بمعنى هذه.

(٣) لا يبعدن قومي: تدعوهم بالبقاء وضول الحياة وتصفهم بالكرم والشجاعة.

(٤) الطيبين معاقد الأزر: كناية عن العفاف والصيانة عن الفجور.

وكلُّ ما كان هذا، فعلى هذا أكثر إنشاده. وإن لم يُردّ مدحاً ولا ذماً قد استقرَّ له فوجهه النعت. وقرأ بعض القراء: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾^(١). وأكثر ما تنشد العرب بيتَ ذي الرُّمَّةِ نصباً لأنه لما ذكر ما يحنُّ إليه ويضبو إلى قُربه، أشادَ بذكر ما قد كان ينبغي فقال:

دِيَارُ مَيَّةَ إِذْ مَيُّ تُسَاعِفُنَا^(٢) وَلَا يَرَى مِثْلَهَا عُجْمٌ وَلَا عَرَبٌ

وفي هذه القصيدة من التشبيه المصيب قوله:

بِيضَاءُ فِي دَعَجٍ^(٣) صَفْرَاءُ فِي نَعَجٍ^(٤) كَأَنهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ
وفيهما من التشبيه المصيب.

تَشْكُو الْخَشَاشَ^(٥) وَمَجْرَى النَّسْعَتَيْنِ كَمَا أَنَّ الْمَرِيضَ إِلَى عَوَائِدِهِ الْوَصْبُ
الْخَشَاشُ ما كان في عَظَمِ الأنفِ، وما كان في المَارِنِ فهو بُرَّةٌ يقال: أَبْرَيْتَ النَّاقَةَ فَهِيَ مُبْرَأَةٌ.

من أعاجيب التشابه

قال: الشَّمَاخُ وهذا من التشبيه العجيب:

فَقَرَّبْتُ مُبْرَأَةً تَخَالُ ضُلُوعَهَا وَمِنَ الْمَاسِخِيَّاتِ الْقِسِيِّ الْمُوتَرَا
وَمَاسِخَةٌ من بني نصر من الأزد وإليهم نُسِبَتِ الْقِسِيُّ الْمَاسِخِيَّةُ. وأحسن ما قيل في صفة الضلوع واشتباكها قول الراعي:

(١) سورة المؤمنون: الآية رقم ١٤.

(٢) تساعفنا: توائبنا في مصافاة ومعونة يصف ما كان لهما في هذه الدار من هناء البال وحسن الحال وصفاء العيش.

(٣) دعج: محركاً سواد العين مع اتساعها.

(٤) النعج: بالتحريك السمن في بياض.

(٥) تشكو الخشاش: الضمير للناقة ويجرى النسعتين موضع شدهما عليها.

وكانما انتطحت^(١) على أثباجها^(٢) قُدْرُ بشابه^(٣) قد تَمَمَّنَ وعُولا
القادرُ المُسِنَّ من الوُعول؛ وذو الرُّمَّة أخذ ذلك المعنى من قول المُثَقَّبِ
العبد.

إذا ما قُمْتُ أرَحَلُها بليلى تَأَوُّهَ آهة الرجلِ الحزينِ
ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة.
كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظِيٌّ عَلَى شَرَفٍ^(٤) مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَلْثُومٌ
فهذا حسن جداً.

وقال أبو الهندي وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شَبَث بن رَبِيعٍ
الرياحي من بني رياح بن يربوع. وكان شَبَث سيد بني يربوع الكوفة:

مُقَدِّمَةٌ قَزَا^(٥) كَأَنَّ رِقَابَهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَفْزَعَهَا الرِّعْدُ

وكان أبو الهندي قد غَلَبَ عليه الشراب على كرم منصبه وشرف أسرته
حتى كاد يطله وكان عجيب الجواب فجلس إليه رجل مرة يُعرِّفُ بِرَزِينِ
المناكير، وكان أبوه صُلِبَ في خِرابَةٍ. والخرابة عندهم سَرَقُ الإبل خاصة
فَأَقْبَلَ يُعَرِّضُ لِأَبِي الْهِنْدِيِّ بِالشَّرَابِ، فلما أَكْثَرَ عَلَيْهِ قال أبو الهندي أَحَدُهُمْ
يَرَى الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَلَا يَرَى الْجِدْعَ فِي أَسْنَانِهِ وفي الخرابة يقول
الراجز:

وَالْخَارِبُ اللَّصُّ^(٦) يُحِبُّ الْخَارِبَا وَلَكَ قُرْبَى مِثْلُ أَنْ تُنَاسِبَا
أَنْ تُشَبَّهَ الضَّرَائِبُ^(٧) الضَّرَائِبَا

(١) انتطحت الكباش: وغيرها تناطحت واشتبكت قرونها ببعضها.

(٢) الأثباج: جمع ثبج بالتحريك وهو ما بين الكامل إلى الظهر.

(٣) شابهة جبل بمكة وينجد.

(٤) الشرف محرّكاً المكان العالي.

(٥) مقدمة قزا: عداه إلى مفعولين لأنه بمعنى مكسوه والقز الحرير وبنات الماء ما يسكن الماء من
من الطيور وإذا أفزعها الرعد رفعت رؤوسها فشبه إبريق الخمر بها في تلك الحالة.

(٦) الخارب اللص: يريد أن من اتصف بصنعة أحب من يكون مثله في الوصف وجعل هذا مثل لحمه
النسب بين الناس.

(٧) الضرائب: جمع ضريبة وهي الطبيعة والخلف يريد لأن الضرائب تشبه الضرائب.

وقال الآخر:

أنت الطريق واجتنب أرماما^(١) إن بها أكتل أو رزاما
خويريين ينقفان^(٢) إنهاما

زاد أبو الحسن (لم يترك لمسلم طعاماً) نصب خويريين على أغني لا
يكون غير ذلك لأنه إنما أثبت أحدهما بقوله أو. ومر نصر بن سيار الليثي
بأبي الهندي وهو يميل سكرًا فقال له: أفسدت شرفك. فقال أبو الهندي: لو
لم أفسد شرفي لم تكن أنت والي خرسان وحج به نصر بن سيار مرة، فلما
ورد الحرم قال له نصر: إنك بفناء بيت الله ومحل وفوده قدغ لي الشراب
حتى ينفر الناس واحتكم علي. ففعل فلما كان يوم النفر أخذ الشراب فوضعه
بين يديه وأقبل يشرب ويبكي ويقول:

رضيع مدام فارق الراح روحه فظل عليها مستهل المدامع
أديرًا علي الكأس إني فقدتها كما فقد المفظوم در المراضع
وكان يشرب مع قيس بن أبي الوليد الكناني، وكان أبو الوليد ناسكاً
فاستعدى عليه وعلى ابنه فهربا منه. وقال أبو الهندي:

قل للسري أبي قيس أتوعدنا ودارنا أصبحت من داركم صددا^(٣)
أبا الوليد أما والله لو غملت فيك الشمول لما حرمتها أبدا
ولا نيت حمياها ولذتها ولا عدلت بها مالا ولا ولدا

ثم نرجع إلى التشبيه، وربما عرض الشيء والمقصود غيره فيذكر للفائدة
نقع فيه ثم يعاد إلى أصل الباب. قال أبو العباس وقال عروة بن حزام
نعذري:

(١) إرماء بالفتح مواضع عندهم.

(٢) نقف الهامة كسرهما أو ضربها أشد ضرب.

(٣) داركم صدداً: يقال داري صدد دار فلان أي قبلتها.

كَأَنَّ قَطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا عَلَى كَيْدِي مِنْ شِدَّةِ الْخَفَقَانِ
 وَيُقَالُ إِنْ الْمَرْأَةَ إِذَا كَانَتْ مُبْغِضَةً لِرُجُوعِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ عِنْدَ قُرْبِهِ مِنْهَا
 مُرْتَدَّةَ النَّظَرِ عَنْهُ، كَأَنَّمَا تَنْظُرُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ وَرَائِهِ، وَإِذَا كَانَتْ مُحِبَّةً لَهُ لَا
 تُقْلِعُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَإِذَا نَهَضَ نَظَرُ مَنْ وَرَائِهِ إِلَى شَخْصِهِ حَتَّى يَزُولَ عَنْهَا.
 فَقَالَ رَجُلٌ: أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ كَيْفَ حَالِي عِنْدَ امْرَأَتِي فَالْتَفْتُ وَقَدْ نَهَضْتُ مِنْ بَيْنِ
 يَدَيْهَا فَإِذَا هِيَ تُكَلِّحُ فِي قَفَايَ. وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَالنَّوَارُ
 تُخَاصِمُهُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ:

فَدُونَكِهَا يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهَا مُوَلَّعَةٌ يُوهِي الْحَجَارَةَ^(١) قِيلُهَا
 إِذَا جَلَسْتَ عِنْدَ الْإِمَامِ كَأَنَّهَا تَرَى رُفْقَةً مِنْ خَلْفِهَا تَسْتَحِيلُهَا
 قَوْلُهُ مُوَلَّعَةٌ يَقُولُ بِالنَّظَرِ مَرَّةً هَهُنَا وَمَرَّةً هَهُنَا. وَقَوْلُهُ: يَرَى رُفْقَةً. يَقَالُ رُفْقَةً
 وَرُفْقَةً. وَمَعْنَى تَسْتَحِيلُهَا تَبَيَّنَ حَالَاتُهَا. قَالَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ:

مُرْوَعَةٌ تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ مِنْ الْخُرُوفِ تَسْمَعُ مَا لَا تَرَى
 (قَوْلُهُ مُرْوَعَةٌ يَقُولُ كُلُّ شَيْءٍ يُدَبِّئُنِي مِنَ الظُّفْرِ بِهَا يَرُدُّعُهَا وَيَنْفِرُهَا).
 وَمِنْ عَجِيبِ التَّشْبِيهِ قَوْلُ جَرِيرٍ فِيمَا يَكْنَى عَنْ ذِكْرِهِ:

تَرَى الصَّبِيَّانَ عَاكِفَةً عَلَيْهَا كَعُنْفَقَةِ الْفَرَزْدَقِ حِينَ شَابَا
 وَيُقَالُ أَنَّ الْفَرَزْدَقَ حِينَ أُنْشِدَ النِّصْفَ الْأَوَّلَ ضَرَبَ يَدَهُ إِلَى عُنْفَقَتِهِ تَوَقُّعًا
 لِعَجْزِ الْبَيْتِ، وَمِنْ التَّشْبِيهِ الْحَسَنِ قَوْلُ جَرِيرٍ فِي صِفَةِ الْخَيْلِ:

يَسْتَفْنُ^(٢) لِلنَّظَرِ الْبَعِيدِ كَأَنَّمَا إِرْنَانُهَا يَبَوِّئُ الْأَشْطَانَ^(٣)
 قَوْلُهُ يَسْتَفْنُ وَيَسْتَوْفْنُ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ. وَقَوْلُهُ: وَكَأَنَّمَا إِرْنَانُهَا يَبَوِّئُ
 الْأَشْطَانَ، أَرَادَ شِدَّةَ صَهِيلِهَا. يَقُولُ: كَأَنَّمَا يَصْهَلُنَ فِي أَبَارٍ وَاسِعَةٍ تَبَيَّنُ أَشْطَانُهَا

(١) وهي الحجارة: يريد أن قولها مؤلم شديد الأذى.

(٢) يستفن: يشرفن ينظرون من عل. إرنانها رنين صهيلها، بوائن جمع بائن أي بعيد الغور،
 الأشطان: والمعنى يتناولون ويشرفون على الجبال.

عن نواحيها. ونظير ذلك قول النابغة الجعدي؟

وَيَضْهَلُ فِي مِثْلِ جَوْفِ الطَّوِيِّ^(١) صَهِيلاً يُبَيِّنُ لِلْمُعَرَّبِ

المعرب: العالم بالخيال العراب

ومن حسن التشبيه قول عنترة:

غَادَرَنَ نَصْلَةً فِي مَعْرِكِ يَجْرُ الْأَسِنَّةُ كَالْمُحْتَطِبِ

يقول طعن وغودرت الرماح فيه فظل يجرها كأنه حامل حطب. ومن التشبيه المتجاوز المفرط قول الخنساء:

وإن صخرًا لتأتُم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فجعلت المهتدي يأتُم به، وجعلته كنار في رأس علم والعلم الجبل. قال

جرير:

(إذا قَطَعْنَ عِلْمًا بَدَا عِلْمٌ). وقال الله جل ثناؤه: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٢). ومن هذا الضرب من التشبيه قول العجاج: (تَقْضِي الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ). والتقضي الانقضاض وإنما أورد سرعتها. والعرب تُبَدِّلُ كثيراً الياء من أحد التضعيفين، فيقولون: تَظَنُّيْتُ والأصل تَظَنَّنْتُ لأنه تَفَعَّلْتُ من الظن، وكذلك تَقْضَيْتُ من الانقضاض أي تَقَضَّضْتُ، وكذلك تَسَرَّبْتُ ومثل هذا كثير. ومن تشبيه المحدثين المُسْتَطَرَفِ قول بشر:

كَأَنَّ فُؤَادَهُ كُرَّةٌ تُنْزَى^(٣) حِذَارَ الْبَيْنِ^(٤) إِنْ نَفَعَ الْحِذَارُ
(يُرْوَعُهُ السِّرَارُ)^(٥) بِكُلِّ أَمْرٍ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ بِهِ السِّرَارُ

(١) جوف الطوى: بئر يطوى هو واد بناحية الشام.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٢٤.

(٣) كرة تنزى: تحرك وتقلب.

(٤) حذار البين: مخافة الفراق والبعد عمن يحبه.

(٥) السرار بالكسر السر وإخفاء الصوت.

وفي هذه القصيدة :

جَفَنْتَ عَيْنِي^(١) عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا^(٢) عَنْهَا قِصَارُ
أَقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طَوْلًا أَمَا لَيْلٍ بَعْدَهُمْ نَهَارُ

مما قيل في الخمریات

وقال الحسن بن هانئ في صفة الخمر :

فَإِذَا مَا لَمَسْتَهَا فَهَبَاءُ^(٣) تَمْنَعُ اللَّمَسَ مَا تُبِيحُ الْعُيُونَا
دَرَسَ الدَّهْرُ مَا تَجَسَّمُ مِنْهَا وَتَبْقَى لُبَابُهَا الْمَكْنُونَا
فَهِيَ بِكُرِّ كَأَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ يَتَمَنَّى مُخَيَّرُ أَنْ يَكُونَا
فِي كُؤُوسٍ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ جَارِيَاتُ بُرُوجِهَا أَيْدِينَا
طَالَعَاتٌ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ بَغْرُبْنَ فِينَا

فهذه قطعة من التشبيه غاية على سُخْفِ كَلَامٍ^(٤) الْمُحَدِّثِينَ : وقال الحنفى :
وهو إسحق بن خَلَفٍ في صفة السيف :

أَلْقَى بِجَانِبِ خَضِرِهِ أَمْضَى مِنَ الْأَجَلِ الْمُتَّاحِ^(٥)
فَكَأَنَّمَا ذَرُّ الْهَبَا عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ

من مدح يزيد بن يزيد

وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ فِي مَدْحِهِ يَزِيدَ بْنَ مَرْزُوقٍ :

تَمْضِي الْمَنَايَا كَمَا تَمْضِي أُسَيْتُهُ كَأَنَّ فِي سِرْجِهِ بَذْرًا وَضِرْغَامَا

(١) جفت عيني : زال عنها النوم .

(٢) كأن جفونها غاية في الحسن والدقة .

(٣) الهباء : الشيء النابت في الهواء .

(٤) سُخْفِ الْكَلَامِ : الكلام الذي لا يكون فيه من المعاني التي تروع القلب وتحلب اللب المستعار .

(٥) المتاح : المقدَّر .

وقال دُعْبَلُ بن عليّ في صفة مصلوب :

لم أرَ صَفًّا مِثْلَ صَفِّ الزُّطِّ تسعينَ منهم صُلبوا في خَطٍّ^(١)
من كلِّ عالٍ جَذَعُهُ بِالشُّطِّ^(٢) كأنه في جَذَعِهِ المُشْتَطُّ
أخو نَعَّاسٍ جَدُّ في التَّمْطِي قد خَامَرَ النُّومَ ولم يَغْطِ^(٣)

(وقال آخر، في صفة مصلوب وهو يزيد المَهْلَبِيُّ) :

قامَ أَلَمًا بَشْتَعَنُ بِسَاقِهِ آلفَ مَشْوَاهُ على فِرَاقِهِ
كَأَنَّمَا يَضْحَكُ في أَشْدَاقِهِ

(أراد بياض الشريط فيه). وقال أعرابي في صفة مصلوب (وهو الأخطل، قال: أبو الحسن، الأخطل الذي يعني رجل مُخَدَّث من أهل البصرة، ويعرف بالاخيطل وَيَلْقَبُ بِرَقُوقَا. وذكر أبو الحسن، أن أبا العباس كان يُدَلِّسُ به) :

كَأَنَّهُ عَاشِقٌ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ يومَ الفِراقِ إلى تَوْدِيعِ مُرْتَجِلِ
أو قائمٌ من نَعَّاسٍ فِيهِ لُوثَةٌ^(٤) مواصِلٌ لِمَظْطِيهِ مِنَ الكَسَلِ

(وقال مسلم بن الوليد) :

(وَضَعْتُهُ حَيْثُ تَرْتَابُ الرِّيحُ بِهِ وَيَخْسُدُ الطَّيْرُ فِيهِ أَضْبَعُ الْبَلَدِ)

وقال حبيب بن أوسٍ : (قال أبو الحسن، يعني به اسحق بن إبراهيم الطاهري) :

قَدْ قَلَّصْتُ^(٥) شَفْتَاهُ مِنْ حَفِيطَتِهِ فَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّغْبِيسِ مُبْتَسِمًا

(١) الخط الطريقة المستطيلة في السنن.

(٢) الشط كأنه أراد موضعاً بالبصرة.

(٣) الغطيظ : صوت النائم.

(٤) اللوثة بالضم استرخاء الجسم وقوله مواصل لتمطية : يريد أنه دائم التمطي لما به من الكسل.

(٥) قلصت : شمريت وأنزوت.

وقال أيضاً في رجل ينسبه إلى الدغوة. (وهو إسحق بن إبراهيم الطاهري):

وَتَنْقُلُ مِنْ مَعْشَرٍ فِي مَعْشَرٍ فَكَأَنَّ أُمَّكَ أَوْ أَبَاكَ الزُّبْقُ

يقال: زُبْقٌ وَزُبَيْرٌ، مهموزان ودرهم مُزَابِقٌ.

ومن أفرط التشبيه قول أبي خراش الهذلي يصف سرعة ابنه في العدو.

كَأَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ فِي إِثْرِ طَائِرٍ خَفِيفِ الْمَشَاشِ^(١) عَظْمُهُ غَيْرُ ذِي نَحْضٍ^(٢)
يُأْدِرُ جُنْحَ اللَّيْلِ فَهُوَ مُهَابِذٌ^(٣) يَحُثُّ الْجَنَاحَ بِالتَّبْسُطِ وَالْقَبْضِ

وقال أوس بن حجر: (قال أبو الحسن أهل الكوفة يروونها لعبيد ابن الأبرص):

كَأَنَّ رِيْقَتَهَا بَعْدَ الْكَرَى اغْتَبَقَتْ^(٤) مِنْ مَاءٍ أَدَكْنَ فِي الْحَانُوتِ نَضَاحٍ
أَوْ مِنْ مُعْتَقَةٍ وَرَهَاءَ نَشْوَتِهَا^(٥) أَوْ مِنْ أَنْابِيبِ رُؤْمَانٍ وَتُفَاحٍ

وقال ابن عبدل يهجو رجلاً بالبحر:

نَكِهَتْ^(٦) عَلَيَّ نَكْهَةً أَخْذَرِي^(٧) شَتِيمِ^(٨) شَبَابِكَ الْأَنْيَابِ وَرَدَّ

وفي هذا الشعر:

فَمَا يَدْنُو إِلَى فِيهِ ذَبَابٌ وَلَوْ طُلَيْتُ مَشَافِرُهُ بِقَنْدٍ^(٩)

(١) المشاش: عظم الرأس.

(٢) غير ذي نحض: يريد لا شيء عليه من اللحم.

(٣) مهابذ: مسرع.

(٤) اغتبت: أي سقيت ومزجت بالغبوق.

(٥) النشوة بالفتح السكر.

(٦) نكه عليه: كضرب أخرج نفسه إلى أنف آخر.

(٧) الأخدرى: الأسد.

(٨) الشتيم: الكريه الوجه.

(٩) القند: عسل قصب السكر.

يَرَيْنَ ^(١) حَلَاوَةً وَيَخْفَنَ مَوْتًا وَشَيْكًا إِنْ هَمَّ مَنْ لَهُ بِوَرْدِ
الذَّبَابِ الْوَاحِدُ مِنَ الذُّبَابِ. وَأَدْنَى الْعَدَدِ فِيهِ أَذْبَةُ وَالكَثِيرُ الذُّبَابُ،
ولكنه ذكر واحداً ثم خبر عن سائر الجنس. وَالْأَسَدُ أَتَنُ السَّبَاعِ فَمَا، كَمَا
أَنَّ الصَّقْرَ أَتَنُ الطَّيْرِ فَمَا، قَالَ: بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فِي رَجُلٍ يَهْجُوهُ وَالْمَهْجُوُّ
دَاوُدُ بْنُ بَكْرٍ وَكَانَ وَلِيَّ الْأَهْوَازِ، وَالشَّعْرُ لِأَبِي الشَّمَقْمَقِ.

وَلَهُ لِحْيَةٌ تَيْسٍ وَلَهُ مِنْقَارٌ نَسْرِ
وَلَهُ نَكْهَةٌ لَيْثٍ خَالَطَتْ نَكْهَةَ صَقْرٍ

من أشعار الهجاء

وقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن ابن عائشة:

مَنْ يَكُنْ إِبْطُهُ بَاتَ مِنَ الْخَلْدِ قِيَّ فَإِطْطِي فِي عِدَادِ الْفِقَاحِ
لِيَّ إِبْطَانٍ يَرْمِيَانِ جَلِيسِي بِشَبِيهِ السُّلَاحِ أَوْ بِالسُّلَاحِ
فَكَأَنِّي مِنْ تَنٍّ هَذَا وَهَذَا جَالِسٌ بَيْنَ مُضْعَبٍ وَصَبَاحِ

يعني مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ وَصَبَاحُ بْنُ خَاقَانَ الْمَهْتَدِيُّ وَكَانَا
جَلِيسَيْنِ لَا يَكَادَانِ يَفْتَرِقَانِ، وَصَدِيقَيْنِ مُتَوَاصِلَيْنِ لَا يَكَادَانِ يَتَصَارِمَانِ، فَحَدَّثْتُ
أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ هِشَامٍ لَقِيَهُمَا يَوْمًا فَقَالَ: أَمَّا سَمِعْتُمَا مَا قَالَ فَيَكُمَا هَذَا يَعْنِي
أَسْحَقُ بْنُ الْمَوْصِلِيِّ؟ فَقَالَا: مَا قَالَ فِينَا إِلَّا خَيْرًا. قَالَ، قَالَ:

لَا مَ فِيهَا مُضْعَبٌ وَصَبَاحٌ فَعَصَيْنَا مُضْعَبًا وَصَبَاحًا
وَأَبَيْنَا غَيْرَ سَعِيٍّ إِلَيْهَا فَاسْتَرْحْنَا مِنْهُمَا وَاسْتَرَاخَا

قَالَا مَا قَالَ الْأَخِيرَ أَوْ الْمَكْرُوهَ مَا قَالَ فَيْكَ إِذْ يَقُولُ:

وَصَافِيَّةٌ ^(٢) تُعْشِي ^(٣) الْعُيُونَ رَقِيقَةً رَهِينَةٌ ^(٤) عَامٌ فِي الدَّنَانِ وَعَامٌ

(١) الضمير في يرين حلاوة للذباب يريد به الجنس كله.

(٢) صافية: الخمر.

(٣) تعشي العيون: تضعف بصرها.

(٤) رهينة: يريد أنها مكثت عامين في الدنان وهذا مما يستحق فيها كما يزعم أصحابها.

تَوَرَّنَا بِهَا الْكَاسُ (١) الرُّوْيَةُ مَوْهِنَا (٢) من الليل حتى انجاب كل ظلام
فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَانَنَا من العبي نحكي أحمد بن هشام

واعلم أن للتشبيه حداً. فالأشياء تشابه من وجوه وتباين من وجوه، فإنما
يُنظَرُ إلى التشبيه من حيث وَقَعَ فإن شَبَّهَ الوجه بالشمس فإنما يريد الضياء
والرُّوْنَقَ ولا يراد العظم والإحراق.

مما يستعمل عند العرب لتشبيه النساء

وقال الله جل وعز: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ (٣). والعرب تشبه النساء
ببَيضِ النعام تريد، نَقَاءَهُ وَنَعْمَةَ لَوْنِهِ قال الراعي:

كَأَنَّ بَيْضَ نَعَامٍ فِي مَلَا حِقِهَا إِذَا اجْتَلَاهُنَّ قَيْظُ لَيْلُهُ وَمِدُّ (٤)

وقيل للأوسية: وهي امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب
رحمه الله، أي مُنْظَرٌ أَحْسَنُ فَقَالَتْ: قُصُورُ بَيْضٍ فِي حُدَائِقِ خُضِرٍ فَأَنشَدَ
عمر بن الخطاب لعدي بن زيد:

كَدُمَى الْعَاجِ فِي الْمَحَارِبِ أَوْ كَالْبَيْضِ فِي الرُّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ
وقال الآخر:

كَالْبَيْضِ فِي الْأَدْحَى (٥) يَلْمَعُ بِالضُّحَى فَالْحَسَنُ حُسْنٌ وَالنَّعِيمُ نَعِيمُ
وقال جرير:

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ عَنْ شَيْءٍ يَرَوْقُهُمْ كَأَنَّهَا مُزْنَةُ غُرَاءَ رَائِحَةٍ
أَلَا رَأَوْا أُمَّ نُوْحٍ فَوْقَ مَا وَصَفُوا أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي لَوْنُهَا الصَّدْفُ

(١) الكأس الروية التي تروي من شربها.

(٢) الموهن: نحو من نصف الليل.

(٣) سورة الصافات: الآية رقم ٤٩.

(٤) الومد: الحر الشديد مع مكنون الريح.

(٥) الادحي: مبيض النعام في الرمل.

المزنة السحابة البيضاء خاصة وجمعها مُزْنٌ. قال الله جل وعز: ﴿أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾^(١) فالمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها، وسهولة مرها قال الأعشى:

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثُ وَلَا عَجَلُ
الرَّيْثُ الْإِبْطَاءُ فَهَذَا مَا تَلَحُّقُهُ الْعَيْنُ مِنْهَا فَإِذَا الْحِفَّةُ فَهِيَ كَأَسْرَعَ مَرٍّ وَإِنْ
خَفِيَ ذَلِكَ عَلَى الْبَصَرِ.

قال الله جل وعز: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾^(٢). والعرب تشبه المرأة بالشمس والقمر، والغصن والغزال والبقرة الوحشية والسحابة البيضاء والدرة والبيضة وإنما تقصد من كل شيء إلى شيء قال ذو الرمة:

وَمِئَةً أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جِيداً وَسَالِفَةً وَأَحْسَنُهُمْ قَدْالاً
فَلَمْ أَرْ مِثْلَهَا نَظْراً وَغَيْباً وَلَا أُمَّ الْغَزَالِ وَلَا الْغَزَالاً
تُرِيكَ بَيَاضَ غُرَّتِهَا وَوَجْهاً كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثُمَّ زَالاً
أَصَابَ خِصَاصَةً^(٣) فَيْدَاً كَلِيلاً كَبَلَاً وَأَنْعَلَ سَائِرُهُ انْغِلَالاً

الجيد العنق والسالفة ناحية والقذلان ناحيتا القفا من الرأس.. وقوله: أفثق ثم زالا يقال: أفثق السحاب إذا انكشف انكشافه فكانت فيه فرجة يسيرة بين السحابتين. تقول العرب دام علينا الغيم، ثم أفثقنا. وإذا نُظِرَ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مِنْ فَتْقِ السَّحَابِ فَهُوَ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ وَأَشَدُّ اسْتِنَارَةً. وقوله كلاً يريد في سرعة ما بدا ثم غاب. وقال الله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(٤). وقال تبارك وتعالى: ﴿كَأَمْثَالِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾^(٥). والمكنون

(١) سورة الواقعة: الآية رقم ٦٩.

(٢) سورة النحل: الآية رقم ٨٨.

(٣) الخصاصة: الخرق في باب.

(٤) سورة الرحمن: الآية رقم ٥٨.

(٥) سورة الواقعة: الآية رقم ٢٣.

المَصُونُ يقال: كُنْتُ الشيء إذا صُنِّتْهُ وَأَكُنْتُهُ إذا أَخْفَيْتُهُ فهذا المعروف. قال تبارك وتعالى: ﴿أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾^(١) وقد يقال كُنْتُهُ أَخْفَيْتُهُ وقد قال جرير في يزيد بن عبد الملك وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

الحَزْمُ والجود والإيمان قد نَزَلُوا على يزيد أمين الله فاحتَلَفُوا
ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ^(٢) والإيمان غُرَّتُهُ كالْبَذْرِ ليلة كَادَ الشهرُ يَنْتَصِفُ
وقال ذو الرُّمَّة.

فيا ظَبْيَةَ الوَعَسَاءِ^(٣) بين جُلَاجِلٍ^(٤) وبين النِّقَا^(٥) أَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ
وقال ابن أبي ربيعة:

أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ
يَرْفُلْنَ فِي الرِّيطِ وَالْمُرُوطِ كَمَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا سَوَاكِنُ الْبَقَرِ
فهذه تشبيهات غريبات مفهومة وقال أبو عبد الرحمن العَطَوِيُّ:
قَدْ رَأَيْنَا الْغَزَالَ وَالْغُصْنَ وَالنَّجْمَ بَيْنَ شَمْسِ الضُّحَى وَبَذَرِ الظَّلَامِ
فَوَحَقَّ الْبَيَانُ يَعْضُدُهُ الْبُرْ هَانُ فِي مَأْقَطِ الدِّ الْخِصَامِ
مَا رَأَيْنَا سِوَى الْمَلِيحَةِ شَيْئاً جَمَعَ الْحُسْنَ كُلَّهُ فِي نِظَامِ
فَهِى تَجْرِي مَجْرَى الْأَصَالَةِ فِي الرَّأْيِ وَمَجْرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ

البرهان الحجة، قل الله عز وجل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٦). أي حججكم، والمأقَط موضع الحرب فضربه مثلاً لموضع المناظرة والمُحَاجَّة، والأَلَدُ الشديد الخصومة.

(١) سورة البقرة الآية رقم ١١١.

(٢) الدسيعة: العطاء الجزيل.

(٣) الوعساء رابية من رحل لينة تنبت أحرار البقول أو موضع بين الثعلبية والخزمية.

(٤) جلاجل بالفتح: موضع.

(٥) النقا: من الرمل القطعة.

(٦) سورة البقرة: الآية ١١١.

قال الله تبارك وتعالى : ﴿لِتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُبًّا﴾^(١) . وقال : ﴿وهو ألدُّ
الخصام﴾^(٢) . وقالت لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ :

كَأَنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنَخِّ بِنَجْدٍ وَلَمْ يَطْلُعْ مَعَ الْمُتَغَوِّرِ^(٣)
وَلَمْ يَقْدَحِ^(٤) الْخَصَمَ الْأَلْسَدُ وَيَمْلَأِ الْجَفَانَ سَدِيفًا^(٥) يَوْمَ نَكْبَاءٍ صَرَصَرٍ^(٦)

السديف شقق السنّام، والنكباء الريح بين الريحين لأن الرياح أربع وما
بين كل ريحين نكباء فهي ثمان في المعنى فما بين مَطْلَعٍ سُهَيْلٍ إِلَى مَطْلَعِ
الْفَجْرِ جَنُوبٌ .

من وصف العرب للرياح

وإنما تأتي الجنوب من قِبَلِ الْيَمَنِ . قال جرير :

وَحَبُّذَا تَفَحَاتُ مِنْ يَمَانِيَةٍ تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ الرِّيَّانِ أحياناً
وَإِذَا هَبَّتْ مِنْ تَلْقَاءِ الْفَجْرِ فَهِيَ الصَّبَا تُقَابِلُ الْقِبْلَةَ ، فالعرب تسميها
القبول . قال الشاعر :

إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْأَلُوهُنَّ جَنِي نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ الْفَجْرُ
وَإِذَا أَتَتْ مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَهِيَ شَمَالٌ . قال الْفَرَزْدَقُ :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ الْقُطْنِ مَتَوَرٍ
وهي تقابل الجنوب . وكذلك قال امرؤ القيس :

فَتَوَضَّحَ فَالْمِقْرَاءَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ

(١) سورة مريم : الآية ٩٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٠٤ .

(٣) المتغور : الذي يقصد الغور وهو كل ما انحدر مغرباً عن تهامة .

(٤) قدح الخصم : اعجزه وأفحمه .

(٥) السديف : بالفتح شحم السنّام .

(٦) صرصر : الريح الشديدة الباردة . والمقصود هنا : شدة القحط والجفاف .

وإذا جاءت من دُبُر البيت الحرام فهي الدَّبُورُ، وهي تَهْبُ بشدة. والعرب تسميها مَحْوَةً عن أبي زيد لأنها تمحو السحاب، ومَحْوَةٌ معرفة لا تنصرف، فأما الأصمعي فزعم أن محوة من أسماء الشمال وأنشدا جميعاً:

قَدْ بَكَرَتْ مَحْوَةٌ بِالْعَجَاجِ فَدَمَّرَتْ بَقِيَّةَ الرَّجَاجِ

الرجاج حاشية الإبل وضعافها. وقال الأعشى:

لَهَا زَجَلٌ^(١) كَحَفِيفِ^(٢) الْحَصَا دِ^(٣) صَادَفَ بِاللَّيْلِ رِيحاً دُبُوراً

ولهذه الرياح أسماء كثيرة وأحكام في العربية لأن بعضهم يجعلها نعوتاً وبعضهم يجعلها أسماء، وكذلك مصادرها تحتاج إلى الشرح والتفسير ونحن ذاكرون ذلك في عقب هذا الباب إن شاء الله، يقال: جَنَبَتِ الرِّيحُ جُنُوباً وَشَمَلَتْ شُمُولاً وَدَبَّرَتْ دُبُوراً وَصَبَّتْ صُبُوراً وَسَمَتْ سُمُوماً وَحَرَّتْ حُرُوراً، مضمومات الأوائل. فإذا أردتَ الاسماء فتحتَ أوائلها فقلت: جَنُوبٌ وَشُمُولٌ وَسُمُومٌ وَدُبُورٌ وَحُرُورٌ. ولم يأت من المصادر شيء مفتوح الأول إلا أشياء يسيرة. قالوا: تَوَضَّأتَ وَضُوءاً حَسَناً، وتَطَهَّرْتَ طَهُوراً وَأَوَّلَعْتَ بِالشَّيْءِ وَلَوْعاً وَإِنْ عَلَيْهِ لَقَبُولاً وَوَقَدْتَ النَّارَ وَقُوداً وَأَكْثَرَهُمْ يَجْعَلُ الْوَقُودَ الْحَطَبَ وَالْوُقُودَ الْمَصْدَر. ويقال الشَّمَالُ على لغات ست. يقال: شَمَالٌ وَشَامِلٌ وَشَمَالٌ وَشَمْلٌ وَشَمْلٌ وَشَامِلٌ غَيْرُ مَهْمُوز، ويقال لِلشَّمَالِ الْجَرَبِيَاءُ. قال ابن أَحْمَرَ:

بَجَوٌ^(٤) مِنْ قَسَا^(٥) ذَفِيرِ الْخُزَامِي^(٦) تَدَاعَى الْجَرَبِيَاءُ بِهِ الْحَنِينَا

ويقال لِلجَنُوبِ الْأَرَبِيُّ، ويقال لِلصَّبَا الْقَبُولُ وبعضهم يجعله لِلجَنُوبِ وَهُوَ

(١) الزجل: محركاً الصوت المرتفع.

(٢) حفيف الشجرة ونحوه صوته.

(٣) الحصاد: الزرع.

(٤) الجَو: ما انخفض من الأرض.

(٥) قسا: إسم موضع.

(٦) الخزامى بالضم نبت زهره أطيب الأزهار.

في الصَّبَا أشهر، بل هو القول الصحيح والإبرُّ والهبرُّ والأيرُّ والهيرُّ. قال الشاعر:

«مَطَاعِيمُ أَيْسَارُ إِذَا الْهَيْرُ هَبَّتْ». فهذا يدل على أنه الصَّبَا وذاك أنهم إنما يتمدحون بالإطعام في المَشْتَاة وشِدَّةِ الزمان، كما قال طَرْفَةُ:

نحن في المَشْتَاة نَدْعُو الْجَفْلَى لا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ

الجفلى العامة، والنقري الخاصة والآدب صاحب المأدبة. يقال مأدبة ومأدبة للدعوة. وفي الحديث: إن القرآن مأدبة الله. قال أهل العلم معناه مدعاة الله وليس من الآدب، وأكثر المفسرين قالوا القول الأول وكلاهما في العربية جائز. ويدل على القول الأول قول رسول الله ﷺ: أنا الجفنة الغراء، أي التي يجتمع الناس عليها ويدعون إليها. ويقال في الدعوة: أدبه يأدبه أدباً إذا دعاه. قال الشاعر:

وما أصبح الضحَّاكُ إلا كخالع^(١) عصانا فأرسلنا المنيَّة تأدبه

وقولنا في الرياح أنها تكون أسماء ونعوتاً نفسره إن شاء الله. يقول أكثر العرب: هذه ريح جنوب وريح شمال وريح دبور فتجعل، جنوباً وشمالاً ودبوراً وسائر الرياح نعوتاً. قال الأعشى:

لها زَجَلٌ كحفيف الحصا دِ صادف بالليل ريحاً دبورا
وقال زهير:

مُكَلَّلٌ بأصول النبت تنسجُه ريح شمال لضاحي^(٢) مائه حُبْكُ^(٣)

وقال جرير «ريح خريق شمال أو يمانية» فهذا يكون على النعت أجود لأنه أوضحه يمانية ولا تكون اليمانية إلا نعتاً لأنها منسوبة فأما الخريق فهي

(١) الخالغ: الخارج عن الطاعة.

(٢) لضاحي مائه: يريد لمائه ضاحي وهو الظاهر البارز للشمس.

(٣) الحبك بالضمين ما تكسر من الماء إذا هبت عليه الريح فيصير فيه طرائق.

الشديدة من كل ريح . قال حميد بن ثور:

بَمْثَوَى حَرَامٍ وَالْمَظِيَّ كَأَنَّهُ قَنَاءُ مُسْنَدُ هَبَّتْ لَهُنَّ خَرِيقُ
والبليل الباردة من كل الرياح وأصل ذلك الشمال . قال جرير: يُعَيِّرُ بَنِي
مُجَاشِعٍ بِخِذْلَانِهِمُ الزُّبَيْرَ بَنَ الْعَوَامِ فِي كَلِمَةٍ يَقُولُ فِيهَا:

إِنِّي تُذَكِّرُنِي الزُّبَيْرَ حَمَامَةً تَدْعُو بِأَعْلَى الْأَيْكَتَيْنِ^(١) هَدِيدًا
يَا لَهْفَ نَفْسِي إِذْ يَغْرُكَ حَبْلُهُمْ هَلَّا اتَّخَذْتَ عَلَى الْقِيُونَ كَفِيلًا
قَالَتْ قُرَيْشُ مَا أَذَلَّ مُجَاشِعًا جَارًا وَأَكْرَمَ ذَا الْقَتِيلِ قَتِيلًا
أَفْبَعَدَ مَتْرِكِكُمْ خَلِيلَ مُحَمَّدٍ تَرْجُو الْقِيُونَ مَعَ الرُّسُولِ سَبِيلًا
أَفَتَى النَّدَى وَفَتَى الطَّعَانِ غَرَزْتُمْ وَأَخَا الشَّمَالِ إِذَا تَهَبُّ بَلِيلًا

ويروى أن أحيحة بن الجلاح^(٢) الأنصاري، وكان يُخَلُّ إِذَا هَبَّتِ^(٣) الصُّبَا
طَلَعَ مِنْ أَطْمِهِ^(٤) فنظر إلى ناحية هبوبها . ثم يقول لها هُبِّي هُبُوبِكِ فَقَدْ أَعْدَدْتُ
لَكَ ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ عَجْوَةٍ أُدْفِعُ إِلَى الْوَلِيدِ مِنْهَا خَمْسَ تَمَرَاتٍ فِيرِدُ
عَلَيَّ مِنْهَا ثَلَاثًا، أَي لَصَلَابَتِهَا بَعْدَ جَهْدٍ مَا يَلُوكُ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ .

مركز تقيت كميتر علوم رسي

نذر لبید بن ربیعة

وكان لبید بن ربیعة بن مالك بن جعفر بن كلاب شريفاً في الجاهلية
والإسلام وهو بالكوفة مُقْتَرٌ مُمْلِقٌ . فعلم بذلك الوليد بن عُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْطٍ بن
أبي عمرو بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف . وكان الوليد واليها لعثمان بن
عَفَّان . وكان أخاه لأمه، وأمهما أَرْوَى ابنة كُرَيْزٍ بن حَبِيب بن ربیعة بن عبد
شمس، وأمُّ أَرْوَى الْبَيْضَاءُ بنت عبد الْمُطَّلِبِ فخطب الناس، وقال: إنكم قد

(١) الأيكتين: مثني أكمة وهي الشجرة والمديل صوت الحمام أو حاس بالوحشي منها.

(٢) أحيحة بن الجلاح الأوسي سيد يثرب في الجاهلية.

(٣) إِذَا هَبَّتِ الصُّبَا: يريد وقت اشتداد الزمن ودفوع الناس في القحط.

(٤) الأطم: بالضم أو بضمين كل حصن بني بحجارة.

عرفتم نَذْرَ أَبِي عَقِيلٍ وما وَكَّدَ على نفسه فأعينوا أحاكم . ثم نزل فبعث إليه بمائة ناقة (وأبيات يقول فيها) :

أَرَى الْجَزَارَ تُشَحِّدُ مُدَيْتَاهُ إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ
طَوِيلَ الْبَاعِ أبيضَ جَعْفَرِيٍّ كَرِيمَ الْمَجْدِ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ
وَفِي ابْنِ الْجَعْفَرِيِّ بِمَا لَدَيْهِ عَلَى الْعِلَاتِ^(١) وَالْمَالِ الْقَلِيلِ

فلما أُنْتَه قال : جزى الله الأمير خيراً ، قد عرف الأميرُ أنني لا أقول شعراً ولكن أخرجني يا بُنَيَّ فخرجت خماسية^(٢) فقال لها : أجيبي الأمير (فأقبلت وأدبرت) . وبعث الناس^(٣) فقصي نذره ففي ذلك تقول ابنة لبيد :

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا
(طَوِيلَ الْبَاعِ أبيضَ عُبَيْمِيًّا^(٤)) أَعَانَ عَلَى مُرُوتِهِ لَبِيدَا
بِأَمْثَالِ الْهَضَابِ^(٥) كَأَنَّ رَكْبًا عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قُعُودًا
أَبَا وَهَبٍ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا نَحَرْنَاهَا وَأَطْعَمْنَا الشَّرِيدَا
فَعِيدُ ابْنِ الْكَرِيمِ لَهُ مَعَادُ وَظَنِّي بِابْنِ أَرْوَى أَنْ يَعُودَا

قال لها لبيدأ حسنت يا بُنَيَّ لولا أنك سألت ، فقالت : إن الملوك لا يُسْتَحَى من مسئلتهم . (فقال لها يا بُنَيَّ وأنت في هذا أشعر) . ومن جعل الشمال والجنوب أسماء لم يصرفها إذا سُمِّيَ بشيء منها رجلٌ لأنك إذا سميت رجلاً مذكراً باسم مؤنث على أربعة أحرف فصاعداً ، لا علامة للتأنيث فيه لم تصرفه في المعرفة ، وصرفته في النكرة نحو : عَنَاقٍ وَأَتَانٍ وَعَقْرِبٍ وَإِنْ كَانَ نَعْتاً انصرف ، لأنك إذا كتبت رجلاً مذكراً بنعت مؤنث ، لا علامة فيه صرفته لأنه

(١) على العلات : بالكسر أي على حالته التي هو عليها .

(٢) خماسية : أي جارية طولها خمسة أشبار ولا يقال سداسية .

(٣) وبعث الناس : عطف على قوله فبعث إليه بمائة ناقة .

(٤) عبشياً : منسوباً إلى عبد شمس .

(٥) بأمثال الهضاب : أي بابل أمثالها ، والهضاب جمع هضبة وهي الجبل المنبسط على وجه الأرض شبهت الابل بها .

مذكر نَعَتْ به المؤنث نحو حائض وطالق ومُثِمَّ^(١) ومُرْضِعٍ وإذا ذكرنا من الباب شيئاً فما نذكره منه فعلى مجراه ومنهاجه. قال الشاعر: فجعل ما وصَفنا أسماء:

حالت وجيل بها وغَيْرَ آيها طولُ البلى تجري به الريحان
ريحُ الشمال من الجنوب وتارة رَهْمُ^(٢) الربيع وصائبُ التَّهتان

وقد أنشدوا بيت زهير. رِيحُ الْجَنُوبِ لُصاحي مائه حُبُك. وقولنا لا علامة فيه للتأنيث لتَعْرِفَ كيف حكم علامات التأنيث، لأن ذلك إنما يكون على ضربين، فما كانت فيه ألف التأنيث مقصورة أو ممدودة فغير منصرف في معرفة ولا نكرة لمذكر كان أو مؤنث. فالمقصور، نحو حُبْلَى وسَكْرَى وما أشبه ذلك، والمدود نحو حمراء وصفراء وما أشبه ذلك. فإن كانت ممدودة لغير التأنيث، انصرف إذا كان لمذكر في المعرفة والنكرة زائداً كان أو أصلياً، فالأصلي نحو سِقَاءٍ وَعِدَاءٍ وَحِذَاءٍ وَرِدَاءٍ، والزائدة نحو عِلْبَاءٍ وَحَرْبَاءٍ وَقُوبَاءٍ يا فتى، ومن قال قُوبَاءُ يا فتى، أنث ولم يصرف. لأن الأولى مُلْحَقَةٌ وهذه للتأنيث. فأما الألف المقصورة التي لغير التأنيث فإن كانت أصلية انصرفت في المذكر نحو مَلْهَى وَمَعْرَى وَمُشْتَرَى وإن كانت زائدة لغير التأنيث انصرفت في النكرة، ولم تنصرف في المعرفة نحو أَرطَى وَعَلَقَى فيمن جعل الواحدة علقاءً. وأما ما كانت فيه هاء التأنيث فهو منصرف في النكرة وغير منصرف في المعرفة لمذكر كان أو مؤنث عربياً كان أو أعجمياً، فهذه جملة هذا الباب، فأما قياسه وشرحه فقد أتينا عليه في الكتاب المقتضب. وتقول: في أكثر الكلام هَبْتُ جَنُوباً وهبت شَمَالاً فتستغني عن ذكر الريح، وهذا مما يؤكد أنها نعت لأن الحال إنما بابها أن تقع فيما يكون نعتاً. قال جرير:

هَبْتُ شَمَالاً فذِكْرِي ما ذَكْرُتُكُمْ عند الصِّفاة إلى شَرْقِي حَوْرانا

(١) المثم: المرأة التي تلد توأماً وهو المولود مع غيره في بطن واحد.

(٢) الرَّهْم جمع رَهْمَة بالكسر وهي المطر الضعيف.

وقال الآخر:

فَأَيُّ حَيٍّ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ وَاسْتَدْفَأَ الْكَلْبُ بِالْمَأْسُورِ ذِي الذِّئْبِ
المأسور يعني قَتَبًا وإنما الأسرُ الشدُّ بالقدِّ حتى يُحَكَّمَ، وإنما قيل الأسير
من ذا لأنه كان يُشَدُّ بالقدِّ، ثم قالت العرب: لكلُّ مُحَكَّمٍ شَدِيدُ الأسْرِ. قال
الله تبارك وتعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾^(١) وقوله ذِي الذِّئْبِ
يعني الْفُضُولُ التي وَسَّعَتْهُ وَأَسْبَغَتْهُ. يقال: غَبِطُ مُذَابُ أَي ذُو ذِئْبٍ أَي
مُوسِعٌ. والغبيط مَرَكَبٌ من مَرَاكِبِ النساءِ.

في وصف البرد

وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ وَغَلَبَةِ الشَّمَالِ يَرِثِي فَضَالَهَ بَنُ كَلْدَةَ
الْأَسَدِيِّ.

وَالْحَافِظُ النَّاسَ فِي قَحُوطٍ إِذَا لَمْ يُرْسِلُوا تَحْتَ عَائِدٍ رُبْعاً
وَعَزَّتِ الشَّمَالُ^(٢) الرِّيحَ وَقَدْ أَمْسَى كَمِيعُ^(٣) الْفَتَاةِ مُلْتَفِعاً^(٤)
وَكَانَتْ الْكَاعِبُ الْمُتَعَمِّمَةُ الْحَسَنَاءُ فِي زَادِ أَهْلِهَا سَبْعاً

تَحُوطٌ وَقَحُوطٌ وَكَحْلٌ وَحَجْرَةٌ أَسْمَاءُ السَّنَةِ الْمُجْدِبَةِ، وَالْعَائِدُ الْحَدِيثَةُ
الْبِتَاجُ فَتَنْحَرُ أَوَّلَاهَا فِي السَّنَةِ الْمُجْدِبَةِ إِبْقَاءَ عَلَى أَلْبَانِهَا وَشَحُومِهَا وَالرُّبْعُ الَّذِي
يُنْتَجُ فِي الرَّبِيعِ، وَالْهَبْعُ الَّذِي يَنْتَجُ فِي الصَّيْفِ، يُقَالُ مَا لَهُ هَبْعٌ وَلَا رُبْعٌ،
وَأَمَّا سُمِّيَ هَبْعاً لِأَنَّ الرَّبِيعَ أَسْنُ مِنْهُ فَيَمْشِي مَعَ أَمْهَاتِهَا. وَلَا يَلْحَقُهُنَّ الْهَبْعُ إِلَّا
بِاجْتِهَادٍ فَيَسْتَعِينُ بِعُنُقِهِ فِي الْمَشْيِ، يُقَالُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ هَبَعَ يَهْبَعُ، وَيُقَالُ لِلرَّيْحِ
الشَّمَالِ نِسْعٌ وَمِسْعٌ. قَالَ الْهَذَلِيُّ:

(١) سورة الإنسان: الآية ٢٨.

(٢) عزت الشمال الرياح غلبتها وزاد صوبها عليها وهذا كناية عن شدة الزمان.

(٣) الكميع: الضجيع، الذي يضاجع المرأة.

(٤) ملتفعاً: مقلوباً يرتفع عن جسمها لشدة هبوب الريح عليها.

قد حال دون دريسيه مأوبة تسع لها بعضاء الأرض تهزير
الدريسان ثوبان خلقتان، ومأوبة مفعلة من التأويب وهو سير النهار لا
تعريج فيه. قال أبو عبيدة: هو سير النهار، والإسَاد سير الليل لا تعريس فيه.
وأشد لسلامة بن جندل:

يومان: يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الاعداء تأويب
وإنما يعني^(١) ريحاً. وقوله نسع أي شمال، والعضاء شجرة ضخمة، فبعض
العرب يقول للواحدة عضاء وللجمع عضاء على وزن دجاجة ودجاج.
وبعضهم يقول للواحدة عضة. فيقول في الجمع عَضَوَات وعَضَهَات فتكون من
الواو، ومن الهاء. قال الشاعر:

هذا طريق يأزم المأزما^(٢) وعَضَسَوَات تَقْطَعُ اللّهازما^(٣)

ونظير عضة سنة على أن الساقط الهاء في قول بعض العرب والواو في
قول بعضهم، تقول في جمعها سنوات، وسائيت الرجل وبعضهم يقول
سَنَهَات وأكْرَيْتُهُ مُسَانَهَةً وهذا الحرف في القرآن يقرأ على ضروب. فمن قرأ لم
يَتَسَنَّهُ وانظر فوصل بالهاء فهو مأخوذ من سائت التي هي سُنْهَةٌ، ومن جعله
من الواو وقال في الوصل لم يَتَسَنَّ وانظر فإذا وقف قال لم يَتَسَنَّهُ. فكانت الهاء
زائدة لبيان الحركة بمنزلة الهاء في قوله: فبهذاهم أقتده وكتابه وحسابيه.
والمعنى واحد وتأويله لم تغيره السنين ومن لم يقصد إلى السنة قال: لم يتأسن
والأسن المتغير. قال الله جل وعز: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾^(٤). في
هذا المعنى. كما يقال: رجل حاذر وحذر. ويقال للريح الجنوب النعامي.
قال أبو ذؤيب:

(١) إنما يعني ريحاً: يريد أن الهذلي أراد بالمؤوبة الريح.

(٢) المأزم: المضائق واحداً مأزم ويأزمها يسدها.

(٣) اللهازم: أصول الحنكين واحدها هزمة بالكسر أو هي الاشداف.

(٤) سورة محمد: الآية ١٥.

مَرَّتُهُ النُّعَامَى فَلَمْ يَعْتَرِفْ^(١) خِلَافَ النُّعَامَى مِنَ الشَّامِ رِيحاً

ومعنى مرته استدرته. وفي الحديث ما هبت الريح الجنوب إلا أسال الله بها وادياً. وقال رجل يمدح رجلاً:

فَتَى خُلِقَتْ أَخْلَاقُهُ مُطْمَئِنَّةً لَهُ نَفْحَاتُ رِيحُهُنَّ جَنُوبٌ

يريد أن الجنوب تأتي بالمطر والندى، والعرب تكره الدبور. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادُ بِالْذَّبُورِ وَقَلِمَا يَكُونُ بِالْذَّبُورِ الْمَطَرُ لِأَنَهَا تُجْفَلُ^(٢) السَّحَابَ وَيَكُونُ فِيهَا الرَّهَجُ^(٣) وَالغَبَرَةُ، وَلَا تَهْبُ إِلَّا أَقْلُ ذَلِكَ إِلَّا بِشِدَّةٍ فَتَكَادُ تَقْلَعُ الْبُيُوتَ وَتَأْتِي عَلَى الزَّرْعِ. وقال رجل يهجو رجلاً:

لَوْ كُنْتَ رِيحاً كَانَتْ^(٤) الذُّبُورَا أَوْ كُنْتَ غَيْمًا لَمْ تَكُنْ مَصِيرًا^(٥)

أَوْ كُنْتَ مَاءً لَمْ تَكُنْ طَهُورَا أَوْ كُنْتَ مُخًّا كُنْتَ مُخًّا رِيرَا

أَوْ كُنْتَ بَرْدًا كُنْتَ زَمْهَرِيرَا

الرير: المخ الرقيق، يقال، رير ورار في معنى واحد.

للسليك يرثي فرسه

وَقَالَ السُّلَيْكُ: يَصِيدُكَ قَافِلًا وَالْمُخُّ رَارٌ. وَالشَّيْءُ يَذْكُرُ بِالشَّيْءِ. وَقَالَ

آخِرُ.

لَوْ كُنْتَ مَاءً لَمْ تَكُنْ بَعْدُ أَوْ كُنْتَ غَيْمًا لَمْ تَكُنْ مَطِيرَا

(١) مرته النعامى: الضمير للسحاب ومرته استخرجت ماءه واسترته فلم يعترف أي لم يعرف.

(٢) تجفل السحاب: أي تطرده وتسحقه.

(٣) الرهج: ويحرك: الغبار.

(٤) لو كنت ريحاً: يريد أن يهجو في هذه الأبيات باللؤم والخبث على أي حال يكون عليها وأي صورة يركب فيها.

(٥) مصير: خطأ مطبعي والقصد مطير أي ممطر وفي هذا إقذاع في الهجاء.

أَوْ كُنْتَ لَحْمًا كُنْتَ لَحْمَ كَلْبٍ أَوْ كُنْتَ عَيْرًا كُنْتَ غَيْرَ نَذْبٍ^(١)

فأما قول السليك^(٢) فإنه يرثي فرسه وكان يقول له النَّحَامُ فقال :

كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ لَمَّا تَحْمَلُ صُحْبَتِي أَصْلًا مَحَارٍ عَلَى قَرْمَاءَ عَالِيَةً شَوَاهُ^(٣) كَأَنَّ بِيَاضَ غُرَّتِهِ خِمَارٍ وَمَا يُذْرِيكَ مَا فَقَّرِي إِلَيْهِ إِذَا مَا الْقَوْمُ وَلَّوْا أَوْ أَغَارُوا وَيُحْضِرُ فَوْقَ جُهْدِ الْحُضْرِ^(٤) نَصًّا يَصِيدُكَ قَافِلًا وَالْمَخُ رَارٍ

قوله كأن قوائم النحام محار المحارة الصدفة يريد الملاسة وأنه قد ارتفعت قوائمه للموت، والأصل جمع أصيل، والأصيل العشوي يقال: أصيل وأصل مثل قضيب وقضب وجمع أصل آصال، وهو جمع الجمع وتقديره عنق وأعناق! وطنب وأطناب. ويقال: في جمع أصيلة أصائل مثل خليفة وخلائف. قال الأعشى: ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل. وقال أبو ذؤيب:

لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلُهُ وَأَقْعَدُ فِي أَفْيَائِهِ^(٥) بِالْأَصَائِلِ

وقرماء ممدودة إسم موضع. وشواه قوائمه. وقد فسرناه قبل هذا، وقوله: ولوا أو أغاروا إذا طلبوا أو هربوا. وقوله: يصيدك أو يصيد لك، يقال صدتك ظبياً. قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(٦). أي كالوا لهم أو وزنوا لهم، يقال كالتك ووزنتك لأنه قد قال تعالى أولاً: ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(٧). فأما ما جاء في الحديث من قول رسول الله ﷺ عند الهبوب اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً، فإن العرب تقول لا تلقح

(١) غير النذب: بالفتح الخفيف في الحاجة النجيب الفاره.

(٢) فأما قول السليك: أي فيها تقدم في قوله يصيدك قافلاً الخ.

(٣) الشوى: اليدان والرجلان. وشبه بياض غرته بالخمار في شكله وهيئته.

(٤) الحضر بالضم: إرتفاع الفرس في عدوه.

(٥) الأفياء جمع فيء وهو ما كان شمساً ثم نسخه الظل.

(٦) سورة المطففين: الآية رقم ٣.

(٧) سورة المطففين: الآية رقم ٢.

السحابُ إلا من رياحٍ . وتصديق ذلك قول الله عز وجل : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ
الرياحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً﴾^(١) وقول النبي ﷺ إذا هَبَّتْ بَحْرِيَّةٌ ثُمَّ تَذَاءَبَتْ، قال
الشاعر: تَسُحُّ إِذَا تَذَاءَبَتِ الرِّيَّاحُ، يقول إذا تَقَابَلَتِ، يقال تَذَاءَبَتِ الرِّيحُ،
وَتَنَافَحَتْ أَي تَقَابَلَتِ وَتَنَافَحَ الشَّجَرُ إِذَا قَابَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً . وإنما سميت النائحة
نائحة لأنها تُقَابِلُ صاحبَها فإذا خَلَصَتِ الرِّيحُ عندهم دُبُوراً فهي من جنس
البوارِ وإذا خَلَصَتْ شَمَالاً شَتَوِيَّةٌ فهي من آيَاتِ الجَدْبِ . ومن ثم تقول
العرب : فلان يُطْعِمُ فِي الشَّمَالِ كما تقول يُطْعِمُ فِي المَحَلِّ . قال أوس بن
حَجْرٍ . وَغَزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيحُ، أَي غَلَبَتْهَا . فَكَانَتْ أَقْوَى مِنْهَا فَلَمْ تَدْعُ لَهَا
مَوْضِعاً . وقوله تعالى : ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾^(٢) أَي غَلَبَنِي فِي المُخَاطَبَةِ
، الخصومة ومن أمثال العرب من عَزَّ بَزٌّ وتَأَوَّلَهُ مِنْ غَلَبَ سَلَبٌ . قالت
الحسناء :

كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا جَمَى يُتَّقَى إِذَا النَّاسُ إِذَا ذَاكَ مِنْ عَزَّ بَزًّا
قال أبو العباس وحدثني عمرو بن بحر الجاحظ قال رأيت رجلاً من
غَنِيٍّ^(٣) يُفَاحِرُ رجلاً من بني فزارة، ثم أحد بني بَذْرِ بن عمرو وكان الغنويُّ
متمكناً من لسانه^(٤) وكان الفزاريُّ بَكِيًّا . فقال الغنوي ماؤنا ما بين الرِّقْمِ إِلَى
كذا وهم جيراننا فيه فنحن أقصر منهم رِشَاءً وأعذبُ منهم ماءً لنا رِيفُ السُّهولِ
ومعاقِلُ الجبالِ وأرضهم سَبِخَةٌ ومياههم أُمْلَاحٌ وأرْشِيَتُهُمْ طَوَالٌ والعربُ إِذْ ذَاكَ
بِمَنْ عَزَّ بَزٌّ فَعِزَّنَا تَخَيَّرْنَا عَلَيْهِمْ وَبِذَّلَهُمْ مَا رَضُوا عَنَا بِالضُّيْمِ . قوله كان الفزاريُّ
بَكِيًّا يقول غير قادر على الكلام وأصل ذلك في الحَلَبِ يقال نَاقَةٌ بَكِيٌّ وهي
ضد الغزيرة أَي قليلة اللبن، وَدَهَبٌ وَصِمْرَدٌ^(٥) فِي معنى . يقال : بَكَاتِ الشَّاةُ

(١) سورة الروم : الآية رقم ٤٨ .

(٢) سورة ص : الآية رقم ٢٣ .

(٣) غني : حي من غطفان .

(٤) متمكناً من لسانه : كناية عن فصاحته وقدرته على إقامة حجته على خصمه .

(٥) الصمرد بالكسر يقال للناقة التي قل لبنها والتي كثر فيها فهو صده وأما الدهن بفتح الدال فهي
قليلة اللبن ليس غير .

والناقة وبكوت. قال الشاعر:

فإذا ما حاردت^(١) أو بكوت
وقال سلامة بن جندل الطهوي:

يقول محبسها أدنى لمرتعها وإن تداعى بكاء كل محلوب

يقول أن نحس الإبل على ضر ونقاتل عنها فهو أدنى بأن تعز تترتع فيما
تستقبل، وإن ذهبت ألبانها لانا إن طردناها وهربنا طمع فينا واستذللنا. ويقال
في الكلام رجل غني بكى. قال أبو العباس: وهذا الغنوي إذا حاول بقبيلته آل
بدر فقد أعظم الفرية^(٢) وبلغ في البهت^(٣) وأشمت العدو بجمهور قيس، وصار
بهم إلى ما قال الأخطل:

وقد سرنني من قيس عيلان أنني رأيت بني العجلان سادوا بني بدر

من وصايا العرب

وكان زياد يقول وهو الغاية في السياسة: أوصيكم بثلاثة، بالعالم
والشريف والشيخ، فوالله لا أوتي بوضع سب شريفاً أو شاباً وثب بشيخ أو
جاهل امتهن عالماً إلا عاقبت وبالغت.

ما قيل في الترفع عن الوضع

وقال عمارة لبني أسد ابن خزيمة:

يا أيها السائلي عمداً لأخبره
إن تستقيم أسد ترشد وإن شغبت
إني رأيكم يغصي كبيركم
بذات نفسي وأيدي الله فوق يدي
فلا يلّم لائم إلا بني أسد
وتكنعون^(٤) إلى ذي الفجرة والنكيد

(١) حاردت الإبل: أي انقطع لبنها.

(٢) الفرية: بالكسر الكذب.

(٣) البهت: بالضم الباطل الذي يتحير من بطلانه.

(٤) تكنعون: تذلون وتخضعون.

فباعد الله كل البعد داركم ولا شفاكم من الأضغان والحسد

فرأى عصيانهم الكبير من أقبح العيب وأدله على ضغن بعضهم لبعض
وحسد بعضهم بعضاً، والوضيع ينقلب إلى الشريف، لأنه يرى مقاولته فخراً
والاجترأ عليه ربحاً، كما أن مقالة الشريف اللئيم ذل وضعة. وقال الشاعر:

إذا أنت قاوت اللئيم فإنما يكون عليك العتب حين تقاؤه
ولست كمن يرضى بما غيره الرضا ويمسح رأس الذئب والذئب آكله

وسنسبع في هذا المعنى إن شاء الله. وفي هذا الشعر بيت يقدم في باب
الفتك وهو:

فلا تقربن أمر الصريمة^(١) بامرئ إذا رام أمراً عوقته عواذله
(وقل للفؤاد إن ترى بك نزوة من الروع أفرخ أكثر الروع باطله)

الصريمة العزيمة وقد امتنع قوم من الجواب تنبلاً ومواضعهم تنبؤ عن
ذلك، وامتنع قوم عياً بلا اعتلال، وامتنع قوم عجزوا واعتلوا بكرامة السفه
وبعضهم معتل برفعة نفسه عن خصمه وبعضهم كان يسبه الرجل الركيك^(٢) من
العشيرة فيعرض^(٣) ويسب سيد قومه. وكانت الجاهلية^(٤) ربما فعلته في الدخول.
قال الراجز:

إن بجيلاً كلماً هجاني مت على الأغطش أو أبان
أو طلحة الخرقتي الفتيان أولاك قوم شأنهم كشاني
ما نلت من أعراضهم كفاني وإن سكت عرفوا أحساني

وقال أحد المحدثين:

(١) الصريمة: العزم وقطع الأمر.

(٢) الركيك: الضعيف.

(٣) فيعرض: يريد أنه يترك ذلك الركيك ويذهب إلى سيد قوم ذلك الرجل فيسبه ويستقم لنفسه منه.

(٤) وكانت الجاهلية ربما فعلته: يريد أنهم كانوا يأنفون أن يأخذوا الثار من الوضيع إذا جنى جناية
ولكن يذهبون إلى الشريف من قومه فيأخذون بالثار منه فيكون في ذلك شفاء لأنفسهم.

إني إذا هَرَّ كَلْبُ الْحَيِّ قَلْتُ لَهُ اسْلَمْ وَرُبُّكَ مَخْنُوقٌ^(١) عَلَى الْجَرِّ
قوله اسلم فاستأنف بألف الوصل، لأن النصف الأول موقوف عليه. قال
الشاعر:

وَلَا يُبَادِرُ فِي الشِّتَاءِ^(٢) وَلَيْدُهَا الْقَدَرُ يُنْزِلُهَا بِغَيْرِ جِعَالِ
الْجِعَالُ: الذي يوضع فيه البرمة وربما تُوقِيَتْ به حرارتها. قال الراجز:
لَا نَسَبَ الْيَوْمَ وَلَا خَلَّةً اتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ
وهذا كثير غير معيب، وفي مثل اختيار النبيل لتكافأ الأعراض قولُ
الأخطل:

شَفَى النَّفْسَ قَتَلَى مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ وَلَمْ يَشْفِهَا قَتَلَى غَنِيٍّ وَلَا جَسِرٍ^(٣)
وَلَا جُشَمَ شَرِّ الْقَبَائِلِ انْهَاجَ كَبَيْضِ الْقَطَا لَيْسُوا بِسُودٍ وَلَا حُمْرٍ
وَلَوْ بَيْنِي ذُبْيَانٌ بُلْتُ رِمَاحُنَا لَقَرَّتْ بِهِمْ عَيْنِي وَبَاءَ بِهِمْ وَتَرِي
وقال رجل من المُحَدِّثِينَ وهو حَمْدَانُ بْنُ أَبَانَ الْأَحْقَبِيُّ:

أَلَيْسَ مِنَ الْكِبَائِرِ أَنْ وَغْدًا لَأَلَّ مَعْدَلٌ يَهْجُو سَدُوسًا
هَجَا عِرْضًا لَهُمْ غَضًّا جَدِيدًا وَأَهْدَفَ عِرْضَ وَالِدِهِ الْبَيْسَا
وقال آخر:

الْكَؤُومُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ وَالْكَؤُومُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا
قَوْمٌ إِذَا جَرَّ^(٤) جَانِي قَوْمِهِمْ أَمْنُوا مِنْ لُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدَا

(١) وربك مخنوق على الجر: يذكر أنه مطبق عليه مؤاخذه بما فعل

(٢) لا يبادر في الشتاء: يذكر أن من يصفهم ليسوا أهل قحط وجذب حتى إذا طبخوا لم يسرعوا بل أنزال
القدور إغاثة لأولادهم من الجوع.

(٣) جسر هو ابن عمرو بن علة بضم الغين وابن شيع الله بفتح الشين وابن محارب وابن تيم
الله وأبو حي في قضاة.

(٤) رفلان على نفسه وعلى غيره جريرة إذا جنى جنابة.

الَلُوم داءٌ لَوْنِر يُقْتَلُونَ بِهِ لَا يُقْتَلُونَ بِدَاءٍ غَيْرِهِ أَبَداً
وقال أحدُ المُحَدِّثِينَ (هُوَ دِعْبَلُ).

أما الهجاء فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَاذْهَبِ فَإِنَّ عَتِيقَ عِرْضِكَ أَنَّهُ عِرْضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ
وقال آخر:

نُبِئتُ كَلْباً هَابٌ^(١) رَمِيَّ لَهُ يُنْبِئُنِي مِنْ مَوْضِعِ نَائِي
لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ هَجُونَاكَ أَوْ لَوْ نَلْتُ لِلشَّايِعِ وَالرَّائِي
فَعَدُّ عَنْ شَتْمِي فَإِنِّي أَمْرُءُ حَلَمْنِي قِلَّةَ أَكْفَائِي
وقال آخر (هُوَ دِعْبَلُ):

فَلَوْ أَنِّي بُلِيتُ بِهِاشْمِي خُوِّلْتُهُ بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ
صَبَرْتُ عَلَى عِدَاوَتِهِ وَلَكِنْ تَعَالَى فَأَنْظِرِي بَمَنْ ابْتَلَانِي

حلم الأحنف

ووقف رجل عليه مُقَطَّعَاتُ^(٢) عَلَى الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ يَسِبُهُ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ جَعَلَ لَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ عَلَى أَنْ يُسَفَّهُ^(٣) الْأَحْنَفَ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُوا أَنْ يَسِبَهُ سَبّاً يُغْضِبُ، وَالْأَحْنَفُ مُطَرِّقٌ صَامِتٌ. فَلَمَّا رَأَاهُ لَا يَكْلِمُهُ أَقْبَلَ الرَّجُلُ يَعْصُ أُبْهَامِيهِ وَيَقُولُ: يَا سَوَاتَاهُ، وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُهُ مِنْ جَوَابِي إِلَّا هَوَانِي عَلَيْهِ. وَفَعَلَ ذَلِكَ آخَرُ فَأَمْسَكَ عَنْهُ الْأَحْنَفُ فَأَكْثَرَ الرَّجُلُ إِلَى أَنْ أَرَادَ الْأَحْنَفُ الْقِيَامَ لِلْغَدَاءِ فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا إِنْ غَدَاءَنَا قَدْ حَضَرَ فَانْهَضْ بِنَا إِلَيْهِ إِنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُدُّ الْيَوْمِ تَحْدُو بِجَمَلٍ ثَقَالٍ. وَالثَّقَالُ مِنَ الْإِبِلِ الْبَطِيءِ الثَّقِيلِ الَّذِي لَا يَكَادُ

(١) هَابٌ رَمِيَّ لَهُ: جملة في موضع الصفة.

(٢) مقطعات: بفتح الطاء المشددة القصار من الثياب ولا واحد له من لفظه وإنما الواحد ثوب.

(٣) يسفه: يخرج عن الحلم إلى الجهل والطيش فتعد سقطه منه فيعتد بها عمرو عليه وقد ظفر عمرو بما أراد من الأحنف هذه المرة لأنه جهل على عمرو وخرج عن حلمه الذي كان طبعاً له.

ينبعث. وعُدَّتْ على الأحنف سَقَطَةً في هذا الباب، وهو أن عمرو بن الأهتم دَسَّ إليه رجلاً ليسفّهه فقال له: أبا بَحْرٍ ما كان أبوك في قومه، قال: كان من أوسطهم لم يَسُدُّهُمْ ولم يتخلف عنهم، فرجع إليه ثانية ففَطَنَ الأحنف أنه من قَبْلِ عمرو فقال: ما كان مال أبيك؟ فقال كانت له صِرْمَةٌ^(١) يَمْنَحُ منها ويَقْرِي ولم يك أهتم سَلَاحاً. وجُعِلَ لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه، ولم تكن في موضع مَرَضِيٍّ، فأتاه الرجل وهو بمصر أمير عليها فقال، أردت أن أعرف أم الأمير، فقال نعم كانت من عَنَزَةٍ ثم من بني جِلَّانَ تُسَمَّى لَيْلَى وتُلَقَّبُ النابغة، اذْهَبْ وَخُذْ ما جُعِلَ لك. وقال له مرة المنذر بن الجارود أي رجل أنت^(٢) لولا أمك؟ قال: فإني أحمَدُ الله إليك إني فَكَّرْتُ في هذه البارحة فأقبلت أنقلها في قبائل العرب فما خطرت لي عبدُ القيس^(٣) على بال. ودخل عمرو مكة فرأى قوماً من قريش قد جلسوا حَلَقَةً فلما رآوه رَمَوْهُ بأبصارهم فَعَدَلَ إليهم فقال: أَحْسِبُكُمْ كنتم في شيء من ذكري، قالوا: أَجَلْ كُنَّا نُمِيلُ بينك وبين أخيك هشام، أَيُّكُما أَفْضَلُ؟ فقال عمرو: إن لهشام علي أربعة. أُمّة ابنة هشام بن المغيرة وأمي مَنْ قد عَرَفْتُمْ، وكان أَحَبَّ إلى أبيه مني وقد عرفت معرفة الوالد بالولد، وَأَسْلَمَ قَبْلِي، وَأَسْتَشْهَدُ وَبَقِيْتُ. وقد أكثر الناس في الباب الذي ذكرناه وإنما نذكر من الشيء وجوهه ونوادره. قال رجل لرجل من آل الزبير كلاماً أَقْدَعَ له فيه فأعرض الزبيري عنه، ثم دار كلامٌ فسب الزبيري علي بن الحسين فأعرض عنه، فقال له الزبيري، ما يمنعك من جوابي؟ فقال علي: ما منعك من جواب الرجل. وقد رُوِيَ قولُ القائل لو قلت واحدة لسمعتَ عشرًا فقال له الرجل. ولكنك لو قلت عشرًا ما سمعتَ واحدة. وقال الشاعر:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسُبُّني فأجوز ثم أقول لا يعنيني

(١) الصرمة بالكسر القطعة من الابل.

(٢) أي رجل أنت: يريد أنت رجل عظيم القدر راجع العقل نابه الذكر لولا أمك.

(٣) فما خطرت لي عبد قيس على بال: هنا تعريض بالمنذر بن الجارود فإنه منهم.

وقال رجل لرجل، وسبه فلم يلتفت إليه: إياك أعني. فقال له الرجل
وعنك أعرض. فأما قول الشعبي للرجل ما قال، فمن غير هذا الباب وإنه
مُخْرِجُهُ الدِيَانَةَ وذلك أن رجلاً سب الشعبي بأمور قبيحة نسبه إليها فقال
الشعبي: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فغفر الله لك وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فغفر الله لي. وقال أبو
العباس: قال رجل لأبي بكر الصديق رحمه الله لَأَسُبَّنَكَ سباً يَدْخُلُ مَعَكَ قَبْرُكَ
فقال: رأيت رجلاً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا أحسن لباساً ولا أَفْرَةً مَرْكَباً
منه فسألت عنه فقيل لي الحسن بن علي بن أبي طالب. فامتألت له بُغْضاً
فَصِرْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ أَنْتَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: أَنَا ابْنُ ابْنِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: فِيكَ
وَبِكَ وَبِأَبَيْكَ أَسْبُهُمَا. فقال: أَحَبُّكَ غَرِيباً، قُلْتُ أَجَلٌ، فقال: إِنْ لَنَا مَنْزَلاً
وَاسِعاً وَمَعُونَةً عَلَى الْحَاجَةِ وَمَالاً نُوَاسِي مِنْهُ، فَانْطَلَقْتُ وَمَا أَجِدُ عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ أَحَبَ مِنْهُ). ويتصل بهذا الباب ذِكْرُ مَنْ رَغِبَ بِرَجُلٍ عَنْ إِرْثِ رَجُلٍ لَا
يَشَاكِلُهُ وَوَلَايَةِ رَجُلٍ لَا يَشَابِهُهُ. قال الشاعر.

بَكَتْ دَارُ بَشِيرٍ شَجْوَهَا (١) أَنْ تَبْدَلَتْ (٢)
وَمَا هِيَ إِلَّا كَالْعُرُوسِ تَتَّقِلُ عَلَى رَغْمِهَا مِنْ هَاشِمٍ فِي مُحَارِبٍ
وقال الفرزدق، حين ولي العراق عمر بن هبيرة الفزاري يعقب مسلمة ابن
عبد الملك.

راحت بمسلمة البغال عشيّة	فارعي (٣) فزارة لا هناك المَرْتَعُ
ولقد علمت إذا فزارة أمّرت	أن سوف يطمّع في الإمارة أشجع
فأرى الأمور تنكّرت أعلامها (٤)	حتى أمية عن فزارة تُنزع
عزل ابن بشر وابن عمرو قبله	وأخو هراة لمثلها يتوقع

فلما ولي خالد بن عبد الله القسري على عمر بن هبيرة، قال رجل من

(١) شجوها: نصب على أنه معقول لأجله والشجو الحزن.

(٢) إن تبدلت: أي لأن تبدلت.

(٣) أرعى قزارة: هذا مثل يستعمل للدلالة على إطلاق يدها في العراق.

(٤) تنكّرت أعلامها: يريد أراها تغيرت وتبدلت من حسن إلى سيء.

بني أسد يجيب الفرزدق :

عَجَبَ الْفَرَزْدَقُ مِنْ فَرَارَةِ أَنْ رَأَى عَنْهَا أُمِّيَّةً بِالْمَشَارِقِ تَنْزَعُ
فَلَقَدْ رَأَى عَجَباً وَأُحْدِثَ بَعْدَهُ أَمْرٌ تَضِجُ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَفْزَعُ
بَكَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ فَرَارَةِ شَجْوَهَا فَالْيَوْمَ مِنْ قَسْرِ تَذَوُّبٍ وَتَجَزَعُ
وَمَلُوكُ خِنْدِفٍ أَسْلَمُونَا لِلْعَدَى لِلَّهِ دَرُّ مَلُوكِنَا مَا تَصْنَعُ
كَانُوا كَتَارِكَةً^(١) بَيْنَهَا جَانِباً سَفَهَاءَ وَغَيْرَهُمْ تَصُونُ وَتُرْضَعُ

قال أبو العباس : وكان الفرزدق هجاءً لعمر بن هبيرة عند ولايته العراق .

وفي ذلك يقول ليزيد بن عبد الملك بن مروان :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ بَرٌّ أَمِينُ لَسْتُ بِالطَّبِيعِ الْحَرِيصِ
أَطْعَمْتَ الْعِرَاقَ وَرَأْفَدِيهِ فَرَارِيًّا أَحْذَى يَدِ التَّمِيصِ
تَفْهَقُ^(٢) بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمُثَنَّى وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكْلَ الْخَبِيصِ
وَلَمْ يَكْ^(٣) قَبْلَهَا رَاعِي مَخَاضٍ^(٤) لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرِكَيْ قُلُوصِ

قوله : لست بالطبيع الحريص فالطبيع الشديد الطمع الذي لا يفهم لشدة طعمه ، وإنما أخذ هذا من طبع السيف يا فتى وهو سيف طبع إذا ركب الصدا حتى يغطي عليه . والمثل من هذا في الذي طبع على قلبه إنما هو تغطية وحجاب ، يقال : طبع الله على قلب فلان كما قال جل وعز : ﴿ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾^(٥) هذا الوقف . ثم قال : ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾^(٦) . وكذلك رين على قلبه عين على قلبه فالرئين يكون من أشياء

(١) كانوا كتاركة : يريد كالنعامة وذلك أنها إذا حضت بيض غيرها حضنة ونسيت بيض نفسها يصف بني أمية بالحق والسفه .

(٢) تفهق في العراق : امتد واتسع .

(٣) لم يك قبلها : يرمي عمر بن هبيرة بغشيان الإبل .

(٤) المخاض : الحوامل من النوق واحدها خلفه يفتح فكسر .

(٥) سورة النحل : الآية رقم ١٠٨ .

(٦) سورة البقرة : الآية رقم ٧ .

تَأَلَّفُ عَلَيْهِ فَتَغْطِيهِ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١) وَأَمَّا غَيْنٌ عَلَى قَلْبِهِ فَهِيَ غَشَاوَةٌ تَعْتَرِيهِ، وَالْغَيْنَةُ الْقِطْعَةُ مِنَ الشَّجَرِ الْمَلْتَفُ تَغْطِي مَا تَحْتَهَا. قَالَ الشَّاعِرُ:

كَأَنِّي بَيْنَ خَافِيَتِي عُنَابٍ أَصَابَ حَمَامَةً فِي يَوْمِ غَيْنٍ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرَادَ فِي التَّنَافُي مِنَ الظُّلْمَةِ. وَقَالَ آخَرُونَ: أَرَادَ فِي يَوْمِ غَيْمٍ فَأَبْدَلَ مِنَ الْمِيمِ نُونًا لِاجْتِمَاعِ الْمِيمِ وَالنُّونِ فِي الْغَنَةِ، كَمَا يُقَالُ لِلْحَبَّةِ أَيْمٌ وَأَيْنٌ وَاسْتَجَازَتِ الشُّعْرَاءُ أَنْ تَجْمَعَ الْمِيمُ وَالنُّونُ فِي الْقَوَافِي لَمَّا ذَكَرْتَ لَكَ مِنْ اجْتِمَاعِهِمَا فِي الْغَنَةِ. قَالَ الرَّاجِزُ:

بُنِيَ إِنْ الْبِرِّ شَيْءٌ هَيْنٌ الْمَنْطِقُ اللَّيْنُ وَالطَّعِيمُ
وَقَالَ آخَرُ:

مَا تَنْقُمُ الْحَرْبُ الْعَوَانَ^(٢) مَنِ الْبَازِلُ^(٣) عَامِينَ حَدِيثُ سِنِّي
لِيُمِثِلَ هَذَا وَلَدَّتْنِي أُمِّي

وَالْعِرَاقَانِ الْبَصْرَةُ وَالْكُوفَةُ، الرَّافِدَانِ دِجْلَةُ وَالْفُرَاتُ. وَقَوْلُهُ: أَحْذِ يَدَا الْقَمِيصِ، الْأَحْذِ الْخَفِيفُ. قَالَ طَرَفَةُ^(٤) وَأَتْلَعُ^(٥) نَهَاضُ أَخْذُ مُلْمَلَمٌ^(٥). وَإِنَّمَا نَسَبَهُ بِالْخَفَةِ فِي يَدِهِ إِلَى السَّرْقِ وَقَوْلُهُ: تَفْهَقُ أَيِ امْتَلَأَ مَاءً، يُقَالُ بَثْرُ تَفْتَقُ وَغَدِيرٌ يَفْهَقُ إِذَا امْتَلَأَ مَاءً. قَالَ الرَّاجِزُ:

لَا ذَنْبَ لِي قَدْ قَلْتُ لِلْقَوْمِ اسْتَقُوا وَالْقَوْمُ فِي عُرْضِ غَدِيرٍ يَفْهَقُ
وَقَالَ الْأَعَشَى فِي مَدْحِهِ، الْمُحَلَّقُ بْنُ حَنْتَمٍ أَحَدُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابٍ.

(١) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: الْآيَةُ رَقْمُ ١٤.

(٢) الْحَرْبُ الْعَوَانُ بَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُرْتَدَّةِ الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

(٣) الْبَازِلُ: مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي تَمَّ ثَمَانِي سَنِينَ وَدَخَلَ فِي الثَّاسِعَةِ وَحِينَئِذٍ يُطْلَعُ نَابُهُ وَتَكْمَلُ قُوَّتُهُ ثُمَّ يُقَالُ بَعْدَ ذَلِكَ بَازِلٌ عَامٌ وَبَازِلٌ عَامِينَ.

(٤) الْأَتْلَعُ: طَوِيلُ الْعُنُقِ.

(٥) الْمُلْمَلَمُ: بِفَتْحِ اللَّامَيْنِ الْمُجْتَمِعِ الْمَضْمُونِ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ.

نَفَى الدَّمَّ عَنْ وَهْطِ الْمُحَلَّقِ جَنْفَهُ كجابية الشيخ العراقي تَمْهَقُ

هكذا رواية أبي عبيدة . وقوله :

وَلَمْ يَكُ قَبْلِهَا رَاعِي مَخَاضٍ لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرَكِي قُلُوصٍ

كانت بنو فزارة تُرْمَى بغشيان الإبل ولذلك قال ابن دارة :

في عزل ابن هبيرة

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتُ بِهِ عَلَى قَنُوصِكَ وَاکْتُبَهَا بِأَسْيَارٍ^(١)

فلما عَزَلَ ابن هُبَيْرَةَ وحبسَه خالد بن عبد الله القسري قال الفرزدق :

لِعَمْرِي لَنْ نَابَتْ فَزَارَةٌ نَوْبَةً لَمِنْ حَدَثٍ^(٢) الْأَيَّامُ تَحْبِسُهَا قَسْرُ
لَقَدْ حَبَسَ الْقَسْرِيُّ فِي سَجْنٍ وَاسِطٍ فَتَى شَيْطَظِمِيًّا مَا يُنْهِنُهُ الرُّجْرُ
فَتَى لَمْ تُرَبِّهِ النَّصَارَى وَلَمْ يَكُنْ غِذَاءً لَهُ لَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَالْخَمْرُ

الشَّيْظَمِيُّ الطَّوِيلُ . قال ذو الرمة :

إِذَا مَا رَمَيْنَا رَمِيَّةً فِي مَغَازِرٍ عِراقِيَّهَا بِالشَّيْظَمِيِّ الْمُوَأَشِكِ^(٣)

يريد حادياً يسوقها . وقوله : مَا يُنْهِنُهُ الرُّجْرُ يقول ما يَحْرِكُهُ . وقوله : فتى لا
تربية النصارى يَنْبُهُ به على أم خالد وكانت نصرانية رومية وكان أبوه استلبها في
يوم عيد للروم فأولدها خالداً وأسداً ، ولذلك يقول الفرزدق :

أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ ظَهْرَ مَطِئِيَّةٍ أَتَنَّا تَهَادَى مِنْ دِمَشْقَ بِخَالِدٍ
وَكَيْفَ يَوْمَ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ أُمُّهُ تَدِينُ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِوَاحِدٍ

وقال ؛

عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ وَأَصْحَابِهِ لَا ظَهَرَ اللَّهُ خَالِدًا

(١) اكتبها بأسيار: أي اختم خبائها ثلاثاً وترو عليها يقال كتب الناقة في باب ضرب ونصر .

(٢) لمن حدث الأيام يريد أن في نواتب الدهر وحوادثه أن خالداً يحبس سيد بني فزارة ورئيسها .

(٣) الموأشك: المسرع المجذ .

بني بيعة فيها الصليب لأمه ويهدم من بغض الصلاة المساجد
وكان سبب هدم خالد منار المساجد حتى حطها عن دور الناس : أنه بلغه
شعر لرجل من الموالي موالى الانصار وهو:

ليتني في المؤذنين حياتي إنهم يتصرون من في السطوح
فيشيرون أو تشير إليهم بالهوى كل ذات دل مليح
فحطها عن دور الناس . ويروي عنه فيما روي من عتوه أنه استغفى من
بيعة بناها لأمه . فقال لأمه من المسلمين : قبح الله دينهم إن كان شراً من
دينكم . وقال الفرزدق لابن هبيرة حيث نكب له السجن وهرب وسار تحت
الأرض وهو وابنه حتى نفذا:

لما رأيت الأرض قد سدت ظهرها ولم يبق إلا بطنها لك مخرجا
دعوت الذي ناداه يونس بعدما ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا
فأصبحت تحت الأرض قد سرت سيرة وما سار سار مثلها حيث أدلجا
خرجت ولم يمتن عليك طلاقاً سوى ربيد^(١) التقريب^(٢) من آل أعوجا^(٣)

فقال ابن هبيرة : ما رأيت أشرف من الفرزدق ، هجاني أميراً ومدحني
أسيراً.

شرح الأبيات

قوله حيث أدلجا تقول : أدلجت إذا سرت في أول الليل وأدلجت إذا
سرت من آخره في السحر . قال زهير :
بكرن بكوراً وأدلجن بسخرة فهن لوادي^(٤) الرأس كاليد للفم

(١) الربد بفتح الراء وكسر الباء الموحدة : الخفيف القوائم في المشي .

(٢) التقريب : ضرب من العدو أو أن يرفع يديه معاً ويضمهما معاً .

(٣) أعوج : فرس لبني هلال تنسب إليه الاعوجيات كان لكندة فأخذته سليم ثم صار إلى بني هلال
وفرس أيضاً كان لغني بن أعصر وهو الذي أشار إليه أبو العباس .

(٤) الرأس بالفتح واد بأذريجان كان فيه ألف مدينة - وهنا يصف سرعة الابل في ذلك الوادي وقوتها
على قطعه شبه نقل خطاها وهي تسرع في مشيها باليد التي تسرع في تناول الطعام إلى الفم .

وأَعْوَجُ فرس كان لَغْنِيٍّ . وقالوا: كان لبني كلاب ولا يُنْكِرُ هذا لأن حبيبة بنت رياح الغنوية ولدت لبني جعفر بن كلاب فلعله أن يكون صار إلى بني جعفر بن كلاب من غنى، والعرب تنسب الخيل الجياد إلى أَعْوَجَ وإلى الوجيه ولا جِيَّ^(١) والغراب واليَحْمُوم^(٢) . وما أشبه هذه الخيل من المتقدّمات . قال زيد الخيل:

جلبنا الخل من أجبا وسلّمى تخبُّ نَسْرَائِعاً^(٣) خَبَبَ الذئاب
جلبنا كلَّ طَرْفٍ^(٤) أَعْوَجِي وسلهبة^(٥) كخافية العقاب

ثم نرجع إلى التشبيه المصيب . قال امرؤ القيس في طول الليل:

كأن الثريا علقت في مصامها بأفراس كتانٍ إلى صمّ جندل

فهذا في ثبات الليل وإقامته، والمصام المقام وقيل للممسك عن الطعام: صائم، لثباته على ذلك . ويقال صام النهار إذا قامت الشمس . قال امرؤ القيس:

فَدَعِهَا^(٦) وَسَلَّ الهمَّ عنكَ بِجَسْرَةٍ^(٧) دَمُولٍ إذا صام^(٨) النهار وهَجَرَا^(٩)

(١) لاحق: إسم أفراس كانت معروفة فرس كان لغني بن أعصر وكان لمعاوية بن أبي سفيان وكان لعتيبة بن الحرث بن شهاب وكان الحازوق الخارجي ولاحق الأصغر كان لبني أسد .
(٢) اليحوموم: أسم أفراس أيضاً فرس كان للنعمان بن المنذر وفرس كان لحسان الطائي وفرس كان هشام بن عبد الملك من نسل الحرون وفرس كان للحسين بن علي رضي الله عنهما والغراب اسم فرس لغني .

(٣) النزائع جمع نزيرة وهي من النجائب التي تجلب إلى غير بلادها .

(٤) الطرف بالكسر الفرس الكريم .

(٥) السهبة: من الخيل ما عظم وطال عظامه وشبه ضلوعه يريش العقاب في عظمها وهيئتها في الإنحاء .

(٦) فدعها: الضمير يعود إلى أسماء ذكرها .

(٧) بجسرة: الجسرة: بالفتح الناقة القوية التي تحسر على الهول والسير .

(٨) صام النهار: أقام قائم الظهيرة فيه .

(٩) فجرة من الفجرة وهي عند اشتداد الحر في نصف النهار .

وقال النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكَ الْمَجْمَا
وَالْأَمْرَاسُ جَمْعُ مَرَسٍ وَهُوَ الْحَبْلُ قَالَ : أَبُو زُبَيْدٍ يَرِثِي غَلَامَهُ وَتَعْرِضُ
لِلْحَرْبِ فَيُقْتَلُ :

أَمَّا تَعْلُكُ بِكَ الرَّمَا حُ فَلَا أَبْكِيكَ إِلَّا لِلدَّلْوِ وَالْمَرَسِ
وقال في ثبات^(١) الليل :

فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْوَمَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْقَتْلُ شُدَّتْ بِيَذْبُلُ
المغار الشديد القتل . يقال : أَغْرَزْتُ الْحَبْلَ إِذَا شَدَدْتَ قَتْلَهُ ، وَيَذْبُلُ جَبَلٌ
بِعَيْنِهِ ، وَقَالَ أَيْضاً :

كَأَنَّ أَبْسَاناً فِي أَفَانِينَ وَدَّقِهِ كَبُرَ إِنْسَانٍ فِي بَجَادٍ^(٢) مُزْمَلٍ^(٣)
أَبَانُ جَبَلٌ ، وَهُمَا أَبَانَانِ أَبَانُ الْأَسْوَدِ وَأَبَانُ الْأَبْيَضِ .

للمهلهل

قال : مُهْلَهْلٌ وَكَانَ نَزَلَ فِي آخِرِ حَرْبِهِمْ حَرْبِ الْبَسُوسِ فِي جَنْبِ بْنِ
عَمْرِو بْنِ عُلَّةَ بْنِ جَلْدِ بْنِ مَالِكٍ ، وَهُوَ مَذْجَحٌ وَجَنْبٌ حَيٌّ مِنْ أَحْيَائِهِمْ وَضِيعٌ
فَخُطِبَتْ ابْنَتُهُ وَمُهِرَتْ أَدَمًا ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ فَرَوَّجَهَا وَقَالَ :
أُنْكَحَهَا^(٤) فَقَدْ هَا إِلَّا رَاقِمٌ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْجَبَاءُ مِنْ أَدَمٍ

(١) وقال في ثبات الليل : يعني أمراً القيس وهذا البيت قبل قوله كان الثريا الخ والأول يغني عن الثاني
لأن معناه واحد لأن النجوم تشتمل على الثريا كما أن بذبل يشتمل على صم جندل وقوله
بأمراس كنان مثل قوله بكل مغار القتل .

(٢) البجاد : الكساء المخطط .

(٣) المزمل : المدثر بالثياب .

(٤) أنكحها : يريد الذي اضطرني إلى نكاحها في جنب إنما هو فقد هذا يدفع عني من عشيرتي ولو جاء
أحد يخطبها وليس بكفوء .

لو بأبائين^(١) جاء يخطبها ضُرُجُ ما أنْفُ خاطِبِ يدم
 وقوله في أفانين ودقه يريد ضروباً من ودقه، والودُقُ المطر. قال الله تبارك
 وتعالى: ﴿فَتَرَى الْوَدُقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾^(٢) وقال عامر بن جُوَيْنٍ الطائي:
 فلا مُزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا ولا أرض أبْسَلْ أبْقَالَهَا
 وقوله: كبير أناس في بجاد مزمل، يريد مزملًا بشيابه. قال الله تبارك
 وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣) وهو الْمُتَزَمِّلُ والتاء مدغمة
 في الزاي، وإنما وَصَفَ امرؤ القيس العيث فقال قوم؛ أراد أن المطر قد خَنَقَ
 الجبل فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل. وقال آخرون: إنما أراد ما كساه
 المطر من خضرة النبت. وكلاهما حَسَنٌ. وذكر الودق لأن تلك الخضرة من
 عمله.

الراجز يصف غيماً

وقال الراجز يصف غيماً:
 أَقْبَلُ فِي الْمُسْتَنِّ^(٤) مِنْ رَبَابِهِ أَسْمَةٌ^(٥) الْإِبَالِ^(٦) فِي سَحَابِهِ
 أراد أن ذلك السحب بُنِيتُ ما تأكله الإبل فتصير شحومها في أَسْمَتِهَا،
 والرَّباب سحاب دُوَيْنَ الْمُعْظَمِ من السحاب، قال المازني:
 كَانَ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السَّحَابِ نَعَامٌ يُعْلَقُ بِالْأَرْجَلِ
 وقوله جل وعز: ﴿أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾^(٧) أي أعصر عنباً فيصير إلى هذه
 الحال. وقال زهير:

(١) أبابان: جبلان أحدهما شرقي الحاجر فيه نخل وماء والثاني لبني فزارة.

(٢) سورة النور: الآية رقم ٤٣.

(٣) سورة المزمل: الآية رقم ١.

(٤) المستن: المضطرب.

(٥) الاسمة: جمع سنام.

(٦) الإبال: جمع الإبل.

(٧) سورة يوسف: الآية رقم ٣٦.

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَّلْنَ بِهِ حَبُّ الْغَنَّا لَمْ يَحْطُمْ

الغنا شجر بعينه يُثْمِرُ ثَمراً أحمر ثم يتفرق في هيئة النبق الصغار. فهذا من أحسن التشبيه، وإنما وصف ما يسقط من أنماطهن إذا نَزَّلْنَ. والعِهْنُ الصوفُ المُلَوَّنُ في قول أكثر أهل اللغة. وأما الأصمعي فقال: كل صوف عهن، وكذلك قال أهل اللغة: الحَتَمُ الخَزَفُ الأخضر. وقال الأصمعي: كل خزف حنتم. قال القرشي:

مَنْ مُبْلِغُ الْحَسَنَاءِ أَنْ حَلِيلَهَا بِمَيْسَانَ^(١) يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَتَمٍ^(٢)

وقال جرير:

مَا فِي مَقَامِ دِيَارٍ تَغْلِبُ مَسْجِدُ وَبِهَا كُنَائِسُ حَنْتَمٍ وَذِيَانٍ

والتشبيه جارٍ كثير في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يُعَدَّ.

بعض ما قيل في الآيات القرآنية

قال الله عز وجل: وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى: ﴿الزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾^(٣). وقال: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^(٤) وقد اعترض معترض من الجهلة المُلْحِدِينَ في هذه الآية. فقال: إنما يُمَثَّلُ الغائب بالحاضر ورؤوس الشياطين لم نرها، فكيف يقع التمثيل بها وهؤلاء في هذا القول؟ كما قال الله جل وعز: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾^(٥).

(١) ميسان: كورة بين واسط والبصرة.

(٢) الحنتم: جرار خضر كانت تحمل الحمر فيها ثم اتسع فيها فتبيل للخزف كله حنتم.

(٣) كوكب دري: مضيء متلألئ.

(٤) سورة النور: الآية رقم ٣٥.

(٥) سورة الصافات: الآية رقم ٦٥.

(٦) سورة يونس: الآية رقم ٣٩.

وهذه الآية قد جاء تفسيرها ضربين، أحدهما: أن هناك شجراً يقال له الأستين^(١) منكر الصورة، يقال لثمره: رؤوس الشياطين، وهو الذي ذكره التابغة في قوله: (تَحِيدُ مِنْ أَسْتِينَ سُوْدٍ أَسَافِلُهُ). وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى الصَّوْمَ. والقول الآخر: وهو الذي يسبق إلى القلب أن الله جل ذكره شَنَّعَ صورة الشياطين في قلوب العباد. وكان ذلك أبلغ من المعاينة ثم مثَّلَ هذه الشجرة بما تنفِّرُ منه كلُّ نفس.

حديث العجلي مع هشام بن عبد الملك

وَحَدَّثْتُ فِي إِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ أَنَّ أَبَا النَّجْمِ الْعَجَلِيَّ أَنْشَدَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (وَالشَّمْسُ قَدْ صَارَتْ كَعَيْنِ الْأَحُولِ) لَمَّا ذَهَبَ بِهِ الرَّوِيُّ عَنِ الْفِكْرِ فِي عَيْنِ هِشَامٍ، فَأَغْضَبَهُ، فَأَمَرَ بِطَرْدِهِ فَأَمَّلَ أَبُو النَّجْمِ رَجْعَتَهُ. وَكَانَ يَأْوِي إِلَى الْمَسَاجِدِ فَأَرَقَ هِشَامٌ لَيْلَةً، فَقَالَ لِحَاجِبِهِ: أَبْغِنِي رَجُلًا غَرِيبًا فَصِيحًا يَحَادِثُنِي وَيُنَشِّدُنِي. فَطَلَبَ لَهُ مَا طَلَبَ فَوَقَفَ عَلَى أَبِي النَّجْمِ فَأَتَى. فَلَمَّا دَخَلَ بِهِ إِلَيْهِ. قَالَ: أَيْنَ تَكُونُ مِنْذُ أَقْصَيْنَاكَ؟ قَالَ: بِحَيْثُ الْقَنْيِ رُسُلُكَ. قَالَ: فَمَنْ كَانَ أَبَا مَثْوَاكَ^(٢)؟ قَالَ رَجُلَيْنِ كَلْبِيًّا وَتَغْلَبِيًّا أَتَغْلِي عِنْدَ أَحَدِهِمَا وَتُتَعَشَى عِنْدَ الْآخَرِ. فَقَالَ لَهُ مَالِكُ بْنُ الْوَلَدِ؟ قَالَ ابْنَتَانِ. قَالَ: أَرَزَوُجْتَهُمَا؟ قَالَ زَوَّجْتُ إِحْدَاهُمَا. قَالَ: فَبِمَ أَوْصَيْتَهَا. قَالَ قُلْتُ لَهَا لَيْلَةً أَهْدَيْتَهَا.

سُبِّي الْحَمَاءُ^(٣) وَأَبْهَتِي^(٤) عَلَيْهَا وَإِنْ أَبَتْ فَارْذَلْفِي إِلَيْهَا
ثُمَّ اقْرَعِي بِالْوَدِّ^(٥) مِرْفَقَيْهَا وَجَدَّدي الْجَلْفَ^(٦) بِهِ عَلَيْهَا
(لَا تُخْبِرِي الدَّهْرَ بِذَاكَ ابْنَيْهَا)

(١) الأستين بالفتح: شجر ينمو في منابته فإذا نظر الناظر إليه شبهه بشخص من الناس.

(٢) أبو المثوى: رب المنزل.

(٣) الحماء: من كانت من قبل الزوج.

(٤) وابهتي: أي ابهتينا أي تنفرت علينا ما لم نقتله.

(٥) الود بالفتح: الودد.

(٦) الحلف بالكسر: العهد.

قال : فأوصيتها بغير هذا؟ قال ! نعم قلت :

أَوْصَيْتُ مِنْ بَرَّةٍ قَلْبًا حُرًّا بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحَمَامَةِ شَرًّا
لَا تَسْأَمِي نَهْكَ^(١) لَهَا وَضْرًا وَالْحَيِّ عُمِّيهِمْ بِشَرِّ طُرًّا
وَإِنْ كَسَوَكَ ذَهَبًا وَدُرًّا حَتَّى يَسْرُوا حُلُوَ الْحَيَاةِ مُرًّا

فقال هشام : ما هكذا أوصى يعقوب ولده . قال أبو النجم ولا أنا كييعقوب ولا بنتي كولده . قال : فما حال الأخرى . قال . قد دَرَجَتْ بين بيوت الحي ونفعتنا في الرسالة والحاجة . قال : فما قلتَ فيها . قال قلت :

كَانَ ظَلَامَةً أَخْتَ شَيْبَانَ شِيمَةً وَوَالِدَاهَا حَيَّانَ
الرَّأْسُ قَمْلُ كُلِّهِ وَسَيْبَانَ وَلَيْسَ فِي الرَّجُلَيْنِ إِلَّا خَيْطَانُ
(فهي التي يُذْعَرُ منها الشيطان)

قال : فقال هشام لحاجة : ما فعلتِ الدنانيرُ المختومةُ التي أمرتك بقبضها . قال : ها هي عندي ووزنها خمسمائة . قال : فادفعها إلى أبي النجم ليجعلها في رجل ظلامَةٍ ما كان الخيطين أقلَّ تراه قال . (فهي التي يذعر منها الشيطان) وإن لم يره لما قَرَّرَ في القلوب من نكارتِه وشناعته . وقال آخر :

وَفِي الْبَقْلِ إِنْ لَمْ يَدْفَعْ اللَّهُ شَرَّهُ شَيَاطِينُ يَغْدُو بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ .

وزعم أهل اللغة أن كل متمرّد من جنّ أو أنس يقال له شيطان . وأن قولهم : تَشَيْطَنَ . إنما معناه ، تَحَبَّثَ وتنكر . وقد قال الله جل وعز : ﴿ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾^(٢) قال الراجز :

أَبْصَرْتُهَا تَلْتِهِمُ الشُّعْبَانَا شَيْطَانَةٌ تَزَوَّجَتْ شَيْطَانَا

وقال امرؤ القيس :

(١) التهلكة : المبالغة في السب والشتم .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١١٢ .

أَتُوْعِدُنِي وَالْمَشْرِفِي^(١) مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرُق^(٢) كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

والغول لم يُخْبِرْ صادق قط أنه رآها. ثم نرجع إلى تفسير قول أبي النجم قوله: سُبِّي الحماة وأبتهتي عليها. إنما يريد أبتهتها، فوضع أبتهتي في موضع أكذبي فمن ثَمَّ وَصَلَهَا بعلي، والذي يستعمل في صلة الفعل اللام لأنها لام الإضافة، تقول لزيد ضربت ولعمرو أكرمت والمعنى عمراً أكرمت فإنما تقديره إكرامي لعمرو وضربي لزيد فأجرى الفعل مُجَرَّى المصدر. وأحسن ما يكون ذلك إذا تقدّم المفعول لأن الفعل إنما يجيء وقد عَمِلَتِ اللام كما قال الله جل وعز: ﴿إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٣) وإن آخر المفعول مغربي حسن والقرآن محيط بكل اللغات الفصيحة قال: قال الله عز وجل ﴿وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾^(٤) والنحويون يقولون في قوله جل ثناؤه: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم، إنما هو ردفكم﴾^(٥). وقال كثير:

أريد لأنسى ذكـرَهَا فكأنما تُمَثِّلُ لِي لَيْلَى بكل سبيل

وحروف الخفض يُبَدِّلُ بعضها من بعض إذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع. قال الله جل ذكره: ﴿ولا صليكنم في جذوع النخل﴾^(٦). أي على، ولكن الجذوع إذا أحاطت دخلت في لأنها للوعاء، يقال فلان في النخل، أي قد أحاط به. قال الشاعر:

هُم صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جَذَعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا^(٧)

(١) المشرفي: بالفتح في الميم والراء نسبة في مشارف الشام وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف يجلب منها السيوف المشرفية والمسنونة النضال المحدودة.

(٢) الزرُق: الصافية جداً. وقوله كأنياب أغوال إنما أراد أن يهول بهذا القول.

(٣) سورة يوسف: الآية رقم ٤٣.

(٤) سورة الزمر: الآية رقم ١٢.

(٥) سورة النحل: الآية ٧٢.

(٦) سورة طه: الآية رقم ٧١.

(٧) أجدعا: أي بأنف أجدع والجذع القطع يدعرو عليهم بالذل و بهر واخلاك.

وقال الله جل وعز: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾^(١) أي عليه . وقال
تبارك وتعالى : ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢)
أي بأمر الله . وقال ابن الطَّحْرِيَّةُ :

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ تَنْفُضُ الظِّلَّ بَعْدَمَا رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ اسْتَوَى فْتَرَقَّعَا
وقال الآخر :

غَدَتْ مَنْ عَلَيْهِ بَعْدَمَا مَا تَمَّ خِمْسُهَا تَصِلُ وَعَنْ قَيْضِ بَزِيزَاءٍ مُجْهَلٍ
أي من عنده . وقال العامري :

إِذَا رَضِيتُ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ^(٣) لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

وهذا كثير جداً . وقوله : وَإِنْ أَبَتْ فَازْدَلْنِي إِلَيْهَا ، يقول تقربني
ومن ذا سُمِّيتَ الْمُزْدَلِفَةُ . قال العَجَّاجُ :

نَاجٍ طَوَاهُ الْأَيْنُ مِمَّا وَجَفَا طَيِّ اللَّيَالِي زُلْفًا فَزُلْفًا
(سَمَاوَةُ الْهَلَالِ حَتَّى احْقُوقَهَا)

تقول زُلْفَةٌ وَزُلْفٌ كَقَوْلِكَ غُرْفَةٌ وَغُرْفٌ . وقوله : بِالْكَلبِ خَيْرًا وَالْحِمَاةَ
شَرًّا ، كلام معيب عند النحويين . وبعضهم لا يجيزه وذاك أنه عطف على
عاملين بالياء وعلى الفعل ، وَمَنْ قَالَ هَذَا قَالَ : ضَرَبْتُ زَيْدًا فِي الدَّارِ وَالْحُجْرَةِ
عَمْرًا . وكان أبو الحسن الأخفش يراه ويقرأ : ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(٤)
﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ ، بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٥)
وَتَضْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٍ ، فعطف على أَنْ وَعَلَى فِي . وقال عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

كُلُّ أَمْرٍ تَحْسِبَنَّ أَمْرًا وَنَارٌ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارًا

(١) سورة الطور : الآية رقم ٣٨ .

(٢) سورة الرعد : الآية رقم ١١ .

(٣) بنو قشير : قشير بن كعب بن ربيعة كزير أبو قبيلة .

(٤) سورة الدخان : الآية رقم ٢٩ .

(٥) سورة الدخان : الآية رقم ٢٩ .

فعطف على كل وعلى الفعل. وأما قوله: غدت من عليه بعدما تم
خمسها، فالخمس ظمء من أظمائها وهو أن ترد، ثم تغب ثلاثاً ثم ترد فيعتد
بيومي وزدها مع ظمئها. فيقال: خمس والرابع كحمتي الربع. وقوله: تصل أي
تسمع لأجوافها صليلاً من يبس العطش، يقال: المسمار يصل في الباب إذا
اكره فيه. قال جرير يخاطب الزبير: بمزيتته في هجائه الفرزدق:

لو كنت حين غررت بين بيوتنا لسمعت من وقع الحديد صليلاً
ويقال للحمار المصلصل إذا أخرج صوته من جوفه حاداً خفيفاً قال
الأعشى:

عتريس^(١) تعدو إذا حركك السو ط كعدو المصلصل الجوال
وقال المفسرون في قول الله عز وجل: ﴿من صلصال من حمأ
مسنون﴾^(٢). قالوا: هو الطين الذي قد جف فإذا قرعه شيء كان له صليل،
وتفسير ذلك عند العرب التقن الذي يذهب عنه الماء في الغدران فيتشقق ثم
يبس. والقيض قشر البيضة الأعلى، والذي يلبس البيضة فيكون ما بينها وبين
قشرها الأعلى يقال له الغرقى. يقال ثوب كأنه غرقى بيض. والزيء ما
ارتفع من الأرض، وهو ممدود منصرف من المعرفة والنكرة إذا كان لمذكر
كالعلاء والجرباء، وسنذكر هذا في غير هذا الموضع مفسراً إن شاء الله تعالى
على أنا قد استقصيناه في الكتاب المقتضب. والمجهل الصحراء التي يجهل
فيها فلا يهتدي لسبيلها. ويقال للشيء إذا غب وتغيرت رائحته صل وأصل فهو
صال ومصل. ويقال: نتن وأنتن. ويقال: خم وأخم وذاك إذا كان مستوراً
حتى يفسد ويقال إذا، عتق اللحم فتغير خبز وخزن. وبيت طرفة أحسن ما ينشد
عليه:

(١) عتريس: الناقة الغليظة.

(٢) سورة الحجر، الآية رقم ٢٨.

ثم لا يَخْتَزُ^(١) فينا لَحْمُهَا إِنَّمَا يَخْنَزُ لَحْمُ الْمُذْخَرِ
ويقال لرب البيت وَرَبَّةُ البيت اللذين ينزل بهما الضيفُ هي أم مَثْوَاهُ وهو
أبو مَثْوَاهُ . وأنشد عبدة :

من أُمِّ مَثْوَى كَرِيمٍ قَدْ نَزَلَتْ بِهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى عِلَاتِهِ يَسْعُ
وفي كتاب الله جل وعز : ﴿ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ ﴾^(٢) معناه عند العرب أضافته ،
ومن التشبيه المَطْرِد .

على السنة العرب ما ذكروا في سير الناقة وحركة قوائمها . وقال الرجز :

كَأَنَّهَا لَيْلَةٌ غَبَّ الْأَزْرَقِ^(٣) وَقَدْ مَدَدْنَا بِاعِهَا لِلسُّوقِ
(خَرَقَاءُ بَيْنَ السُّلَمَيْنِ تَرْتَقِي)

قوله : ليلة غب الأزرق ، إنما يعني موضعاً وأخسبهُ ماءً لأنهم يقولون :
نطفة زرقاء وهي الصافية . قال زهير :
فَلَمَّا وَرَدْنَا الْمَاءَ زُرْقاً جَمَامُهُ وَضَعْنَ عِصْيِي الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ^(٤)
وقال آخر .

فَأَلْقَتْ عَصَا التُّسْيَارِ عَنْهَا وَخَيَّمَتْ بِأَرْجَاءِ غَذَبِ الْمَاءِ زُرْقٍ مُحَافِرُهُ
وقوله : وقد مددنا باعها للسُّوقِ . يقول : استفرغنا ما عندها من السير ،
يقال تَبَوَّعَتْ وَأَنْبَاعَتْ إِذَا مَدَّتْ بِاعَهَا . وقوله : خرقاء بين السُّلَمَيْنِ تَرْتَقِي ، يقول
لكثرة حركة الخرقاء وقلة جذقها بالصعود . وقال الآخر :

كَأَنَّهَا نَائِحَةٌ تَفْجَعُ تَبْكِي لِشَجْوٍ وَسِوَاهَا الْمَوْجَعُ

(١) خنز أثنى وفسد وهو هنا يصف قومه بالكرم والجود .

(٢) سورة يوسف : الآية ٢١ .

(٣) الغب : بالكسر غنبة الشيء .

(٤) وضعن عصي الحاضر : كناية عن الإقامة .

وقال الشماخ :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعاً مُدِلَّةً بُعِيدَ السَّبَابِ حَاوَلْتُ أَنْ تَعَذِّرَا
مِنَ الْبَيْضِ أُعْطَافاً إِذَا اتَّصَلَتْ دَعَتْ فِرَاسَ بِنِ غَنَمٍ أَوْ لَقَيْطَ بِنِ يَغْمَرَا
بِهَا شَرْقٌ^(١) مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ أَطَارَتْ مِنَ الْحُسْنِ الرِّدَاءُ الْمُحِبِّرَا
تَقُولُ وَقَدْ بَلَّ^(٢) الدُّمُوعُ خِمَارَهَا أَبِي عِفْتِي وَمَنْصِبِي أَنْ أَعْيَسِرَا
كَأَنَّ بِذَفْرَاهَا مَنَادِيلَ فَارَقَتْ أَكْفَ رِجَالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنُوبِرَا
كَأَنَّ ابْنَ أَوَى مُوثِقٌ^(٣) تَحْتَ غَرْضِهَا إِذَا هُوَ لَمْ يَكْلِمْ بِنَائِيهِ ظَفَرَا

شبه يديها يدي مدلة بجمال ومنصب قد سابت وأقبلت تعتذر وتشير
بيديها، فوصف جمالها الذي به تدل ومنصبها المتصل بمن ذكرته. وقوله:
أطارت من الحسن الرداء المحبر، يقول هي مدلة بجمالها فلا تختمر فتستر
شيئاً عن الناظر لأنها تبتهج بكل ما في وجهها ورأسها.

من مدح عمر بن أبي ربيعة

وقد كَشَفَ هذا المعنى عمر بن أبي ربيعة المخزومي حيث يقول:
فَلَمَّا تَوَقَّفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلْتُ وَجْهَ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَّقَنَا
تَبَالَهَنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفَنِي وَقُلْنَ امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلُ فَأَوْضَعَا
وَقَرَّبْنِ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمُقْتَلٍ يَقْيِسُ ذِرَاعاً كُلَّمَا قَسْنِ إصْبَعَا
(فَقُلْتُ لِمُطَرِّيهِنَّ وَيَحْكُ إِنَّمَا ضُرُرَتْ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعاً فَتَنْفَعَا)

قوله :

-
- (١) بها شرق: شرق الشيء كتعب إذا اشتدت حمرة واشرفت الثوب بالصبغ إذا بالغت في حمرة
والرداء المحبر المزين الموشى.
- (٢) تقول: هذا من تنمة حديث المشبه به وقوله كان بذفراها الخ رجوع إلى حديث المشبه والذفرى
بالكسر أصل إذن البعبر.
- (٣) ابن أوى دابة سبعة من ذوات الأنياب والأظفار والغرض للرحل كالحزام للسرور وكلمة: جرحه
وظفر أنشب أظفار به.

كَأَنَّ بِذِفْرَاهَا مَنَادِيلَ فَارَقَتْ أَكْفَ رِجَالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنَوْبِرَا

يقول لسواد الذفري، وهذا من كرمها. قال أوس بن حجر:

كَأَنَّ كُحَيْلًا مُعَقَّدًا أَوْ عَنِئَةً عَلَى رَجْعِ ذِفْرَاهَا مِنَ اللَّيْتِ وَاكِفُ

(الكحيل القَطْرَانُ والعنية ضرب منه). وهذا معنى يُسأل عنه لأن اللَّيْتَيْنِ

صفحتا العنق والذفري في أعلى القفا، فكيف يَكِفُ على الذفري من اللَّيْتِ.

والمعنى إنما هو كَأَنَّ كُحَيْلًا مُعَقَّدًا أَوْ عَنِئَةً وَاكِفٌ عَلَى رَجْعِ ذِفْرَاهَا. وقوله:

مِنَ اللَّيْتِ كَقَوْلِكَ كَمَوْضِعِ دِجْلَةٍ مِنْ بَغْدَادِ إِنَّمَا هُوَ لِلْحَدِّ بَيْنَهُمَا لَا أَنَّهُ وَكَفَ

عَلَى شَيْءٍ. وأما قوله:

كَأَنَّ أَبْنَ آوَى مَوْثُقٌ تَحْتَ غَرْضِهَا إِذَا هَوَّلَمَ يَكْلِمُ بِنَابِيهِ ظَفْرًا

يقول ليست تستقر فأنَّ أَبْنَ آوَى يَكْلِمُهَا بِنَابِيهِ، أَوْ يَخْلِبُهَا مَظْفَرُهُ فَهِيَ لَا

تستقر. وقال أوس بن حجر.

كَأَنَّ هِرًّا جَنْبِيًّا تَحْتَ غُرْضِهَا وَأَلْتَفَ دِيكَ بِحَقْوَيْهَا^(١) وَخَنْزِيرٍ

وَالْغُرْضُ وَالْغُرْضَةُ وَاحِدٌ وَهُوَ حَزَامُ الرَّحْلِ

وقال آخر:

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعًا بَذِيَّةً مُفْجَعَةٌ لَاقَتْ خَلَائِلَ عَنْ غُفْرِ

سَمِعْنَ لَهَا وَاسْتَفْرَغَتْ فِي حَدِيثِهَا ﴿حَفَا شَيْءٌ يَفْرِى بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَفْرِى

(وقال أبو العباس: أنشدنيهما عبد الصمد بن المعدل وأنشدنيهما

سعيد بن سلم). ولو قيل: إن هذا من أبلغ ما قيل في هذا الوصف، ما كان

ذلك بعيداً، وصفها بأنها بذية وقد فُجِعَتْ بِمَا أُسْمِعَتْ، ونيل منها، ولقيت

خللائها بعد زمان، وتلك الشكوى كامنة فيها وَأَصْغَيْنَ إِلَيْهَا يَتَسَمَعْنَ. والفريُّ

الشق يقال: فَرَى أَوْ دَاجَهُ، أي قطع، وَفَرَيْتُ الْأَدِيمَ. وإذا قلت: أفريتُ،

(١) الحقو: بالفتح: الكشح.

فمعناه أصلحت. وقول الحجاج: أني والله ما أهتم إلا مَضَيْتُ ولا أخلقُ إلا فَرَيْتُ، يقول: إذا قَدَرْتُ قطعت. يقال فريت القِرْبَةَ والمِرَادَةَ فهما مَفْرِيَتَانِ. قال ذو الرمة. (كأنه من كُلِّي^(١) مَفْرِيَةٍ سَرِبُ) وقال امرؤ القيس.

كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا إِذَا نَجَلَتْهُ^(٢) رِجْلُهَا خَذَفُ أَعْسَرَا^(٣)
كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرَوْ^(٤) حِينَ تُشَدُّهُ^(٥) صَلِيلُ زَيْوْفٍ^(٦) يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرَا^(٧)

قوله: خذف أعسرا، يريد أنه يذهب على غير قصد. وقوله: صليل زيواف، يقال أن الزَيْفَ شديد الصوت صافيه. وقال آخر:

كَأَنَّ يَدَيْهَا يَدَا مَاتِحٍ أَتَى يَوْمَ وَرْدٍ لِيُغِبَّ زُرُودَا
يَخَافُ الْعِقَابَ وَفِي نَفْسِهِ إِذَا هُوَ أَتَاهُ لَ أَلَا يَعُودَا

قوله: خذف أعسرا، يريد أنه يذهب على غير قصد. وقوله: صليل زيواف، يقال أن الزَيْفَ شديد الصوت صافيه. وقال آخر:

يقول: هذا الساقى يخاف العقاب إن قَصُرَ ولا عَوْدَةَ لَهُ إِلَيْهِ ثَانِيَةً فَهِيَ تُسْقَى سَقِيَّةً فِي مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَدْ أَكْثَرُوا فِي هَذَا. فَمِنْ الْإِفْرَاطِ فِي السَّرْعَةِ،
قول ذي الرمة:

كَأَنَّهُ كَوَكَبٌ فِي إِثْرِ عَفْرِيةٍ^(٨) مُسَوِّمٌ^(٩) فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٌ

يقال: عَفْرِيت وعَفْرِية في معنى واحد، والتاء في عفريت زائدة وهو

(١) الكلبي: جمع الكلية بالضم حمة مستديرة حمراء، لأزقة بعظم الصلب وهما كليتان.

(٢) النجل: الرمي بالشيء والخذف بالفتح رميك بحصاة أو نواة أو نحوهما.

(٣) الأعسر: الذي يعمل باليد اليسرى.

(٤) المرء: الحجارة.

(٥) تشده: تطيره.

(٦) الزيواف: الدراهم التي ليس فيها فضة واحدها زيف.

(٧) عبقر موضع باليمن كانت دراهمه زيوفاً وخص الزيواف لأنها شديدة الصوت.

(٨) العفرية: الخبيث المنكر.

(٩) المسوم: أي على مرسل لما يريد.

ملحق بِقُنْدِيلٍ، يُقال فلان (عِفْرِيَّةٌ زَبْنِيَّةٌ والزَبْنِيَّةُ الْمُنْكَرُ وجمعه زَبَانِيَّةٌ، وأصله من الحركة يُقال زَبْنُهُ إذا دفعه ويقال): عَفْرِيَّةٌ نَفْرِيَّةٌ على التوكيد. (وعِفْرِيَّةٌ نَفْرِيَّةٌ. ويقال: عُفَارِيَّةٌ ولم يُتَّبَعْ بِنَفَارِيَّةٍ).

ومن الإفراط قول الحُطَيْئَةِ:

وإن نظرت يوماً بمؤخر عينها^(١) إلى علم^(٢) بالغور قالت له ابعد

ومن الإفراط قوله:

بأرض ترى فرخ الحُباري كأنه بها راكبٌ مُوفٍ على ظهر قَرَدٍ^(٣)

ومن ذلك قوله:

وكادت على الأطواء^(٤) أطواء ضارج^(٥) تُساقطني والرحل من صوت هُدهِدٍ

وقال آخر:

مَروءٌ برجليها إذا هي هَجَرَتْ^(٦) ويمنعها من أن تطير زمامها

وقال الشَّمَاخُ:

مَروءٌ تَغْتَلِي^(٦) في البِيدِ^(٧) حَرْفٌ^(٨) تكاد تطير من رأي^(٩) القطيع

(١) مؤخر عينها: ما يلي الصدغ.

(٢) العلم الجبل وقالت له أبعد كناية عن سرعة مغارتها له وبعدها عنه.

(٣) القرد: ما ارتفع من الأرض.

(٤) الأطواء: الآبار.

(٥) ضارج: موضع والمعنى أن الناقة كادت تلقيه عن ظهرها من نشاطها وحدة فؤادها إذا ماسمعت صوت هدهد.

(٦) تغتلي: تسرع.

(٧) البِيد: الفلوات واحدها بيدا.

(٨) الحرف: الضاوة.

(٩) الرأي الأبصار مصدر رأيت الشيء إذا أبصرته.

وكذلك الأعرابي الذي يقول: (لو تُرْسِلَ الرِّيحُ لَجِئْنَا قَبْلَهَا) وقد مضى خبرُهُ. وأملَحُ ما قيل في هذا المعنى وأجودُهُ قول امرئ القيس:

وقَدْ اغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدِ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
فجعلهُ للوحش كالقيد. وحَدَّثْتُ أن رجلاً نظرَ إلى ظَبْيَةٍ تَرُودُ فقال له أعرابي: أَتَحِبُّ أن تكونَ لك؟ قال: نعم، قال: فَأَعْطَنِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ حَتَّى أَرُدَّهَا إِلَيْكَ. ففعل: فَخَرَجَ يَفْخَصُ فِي إِثْرِهَا فَجَدَّتْ وَجَدٌ حَتَّى أَخَذَ بِقَرْنَيْهَا فجاء بها وهو يقول:

وهي على البُعْدِ تُلَوِّي خَدَّهَا تُرِيغُ شَدْيِي^(١) وَأَرِيغُ شَدَّهَا
(كيف تَرَى عَدُوَّ غَلامٍ رَدَّهَا)

من التشبيه

قال أبو العباس: ومن حلَّو التشبيه، وقريبه وصريح الكلام قول ذي الرُّمَّة:

وَرَمَلِ كَأَوْرَاكِ الْعَذَارَى قِطْعَتَهُ وَقَدْ حَلَّلْتُهُ الْمُظْلِمَاتُ الْحَنَادِسُ

الحنادِسُ اشتداد الظُّلْمَةِ، وهو توكيد لها، يقال ليلٌ حَنَدِسٌ وَلَيْلٌ أَلِيلٌ مظلم. وقال الشَّماخ في صفة الفرس:

مُفِجُ الْحَوَامِي عَنْ نَسُورٍ كَأَنَّهَا نَوَى الْقَسْبِ تَرَّتْ عَنْ جَرِيمٍ مُلْجَلِجٍ

قوله: مفج الحوامي، يريد مُفَرِّق الحوامي فالحوامي نواحي الحافر، والنسور واحدها نَسْرٌ. وهي نكتة في داخل الحافر، ويُحَمَّدُ الفرس إذا صَلَبَ ذلك منه، ولذلك شُبِّهَ بنوي القسب. وتَرَّتْ سَقَطَتْ، والجريم المصروم، والملجلج الذي قد لُجِّلَجَ مَضْغاً في الفم ثم قَذِفَ لصلابته. وقوله: مفج ليس يريد الذي هو شديد التفرقة ولكن الانفصال عن النَّسْرِ، فإنه إن اتسع واستوى

(١) ترِيغُ: تريد البعد.

أَسْنَلَهُ فَذَلِكَ الرَّحْحُ^(١)، وهو مذموم في الخيل. وكذلك إن ضاق وصَغُرَ، قيل له مُضْطَرٌّ وكان عيباً قبيحاً. قال حُمَيْدُ الْأَرْقَطُ:

لَا زَحْحُ فِيهَا وَلَا اضْطِرَارُ وَلَمْ يُقْلَمْ أَرْضُهَا^(٢) الْبَيْطَارُ
(وَلَا لِحَبْلَيْهِ بِهَا حَبَارُ)

(الحبار الأثر). ويروى: وَلَمْ يُقْلَبْ وتَأْوِيل ذلك أن حوافرها لا تَشَعَثُ فيَقْلَمُهَا الْبَيْطَارُ لأنها إذا كانت كذلك ذهب منها شيء بعد شيء فمحقها. وقال عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِةَ:

لَا فِي شَظَاها^(٣) وَلَا أَرْسَاغِها^(٤) عَنَتٌ^(٥) وَلَا السَّنَابِكُ^(٦) أَفْهَانٌ تَقْلِيمُ
وَإِنَّمَا يُحْمَدُ الْحَاfer الْمَلْقَبُ، وهو الذي هيئته كهيئة الْقَعْبِ وإن كان كذلك قيل حَافِرٌ وَأَبٌ. قال ابن الْخَرِيعِ:

لَيْسَ حَافِرٌ مِثْلَ قَعْبٍ الْوَلِيدِ يَتَّخِذُ الْفَأْرَ فِيهِ مَغَارًا

. يريد لو دخل الْفَأْرُ فِيهِ لَصَلَحَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: فَأَتَى بِجَفْنَةٍ يَقْعُدُ عَلَيْهَا عُشْرَةٌ
أَي لَوْ قَعْدَ عَلَيْهَا عَشْرَةٌ لَصَلَحَ. وقال الرَّاغِزُ: (وَأَبٌ حَمَتُ نَسْرَةٍ الْأَوْقَارِ).
(يُقَالُ: حَافِرٌ مَوْقُورٌ وهو أن يصيبه داء يشبه الرُّهْصَةَ) وفي كل حَافِرٍ حَامِيَتَانِ
وهما حَرْفَاهُ عَنِ يَمِينٍ وَشِمَالٍ وَمُقَدَّمَةُ السُّنْبُكِ وَمُؤَخَّرَةُ الدَّابَّةِ. ومثْلُ قَوْلِهِ عَنِ
جَرِيمٍ مَلْجَلِجٍ قَوْلُ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِةَ:

صَلَاءَةٌ كَعَصَا النَّهْدِيِّ غُلُّ بِهَا ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قُرْآنٍ^(٧) مَعْجُومٌ

(١) الرَّحْحُ: محركاً سعة في الحافر.

(٢) الْأَرْضُ: أسفل قوائم الدابة.

(٣) الشَّظَى: عظم لازق بالذراع أو بالوظيف أو عصب صغار فيه.

(٤) الْأَرْسَاغُ: جمع رَسَغٍ بالضم وهو الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل.

(٥) الْعَنَتُ: محركاً الفساد.

(٦) السَّنَابِكُ: جمع سَنَبَكٍ بالضم كَقَنْفَدٍ وهو طرف الحافر.

(٧) نَرْنٌ بالضم واد بين مكة والمدينة وبلدة باليمامة.

شَبَّهَهَا بِالشُّوكَةِ مِنْ شَوْكِ النَّخْلِ لِأَنَّ الْفَرَسَ الْأُنْثَى يُحَمَّدُ مِنْهَا أَنْ يَدِيقَ صَدْرُهَا ثُمَّ يَنْخَرُطُ عَلَى امْتِلَاءٍ إِلَى مُؤَخَّرِهَا وَالْحِمَامُ يَحْمَدُ مِنْهُنَّ أَنْ يَعْزُضَ الصَّدْرُ ثُمَّ يَنْخَرُطُ أَلَى ذَنْبِهِ ضَمُوراً. فَيَقَالُ فِي صَفْتِهِ كَأَنَّهُ جَلَمٌ. وَقَوْلُهُ: كَعَصَا النَّهْدِيِّ يَرِيدُ فِي الصَّلَابَةِ. كَمَا قَالَ: «وَكُلُّ كُمَيْتٍ كَالْهَرَاوَةِ صَلْدِمٍ». وَقَوْلُهُ: ذُو فَيْئَةٍ مِنْ نَوَى قِرَآنٍ، يَقُولُ ذُو رَجْعَةٍ. يَقُولُ مَضْغَتُهُ الْإِبِلَ فَلَمْ تَكْسِرْهُ ثُمَّ بَعَرَتْهُ صُحَاخاً وَمَعْجُومٌ مَمْضُوعٌ، يَقَالُ عَجْمَتُهُ أَعْجُمُهُ إِذَا مَضْغَتَهُ فَالْعَجْمُ الْمَضْغُ، وَيَقَالُ لِلنَّوَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الْعَجْمُ مَتَحَرِّكُ الْعَيْنِ. قَالَ الْأَعَشَى: «وَجُدْعَانَا كَلَقِيطِ الْعَجْمِ». وَقَالَ النَّابِغَةُ:

وَضَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضَا فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقِ غَيْرُ ذِي أَوْدٍ
وَمِثْلُ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ قَوْلُ عُثْبَةَ بْنِ سَابِقٍ الْعَنْبَرِيِّ:

لَهُ بَيْنٌ خَوَابِيهِ تُسَوِّرُ كُنَى الْقَسْبِ

فَهَذَا تَشْبِيهُ مَقَارِبٍ جَدَا. وَمِنْ التَّشْبِيهِ الْحَسَنِ قَوْلُ الشَّاعِرِ، (هُوَ الشَّمَاخُ):

كَأَنَّ الْمَتْنَ وَالشَّرْحَيْنِ مِنْهُ خِلَافَ التَّمَثُّلِ سَيْطُ بِهِ مُشِيجُ

يَرِيدُ سَهْمًا رَمِي بِهِ فَأَنْفَذَ الرَّمِيَّةَ وَقَدْ اتَّصَلَ بِهِ وَهَمَلَهُ وَلَمَتْنِ مَتْنُ السَّهْمِ. وَشَرَحَ كُلَّ شَيْءٍ خَذَهُ فَأَرَادَ شَرْحِي الْفُوقِ وَهَمَا حَرْفَاهُ، وَالْمَشِيجُ اخْتِلَاطُ الدَّمِ بِالنُّظْفَةِ، هَذَا أَصْلُهُ. قَالَ الشَّمَاخُ:

طَوَتْ أَحْشَاءَ مُرْتَجَةٍ^(١) لِسَوْفَتِ عَلَى نَشِيجٍ سُلَالَتُهُ^(٢) مَهِينُ

وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: «مَنْ نُظْفِئَ أَمْشَاجَ نَبْتَلِيهِ»^(٣) وَفِي الْحَدِيثِ: أَقْتُلُوا مَسَانَّ الْمُشْرِكِينَ وَاسْتَبْنُوا شَرْحَهُمْ. أَيُّ الشَّابِّ لِأَنَّ الشَّرْحَ الْحَدُّ. قَالَ حَسَّانُ:

إِنَّ شَرْخَ الشَّابِّ وَالشَّعْرَ الْأَسَدِ بَوْدَ مَا لَمْ يُعَاصِ كَانَ جُنُونَا

(١) الْمُرْتَجَةُ: النَّاقَةُ الَّتِي أَعْلَقَتْ رَحِمَهَا عَلَى الْمَاءِ.

(٢) سُلَالَةٌ: مَائِلٌ مِنْ طَلَبِ الرَّجُلِ، النُّظْفَةُ.

(٣) سِرَّةُ الْإِنْسَانِ: الْآيَةُ رَقْمُ ٢.

وَأُنْشَدَنَا عَمْرُو بْنُ مَرْزُوقٍ، قَالَ: أَنْشَدَنَا سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

إِنْ شَرَّخَ الشَّبَابُ تَأَلَّفَهُ الْيَدُ ضُرٌّ وَشَيْبُ الْقَذَالِ شَيْءٌ زَهِيدٌ
فَأَمَّا قَوْلُ الشُّنْفَرِيِّ فِي وَصْفِ خَجَلِ امْرَأَةٍ.

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نَسِيًّا تَقْصُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبَلَّتْ

فَإِنَّمَا أَرَادَ شِدَّةَ اسْتِحْيَائِهَا يَقُولُ: لَا تَرْفَعِ رَأْسَهَا كَأَنَّهَا تَطْلُقُ شَيْئًا فِي الْأَرْضِ، وَالنَّسِيُّ عَلَى ضَرْبَيْنِ، أَحَدُهُمَا: مَا تَقَادِمُ عَهْدُهُ حَتَّى يُنْسَى، وَالْآخَرُ: مَا أَضَلَّهُ أَهْلُهُ فَيُطْلَبُ وَيُطَمَّحُ فِيهِ وَتَقْصُهُ تَتَّبِعُهُ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾^(١) أَيِ اتَّبِعِي أَثَرَهُ. وَالْأَمُّ الْقَصْدُ. وَقَوْلُهُ: وَإِنْ تُحَدِّثُكَ تَبَلَّتْ تَقْطَعُ الْحَدِيثَ لِاسْتِحْيَائِهَا. وَأُنْشِدَ بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ الْأَعْمَى قَوْلَ كَثِيرٍ:

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْزُرَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ

قَالَ: فَقَالَ بَلَهْ أَبُو صَخْرٍ جَعَلَهَا عَصًا ثُمَّ يَعْتَذِرُ لَهَا وَاللَّهُ لَوْ جَعَلَهَا عَصًا مِنْ مَخٍّ أَوْ رُبْدٍ لَكَانَ قَدْ هَجَّنَهَا بِالْعَصَا، أَلَا قَالَ كَمَا قُلْتُ:

وَبَيْضَاءُ الْمَحَاجِرِ^(٢) مَنْ مَعْدٌ كَانَ حَدِيثُهَا قِطْعُ الْجِنَانِ

إِذَا قَامَتْ لِسَبْحَتِهَا^(٣) تَثْنَتْ كَانَ عِظَامُهَا مِنْ خَيْزُرَانِ

وَالْخَيْزُرَانَةُ كُلُّ غَصْنٍ لِينٍ يَنْشِي، وَيُقَالُ لِلْمُرْدِيِّ^(٤) خَيْزُرَانَةٌ إِذَا كَانَ يَنْشِي إِذَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ. قَالَ النَّابِغَةُ:

يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَأُحُ مُعْتَمِدًا بِالْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الْأَيْنِ وَالنُّجْدِ
الْأَيْنُ الْإِعْيَاءُ، وَالنُّجْدُ الْعَرَقُ وَقَدْ عَابَ بَعْضُ النَّاسِ قَوْلَ كَثِيرٍ:

(١) سورة القصص: الآية رقم ١١.

(٢) بيضاء المحاجر: ما دار بالعين من جميع الجوانب

(٣) السبحة: بالضم صلاة التطوع.

(٤) المردى: بالضم وتشديد الياء خشية تدفع بها السفينة.

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمُجُّ النَّدَى جَشْجَاشُهَا وَعَرَارُهَا
بِمُنْخَرَقٍ^(١) مِنْ بَطْنِ وَادٍ كَأَنَّمَا تَلَاقَتْ بِهِ عَطَّارَةٌ وَتَجَارُهَا
بِأَطْيَبِ مِنْ أَرْدَانٍ عَزَّةٌ مَوْهِنَا وَقَدْ أَوْقَدْتُ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارُهَا

وحكى الزبيريون أن امرأة مدينية عَرَضَتْ لكثير فقالت: أنت القاتل هذين البيتين؟ قال، نعم. قالت: فَضَّ اللَّهُ فَاكُ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ زِنْجَبَةَ بَخَّرَتْ أَرْدَانَهَا بِمَنْدَلِ رَطْبٍ أَمَا كَانَتْ تَطِيبُ، أَلَا قُلْتَ كَمَا قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيبْ
قوله: جَشْجَاشُهَا وَعَرَارُهَا، الجَشْجَاشُ ريحانة طيبة الريح بَرِيَّةٌ مِنْ أَحْرَارِ الْبَقْلِ.

قال جرير يهجو خالدَ عَيْنِينَ الْعَبْدِيِّ: كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يَا خُلَيْدُ وَخَالَةٍ
خُضِرَ نَوَاجِذُهَا مِنَ الْكُرَّاثِ نَبَتَتْ بِمَنْبِتِهِ فطاب لريحها
وَنَاتَتْ عَنِ الْقَيْصُومِ وَالْجَشْجَاشِ وَإِنَّمَا هَجَاهُ بِالْكَرَّاثِ، لِأَنَّ عَبْدَ الْقَيْسِ يَسْكُنُونَ الْبَحْرَيْنِ وَالْكَرَّاثِ مِنْ أَطْعَمَتِهِمْ، وَالْعَامَّةُ يَسْمُونَهُ الرُّكْلَ وَالرُّكَّالَ. قَالَ أَحَدُ الْعَبْدِيِّينَ:
أَلَا حَبْدًا الْأَخْسَا^(٢) وَطِيبُ ثُرَابِهَا وَرَكَّالُهَا غَادٍ عَلَيْنَا وَرَائِحُ
وَقَوْلُ كَثِيرٍ: وَعَرَارُهَا، فَالْعَرَارُ الْبَهَارُ الْبَرِّيُّ وَهُوَ حَسَنُ الصُّفْرَةِ طِيبِ الرِّيحِ. قَالَ الْأَعَشَى:

بِضَاءِ ضُحُوتِهَا وَصَفَرِ إِثِّ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَارِ
وقوله مَوْهِنَا يريدُ بَعْدَ هَدْيٍ، يُقَالُ: أَتَانَا بَعْدَ هَدْيٍ مِنَ اللَّيْلِ وَبَعْدَ وَهْنٍ، أَيْ بَعْدَ دُخُولِنَا فِي اللَّيْلِ. وَأَنْشُدُ ابْنَ زَيْدٍ:

(١) المنخرق: مجرى الماء الذي ليس بقعير.

(٢) الاحساء بلد يسبق البحرين وقصرها للشعر.

هَبَّتْ تَلَوْمُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى بَسْلٌ^(١) عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعَتَابِي^(٢)

وَالْمُنْدَلُ الْعُودُ، يُقَالُ لَهُ الْمُنْدَلُ وَالْمُنْدَلِيُّ. قَالَ الشَّاعِرُ:

أَمِنْ زَيْنَبِ ذِي النَّارِ^(٣) قُبِيلَ الصَّبْحِ مَا تُخْبُو^(٤)

إِذَا مَا خَمَدَتْ يُلْقَى عَلَيْهَا الْمُنْدَلُ الرُّطْبُ

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: ذِي مَعْنَاهُ ذُو، يُقَالُ: ذَا عَبْدَ اللَّهِ وَذِي أُمَّةِ اللَّهِ وَتَهُ أُمَّةُ اللَّهِ وَتَا أُمَّةُ اللَّهِ، فَإِذَا قُلْتَ: هَذَا عَبْدَ اللَّهِ فَلَا سَمَ ذَا وَهَا لِلتَّنْبِيهِ. وَعَلَى هَذَا تَقُولُ: هَذِي أُمَّةُ اللَّهِ وَإِنْ شِئْتَ أَسَكَنْتَ فِي الْوَصْلِ، فَقُلْتَ: هَذِهِ أُمَّةُ اللَّهِ. وَإِذَا قُلْتَ: هَذِي هِيَ أُمَّةُ اللَّهِ فَالْيَاءُ زَائِدَةٌ لِأَنَّ هَذِهِ الْهَاءُ لَمَّا كَانَتْ فِي لَفْظِ الْمَضْمَرِ شَبَّهَوهَا بِهِ فِي زِيَادَةِ الْيَاءِ نَحْوَ مَرَرْتُ بِهِي يَا فَتَى لَا يَجُوزُ أَنْ تَضُمَّ الْهَاءُ فِي هَذِهِ عَلَى قَوْلٍ مِنْ قَالَ: مَرَرْتُ بِهِي لِأَنَّ هَاءَ الْإِضْمَارِ أَصْلُهَا الضَّمُّ، تَقُولُ: رَأَيْتُهَا يَا فَتَى وَرَأَيْتُهَا يَا فَتَى. وَهَذِهِ الْهَاءُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ إِنَّمَا هِيَ مُشَبَّهَةٌ. تَقُولُ: هَاتِي هِنْدُ وَهَاتِي هِنْدُ وَهَاتَا هِنْدُ عَلَى زِيَادَةِ هَا لِلتَّنْبِيهِ. قَالَ جَرِيرٌ:

هَذِي الَّتِي جَدَعْتُ تَيْمًا مَعَاظِنَهَا ثُمَّ أَقْعَدِي بَعْدَهَا يَا تَيْمُ أَوْ قَوْمِي

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَ:

وَلَيْسَ لَعِيْشِنَا هَذَا مَهَاءٌ^(٥) وَلَيْسَتْ دَارُنَا هَاتَا بِدَارِ

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: النُّحَوِيُّونَ يَشْتَبُونَ الْهَاءَ فِي الْوَصْلِ، فَيَقُولُونَ: مَهَاءٌ وَتَقْدِيرُهُ فَعَالٌ، وَمَعْنَاهُ اللَّمْعُ وَالْبَهَاءُ، يُقَالُ: وَجْهٌ لَهُ مَهَاءٌ يَا فَتَى. وَالْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ: مَهَاءٌ، تَقْدِيرُهَا حَصَاءٌ، يَجْعَلُ الْهَاءَ زَائِدَةً، وَتَقْدِيرُهَا فِي قَوْلِهِ فَعَلَةٌ،

(١) البسل: بالفتح هنا الحرام للواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

(٢) العتاب: مخاطبة الإدلال.

(٣) ذِي النار: أي هذه النار.

(٤) خبى النار: سكنت وأطفئت.

(٥) المهاء: العراوة والحسن.

والمَهَاةِ الْبِلُّورَةُ، والمَهَاةِ الْبَقْرَةُ الْوَحْشِيَّةُ، وجمعها المَهَا (حكى يعقوب ابن
السكيت مَهَاة من أسماء الشمس وأنشد:

ثم يجلو الظلام رَبِّ رَجِيمٍ بِمَهَاةٍ ضِيَاؤُهَا مَنُشُورٍ

فَإِذَا صَغُرَتْ ذَهْ قُلْتُ تَيًّا، كَأَنَّكَ صَغُرْتَ تَا وَلَا تَصْغُرْ ذَهْ عَلَى لَفْظِهَا لِأَنَّكَ
إِذَا صَغُرْتَ ذَا قُلْتُ: ذَيًّا، فَلَوْ صَغُرْتَ ذِي، فَقُلْتُ: ذَيًّا لِأَلْتَبَسَ الْمُؤْنُثُ
بِالْمَذْكَرِ، فَصَغُرُوا مَا يَخَالِفُ فِيهِ الْمُؤْنُثُ الْمَذْكَرَ. وهذه المبهمة يخالف
تصغيرها تصغير سائر الأسماء. وسنذكر ذلك في باب نفرد له إن شاء الله
تعالى. عاد القول إلى التشبيه، أنشدتني أمُّ الهَيْثَمِ في صفة جمل:

كَأَنَّ صَوْتَ نَابِيهِ بِنَابِيهِ صَرِيرُ خُطَافٍ عَلَى كُلابِهِ

أرادت الصريف، وهو أن يَحْكُ أَحَدَ نَابِيهِ بِالْآخِرِ. وقوله: صرير خطاف
على كلابه، فالخطاف ما تدور عليه البكرة، والكُلاب ما وليه. وقد قال
النابعة:

مَقْدُوفَةٌ بِدَخِيسٍ^(١) النَّحْضُ^(٢) بِأَزْلُهَا^(٣) لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفُ الْقَعْوِ بِالْمَدِّ

القعو، ما تدور عليه البكرة إذا كان من خشب، فإن كان من حديد فهو
خطاف، وإن دارت على حبل فذلك الحبل يسمى الدَرَكَ. وقوله: مقذوفة،
يقول: مرمية باللحم، والدخيس الذي قد رَكِبَ بَعْضُهُ بَعْضًا، والنحض
اللحم، وبأزلها نابها. ومعنى بَزَلَ وفطر واحد وهو أن ينشق الناب. قال ذو
الرمة:

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا كُلِّ سُدْفَةٍ^(٣) صِيَاخَ الْبَوَازِي مِنْ صَرِيفِ^(٤) اللَّوَائِكِ^(٥)

(١) الدخيس: اللحم المكتنز الكثير.

(٢) النحض: بالفتح اللحم أيضاً.

(٣) السدفة: بالضم سواد الليل.

(٤) الصريف: صوت الناب.

(٥) اللوائك: جمع لواء بفتح اللام وهو ما يعضغ ويلاك.

يقول: مما تلوكه. ويقال في الغضب: تركت فلاناً يَصْرِفُ نابه عليك وَيَحْرِقُ وَيَحْرِقُ، ورأيتَه يَعْضُ عليك الأرم^(١). قال زهير في مدحه حصن بن حذيفة (بن بذر الفراري):

أبى الضيم^(٢) والنعمان يحرق نابه عليه فأفصى والسيوف معاقله
وقال آخر:

نُبِّتُ أحماء سُلَيْمَى أنما ظلوا غَضاباً يعلُّكون الأرمأ

وقال بعض النحويين: يعني الشفاه. وقال بعضهم: يعني الأصابع. فأما قولهم عض على ناجذه. وهو آخر الأسنان فيكون على وجهين: أحدهما أنه قال قد احتنك وبلغ، والآخر أن يكون للإطراق والتشدد. ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إنه كان يقول: إذا لقيتم القوم فاجمعوا وعصوا على التواجد فإن ذلك يثني السيوف عن الهام.

ثم نعود إلى التشبيه، قال الراجز (وهو أبو النجم).

كأنها حين تناهى البأس جنيّة في رأسها أمراسُ
بها سكون وبها شماس^(٣) يخرج منها الحجر الكباس^(٤)
يمر لا يخيسه حبّاس لا نافذ الطعن ولا ترأس

يصف المنجنيق، والأمراس الحبال، الواحد مرسّة، والكباس الضخم. يقال، هامة كبساء يا فتى ورأس أكبس، والحبّاس الذي من شأنه أن يحبس. يقال، رجل ضارب للذي يضرب كثيراً كان منه ذلك أو قليلاً، فإذا قلت ضراباً وقتلاً فإنما يكثر الفعل، ولا يكون للقليل. قال الراجز.

(١) الأرم: كركع الأضراس أو أطراف الأصابع.

(٢) الضيم: الظلم.

(٣) الشماس: بالكسر مصدر شمس الفرس إذا منع ظهره ونفر فلا يستقر لشغبه وحدته.

(٤) الكباس: بالضم وتخفيف الباء الضخم.

أَخْضَرُ مِنْ مَعْدِنِ ذِي قُسَّاسٍ كَأَنَّهُ فِي الْحَيْدِ ذِي الْأَضْرَاسِ
(يُرْمَى بِهِ فِي الْبَلَدِ الدَّهَاسِ)

يُصَفِّ مَعُولاً وَذَوْ قُسَّاسٍ مَعْدِنٌ لِلْحَدِيدِ الْجَيِّدِ، وَهُوَ يَقْرُبُ مِنْ بِلَادِ بَنِي
أَسَدٍ. وَالْجَيِّدُ مَا أَشْرَفَ مِنَ الْجَبَلِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. يُقَالُ: لِلطَّنْفِ حَيْدٌ، وَهُوَ
الَّذِي يُسَمِّيه أَهْلُ الْحَضَرِ الْأَفْرِيزَ، يُقَالُ: طَنَفٌ حَائِطُكَ، وَيُقَالُ لِلنَّاتِيءِ وَسْطِ
الْكَتِفِ حَيْدٌ وَعَيْرٌ وَكَذَا النَّاتِيءِ فِي الْقَدَمِ. وَقَوْلُهُ: ذِي الْأَضْرَاسِ يَرِيدُ الْمَوْضِعَ
الضَّرْسَ الْخَشِينَ ذَا الْحَجَارَةِ. فَيَقُولُ: هَذَا الْمِعْوَلُ لِحَدَّتِهِ يَقَعُ فِي الْخَشُونَةِ
فَيَهْدِمُهَا كَمَا يَهْدِمُ الدَّهَاسُ مَا لَانَ مِنَ الرَّمْلِ. قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ فِي يَوْمِ
حُنَيْنٍ: أَيْنَ مُجْتَلَدُ الْقَوْمِ؟ فَقَالُوا: بِأَوْطَاسٍ^(١). فَقَالَ: نَعَمْ مَجَالُ الْخَيْلِ لَا حَزَنُ
ضَرْسٍ وَلَا لَيْنٌ دَهْسٌ. وَقَالَ الْعَجَّاجُ يَصِفُ حِمَاراً:

كَأَنَّ فِيهِ إِذَا مَا شَجَا عُوداً دَوَيْنَ اللَّهَوَاتِ مُوَلَّجَا
هَذَا يُوَصِّفُ بِهِ الْغَيْرَ الْوَحْشِيَّ إِذَا أَسَنَّ تَرَاهُ لَا يَشْتَدُّ نَهْيُكُ وَكَأَنَّهُ يَعَالِجُهُ
عَلَاجاً. قَالَ الشَّمَّاحُ:

إِذَا رَجَعَ التَّعْشِيرُ^(٢) شَجَا كَأَنَّهُ بِسَاجِدَةٍ مِنْ خَلْفِ قَارِحِهِ^(٣) شَجِي^(٤)
فَأَمَّا قَوْلُ عَتَّرَةٍ:

بَرَكَتٌ عَلَى مَاءِ الرِّدَاعِ^(٥) كَأَنَّمَا بَرَكَتٌ عَلَى قَصَبٍ أَجَشٍّ مُهْضَمٍ^(٦)
فَإِنَّمَا يَصِفُ النَّاقَةَ، وَيَذْكُرُ حَنِينَهَا، يُقَالُ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا كَأَشْجَى صَوْتٍ
فَإِنَّمَا شَبَّهَ بِالزَّمِيرِ وَأَرَادَ الْقَصَبَ الَّذِي يُزْمَرُ بِهِ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ الَّذِي يُقَالُ

(١) أَوْطَاسٍ: وَادٍ بِدِيَارِ هُوزَانَ.

(٢) التَّعْشِيرُ: تَابِعُ النَّهْيِ عَشْراً.

(٣) قَارِحُهُ: سَنَهُ الَّذِي صَارَ بِهِ قَارِحاً وَالْقَارِحُ مَنْ ذِي الْخَافِرِ بِمَنْزِلَةِ الْبَازِلِ مِنَ الْإِبِلِ.

(٤) الشَّجِي: مَا اعْتَرَضَ فِي الْخَلْقِ مِنْ عَظْمٍ وَنَحْوِهِ الشَّجِي صِفَةٌ مِنْهُ.

(٥) الرِّدَاعُ: اسْمُ مَاءٍ لَهْمٍ وَالْأَجَشُّ الَّذِي تَسْمَعُ لَهُ صَوْتاً.

(٦) مُهْضَمٌ: وَصَفٌ لِلْقَصَبِ يُقَالُ قَصَبٌ مُهْضَمٌ لِلَّتِي يَزْمَرُ بِهَا.

له بالفارسية ناي . قال الراعي يصف الحادي :

رَجُلُ الحُدَاءِ كَأَنَّ فِي خَيْرِزُومِهِ قَصَباً وَمُقْنَعَةً^(١) الحنين عَجُولاً

المُقْنَعُ: الرافع رأسه في هذا الموضع ، ويقال في غيره الذي يحيط رأسه
إستخذاء وندماً . وقال الله جل وعز: ﴿مُقْنَعِي رُؤُوسِهِمْ﴾^(٢) . ومن قال: هو
الرافع رأسه ، فتأويله عندنا أنه يتناول فينظر ثم يطأطأ رأسه فهو بَعْدُ يرجع
إلى الإغضاء والانكسار . والبعير يحن كأشد الحنين إلى الألفه إذا أُخِذَ من
المنضيق ، قال وأكثر ما يحنُّ عند العطش . قال الشاعر:

(وتَفَرَّقُوا بعد الجميع لِنِيَّةٍ لا بُدَّ أن يَتَفَرَّقَ الجيرانُ)

لا تَصْبِرُ الإبلُ الجَلاد تَفَرَّقَتْ بعد الجميع ويصبر الإنسانُ

وقال آخر .

وهل رِيبةٌ في أن تَجُنَّ نَجِيبَةً إلى إلفها أو أن يحنَّ نَجِيبٌ

وإذا رَجَعَتِ الحنين كان ذلك أحسن صوت يهتاج له المفارقون ، كما
يهتاجون لنوح الحمام ولالتياح^(٣) البروق .

في نوح الحمام

وقال عَوْفُ بن مُحَلِّمٍ وسمع نوح حمامة :

ألا يا حَمَامَ الأَيْلِكِ إلفُكَ حاضِرٌ وغصنك مَيَّالٌ فقيم تنوح
أفوق لا تَنعُ من غير شيءٍ فإنني بكيتُ زماناً والفؤادُ صحيح
ولوعاً^(٤) فَشَطَّتْ^(٥) غَرَبَةَ دارُ زينبٍ فها أنا أبكي والفؤادُ قَريحُ

(١) مقنعة: بفتح النون أراد بها الناي لأن الزامر إذا أزمر أقنع رأسه .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٤٣ .

(٣) الناح البرق : بدا وأومض ، الالتياح : وميض البرق .

(٤) الولوع : بالفتح مصدر قولك ولعت بالشيء إذا علقته به .

(٥) شطت : بعدت .

وكل مَطْوُوقَةٌ عند العرب حمامةٌ كالدُّبْسِيِّ والقُمْرِيِّ والوَرَشَانِ وما أشبه ذلك.

قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ يصف حمامة.

وما هاج هذا الشوقَ إلا حمامةٌ
إذا شئتُ غَشَّني بأجزاء^(٤) بيشةٍ
مَطْوُوقَةٌ خُطْبَاءُ^(٥) تَسْجَعُ كُلَّما
مَحَلَّةٌ طَوْقٍ لم يكن من تَمِيمَةٍ
تَغْنَتْ على غصنٍ عِشَاءً فلم تَدْعُ
إذا حَرَكْتَهُ الرِّيحُ أو مالَ مَيْلَةً
عَجِبْتُ لها أنِّي يكونُ غِنَاؤها
فَلَمْ أَرِ مثلي شاقَهُ صوتٌ مثلها

وقال ابن الرِّقَاعِ وذكر حمامة:

(ومما شَجَانِي أنِّي كُنْتُ نائماً
إلى أن بَكَتُ ورقاءَ في غصنٍ أَيْكَةٍ
فلو قيل مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً
ولكنْ بَكَتْ قَبْلِي فهاج لي البكا
أَعْلَلُ من بَرْدِ الكَرَى بالتَّسْمِ
تَرَدَّدَ مَبْكَاهَا يحسن التَّرنَمَ
بُسْعَدَى شَفِيتُ النَّفْسَ قبل التَّنْدَمِ
بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمَتَقَدِّمِ

أما قول حميد: دعت ساق حر فإنما حكى صوتها. ويقال للواحد ذكراً كان أو أنثى حمامة والجمع الحمامات. فإذا كان ذكراً قلت هذا

(١) ساق حر: هو ذكر الفماري.

(٢) الترحة: الحزن والهم.

(٣) الترنم: التطريب.

(٤) أجزاء: جمع جزع بالكسر وقال أبو عبيدة اللاتق به أن يكون مفتوحاً وهو منعطف الوادي ووسطه ولا يسمى جزءاً حتى تكون فيه سعة تثبت فيها الأشجار.

(٥) الخطباء: التي فيها خطبة بالضم وهي لون كدر مشرب حمرة في صفرة.

(٦) الملولم: الأمر الذي وقع في اللاتمة على الفعل السيء.

حمامة، وإذا كانت أنثى قلت هذه حمامة، وكذلك هذا بطة وهذه بطة. ويقال بقرة للذكر والأنثى ودجاجة لهما، فإذا قلت ثور أو ديك بيّنت الذكر واستعنت عن تقديم التذكير. ويقال للحمامة تَغَنَّتْ وناحت وذاك أنه صوت حسن غير مفهوم، فَيُشَبَّهُ مرةً بهذا ومرةً بهذا. قال قيس بن معاذ:

ولو لم يَشُقْنِي الظاعنون لَشَأْنِي حمائمٌ ورُقٌ في الديار وقوع
تجاوِبنَ فاستَبْكَيْنَ من كان ذا هوى نوائحٌ ما تجري لهن دموع

وقوله: وانجال الربيع، يقال انجال عنا أي أفلح، ومثل ذلك أنجم عنا، وإن قلت أنجم فمعناه لزم ووقع فهو خلاف أنجم. وإن قلت انجاب فمعناه انشق. يقال المجوب للحديدة التي يثقب بها العسيب. ويقال جبت البلاد، أي دخلتها ووطفتها. وفي القرآن: ﴿وتمود الذي جابوا الضحى بالواد﴾^(١)، أي شقوه. وقوله: لم يكن من تميمة، التميمة المعاذة وقد مضى هذا وقوله: ولم تغفر بمنطقها فما، يقول لم تفتح، يقال فغر فاه إذا فتحه (حكى ثعلب فغر فاه وفغر نفسه. وكذلك شحا فاه وشحا نفسه) وقوله: ولا عريباً شاقه صوت أعجما، يقول: لم أفهم ما قالت، ولكنني استحسنْتُ صوتها واستحزنته فحننت له.

في الغناء

ويروى أن بعض الصالحين كان يسمع الفارسية تنوح ولا يدري ما تقول، فبيكيه ذلك ويرققه ويذكر به غير ما قصدت له. وحَدَّثْتُ أن بعض المُحدِّثين سمع غناءً بخراسان بالفارسية فلم يدر ما غير أنه شوقه لشجاء وحُسنه. فقال في ذلك:

حَمِدْتُكَ لَيْلَةً شَرُفَتْ وَطَأَتْ أقام سهادها^(٢) ومضى كراها

(١) سورة الفجر الآية ٩.

(٢) أقام سهادها: يريد أن السرور هجم عليه حتى نفى النوم عن عينيه.

سمعتُ بها غناءً كان أولى بأن يقتاد^(١) نفسي من غناها
 الغناء الأول الممدود من الصوت. والذي ذكره بعد في القافية من المال
 المقصورة:

وَمُسْمِعةٌ^(٢) يَحَارُ السَّمْعُ فِيهَا وَلَا تُضَمُّهُ لَا يَضُمُّ صَدَاهَا
 مَرَّتْ أوتارها فَشَفَّتْ وشاقتْ فلو يَسْطِيعُ حاسدُها فداها
 ولم أفهم معانيها ولكن وَرَتْ كَيْدِي فلم أَجْهَلْ شَجَاها
 فكنتُ كأنني أعمى مُعْنَى بحبِّ الفانيات وما يراها

(وقال عَبْدُ بنِي الحَسَّاسِ:

وراهنُ ربي مثل ما قد ورَّيتني وأحمى على أكبادهن المكاويا)
 قال أبو العباس: والشيء يذكر بالشيء وإن كان دونه، فنجري ذكره لاحتواء
 الباب والمعنى عليهما. وفي شعر حميد هذا ما هو أحكم مما ذكرنا وأوعظُ
 وأخرى أن يتمثل به الاشراف وتُسَوَّدُ به الصحف. وهو قوله:
 أرى بَصْرِي قد رابني بعد صِحَّةٍ وحسبك داءً أن تصحَّ وتسلما
 ولا يَلْبَثُ العَصْرانِ يومٌ وليلة إذا طلبا أن يذكرا ما تيمما
 ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: كفى بالسلامة داءً.

عودة إلى التشبيه

ثم نرجع إلى التشبيه، والعرب تُشَبِّهُ على أربعة أضرب فتشبيه مفرط
 وتشبيه مُصِيب، وتشبيه مقارب وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه.
 وهو أخشن الكلام. فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسَّيْحِي هو كالْبَحْرِ
 وللشجاع هو كالأسد وللشريف سَمَا حتى بَلَغَ النجم. ثم زادوا فوق ذلك،

(١) يقتاد نفسي يقول كان أولى وأحق أن يجذب حالي وتجلبني منه جوداً وسخاءً.
 (٢) المسمعة: المغنية.

فمن ذاك قول بعضهم . (وهو بكر بن النطاح . يقوله لأبي دلف القاسم بن عيسى) .

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البر صار البر أندى من البحر
ولو أن خلق الله في مسك^(١) فارس وبارزه كان الخلي من العمر

وقد قيل إن امرأة عمران بن حطان . قالت له أما زعمت أنك لم تكذب في شعر قط . قال أو فعلت . قالت أنت القائل :

فهنالك مجزأة بن ثور ركان أشجع من أسامة

أفيكون رجل أشجع من الأسد؟ قال فقال: أنا رأيت مجزأة فتح مدينة والأسد لا يفتح مدينة . ومن عجيب التشبيه في إفراط غير أنه خرج في كلام جيد وعني به رجل فخرج من الاحتمال إلى باب الاستحسان ثم جعل لجودة ألفاظه وحسن رصفه واستواء نظمه في غاية ما يستحسن قول النابغة يعني حصن بن حذيفة (بن بدر بن عمرو الفزاري) :

يقولون حصن^(٢) ثم تابى نفوسهم وكيف بحصن والجبال^(٣) جنوح

ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزُل نجوم السماء والأديم صحيح
فعما قليل ثم جاء نعيه فظل ندي الحى وهو ينسوح

ومن تشبيههم المتجاوز الجيد النظم ما ذكرناه وهو قول أبي الطمحان :

(١) المسك بالفتح الجلد يقول ولو أن خلق الله كلهم اجتمعوا في صورة رجل واحد وبارز أبا دلف لانقضى أهله وصلوقته . يصف أبا دلف بالشجاعة بعد ما وصفه بالكرم والمرؤة وهذه كلها صفات مبالغ فيها أي مبالغة .

(٢) يقولون حصن : يريد أن الناس بلغهم موت حصن ثم أبت نفوسهم أن تصدق بهذا الخبر لأنهم لم يشاهدوا ما يدل عليه ويشهد له .

(٣) الجبال جنوح : أي مقبلة علينا كما كنا نراها ثابتة مكانها لم تتحرك ولم تضطرب ، يقول لو كان الأمر كما قيل لزالّت واضطربت . هذا ما عنتمه في هذا البيت وإن كان الاداء قاصراً عن هذا المعنى .

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ويروى عن الأصمعي أنه رأى رجلاً يختال في أزيّر^(١) في يوم قر في مشيته
فقال له: ممن أنت يا مَقْرور. فقال أنا ابن الوحيد أمشي الخيزلي^(٢) ويذفني
حسبي. وقيل لآخر في هذه الحال أما يوجعك البرد؟ فقال: بلى والله ولكني
أذكر حسبي فأدفاً. وأصوبُ منهما قول العريان الذي سُئل في يوم قر عما يجد
فقال: ما عليّ منه كبير مؤنة. وقيل وكيف؟ فقال دام بي العري فاعتاد بدني
ما تعتاده وجوهكم. ومن التشبيه القاصد الصحيح قول النابغة:

وعيدُ أبي قابوس^(٣) في غير كُنْهِهِ أتاني ودوني راكس^(٤) فالضواجع^(٥)
فبتُ كاني ساورتنى^(٦) ضئيلة^(٧) من الرقش^(٨) في أنيابها السُمُ ناقع
يسهدُ من نوم العشاء سليمها^(٩) ليحلي النساء في يديه قعاقع
تناذرها الراقون^(١٠) من سوء سُمها تطلقه طوراً وطوراً تراجع

فهذه صفة الخائف المهموم. ومثل ذلك قول الآخر:

تبيتُ الهموم الطارقاتُ يعُدني كما تعترى الأوصابُ رأس المطلق
والمطلق هو الذي ذكره النابغة في قوله: (تطلقه طوراً وطوراً تراجع) وذلك
أن المنهوش إذا ألح الوجعُ به تارة وأمسك عنه تارة، فقد قارب أن يؤأس من

(١) أزيّر: مصغر الأزار.

(٢) الخيزلي: بالقصر مشية فيها ثقاقل وتفكك.

(٣) أبو قابوس كنية النعمان بن المنذر ملك العرب.

(٤) وراكس: اسم وادي.

(٥) الضواجع: اسم موضع.

(٦) ساورتنى: واثبتني.

(٧) الضئيلة: الحية الدقيقة.

(٨) الرقش جمع رقشاء: وهي الحية المنقطة بسواد وبياض.

(٩) السليم: اللديع.

(١٠) تناذرها الراقون: انذر بعضهم بعضاً وحذره وخوفه.

بُرْثُهُ وَإِنَّمَا ذَكَرَ خَوْفَهُ مِنَ النِّعْمَانِ، وَمَا يَعْتَرِيهِ مِنْ لَوْعَةٍ فِي أَثَرِ لَوْعَةٍ، وَالْفَتْرَةُ بَيْنَهُمَا وَالْخَائِفُ لَا يَنَامُ إِلَّا غِرَارًا فَلِذَلِكَ شَبَّهَ بِالْمَلْدُوغِ الْمُسَهَّدِ. وَقَوْلُهُ: لَحَلَّى النِّسَاءَ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعَ. لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَلْعَقُونَ حُلَى النِّسَاءِ عَلَى الْمَلْدُوغِ يَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْبَرِّ. لِأَنَّهُ يَسْمَعُ تَقَعُّعَهَا فَيَمْنَعُهُ النَّوْمَ فَلَا يَنَامُ فَيَذِبُ السُّمَّ وَيُسَهِّدُ لَذَلِكَ. وَقَالَ الْآخَرُ:

كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كُفَّةُ حَابِلٍ
يُؤْتَى إِلَيْهِ أَنْ كُلَّ ثَنِيَّةٍ تَيَمَّمَهَا تَرْمِي إِلَيْهِ بِقَاتِلٍ

يَقَالُ لِكُلِّ مُسْتَطِيلٍ كُفَّةٌ. يَقَالُ كُفَّةُ الثَّوبِ لِحَاشِيَتِهِ وَكُفَّةُ الْحَابِلِ إِذَا كَانَتْ مُسْتَطِيلَةً. وَيَقَالُ لِكُلِّ شَيْءٍ مُسْتَدِيرٍ كُفَّةٌ. وَيَقَالُ ضَعْفُهُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ. فَهَذِهِ جُمْلَةٌ هَذَا. وَكُفَّةُ الْحَابِلِ يَعْنِي صَاحِبَ الْحَبَالَةِ الَّتِي يَنْصَبُهَا لِلصَّيْدِ وَأَمَّا التَّشْبِيهِ الْبَعِيدُ الَّذِي لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ فَكَقَوْلِهِ:

بَلْ لَوْرَاتْنِي أُخْتُ جِيرَانِنَا إِذَا نَا فِي الدَّارِ كَأَنِّي حِمَارٌ

فَإِنَّمَا أَرَادَ الصَّحَّةَ فَهَذَا بَعِيدٌ لِأَنَّ السَّامِعَ إِنَّمَا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ بِغَيْرِهِ. وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ، وَهَذَا الْبَيِّنُ الْوَاضِحُ: كَمَثَلِ ﴿الْحِمَارُ يَحْمِلُ أَصْفَارًا﴾^(١) وَالسَّفَرُ الْكِتَابُ. وَقَالَ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾^(٢) فِي أَنَّهُمْ قَدْ تَعَامَوْا عَنْهَا وَأَضْرَبُوا عَنْ حُدُودِهَا وَأَمْرَهَا وَنَهْيِهَا، حَتَّى صَارُوا كَالْحِمَارِ الَّذِي يَحْمِلُ الْكُتُبَ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِيهَا.

وَهَجَا مَرْوَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي خَفْصَةَ مِنْ رِوَاةِ الشَّعْرِ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا هُوَ عَلَى كَثْرَةِ اسْتِكْثَارِهِمْ مِنْ رِوَايَتِهِ فَقَالَ:

زَوَامِلُ^(٣) لِلْأَشْعَارِ لَا عِلْمَ لِمُنْدِهِمْ بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْإِبَاعِرِ

(١) سُورَةُ الْجُمُعَةِ: الْآيَةُ رَقْم ٥.

(٢) سُورَةُ الْجُمُعَةِ: الْآيَةُ رَقْم ٥.

(٣) زَوَامِلُ: جَمْعُ زَامِلَةٍ وَهِيَ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا مِنَ الْإِبِلِ وَغَيْرِهَا.

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا بِأَوْسَاقِهِ أَرْوَاحَ مَا فِي الْغَرَائِرِ

من تشابيه العرب

والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس . وقد وقع على ألسن الناس من التشبيه المستحسن عندهم وعن أصل أخذوه أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبي أو البقرة الوحشية . والانفَ بحدِّ السيف والفم بالخاتم والشعر بالعناقيد والعنق بإبريق فضة والساق بالجُمَارِ، فهذا كلام جارٍ على الألسن . وقد قال سُراقَةُ بن مالك بن جُعْشَمٍ : فرأيت رسول الله ﷺ وساقاه باديتان في غرزه^(١) كأنهما جُمَارَانِ فَأَرَدْتُهُ ، فوقعت في مَقْنَبٍ^(٢) من خيل الأنصار فَقَرَّ عُونِي^(٣) بِالرَّمَا ح ، وقالوا أين تريدُ . وقال كعب بن مالك الأنصاري : وكان رسول الله ﷺ : إِذَا سُرْتُ بَلَجٌ^(٤) وجهه فصار كأنه البدرُ ، وعينُ الإنسان مشبهة بعين الظبي والبقرة في كلامهم المنشور وشعرهم المنظوم من جاري ما تكلمت به العرب ، وكثير من أشعارها قال :

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكَ جِيدُهَا وَلَكِنْ عَظَمَ السَّاقِ مِنْكَ دَقِيقُ

مركز تحقيقات كليات العلوم الإسلامية

(وقال ذو الرمة) :

أَرَى فِيكَ مِنْ خَرْقَاءَ يَا ظَبِيَّةَ اللَّوَى مُشَابِهَ جُنْبٍ^(٥) اغْتَلَاقَ الْحَبَائِلِ
فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكَ جِيدُهَا لَوْ أَنَّكَ إِلَّا أَنَّهَا غَيْرُ عَاطِلٍ^(٦)

وقال الآخر :

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ رُقَاقٍ ابْنِ وَاقِفٍ

(١) الغرز: ركاب من الجلود.

(٢) مقنب: بالكسر جماعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

(٣) قرعوني: ضربوني.

(٤) تبلج وجهه: أشرف وأضاء.

(٥) جنب: اعتلاق الحبائل: دعاء لها.

(٦) العاطل المرأة التي ليس عليها حلي.

طَلَعْنَ بِأَعْنَاقِ الظُّبَاءِ وَأَعْيَنَ الْجَدَّ لَازِرٍ وَأَمْتَدَّتْ بِهِنَّ السَّرَوَادِفُ
ويقال للخطيب: كَانَ لِسَانَهُ مَبْرَدًا، فهذا الجاري في الكلام. كما يقال:
لِلطَوِيلِ كَأَنَّهُ رُمُحٌ. ويقال للمُهْتَزِّ لِلْكَرَمِ كَأَنَّهُ غُصْنٌ تَحْتَ بَارِحٍ. ومن مליح
التشبيه قول القائل:

لَعَيْنَاكَ يَوْمَ الْبَيِّنِ أَسْرَعُ وَكَفَا مِنَ الْفَنَنِ ^(١) الْمَمْطُورِ وَهُوَ مَرْوَحٌ
وذاك أن الغصن يقع المطر في وَرْقِهِ فيصير منها في مِثْلِ الْمَدَاهِنِ فإذا
هَبَّتْ بِهِ الرِّيحُ لَمْ تُلَبِّثْهُ أَنْ تُقَطِّرَهُ. ثم نذكر بعد هذا طرائف من تشبيه
المُحَدِّثِينَ وَمَلَاحِظَاتِهِمْ فَقَدْ شَرَطْنَاهُ فِي أَوَّلِ الْبَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قال أبو
العباس: ومن أكثرهم تشبيهاً لاتساعه في القول وكثرة تَفَنُّنِهِ، واتساع مَذهَبِهِ
الحسن بن هانئ، قال في مديحه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك:

وَكُنَّا إِذَا مَا الْحَائِنُ ^(٢) الْجَدُّ غَرَّهُ سَنَى بَرْقٍ غَارٍ أَوْ ضَجِيجُ رِعَادٍ
تَرَدَّى لَهُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ بِمَاضِي الطُّبَى أَزْهَاءُ طَوَّلِ نِجَادٍ
أَمَامَ خَمِيسٍ أَرْجُوَانٍ كَأَنَّهُ قَمِصٌ مَحْلُوكٌ مِنْ قَنَّا وَجِيَادٍ
فَمَا هُوَ إِلَّا الدَّهْرُ يَأْتِي بِصَرْفِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ يَشْقَى بِهِ وَيُعَادِي

قوله الحائن الجد، يقال: حَانَ الرَّجُلُ إِذَا دَنَا مَوْتَهُ. ويقال: رَجُلٌ حَائِنٌ،
والمصدر الْحَيْنُ، وَالْجَدُّ الْحَظُّ، وَالْجَدُّ وَالْجَدَّةُ مَفْتُوحَانِ، فَإِذَا أُرِدَتْ الْمَصْدَرُ
مِنْ جَذَذْتُ فِي الْأَمْرِ قُلْتُ أَجِدُّ جَدًّا مَكْسُورَ الْجِيمِ. ويقال جَذَذْتُ النَّخْلَ أَجْدُهُ
جَدًّا إِذَا صَرَمْتَهُ. ويقال: جَذَذْتُهُ جَدًّا وَتَرَكْتُ الشَّيْءَ جُذَاذَا إِذَا قَطَعْتَهُ قِطْعًا.
وَيُرْوَى هَذَا الْبَيْتُ لَجَرِيرٍ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَلِ الْمُهَلَّبِ جَدَّ اللَّهِ دَابِرَهُمْ ^(٣) أَضْحَوْا رَمَادًا فَلَا أَصْلَ وَلَا طَرَفُ

(١) الفَنَنُ: الغصن.

(٢) الحائن: الجد لعله يريد عاثر الجد والحظ.

(٣) جد الله دابرهم: أي أهلكهم الله كلهم حتى لا يبقى منهم أحد ودابر القوم آخر من يبقى منهم
ويجيء في آخرهم.

ويروى جَدَّ، وقرأ بعض القراء عطاءً غير مجذوذ. فأما قوله: فَجَعَلَهُمْ
جُذَازًا، فلم يُقرأ بغيره. ويقال: كم جذاذٌ نخلك، أي كم تُصِرُّ منها. ويروى
في قول الله جل وعز: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾^(١) عن أنس بن مالك، غنى
ربنا. وقرأ سعيد بن جبير جَدَّاً ربنا، ولو قرأ قارئ جَدَّاً ربنا على معنى جَدَّ
ربنا لم يُقرأ به لتغير الخط. وكذا قراءة سعيد مخالفة الخط. وهذا الشعر يُنشَدُ
بالكسر:

أَجْدَكَ لَمْ تَغْتَمِضْ لَيْلَةً فَتَرَقَّدَهَا مَعَ رُقَادِهَا

ومثله (قول الأعشى):

أَجْدَكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الْإِلَهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا
لأن معناه أَجْدَّاً منك على التوقيف، وتقديره في النصب أَتَجْدُّ جَدَّاً. ويقال:
امرأة جَدَّاء، إذا كانت لا تُدِّي لها فكأنه قُطِعَ منها لأن أصل الجد القطع.
ويقال: بلدة جَدَّاء إذا لم تكن بها مياه. قال الشاعر:
وَجَدَّاءَ مَا يُرْجَى بِهَا ذُو هَوَادَةٍ لَعَرَفَ^(٢) وَلَا يَخْشَى السُّمَاءَ رَبِيبُهَا
(القربة والهواة في المعنى واحد، قال أبو الحسن: السُّمَاءُ هم الصادة
نصف النهار. وروى عن بعض أصحابنا عن المازني قال: إنما سُمِّيَ سامياً
بالمِسْمَاة، وهو خفٌ يلبسه لئلا يسمع الوحش وطأه، وهو عندي من سَمَا
للصيد) وَيُنَشَّدُ هَذَا الْبَيْتُ:

أَبَى حُبِّي سُلَيْمَى أَنْ يَبِيدَا وَأَصْبَحَ حَبْلُهَا خَلْقاً جَدِيدَا

يقول: أصبح خَلْقاً مَقْطُوعاً، لأن جديداً في معنى مجذود أي مقطوع،
كما تقول قَتِيلٌ ومَقْتُولٌ وجَرِيحٌ ومَجْرُوحٌ. ويقال في غير هذا المعنى رجل
مَجْدُودٌ إذا كان ذا خَطَرٍ أي حظ، وفي الدعاء: وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ،

(١) سورة الجن: الآية ٣.

(٢) العرف: النوال والاحسان.

أَيُّ مَنْ كَانَ لَهُ حِظٌّ فِي دُنْيَاهُ لَمْ يَدْفَعْ ذَلِكَ عَنْهُ مَا يَرِيدُ اللَّهُ بِهِ، وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ:
وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ يَرِيدُ الْاجْتِهَادَ لَكَانَ وَجْهًا. وَقَوْلُهُ: سَنَى بَرَقَ غَارٌ،
وَالسَّنَى مِنَ الضِّيَاءِ مَقْصُورٌ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿يَكَادُ سَنَى بَرْقُهُ يَذْهَبُ
بِالْأَبْصَارِ﴾ (١) وَالسَّنَاءُ مِنَ الْمَجْدِ مَمْدُودٌ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَهُمْ قِسْمٌ كِرَامُ الْحَيِّ طَرًّا لَهُمْ خَوْلٌ (٢) إِذَا ذُكِرَ السَّنَاءُ

وَضَرَبَهُ الْحَسَنُ هَهُنَا مَثَلًا وَجَمَعَ الرَّعْدُ فَقَالَ رِعَادُ كَقَوْلِكَ كَلْبٌ وَكِلَابٌ
رَكْعَبٌ وَرِكَعَابٌ. وَقَوْلُهُ بِمَاضِي الظُّبَى، ظُبَةٌ كُلُّ شَيْءٍ حَدُّهُ، يُقَالُ: وَخَزَهُ بِظُبَةٍ
لِسَيْفٍ يَرَادُ بِذَلِكَ حَدُّ طَرَفِهِ. وَقَوْلُهُ أَزْهَاهُ طَوَّلُ نَجَادٍ، النِّجَادُ حِمَائِلُ السَّيْفِ،
وَأَزْهَاهُ رَفْعُهُ وَأَعْلَاهُ. وَالرَّجُلُ يُمَدِّحُ بِالطَّوْلِ فَلِلَّذَلِكَ يُذَكَّرُ طَوَّلُ حِمَائِلِهِ. قَالَ
مُرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ يَمْدَحُ الْمَهْدِيَّ:

من مدح المهدي

قُصِّرَتْ حِمَائِلُهُ عَلَيْهِ فَقَلَّصَتْ (٣) وَلَقَدْ تَأَنَّقَ فَيُنْهَاهَا فِاطِمَاتُهَا

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ يَمْدَحُ مُحَمَّدًا الْأَمِينَ:

مَبْطُطُ الْبَنَانِ (٤) إِذَا احْتَبَى بِجَاهِهِ غَمْرُ الْجَمَاجِمِ (٥) وَالسِّمَاطُ (٦) قِيَامُ

وَقَالَ جَرِيرٌ لِلْفَرَزْدَقِ:

تَعَالَوْا فَنَاتُونَا فِي الْحُكْمِ مَقْنَعٌ (٧) إِلَى الْغُرِّ مِنْ أَهْلِ الْبَطَاحِ (٨) الْأَكَارِمِ

(١) سورة النور: الآية رقم ٤٣.

(٢) الخَوْل: محركاً ما أعطاك الله من النعم.

(٣) قلصت: أي ارتفعت عن موضعها ولم تصل إليه.

(٤) مبطط البنان: كناية عن السخاء والكرم.

(٥) غمر الجماجم: أي كان فوق كل من كان معه.

(٦) السميط: الجماعة من الناس.

(٧) مقنع: ياتقنع أي رضي بضع به.

(٨) البطح: بالكسر جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

فإني لأَرْضَى عَبْدَ شمسٍ وما قَصَصْتُ . وأَرْضَى الطَّوَالَ الْبَيْضَ مِنْ آلِ هاشمٍ
وقال الآخر:

لَمَّا التَّقَى الصُّفَّانِ واخْتَلَفَ الْقَنَا نِهَالاً وَأَسْبَابُ الْمَنَايَا نِهَالَهَا
تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْقِمَامَةَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَشَدَّاءَ الرِّجَالِ طَوَالَهَا
وقوله أما خميس: الخَمِيسُ ههنا الجيش، وكذلك قال رَبِيعَةُ^(١) أَهْلَ خَيْبَرَ لما
أَظَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِم: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ^(٢)، أَيِ وَالْجَيْشِ، وقال الشاعر وهو
طَرْفَةٌ:

وَأَيُّ خَمِيسٍ لَا أَفَانَا نِهَابَهُ^(٣) وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ كَبْشِهِ^(٤) دَمَا
أَفَانَا رَدَدْنَا يَقَالُ: أَفَاءَهُ يُفِيءُ إِذَا رَدَّ، وَالْأَرْجَوَانُ الْأَحْمَرُ، قال الشاعر:
عَشِيَّةً غَادَرَتْ خَيْلِي حُمَيْدًا كَأَنَّ عَلَيْهِ حُلَّةً أَرْجَوَانِ
وَالْجِيَادُ الْخَيْلُ. وفي الْقُرْآنِ ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِئَاتُ
الْجِيَادُ﴾^(٥) وَمِنْ تَشْبِيهِهِ الْجَيْدِ فِي هَذَا الشَّعْرِ الَّذِي ذَكَرْنَا قَوْلَهُ:

تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى بَابِ دَارِهِ كَأَنَّهُمْ رِجُلًا دَبَى وَجَرَادِ
فَيَوْمٌ لِلْأَحَاقِ الْفَقِيرِ بِذِي الْغِنَى وَيَوْمٌ رِقَابٍ بُوْكَرَتْ لِحْصَادِ

من خمريات أبي نواس

ومن التشبيه الجيد قوله: أَيُّ أَبِي نُوَاسٍ الْحَسَنِ بْنِ هَانِيٍّ:

(١) ربيعة: العين والطليلة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه.

(٢) محمد والخميس: محمد خبر مبتدأ محذوف أي هذا محمد وسمي الجيش خميساً لأنه مقسوم بخمسة أقسام المقدمة والساق والميمنة والميسرة والقلب أو لأنه تخمس فيه الغنائم.

(٣) النهاب: جمع نهب وهو الغنيمة.

(٤) الكبش: قائد الجيش.

(٥) سورة ص: الآية رقم ٣١.

فكأنني بما أزيّن منها^(١) قَعْدِي^(٢) يُزَيّنُ التَّحَكِيمَا

وفي سبب هذا الشعر أن الخليفة تشدّد عليه في شرب الخمر وحبسه من أجل ذلك حبساً طويلاً فقال:

أَيُّهَا الرَّائِحَانِ بِاللُّؤْمِ لُومَا	لَا أَذوقُ الْمُدَامَ إِلَّا شَمِيمَا
نَالَنِي بِالْمَلَامِ فِيهَا إِمَامٌ	لَا أَرَى لِي خِلَافَهُ مُسْتَقِيمَا
فَاصْرِفَاهَا إِلَى سِوَايَ فَإِنِّي	لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمَا
كَبُرَ حَظِّي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ	أَنْ أَرَهَا وَأَنْ أَشَمَّ النَّسِيمَا
فَكَأَنِّي بِمَا أَزَيَّنُ مِنْهَا	قَعْدِي يُزَيّنُ التَّحَكِيمَا
لَمْ يُطِقْ حَمَلُهُ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ	بِ فَأَوْصَى الْمُطِيقُ إِلَّا يُقِيمَا

فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحد .

في وصف الفرس

قال : وَحَدَّثْتُ أَنَّ الْعِمَانِيَّ الرَّاجِزَ أَشَدَّ الرَّشِيدَ فِي صِفَةِ فَرَسٍ :

كَأَنَّ أُذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا^(٣) قَادِمَةً^(٤) أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا

فعلم القوم كلهم أنه قد لحن ولم يهتد منه أحد لإصلاح البيت إلا الرشيد فإنه قال له قل : (تخال أذنيه إذا تشوفا) ، والراجز وإن كان لحن فقد أحسن التشبيه . ويروى أن جريراً دخل إلى الوليد وابن الرقاع العاملي عنده يُنشدُه القصيدة التي يقول فيها :

(١) منها : الضمير يعود إلى الخمر .

(٢) والقعدى بالفتح واحد القعد بالتحريك وهم طائفة من الخوارج ترى رأيهم وتقول بقولهم ولا تذهب إلى القتال معهم .

(٣) تشوفا : تطاولا وتناظرا .

(٤) القادمة من ريش الجناح ما كانت في مقدمه وكان الواجب الرفع على أنه خبر كأن إلا أنه لحن فنصبه وما بعده .

غَلَبَ الْمَسَامِيحَ الْوَلِيدُ سَمَاحَةً وَكَفَى قُرَيْشَ الْمُعْضِلَاتِ ^(١) وَسَادَهَا
 قَالَ جَرِيرٌ: فَحَسَدْتَهُ عَلَى أُبَيَّاتٍ مِنْهَا حَتَّى أَنْشَدَ فِي صِفَةِ الظُّبْيَةِ:
 (تُرْجِي أَغْنُ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ).

قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي وَقَعَ وَاللَّهِ مَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ أَوْ يُشَبِّهَ بِهِ قَالَ فَقَالَ:
 (قَلَمُ أَصَابٍ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادُهَا)
 قَالَ: فَمَا قَدَرْتُ حَسَدًا لَهُ أَنْ أَقِيمَ حَتَّى انصَرَفَتْ. وَمِنْ تَشْبِيهِ الْحَسَنِ الَّذِي
 نَسْتَظِرُّهُ قَوْلُهُ:

تُعَاطِيكُهَا ^(٢) كَفَّ كَأَنَّ بَنَانَهَا إِذَا اغْتَرَضَتْهَا الْعَيْنُ صَفٌّ مَدَارِي ^(٣)
 وَمِنْ التَّشْبِيهِ الْمَلِيحِ قَوْلُهُ:

وَكَأَنَّ سُعْدِي إِذَا تُودَّعُنَا وَقَدْ أَشْرَابُ ^(٤) الدَّمْعُ أَنْ يَكِفَا
 رَشًا تَوَاصِيْنِ الْقِيَانُ بِهِ حَتَّى عَقْدُنْ بِأُذُنِهِ شُنْفَا ^(٥)
 (يُقَالُ: أَشْرَابٌ لَأَنْ يَكْلَمَنِي إِذَا تَهَيَّأَ لِكَلَامِكَ، وَأَشْرَابُ الدَّمْعِ إِذَا تَهَيَّأَ
 لِلْوَكْفِ) وَفِي هَذَا الشَّعْرِ مِنَ التَّشْبِيهِ:
 خَبِرْ فَوَادَكَ أَوْ سَتُخْبِرُهُ قَسَمًا لَشَتَّهِينَ أَوْ حَلِيفَا
 الْحَبُّ ظَهَرَ أَنْتَ رَاكِبُهُ فَإِذَا صَرَفْتَ عِنَانَهُ أَنْصَرَفَا
 وَمِنْ التَّشْبِيهِ الْجَيِّدِ قَوْلُهُ:
 إِلَيْكَ رَمَتْ بِالْقَوْمِ خَوْصُ ^(٦) كَأَنَّمَا جَمَاجِمُهَا فَوْقَ الْحِجَاجِ قُبُورِ
 وَلَهُ أَيْضًا:

-
- (١) الْمَسَامِيحُ: كَأَنَّهُ جَمْعُ مَسَامِيحٍ لِكَثْرَةِ الْجُودِ وَالْإِعْطَاءِ، وَالْمُعْضِلَاتُ الشَّدَائِدُ.
 (٢) تُعَاطِيكُهَا: الضَّمِيرُ لِلْخَمْرِ.
 (٣) الْمَدَارِي وَاحِدَةٌ مَدْرَاةٌ وَهِيَ شَيْءٌ يَعْمَلُ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ خَشَبٍ عَلَى شَكْلِ سِنٍّ مِنْ أَسْتَانِ الْمَشْطِ يَسْرَحُ بِهِ الشَّعْرَ الْمُتَلَبِّدَ.
 (٤) أَشْرَابٌ: قَرَبٌ وَتَهَيُّأٌ.
 (٥) تَوَاصِيْنِ الْقِيَانِ: فَاعِلَانِ لِفِعْلٍ وَاحِدٍ عَلَى لُغَةِ «أَكَلْتَنِي الْبَرَاغِيثُ»- شُنْفَا: حَلَقَةُ خَزَامٍ لِلتَّجْمَلِ.
 (٦) الْخَوْصُ: بِالضَّمِّ وَهُوَ الْبَعِيرُ.

سَأَرْحُلُ مِنْ قَوْدٍ (١) الْمَهَارِي (٢) شِمْلَةً (٣) مُسَخَّرَةً مَا تُسْتَحَثُّ بِحَادِي
 مَعَ الرِّيحِ مَا رَاحَتْ فَإِنْ هِيَ أَغْصَفَتْ (٤) تَهَوُّزٌ (٥) بِرَأْسِ كَالْعَلَاةِ (٦) وَهَادِي (٧)
 العَلَاةُ السِّندَانُ قَالَ جَرِيرٌ:

أَيْفَخَرُ بِالْمَحَمِّ قَيْنٌ لَيْلَى وَبِالْكَبْرِ الْمُرْقَعِ وَالْعَلَاةِ
 وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فِي صِفَةِ السَّفِينَةِ:

بُنِيَتْ عَلَى قَدَرٍ وَلَا أَمَ بَيْنَهَا طَبَقَانِ مِنْ قَيْرٍ (٨) وَمِنْ أَلْوَحٍ
 فَكَأَنَّمَا وَالْمَاءُ يَنْطَحُ صَدْرَهَا وَالْخَيْرُ رَانَةٌ فِي يَدِ الْمَلَّاحِ
 جَوْنٌ مِنَ الْعُقْبَانِ يَتْتَدِرُ الدُّجَى يَهْوِي بِصَوْتٍ وَأَصْطَفَاقٍ جَنَاحِ

فِي وَصْفِ الْخَمْرِ

وَقَالَ فِي شَعْرِ آخَرَ، يَصِفُ الْخَمْرَ وَيَذْكُرُ صَفَاءَهَا وَرِقَّتَهَا وَضِيَاءَهَا
 وَإِشْرَاقَهَا:

إِذَا عَبَّ (٩) فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خَلَّتْهُ يُقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوُكْبًا
 فَأَمَّا قَوْلُهُ:

بَنَيْنَا عَلَى كُسْرَى سَمَاءٍ مَدَامَةٍ جَوَانِبُهَا مَحْفُوفَةٌ بِنَجُومِ

(١) القود: واحدها أقود وهو البعير الذلول المنقاد.

(٢) المهاري: بالفتح - واحدها مهري نسبة إلى مهرة بن حيدان حي من قضاة باليمن.

(٣) الشملة: بكسرتين مشددة اللام السريعة.

(٤) أغصفت: مروت مروراً سريعاً.

(٥) تهوز: كثيرة الحركة.

(٦) العلاة بالفتح: السندان أو حجر تجعل عليه الاقط.

(٧) الهادي: العنق.

(٨) قير: مادة سوداء تطل بها السفن.

(٩) عب: تابع الشرب.

فلورْدُ في كِسْرَى بنِ ساسان رَوْحُهُ إِذَا لَاصَطْفَانِي دُونَ كُلِّ نَدْبٍ

فإنما كانت صورة كسرى في الإناء. وقوله: جوانبها محفوفة بنجوم،
وإنما يريد ما تطوّق به من الزبد، وقد قال في أخرى (أول الشعر من غير
الأم:

ودارِ نَدَامِي خَلَفُوهَا وَأَدْجُوا^(١) بها أَثَرٌ مِنْهُمْ جَسَدِيَّ وَدَارِسُ
مَسَاجِبُ مِنْ جَرِّ الزَّفَاقِ عَلَى الثَّرَى وَأَضْغَاثُ^(٢) رَيْحَانِ جَنِّي وَيَاسَسِ
حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فَأَلَفْتُ شَمْلَهُم وَإِنِّي عَلَى أُمُثَالِ تِلْكَ (دَارِسُ)
أَقْمَنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَلَيْلَةً وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خَاصِرُ
تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ
قَرَارُتُهَا كِسْرَى وَفِي جَنَابَاتِهَا مَهَا^(٣) تَدْرِيهَا^(٤) بِالْقَيْسِيِّ الْفَرَارِسُ
فَلِلْخَمْرِ مَا ذُرْتُ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَائِسُ

العسجدية منسوبة إلى العسجد، وهو الذهب. وقال المثلث العبدى:

قالت: أَلَا لَا تَشْتَرِي ذَاكُم إِلَّا بِمَا شِئْنَا وَلَمْ يُسْجَدِ
إِلَّا بِبَدْرِي^(٥) ذَهَبٍ خَالِصٍ كُلُّ صَبَاحٍ أَخْرَجَ الْمُسْبَدِ^(٦)
مِنْ مَالٍ مَنْ يَجِبِي وَيُجِبِي لَهُ سَبْعُونَ قِنْطَارًا مِنَ الْعَسْجَدِ

وقوله: تَدْرِيهَا أَي تَحْتُلُهَا. يقال دَارَيْتُ الصَّيْدَ إِذَا خَتَلْتَهُ. قال الأخطل:
وإن كنت قد أقصدتني إذ رميتني بسهميك والرامي يصيد ما بدري

وقال الحسن بن هانئ:

(١) ادجوا: ساروا أول الليل.

(٢) الأضغاث: ضغث بالكسر وهي قبضة حشيش مختلطة الرطب باليباس.

(٣) مها واحده مهة وهي البقرة الوحشية.

(٤) تَدْرِي الصيد: تحمله.

(٥) إلّا بدري ذهب: مثني بدر وهو كيس فيه سبعة آلاف دينار.

(٦) المسند: الدهر.

ما حَطَّكَ الواشونَ من رُتْبَةٍ عندي ولا ضُرَّكَ ما اغتابوا
كَأنهم أثَنُوا ولم يَعْلَمُوا عليك عندي بالذي عابوا

وهذا المعنى عندي مأخوذ من قول النعمان بن المنذر لحَجَل بن نُضْلَة .
وقد ذُكر معاوية بن شَكَل فقال : أبيت اللعن أنه لَقَعُوا الأَلَيْتَيْنِ مُقْبِلُ النعلين
فَحَجَّ الفَخَذَيْنِ مَشَاءً بِأَقْرَاءِ تَبَاعٍ إِمَاءٍ قَتَالُ ظَبَاءٍ . فقال النعمان : إن أردت أن تَدِيمَهُ
فَمَدَّهُتَهُ . قوله مقبل النعلين ، يقول لنعله قِبَالُ يَنْسُبُهُ إلى التَّرفَةِ ، وتَبَاعٍ إِمَاءٍ وقتال
ظَبَاءٍ من ذلك . والقَعْو ما تدور فيه البَكْرَةُ إذا كان من خشب . وقوله : تَدِيمُهُ
معناه تَدْمُهُ . يقال ذَمَّهُ يَدْمُهُ ذَمًّا وذامه يَدِيمُهُ ذَيْمًا ذَامَهُ ذَامًا . والمعنى واحد .
قال الله تبارك وتعالى : ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا﴾^(١) . وقال الحَرِثُ بن
خالد المخزومي لعبد الملك :

صَحْبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غَشَاوَةٌ فلما انجَلَتْ قَطَعْتُ نَفْسِي أَذِيمُهَا

وقوله : فَمَدَّهُتَهُ يريد مدحته فأبدل من الحاء هاء لقرب المخرج . وبنو
سَعْدِ بن زيد مَنَاءَ بن تميم كذلك تقول وَلَحْمٌ ومن قاربها ، قال رؤبة :

لِلَّهِ دُرُّ الْغَانِيَاتِ الْمَدَّةِ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلَّهِ

يريد المَدْح ، وفي هذه الأَرْجُوزَةُ : (بَرَأَقُ أَضْلَادِ الْجَبِينِ الْأَجَلَةِ) يريد
الأَجَلَح ، والعرب تقول : جَلَحَ الرَّجُلُ يَجْلَحُ جَلْحًا وَجَلَهُ يَجْلُهُ جَلْهًا وَجَلِي
يَجْلَى جَلًى ، والمعنى واحد . قال العجاج : (مَعَ الْجَلَا^(٢)) وَلَا ثُحَّةَ الْقَتِيرِ^(٣)) ومثل بيت
الحسن وكلام النعمان قول عمرو بن معد يكرب :

كَأَنَّ مُحَرَّشًا فِي بَيْتِ سَعْدَى يَعْلُ بِعَيْبِهَا عِنْدِي شَفِيعُ

وفي قصيدة الحسن هذه :

(١) سورة الأعراف : الآية رقم ١٨ .

(٢) الجلا مقصوراً إنحساراً مقدم الشعر دون الصلح وقد جلى لمرض والنعت أجلى .

(٣) القتير : بالفتح الشيب .

إِنْ جِئْتُ لَمْ تَأْتِ وَإِنْ لَمْ أَجِءْ جِئْتُ فَهَذَا مِنْكَ لِي دَابُّ
كَأَنَّمَا أَنْتَ وَإِنْ كُنْتُ لَا تَكْذِبُ فِي الْمِيعَادِ كَذَابُ

وهذا كلام طريف. ومن حسن تشبيه المُحدِّثين قول بشار:

وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتُ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا
وَنَخَالُ مَا جَمَعَتْ عَلَيْهِ لَهْ بَنَانَهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا

وهذا التشبيه الجامع، ونظيره في جمع شيئين لمعنيين ما ذكرت لك من قول مسلم بن الوليد: (كَأَنَّ فِي سَرَجِهِ بَدْرًا وَضُرْغَامًا) ومن حسن التشبيه، من قول المُحدِّثين، قول عباس بن الأحنف:

أَحْرَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا
صِرْتُ كَأَنِّي ذِبَالَةٌ^(١) نَصِبتُ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

فهذا حسن في هذا جدًا. ومن حسن ما قالوا قول إسماعيل بن القاسم أبي العتاهية للرَّشيد:

أَمِينَ اللَّهِ أَمْنُكَ خَيْرُ أَمْنٍ عَلَيْكَ مِنَ التَّقَى فِيهِ لِبَاسُ
تُسَاسُ مِنَ السَّمَاءِ بِكُلِّ فَضْلٍ وَأَنْتَ بِهِ تُسَوِّسُ كَمَا تُسَاسُ
كَأَنَّ الْخَلْقَ رُكْبَ فِيهِ رُوحٌ لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَأْسُ

وقد أخذ هذا المعنى علي بن جبلة فقال في مدحه حميد بن عبد الحميد، وزاد في الشرح والترتيب فقال:

يَرْتَقُ^(٢) مَا يَفْتَقُ أَعْدَاؤُهُ وَلَيْسَ يَأْسُو^(٣) فَتَقَهُ آسِي
فَالنَّاسُ جِسْمٌ وَإِمَامُ الْهُدَى رَأْسٌ وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّاسِ
والعرب تختصر في التشبيه، وربما أومأت به إيماء قال أحد الرُّجَّاز:

(١) الذبالة بالضم الفتيلة للسراج.

(٢) يرتق: يرتق ضد الفتق.

(٣) يأسو: يداوي.

بِتَنَا بِحَسَّانٍ وَمِعْزَاهُ تَتَبَّطَّ مَا زِلْتُ أَسْعَى بَيْتَهُمُ وَالْتَبِطَّ
 حَتَّى إِذَا كَانَ الظَّلَامُ يَخْتَلِطُ جَاؤُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطُّ

يقول في لون الذئب، واللُّبْنُ إِذَا جُهِدَ وَخُلِطَ بِالْمَاءِ ضَرَبَ إِلَى الْغُبَرَةِ.
 وَأَنْشُدِ الْأَصْمَعِي :

وَتَشْرَبُهُ مَحْضًا وَتَسْقِي عِيَالَهَا سَجَاحًا كَأَقْرَابِ الثَّعَالِبِ أَوْرَقًا

السجاح الرقيق المحذوق والقُرْبَانِ الجنبان والواحد قُرْبٌ. ومن ذلك قول
 عمر بن الخطاب رحمه الله لرسول الله ﷺ وقد شاور في رجل جَنَى جَنَائَةً
 وجاء قومه يشفعون له، فشفع له قوم آخرون. فقال له عمر: يا رسول الله،
 أَرَى أَنْ تُوجَعَ قُرْبِيهِ. فقال القوم: يا رسول الله إِنَّكَ لَنْ تَشْتَدَّ عَلَى أُمَّتِكَ بقول
 عمر، فنزل إليه جبريل ﷺ فقال له ثلاثاً: يا محمد، القول قول عمر، شُدَّ
 الإسلام بعمر. فخرج رسول الله ﷺ فضرب الرجل. والأورق لون بين
 الخضرة والسواد، يقال: جَمَلُ أَوْرقُ بَيْنَ السُورْقَةِ، وهو أَلْمُ ألوان الأبل عند
 العرب، وأطيبها لحمًا. ومن مَلِيج التشبيه قولُ عبد الصمد بن المعدل في
 صفة العقرب.

تَبَرَّزُ كَالْفَرْنَيْنِ حِينَ تَطْلُعُهُ تَرْجَلُهُ^(١) مَرًّا وَمَرًّا تَرْجَعُهُ
 فِي مِثْلِ صَدْرِ السَّبْتِ خَلَقَ تَقْطَعُهُ أَغْصَلُ^(٢) خَطَّارٌ تَلَوُّحُ شَنْعُهُ
 أَسْوَدُ كَالسُّبْجَةِ^(٣) فِيهِ مِبْضَعُهُ^(٤) لَا تَصْنَعُ الرُّقْشَاءُ مَا لَا يَصْنَعُهُ
 وَفِي هَذِهِ الْأَرْجُوزَةِ أَيْضًا:

بَاتَ بِهَا حَيْنٌ^(٥) حُبَيْشٍ يَتَّبَعُهُ وَبَاتَ جَذْلَانٌ وَثِيرًا^(٦) مَضْجَعُهُ

(١) تَرْجَلُهُ: أَي تَجِدُهُ فَظْهِمًا.

(٢) الْأَغْصَلُ: الْمَوْجُ فِي صَلَابَةٍ.

(٣) السُّبْجَةُ: كِسَاءُ أَسْوَدٍ.

(٤) الْمِبْضَعُ: بِالْكَسْرِ مَا يَبْضَعُ بِهِ الْعَرَقُ؛

(٥) الْحَيْنُ: الْهَلَاكُ وَالْمَحَنَةُ.

(٦) الْوَثِيرُ: اللَّيْنُ السَّهْلُ فِي الْفَرَاشِ وَغَيْرِهِ.

ذَا سِنَّةٍ أَمَّنَ مَا يُرَوِّعُهُ حَتَّى دَنَتْ مِنْهُ لِحْتَفٍ^(١) تُزْمِعُهُ
 فَاطَلَتْ تَجُمُّ سَمَّهَا وَتَجْمَعُهُ يَا بَوَّسَ لِلْمُودَعِ مَا يُودِعُهُ
 فَشَرَعَتْ أُمُّ الْحِمَامِ اصْبَعُهُ أَنْحَتْ^(٢) عَلَيْهِ كَالشَّهَابِ نَلْدَعُهُ
 غَطُّكَ^(٣) سِرْبَالِ حَرِيرٍ تَخْلَعُهُ فَكُلُّ خِلِّ ظَاهِرٍ تَفْجَعُهُ
 يَزْدَادُ مِنْ بَغْتِ الْحِمَامِ جَزَعُهُ وَالْيَأْسَ مِنْ تَيْسِيرِهِ تَوْقَعُهُ

وكذلك قال يزيد بن ضبة: (أو العَرَجَمُ قال أبو الحسن شك أبو العباس في أنه لاحدهما، أعني هذا البيت:

ولكنهم بانوا ولم أدرِ بَعْتَهُ وأفطعُ شيءٍ حينَ يَفْجُوكَ البَعْتُ

في الهجاء

ومن أحسن التشبيه.

ومليحه قول رجل يهجو رجلاً برثائه الحال:

يَأْتِيكَ فِي جُبَّةٍ مُخَرَّقَةٍ أَطْوَلُ أَعْمَارِ مِثْلَهَا يَوْمُ
 وَطَيْلَسَانٍ كَالَالِ يَلْبَسُهُ عَلَيَّ قَمِيصٍ كَأَنَّهُ غَيْمُ

والتشبيه كثير، وهو باب كأنه لا آخر له وإنما ذكرنا منه شيئاً لئلا يخلو هذا الكتاب من شيء من المعاني ونختم ما ذكرنا من أشعار المُحَدِّثِينَ ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيد، ثم نأخذ في غير هذا الباب إن شاء الله، قال طُفَيْلٌ:

تَقْرِيهِ الْمَرَطَى^(٤) وَالْجَوْنُ^(٥) مُعْتَدِلُ كَأَنَّهُ سُبْدٌ^(٦) بِلَمَاءٍ مَغْسُولُ

(١) الحتف: الموت.

(٢) انحنت عليه أي مالت وانعطفت.

(٣) عطا الثوب: شق الثوب طولاً وعرضاً.

(٤) المرطى: محروكاً شرب في العدو.

(٥) الجون: النهار.

(٦) السبد: طائر لين الريش إذا وقعت عليه فطرات من الماء جرت.

السُّبْدُ طائر بعينه . وقد قالوا الخُصْفلة التي توضع عند البئر، وهو بالطائر أشبه . وإنما أراد العرق^(١) في هذا الوقت، وخير الخيل ما لم يُسرَّ عرقه، ولم يُبطَّ فإذا جاء في وقته شمله . قال الرجز؛

كانه والطَّرفُ منه سام مشتملُ جاء من الحمَّام
وقال الأعشى :

يُعادي النُّحوص^(٢) ومِسْخَلُها وعَفْوُهما قبل أن يَسْتَحِمَّ

النُّحوص جمعُها: نُحُصٌّ، وهي التي لم تحمل في عامها، والمسحل العير، والعفو الولد وجمعه عفاء . فأعلم وهو أسعى له إذا لم يكن لعامه ويستحم بعرق . وفي حديث أم زرع مَضْجَه كَمَثَلُ الشُّطْبَةِ^(٣) وتكفيه ذراعُ الجفرة ومعناه أنه خميص البطن وهذا تمدحُ به العربُ وتستحسنه . فأما قول مُتَمِّمِ بن نويرة: (فتى غَيْرَ مِبْطَانِ العَشِيَّاتِ أَرْوَعًا) فإنما أراد أنه لا يستعجل بالعشاء لانتظاره الضيف . كما قال :

وضَيْفٍ إذا أَرغَى^(٤) طُرُوقاً^(٥) بعيرُهُ وعانٍ^(٦) نَاهُ^(٧) الوَفْدُ حتى تَكُنْعَا^(٨)
وقالوا في قول الخنساء:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا وأذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ

قالوا: أرادت بطلوع الشمس وقت الغارة، وبغروب الشمس وقت

(١) وإنما أراد . . . أي من تشبه بذلك الطائر .

(٢) النحوص : بالفتح ما لا ولد لها ولا لبن من الأتني الوحشية .

(٣) الشطبة : السعة من النخل . ما دامت رطبة وهنا كناية عن قلة اللحم ودقة الخصر فموضع نومه دقيق لنحافته .

(٤) أرغى بعيره حمله على الرغاء .

(٥) الطروق : الاتيان بالليل .

(٦) العاني : الأسير .

(٧) ناه الوفد أي بعد عنه .

(٨) تكنعا : تقبض .

الأضياف . وقال رجل لابن له : والله ما أنتَ بعظيم الرأس فتكون سيداً : ولا بأرسح فتكون فارساً . وقال رجل من بني أسدٍ لرجل من قيس : والله ما فتقت فتق السادة ، ولا مطلت مظل الفرسان ، فهذه كلها نعوت قد عرفت لقوم حتى كأنها سمات لهم ، ينبغي للفراس أن يكون مهفَهف الخصرين^(١) متوقِّد العينين ، حمش الذراعين^(٢) . وأنشد الأصمعي : (كأنما ساعده ساعدا ذيب) قالوا : وسن نعت السيد أن يكون لحيماً ضخماً الهامة جهير الصوت إذا خطا أبعد ، وإذا تؤمَّل ملاً العين لأن حقه أن يكون في صدر مجلس أو ذروة منبر أو منفرداً في موكب . وكانوا يقولون في نعت السيد : يملأ العين جمالاً والسمع مقالاً . وقال أبو علي دُغبل في رجل نسيه إلى السؤدد يقوله لمعاذ بن جبل بن سعيد الحميري ، وهو من ولد حميد بن عبد الرحمن الفقيه :

فإذا جالستَه صَدْرَتَه وَتَنَحَّيْتُ لَهُ فِي الْحَاشِيَةِ^(٣)
وإذا سَايَرْتَه قَدُمَتَه وَتَأَخَّرْتُ مَعَ الْمُسْتَانِيَةِ^(٤)
وإذا يَاسَرْتَه صَادَفْتَه سَلَسَ الْخُلُقِ سَلِيمِ النَّاحِيَا
وإذا عَاسَرْتَه صَادَفْتَه شَرَسَ الرَّأْيِ أَبْيَا دَاهِيَه
فَاَحْمِدِ اللَّهَ عَلَى صُحْبَتِهِ وَاسْأَلِ الرَّحْمَنَ مِنْهُ الْعَافِيَه

وهذا المعنى قد أجمله جرير في قوله :

بِشْرُ أَبُو مَرْوَانَ إِنْ عَاسَرْتَه عَسِرَ وَعِنْدَ يَسَارِهِ مَيْسُور

(١) مهفَهف الخصرين : ضامرهما .

(٢) حمش الذراعين : دقيقتها .

(٣) الحاشية : طرف المجلس .

(٤) المستانية : الجماعة التي تتأخر في الوصول .



مرکز تحقیقات کاپیویر علوم اسلامی

٤٨ - باب في فنون الشعر التي

استشهد بها العرب

تجتمع فيه طرائف من حسن الكلام، وجيد الشعر، وسائر الأمثال، ومأثور الأخبار إن شاء الله .

من مدح للحجاج

كان الحجاج بن يوسف يشتغل زياد بن عمرو العتكي^(١)، فلما انت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر، قال زياد بن عمرو: يا أمير المؤمنين، إن الحجاج سيفك الذي لا ينو، وسهمك الذي لا يطيش، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم. فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه. ولزياد يقول ابن قيس الرقيبات في معاتبته المهلب بن أبي صفرة.

كُلُّ جَارٍ مُفَارِقٌ لَا مَحَالَةَ	أُبْغَا جَارِي الْمُهَلَّبَ عَنِي
يَت ^(٢) لَتَبِيدَ رَحْلَهُنْ مَقَالَهُ	إِنَّ جَارَاتِكَ اللَّوَاتِي بَنَكْرَ
يُحْبَالُ لَمَّا ذَمَّنَ جِبَالَهُ	لَوْ تَعَلَّقْنَ مِنْ زِيَادِ بْنِ عَمْرٍو
فَهُوَ كَالْكَابِلِي ^(٤) أَشْبَهَ خَالَهُ	غَلِبَتْ أُمُّهُ ^(٣) أَبَاهُ عَلَيْهِ
فِي يَزِيدٍ خِيَانَةٌ وَمَغَالَهُ	وَلَقَدْ غَالَنِي يَزِيدٌ وَكَانَتْ

(١) العتكي: محركا نسبة إلى عتيك فخذ الازد.

(٢) تكريت بفتح أوله وقد يكسر بلد سمي بتكريت ت وائل.

(٣) غلبت أمه: يريد أنه نزع إلى أخواله لغلبة ماء أمه على ماء أبيه.

(٤) الكابلي: منسوب إلى كابل بضم الباء وهو نهر من ثغور طخارستان.

عَتَكِي كَأَنَّهُ ضَوْءُ بَذْرِ يَحْمَدُ النَّاسُ قَوْلَهُ وَفَعَالَهُ

وقال أسماء بن خارجة الفزاري: لا أشاتم رجلاً، ولا أُرْدُ سائلاً، فإنما هو كريم أسدٌ خلَّته أو لثيمٌ اشترى عِرْضِي منه. وقال سهل بن هارون: يجب على كل ذي مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما بُدِءَ بالنعمة قبل استحقاقها. وكان يقول عند التعزية التهنئة بأجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة. وأراد رجل الجح فأتى شعبة بن الحجاج يُودِّعُهُ. فقال له شعبة أما أنك إن لم تر الحلم ذلاً والسفة أنفاً سلِّمَ لك حُجُّكَ وقال أونس القرني: إن حقوق الله لم تترك عند مسلم درهما.

في الذم

وقال دُعبل بن علي الخزاعي يذم رجلاً:

رَأَيْتُ أَبَا عِمْرَانَ يَسْأَلُ عِرْضَهُ وَخُبْرُ أَبِي عِمْرَانَ فِي أَحْرَزِ الْجَرَزِ
يَجْنُ إِلَى جَارَاتِهِ بَعْدَ تَبْعِهِ وَجَارَاتِهِ غَرْنِي ^(١) تَجْنُ إِلَى الْخُبَزِ
وقال آخر:

قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخْفَوْا كَلَامَهُمْ وَاسْتَوْتَقُوا مِنْ رِتَاجِ الْبَابِ وَالْدَارِ
لَا يَقْبِسُ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ وَلَا تَكُفُّ يَدُ عَنْ حَرَمَةِ الْبَارِ
(أظن تمامه:

حتى إذا استبَّحَ الأضيافُ كلِّبهم قالوا لِأَمِّهِمْ بُولِي على النار
قامت بأحمرها تَنْدِي مَشَافِرُهُ كَأَنَّهُ رِثَةٌ فِي كَفِّ جَزَارِ)
وقال رجل من طيء، وكان رجلٌ منهم يقال له زيد من ولد عُرْوَةَ بن زَيْدِ
الْخَيْلِ قَتَلَ رجلاً من بني أسد يقال له زيد ثم أُقِيدَ ^(٢) به بَعْدُ:

(١) غرني: الجائعة.

(٢) أُقيد به: قتل بسبيه.

عَلَا زَيْدُنَا يَوْمَ الْجُمَى رَأْسَ زَيْدِكُمْ بِأَبْيَضَ مَصْقُولِ الْعِرَارِ يَمَانِ
فَإِنْ تَقْتُلُوا زَيْدًا بِزَيْدٍ فَإِنَّمَا أَقَادُكُمْ السُّلْطَانُ بَعْدَ زَمَانِ
(قال أبو الحسن، وأنشدنا غيره:

عَلَا زَيْدُنَا يَوْمَ النَّقَا رَأْسَ زَيْدِكُمْ بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ يَمَانِ
قال: كَلَّمْ شَمْعَلُ التَّغْلِيَّ عَبْدَ الْمَلِكِ كَلَامًا لَمْ يَرْضَهُ، فرماه عَبْدُ الْمَلِكِ
بِالْجُزْرِ^(١) فَحَدَّشَ وَهَشَمَ فَقَالَ شَمْعَلُ:

أَمِنْ جَذْبِهِ بِالرَّجْلِ مَنِ تَبَاشَرْتُ عُذَاتِي فَلَا عَيْبَ عَلَيَّ وَلَا سُخْرُ^(٢)
فَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفَهُ لَكَالْدَهْرِ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

مما قيل في البخل

وقال الحجاج: الْبُخْلُ عَلَى الطَّعَامِ أَقْبَحُ مِنَ الْبَرَصِ عَلَى الْجَسَدِ. وقال
زياد: كَفَى بِالْبَخِيلِ عَارًا أَنْ اسْمَهُ لَمْ يَقَعْ فِي حَمْدِ قَطْ، وكفى بالجواد مَجْدًا
أَنْ اسْمَهُ لَمْ يَقَعْ فِي ذَمِّ قَطْ. وقال آخر:

أَلَا تَرَيْنِ وَقَدْ قَطَعْتَنِي عَذْلًا مَاذَا مِنَ الْفَضْلِ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالْجُودِ
لَا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا نَوَالًا وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِ
إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ يَوْمًا أَرَاخُ بِهِ لِلْخَابِطِينَ فَلِإِنِّي لَيْسُ الْعُودِ

قوله: إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ يَوْمًا أَرَاخُ بِهِ، يريد المال، وضربه مثلاً. ويقال: أَتَى فُلَانٌ فُلَانًا
يَخْتَبِطُ مَا عِنْدَهُ وَالْاِخْتِبَاطُ ضَرْبُ الشَّجَرِ لِيَسْقُطَ الْوَرَقُ. فجعل الخابط الطالبَ
وَالْوَرَقَ الْمَالَ، كما قال زهير:

وَلَيْسَ مَانِعَ ذِي قُرْبَى وَلَا رَجِمَ يَوْمًا وَلَا مُعْدِمًا مِنْ خَابِطٍ وَرَقًا

ويروى: أَنْ ضَيْفًا نَزَلَ بِالْحَطِيئَةِ وَهُوَ يَرْعَى غَنَمًا لَهُ، وَفِي يَدِهِ عَصَا فَقَالَ
الضَيْفُ: يَا زَاعِي الْغَنَمِ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ الْحَطِيئَةُ بِعَصَاهُ وَقَالَ: عَجْرَاءُ^(٣) مِنْ سَلَمِ،

(١) الجزر بالضم: عمود من الحديد.

(٢) السخر بالضم: الاستهزاء.

(٣) العجرا: الغليظة.

فقال الرجل : إني ضيف ، فقال الحطيئة : للضيفان أعددتها . وقال دُعبلُ :

وابنُ عمرانَ يَبْتَغِي عَرَبِيًّا ليس يَرْضَى البَنَاتِ لَلْكَفَاءِ
إِنْ بَدَتْ حَاجَةٌ لَهُ ذَكَرَ الضُّيْفِ فَا وَنَسَاهُ عِنْدَ وَقْتِ الْغَدَاءِ
وقال أيضاً :

أَصِيافُ سَالِمٍ فِي خَفْضٍ وَفِي دَعَا وفي شَرَابٍ وَلَحْمٍ غَيْرِ مَمْنُوعٍ
وَضَيْفٌ عَمْرٍو وَعَمْرٍو يَسْهَرَانِ مَعَا عَمْرٍو لِبَطْنَتِهِ وَالضُّيْفُ لِلْجُوعِ
وقال دُعبلُ :

مَا يَرَحُلُ الضُّيْفُ عَنِّي بَعْدَ تَكْرِمَةٍ إِلَّا بِرِفْدٍ وَتَشْيِيعٍ وَمَعْذَرَةٍ
وقال أيضاً :

لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَسْمَعُوا وَسَمِعْنَا وَصَبَرْنَا عَلَى رَحَى الْأَسْنَانِ
صَوْتُ مَضْغِ الضُّيُوفِ أَحْسَنُ عِنْدِي مِنْ غِنْيَاءِ الْقِيَانِ بِالْعِيدَانِ
وقال القرشي من بني أُمَيَّةَ :

إِذَا مَا وَثَرْنَا^(١) لَمْ نَنْمُ عَنْ بَرَائِنَا وَلَمْ تَكُ أَوْغَالاً نُقِيمُ الْبَوَاكِيا
وَلَكِنَّا نُمْضِي الْجِيَادَ شَوَازِبًا^(٢) فَتَرْمِي بِهَا نَحْوَ التِّرَاتِ الْمَرَامِيَا
وقال جرير يهجو الأخطل :

إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْخِلَافَةَ تَغْلِبًا جَعَلَ النُّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ فِينَا
مُضَرَّ أَبِي وَأَبُو الْمُلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ يَا خُزَرَ^(٣) تَغْلِبَ مِنْ أَبِ كَأَيْنَا
هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَأَقُكُمْ إِلَيَّ قَطِينًا^(٤)
إِنَّ الْفِرَزْدَقَ إِذْ تَحَنَّفَ^(٥) كَارَهَا أَضْحَى لَتَغْلِبَ وَالصَّلِيبَ خَدِينًا^(٦)

(١) وثرنا : نقص بالقتل .

(٢) الشواذب : الضمر الواحد شازب يذكر قومه بالشجاعة والأنفة وأنها لا تنام على نار .

(٣) الخزر : جمع أخزر من الخزر بالتحريك وهو ضيق العين وصغرها أو كسر العين بصرها خلقة .

(٤) القطين : الممالك والخدم والأتباع للواحد والجمع .

(٥) تحنف : عمل عمل الحنيف وهو من كان على دين إبراهيم عليه السلام .

(٦) الخدين : الصاحب وهذا البيت وما بعده لم يقعا في رواية عماد بن حبيب لأن جريراً إنما يهجو الأخطل بهذه الأبيات في كلمة له طويلة .

ولقد جَزَعَتْ إلى النَّصَارَى بعدما لَقِيَ الصَّلِيبُ من العذاب مُهِينَا
هَلْ تَشْهَدُونَ من المَشَاعِرِ مَشْعَرًا أَوْ تَسْمَعُونَ من الأَذَانِ أَذِينَا^(١)

قال أبو العباس: حدثني عُمارة بن عَقِيل بن بِلَال بن جَرِير قال لما بلغ الوليدُ قولهُ:

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا
قال الوليدُ: أُمَّا واللَّه لو قال: لو شاء ساقكم لفعلتُ ذاك به، ولكنه قال:
لو شئتُ فجعلني شُرْطِيًّا له. ويروى أن بلالاً قعد يوماً ينظر بين الخصوم ورجل
منهم ناحيةً يَتَمَثَّلُ قول الأَخْطَلِ على غير معرفة:

وابنُ المَراغة^(٢) حابسُ أعيارهُ مَرَسَى القَصِيَّةِ^(٣) ما يَذُقْنَ بلالاً^(٤)
فسمعه بلال فلما تقدم مع خصمه، قال له بلال: أَعِدْ إنشادك فغمزه
بعض الجلساء، فقال الرجل أني واللَّه ما أدري مَنْ قاله ولا فيمن قيل. فقال
بلال: أَجَلْ هو أَسِيرُ من ذاك هَلُمَّا فاحتجَّا. وقال آخر:

مَرَرْتُ على الديار فما رأينا كدار بين تلعة والنَّظِيمِ
عَرَفْتُ المُنْتَأَى وعرفتُ منها مَطَايَا^(٥) القَدَرِ كالجِدا الجُثُومِ

وقال آخر:

لقد تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ إِذْ تَوَلَّيْتُ ولم تَخْشِ العُقُوبَةَ في التَّوَلَّيْ
عَرَفْتُ الدار يوم وقفتُ فيها بريح المسك تَنْفُحُ في المَحَلِّ

(١) الأذنين كامير النداء إلى الصلاة والمشعر موضع النسك والعبادة.

(٢) المِراغة: هي أم جرير لا الأخطل أي مراغة للرجال أو لأنها ولدت في مراغة الابل.

(٣) القصبة: الغاية البعيدة.

(٤) البلال: الماء وهذا الشعر قيل في جرير والذي كان ينظر بين الخصوم بلال ابنه.

(٥) مطايا القدر: قوائمه التي يقوم عليها وهنا استعارة من قوائم الابل.



مرکز تحقیقات کاپتور علوم اسلامی

٤٩ - «باب من أخبار الخوارج» (١)

في بيعة الخوارج

قال أبو العباس : ذكر أهل العلم من الصُّفْرِيَّة أن الخوارج لما عزموا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي من الأزدي تكرر ذلك فأبوا من سواه ، ولم يريدوا غيره ، فلما رأى ذلك منهم قال : يا قوم استبیتوا الرأي ، أي دعوهُ يَغِبُّ . وكان يقول : نعوذ بالله من الرأي الدبري (٢) . قوله : استبیتوا الرأي يقول : دعوا رأيكم تأت عليه ليلة ثم تعقبوه ، فقال بَيَّت فلان كذا وكذا إذا فعله ليلاً . وفي القرآن : «إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ» (٣) ، أي اداروا ذلك ليلاً بينهم . وأنشد أبو عبيدة :

أَتُونِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا وَكَانُوا أَتُونِي بِأَمْرِ نُكُرَ
لَأُنَكِّحَ أَيْمَهُمْ مُنْذِرًا وَهَلْ يُنَكِّحُ الْعَبْدُ حُرًّا لِحُرٍّ (٤)

والرأي الدبري الذي يعرض من بعد وقوع الشيء . كما قال جرير :
ولا يعرفون السر حتى يصيبهم ولا يعرفون الأمر إلا تدبرا
وكان عبد الله بن وهب ذا رأي وفهم ولسان وشجاعة . وإنما لجأوا إليه ، وخلعوا معدان الإيادي لقول معدان :

(١) الخوارج : طائفة من أهل الأهواء لهم مقالة على حدة سموا به لأنهم خرجوا على جميع الناس وهم فرق كثيرة وأول خروجهم أيام علي رضي الله عنه .

(٢) الرأي الدبري : بالتحريك رأي يسنح أخيراً عند فوت الحاجة .

(٣) سورة النساء الآية ١٠٨ .

(٤) يريد هل يزوج الحر عبداً من حرة .

سلام على من بايع الله شاريًا وليس على الجزب المقيم سلام

فبرئت منه الصُّفْرِيَّةُ. وقالوا: خالفت لأنك برئت من القعد. قال أبو العباس. والخوارج في جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذي المعصية الظاهرة، وحَدَّثْتُ أن واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل في رُفْقَةٍ فَأَحْسُوا الخوارج. فقال واصل لأهل الرفقة: إن هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم وكانوا قد أشرفوا على العطب. فقالوا: شأناك، فخرج إليهم. فقالوا: ما أنت بأصحابك؟ قال: مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حاله، فقالوا: قد أجرناكم. قال فَعَلَّمُونَا، فجعلوا يعلمونه أحكامهم، وجعل يَدُلُّ: فد قبلت أنا ومن معي، قالوا فامضوا مصاحبين فإنكم إخواننا. قال ابن ذلك لكم قال الله تبارك وتعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾^(١) فأبلغونا مأمننا. فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا ذاك لكم، فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن. وذكر أهل العلم من غير وجه أن علياً رضي الله تعالى عنه لما وَجَّهَ إليهم عبد الله بن عباس، رحمة الله عليه، لياظرهم قال لهم: ما الذي نَقَمْتُمْ على أمير المؤمنين؟ قالوا: قد كان للمؤمنين أمير فلما حَكَمَ في دين الله خرج من الإيمان فَلْيَتَّبِعْ بعد إقراره بالكفر تَعُدُّ له. فقال ابن عباس: لا ينبغي لمؤمن لم يَشُبْ إيمانه شَكُّ أن يُقَرَّ على نفسه بالكفر. قالوا أنه قد حَكَمَ. قال إن الله عز وجل: قد أمرنا بالتحكيم في قتل سيد فقال عز وجل: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذُو عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٢) فكيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين؟ فقالوا: إنه قد حَكَمَ عليه فلم يَرْضَ، فقال إن الحكومة كالإمامة، ومتى فَسَقَ الإمام وجبت معصيته، وكذلك الحكمان لما خالفا نُيِّدَتْ أقاويلهما. فقال بعضهم لبعض: لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم فإن هذا من القوم الذين قال الله عز وجل

(١) سورة التوبة: الآية رقم ٦.

(٢) سورة المائدة: الآية رقم ٥٩.

فيهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^(١) وقال عز وجل: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾^(٢) والشيء يذكر بالشيء.

من حديث مع عمر بن الخطاب

وجاء في الحديث: أن رجلاً إعرابياً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال إني أصبت ظلياً وأنا مُحْرِمٌ، فالتفت عمر إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال: قل. فقال عبد الرحمن يُهدي شاةً. فقال عمر: أهد شاةً. فقال الأعرابي: والله ما درى أمير المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيره. فخففه عمر رضوان الله عليه بالدرّة. وقال: أَتَقْتُلُ فِي الْحَرَمِ وَتَغِمُّصُ الْفُتْيَا! ^(٣) إن الله عز وجل قال: ﴿يُحْكَمْ بِهِ ذُوا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٤) فأنا عمر بن الخطاب وهذا عبد الرحمن بن عوف. وفي هذا الحديث ضروب من الفقه: منها ما ذكروا أن عبد الرحمن بن عوف قال أولاً ليكون قول الإمام حُكْماً قاطعاً، ومنها أنه رأى أن الشاة مثل الظبية.

كما قال الله عز وجل: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾^(٥) وأنه لم يسأله أخطأ قَتَلَهُ أَمْ عَمْدًا وجعل الأمرين واحداً. ومنها أنه لم يسأله أَقْتَلْتَ صَيْدًا قَبْلَهُ وَأَنْتَ مُحْرِمٌ لَأَنْ قَوْمًا يَقُولُونَ: إذا أصاب ثأنية لم يُحْكَمْ عليه. ولكننا نقول: إذهب فاتق الله لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾^(٦). قال أبو العباس: ومن طريف أخبار الخوارج قول قَطْرِي ابن الفُجاءة المازني لأبي خالد القناني، وكان من قَعَدِ الخوارج.

أبا خالد يا أنْفِرْ فَلَسْتَ ^(٧) بخالد وما جعلَ الرحمنُ عُذْرًا لقاعد

(١) سورة الزخرف الآية رقم ٥٨.

(٢) سورة مريم: الآية رقم ٩٧.

(٣) الْفُتْيَا: هي ما أفتى به الفقيه وأبانه للسائل وغمصها احتقارها وعيبها

(٤) سورة المائدة: الآية رقم ٥٩.

(٥) سورة المائدة: الآية رقم ٩٥.

(٦) سورة المائدة: الآية ٩٥.

(٧) يا أنْفِرْ: دخلت بأعلى الفعل لأنها ليست للتداء ولكنها للتنبيه.

أَتَزْعُمُ أَنَّ الْخَارِجِيَّ عَلَى الْهَدْيِ وَأَنْتَ مُقِيمٌ بَيْنَ لَيْصٍ وَجَاحِدٍ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو خَالِدٍ :

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ حُبًّا وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقًا^(١) بَعْدَ صَافٍ
أَحَادِرُ أَنْ يَرَيْنَ الْفَقْرَ بَعْدِي وَإِنْ يَعْرَيْنَ أَنْ كُسِيَ الْجَوَارِي
وَلَوْلَا ذَاكَ قَدْ سَوَّمْتُ^(٢) مُهْرِي (أَبَانَا مَنْ لَنَا^(٣)) إِنْ غَبَّتْ عَنَّا
بِنَاتِي أَنَّهُنَّ مِنَ الضَّعَافِ وَفِي الرَّحْمَنِ لِلضُّعْفَاءِ كَافٍ
وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقًا^(١) بَعْدَ صَافٍ فَتَتَّبُوا الْعَيْنُ عَنْ كَرَمٍ عِجَافٍ
وَسَارَ الْحَيُّ بَعْدَكَ فِي اخْتِلَافٍ

حديث عمران بن حطان

وهذا خلاف ما قال عمران بن حطان أحد بني عمرو بن شيان بن
ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . وقد كان رأس
القعد من الصُفْرِيَّةِ ، وَخَطِيبَهُمْ وَشَاعِرَهُمْ . قال : لما قُتِلَ أَبُو بِلَالٍ ، وَهُوَ مِرْدَاسُ
ابن أَدِيَّةٍ - وَهِيَ جَدَّتُهُ - وَأَبُوهُ خُذِيرٌ وَهُوَ أَحَدُ بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ
زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حَطَّانٍ :

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ بَغْضًا وَحُبًّا لِلْخُرُوجِ أَبُو بِلَالٍ
أَحَادِرُ أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي وَأَرْجُوا الْمَوْتَ تَحْتَ ذُرَا الْعَوَالِي
وَلَوْ أَنِّي عَلِمْتُ بِأَنْ حَتَفِي كَحَتَفِ أَبِي بِلَالٍ لَمْ أَبَالِ
فَمَنْ يَكُ هَمُّهُ الدُّنْيَا فَإِنِّي لَهَا وَاللَّهُ رَبُّ الْبَيْتِ قَالَ
وَفِيهِ يَقُولُ أَيْضًا :

يَا عَيْنَ بَكِّي لِمِرْدَاسٍ وَمَضْرَعِهِ يَا رَبِّ مِرْدَاسٍ اجْعَلْنِي كَمِرْدَاسٍ

(١) الرنق : نون ساكنة وهو الكدر .

(٢) سومت مهري : أرسلته في الاعداء وبعثته .

(٣) أبانا من لنا : هذا يقوله على لسان بناته وزاده أبو بكر بن عبد العزيز على ما رواه أبو العباس وكان
الآليق أن يأتي به بعد قوله وأن يعرين إن كُسي الجواري .

تركتني هائماً أبكي لمررتي في منزل موحش من بعد إيناس
أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
إما شربت^(١) بكاس دار أولها على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلأ منها بأنفاس ورد بعد أنفاس

قال أبو العباس: وكان من حديث عمران بن حطان، فيما حدثني
العباس بن الفرج الرياشي عن محمد بن سلام، إنه لما أطردته الحجاج كان
يتنقل في القبائل، فكان إذا نزل في حي انتسب نسباً يقرب منه. ففي ذلك
يقول:

نزلنا في بني سعد بن زيد وفي عك^(٢) وعامر عوثنان
وفي لحم^(٣) وفي أدد بن عمرو وفي بكر وحي بني العدان

ثم خرج حتى نزل عند روح بن زنباع الجذامي. وكان روح يقري
الاضياف، وكان مسامراً لعبد الملك بن مروان أثيراً، عنده، فانتمى^(٤) له من
الأزد.

حديث عمر بن حطان مع عبد الملك

وفي غير هذا الحديث: أن عبد الملك ذكر روحاً فقال: من أعطي مثل ما
أعطي أبو زرعة أعطي فقه أهل الحجاز، ودهاء أهل العراق، وطاعة أهل
الشام. رجع الحديث. وكان روح بن زنباع لا يسمع شعراً نادراً ولا حديثاً
غريباً عند عبد الملك فيسأل عنه عمران بن حطان إلا عرفه وزاد فيه، فذكر

(١) إما شربت: للشرط والتعليق وما زائدة وقوله، فكل من لم يذقها الخ. وهو جواب وخطاب
لمرداس.

(٢) عك بن عدنان بضم العين وبالثاء المثناة بن عبد الله بن الأزد وليس ابن عدنان بالنون وعوثنان
ابن زاهر بن مراد جد بداء بن عامر.

(٣) لحم: حي باليمن.

(٤) فانتمى له من الأزد: يريد أن عمران نسب نفسه إلى الأزد عند روح.

ذلك لعبد الملك فقال: إن لي جاراً من الأزدي ما أسمع من أمير المؤمنين خيراً ولا شعراً إلا عرّفه وزاد فيه، فقال: خبرني ببعض أخباره فخبرته وأنشده فقال: إن اللغة عدنانية، وإني لأحسبه عمران بن حطان، حتى تذاكروا ليلة قول عمران بن حطان يمدح ابن ملجم لعنه الله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
أني لأذكره يوماً فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا
(قلبه الفقيه الطبري فقال:

يا ضربة من شقي ما أراد بها
إلا ليهدم من ذي العرش بنيانا
إني لأذكره يوماً فألعنه
إيها وألعن^(١) عمران بن حطانا

قال محمد بن أحمد الطيب يرد على عمران بن حطان:

يا ضربة من غدور صار ضاربها
أشقى البرية عند الله إنسانا
إذا تفكرت فيه ظلت ألعنه
وألعن الكلب عمران بن حطانا

فلم يذر عبد الملك لمن هو، فرجع روح إلى عمران بن حطان فسأله عنه، فقال عمران: هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب. فرجع روح إلى عبد الملك فأخبره، فقال له عبد الملك: ضيفك عمران بن حطان، إذ هب فجئني به، فرجع إليه فقال: إن أمير المؤمنين قد أحب أن يراك، قال عمران: قد أردت أن أسالك ذلك فاستحييت منك فامض فيني بالأثر. فرجع روح إلى عبد الملك فأخبره، فقال عبد الملك: أما إنك سترجع فلا تجده، فرجع وقد ارتحل عمران وخلف رقة فيها:

يا روح كم من أخي مثوى نزلت به
قد ظن ظنك من لخم وغسان

(١) إيها بكسر الهمزة منصوب مثنون وهي كلمة يراد بها الأمر بالسكون وقد ترد بمعنى التصديق والرضى بالشيء.

حتى إذا خِفْتُهُ فَارَقْتُ مَنْزِلَهُ من بَعْدِ مَا قِيلَ عَمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ
 قد كُنْتُ جَارَكَ حَوْلًا مَا تُرَوِّعُنِي فِيهِ رَوَائِعُ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانٍ
 حتى أَرَدْتُ بِي الْعُظْمَى فَأَدْرَكَنِي مَا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ خَوْفِ بْنِ مَرْوَانَ
 فاعْذِرْ أَخَاكَ ابْنَ زَنْبَاعٍ فَإِنَّ لَهُ فِي النَّائِبَاتِ خُطُوبًا ذَاتَ أَلْوَانٍ
 يوماً يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمَنِ وَإِنْ لَقَيْتُ مَعَدِّيًّا فَعَدْنَانِي
 لو كُنْتُ مُسْتَغْفِراً يَوْماً لَطَاغِيَةً كُنْتُ الْمُقَدَّمُ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
 لكن أَبَتْ لِي آيَاتُ مُطَهَّرَةٍ عِنْدَ الْوَلَايَةِ فِي طَهْ وَعِمْرَانِ

ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحرث الكلابي أحد بني عمرو بن كلاب،
 فانتسب له أوزاعياً^(١)، وكان عمران يطيل الصلاة. وكان غلمان من بني عامر
 يضحكون منه، فأتاه رجل يوماً ممن رآه عند روح بن زنباع فسلم عليه فدعاه
 زُفَرُ فقال: من هذا؟ فقال: رجل من الأزدرأيته ضيفاً لروح بن زنباع. فقال له
 زُفَرُ: يا هذا، أزدياً مرةً وأوزاعياً مرةً، إن كنت خائفاً أمناك وإن كنت فقيراً
 جبرناك. فلما أمسى هرب وخلف في منزله رُقعةً فيها:

إِن الَّتِي أَصْبَحْتُ يَعْنَى^(٢) بِهَا زُفَرُ أَعْيَتْ عِيَاءَ عَلَى رُوحِ بْنِ زَنْبَاعٍ
 قال أبو العباس أنشدنيته الرياشي: (أعيا عياها على روح بن زنباع)
 وأنكره كما أنكرناه لأنه قَصَرَ الممدود، وذلك في الشعر جائز ولا يجوز مدُّ
 المقصور:

ما زال يسألني حَوْلًا لِأَخْبِرَهُ وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخْدُوعٍ وَخَدَّاعٍ
 حتى إِذَا انْقَطَعَتْ^(٣) عَنِّي وَسَائِلُهُ كَفَّ السُّؤَالَ وَلَمْ يُوَلِّعْ بِإِهْلَاعٍ

(١) يقول ما الذي يعينك من أمر هذا الشيخ الذي انتمى إلى الأوزاع، ما عليك إلا أن تحبسه وتنظر
 في شأنه ما دام مقبياً عندك.

(٢) إن التي أصبحت الخ يريد الحالة التي هو عليها وعنى بالأمر يعني كرضى برضى لم يهتد فيه لوجه
 مراده أو عجز عنه ولم يطق أحكامه يريد أن أمره أشكل على زفر ومن قبل أشكل على روح بن
 زنباع.

(٣) حتى إذا انقطعت عني وسائله: يريد حتى إذا انقطعت به أسباب معرفة حالي وأيس منها.

فَاكْفُفْ كَمَا كَفَّ عَنِّي إِنِّي رَجُلٌ
وَإِكْفُفْ لِسَانَكَ عَن لَوْمِي وَمَسْأَلَتِي
أَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكِهَا
أَكْرِمُ بِرُوحِ بْنِ زُبَاعٍ وَأُسْرَتِهِ
جَاوَزَتْهُمْ سَنَةٌ فِيمَا أُسِرَ بِهِ
فَاعْمَلْ فَإِنَّكَ مَنَعِي بِوَاحِدَةٍ
إِمَّا صَمِيمٌ وَإِمَّا فَفْعَةٌ^(١) الْقَاعِ
مَاذَا تُرِيدُ^(٢) إِلَى شَيْخٍ لِأَوْزَاعِ
كُلِّ أَمْرٍ لِلَّذِي يُعْنِي بِهِ سَاعِ
قَوْمٌ دَعَا أَوْلِيَهُمَ لِلْعُلَى دَاعِ
عَرْضِي صَحِيحٌ وَنَوْمِي غَيْرُ تَهْجَاعِ
حَسْبُ اللَّيْبِ بِهَذَا الشَّيْبِ مِنْ نَاعِ

ثم ارتحل حتى أتى عُمانَ فوجدهم يُعَظِّمونَ أمرَ أبي بلالٍ، ويظهرونه فأظهر أمره فيهم، فبلغ ذلك الحجاج، فكتب إلى أهل عُمانَ. فارتحل عمرانُ هارباً حتى أتى قوماً من الأزدِ، فلم يزل فيهم حتى مات. وفي نزوله بهم يقول:

نَزَلْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ مَنَازِلٍ
نَزَلْنَا بِقَوْمٍ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَهُمْ
مِنَ الْأَزْدِ إِنَّ الْأَزْدَ أَكْرَمُ مَعْشَرٍ
فَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ آمِنًا لَا كَمَعْشَرٍ
أُمُّ الْحَيِّ قَحْطَانٍ فَبَلَّكُمْ سَفَاهَةٌ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُسَرُّ بِنَسَبَةٍ
فَنَحْنُ بَنُو الْإِسْلَامِ^(٣) وَاللَّهُ وَاحِدٌ
نُسَرُّ بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْخَفَرِ
وَلَيْسَ لَهُمْ عُودٌ سِوَى الْمَجْدِ يُعْتَصِرُ
يَمَانِيَةَ طَابُوا إِذَا نُسِبَ الْبَشَرُ
أَتَوْنِي فَقَالُوا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرَ
كَمَا قَالَ لِي رُوحٌ وَصَاحِبُهُ زُفَرُ
تَقَرَّبْنِي مِنْهُ وَإِنْ كَانَ ذَا نَفَرٍ
وَأَوْلَى عِبَادِ اللَّهِ بِاللَّهِ مَنْ شَكَرَ

من تفسير لفظة المثنوى

قوله يا رُوحُ كم من أخي مثنوى نزلت به قد مر تفسيره، يقال هذا أبو مثنوى ولأننى هذه أم مثنوى، ومنزل الضيافة وما أشبهها المثنوى. وكذلك قال المفسرون في قول الله عز وجل ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾^(٣) أي إضافته. ويقال من

(١) ففعة: الرخوة من الكمأة.

(٢) فنحن بنو الإسلام يريد أن الإسلام أبطل التعزي بعزاء الجاهلية وانتساب كل واحد إلى أبيه.

(٣) سورة يوسف: الآية ٢١.

هذا: ثَوِي يَثْوِي ثَوِيًّا، كقولك مَضَى يَمْضِي مَضِيًّا. ويقال ثَوَاءً وَمَضَاءً كما قال:

طال الثَوَاءُ على رَسْمٍ يَمْؤُودٍ^(١) أودَى وكلُّ جديدٍ مرةً مُودِي
وقوله فيه روائع من أنس ومن جان الواحدة رائعة، يقال: راعني يروغني
رَوْعاً أي أفزعني. قال الله تعالى ذكَّره: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع﴾^(٢)
ويكون الرائع الجميل، يقال: جمال رائع يكون ذلك في الرجل، والفرس،
وغيرهما. وأحسب الأصل فيهما واحداً أنه يُفَرِّطُ حتى يروغ. كما قال الله جل
ثناؤه: ﴿يَكَادُ سَنَى بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾^(٣) للإفراط في ضيائه، والرائع
مهموز وكذلك كل فعلٍ من الثلاثة ما عينه واو أو ياء إذا كانت معتلة ساكنة
تقول: قال يقول، وباع يبيع، وخاف يخاف، وهاب يهاب، يَغْتَلُّ إسم الفاعل
فِيهِمْزُ موضع العين نحو قائلٍ وبائعٍ وخائفٍ وهائبٍ، فإن صحَّت العين في
الفعل صحَّت في إسم الفاعل، نحو عَوَرَ الرجلُ، فهو عاورٌ وصَيَّدَ فهو صايدٌ.
والصَيِّدُ داء يأخذ في الرأس، والعينين والشؤون. وإنما صحَّت في عَوَرَ وَحَوْلَ
وصَيَّدَ لأنه منقول من أَحْوَلَ وأَعْوَرَ وقد أحكمنا تفسير هذا في الكتاب
المُقْتَضَب. وقوله:

يوماً يمان إذا لا قيتُ ذا يَمَنٍ وإن لقيتُ مَعِيداً فعدناني
يريد أنا يوماً يمان ولولا أن الشعر لا يصلح بالنصب لكان النصب جائزاً
على معنى. أَتَنَقَّلُ يَوْماً كذا ويماً كذا والرفع حسن جميل وهذا الشعر يُنشدُ
نصباً:

أفي السَّلمِ أعياراً جَفَاءً وَغِلْظَةً^(٤) وفي الحرب أمثال النساءِ العوارك
العوارك هُنَّ الحوائضُ. وكذلك قوله:

(١) يَمْؤُود: إسم موضع.

(٢) سورة هود: الآية ٧٤.

(٣) سورة النور: الآية ٤٣.

(٤) جفاء وغلظة: نصباً على التمييز يذكر أنهم في السلم غلاظ شداد على الناس وفي الحرب ضعاف
أذلاء.

أَفِي الْوَلَائِمِ أَوْلَاداً لِّوَاحِدَةٍ وَفِي الْمَحَافِلِ أَوْلَاداً لِّعَلَّاتٍ

قال: الْعَلَّاتُ سُمِّيَتْ لِأَنَّ الْوَاحِدَةَ تُعَلُّ بَعْدَ صَاحِبَتِهَا، وَهُوَ مِنَ الْعَلَلِ، وَهُوَ الشَّرْبُ الثَّانِي أَيْ يَخْتَلِفُونَ وَيَتَحَوَّلُونَ فِي هَذِهِ الْحَالَاتِ. وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ أْتَمِيمًا مَرَّةً وَقَيْسِيًّا أُخْرَى، وَكَذَلِكَ إِنْ لَمْ تَسْتَفْهِمُوا وَأَخْبَرْتُ قُلْتَ تَمِيمًا مَرَّةً عَلِمَ اللَّهُ وَقَيْسِيًّا أُخْرَى أَيْ تَنْتَقِلُ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ لَهُ زُفَرُ بْنُ الْحَرِثِ: أَرَدِيًّا مَرَّةً وَأَوْزَاعِيًّا أُخْرَى. وَالرَّفْعُ عَلَى أَنْتَ جَيِّدٌ بِالْغ.

وقوله في تفسير لفظة طاغية وباغية:

(لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِرًا يَوْمًا لَطَاغِيَةً) يَكُونُ عَلَى وَجْهِينِ لِنَفْسٍ طَاغِيَةٍ وَالْآخَرُ لِلْمَذْكُورِ. وَزَادَ الْهَاءُ لِلتَّوَكِيدِ وَالْمُبَالَغَةِ. كَمَا يَقَالُ: رَجُلٌ رَاوِيَةٌ وَعَلَامَةٌ وَنَسَابَةٌ وَكِلَاهُمَا وَجْهٌ، وَيَقَالُ: جَاءَتْ طَاغِيَةُ الرُّومِ يَرَادُ الْجَمَاعَةُ الطَّاغِيَةُ. كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ^(١): تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ. وَقَوْلُهُ: عِنْدَ الْوَلَايَةِ إِذَا فَتَحَتْ فَهُوَ مَصْدَرُ الْوَلِيٍّ وَفِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ. وَالْوَلَايَةُ مَكْسُورَةٌ نَحْوُ السِّيَاسَةِ وَالرِّيَاضَةِ وَالْإِبَالَةِ وَهِيَ الْوَلَايَةُ، وَاصْلُهُ مِنَ الْإِصْلَاحِ، يَقَالُ آلُهُ يُؤْلُهُ أَوَّلًا إِذَا أَصْلَحَهُ. قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: قَدْ أَلَّنَا وَإِيلَ عَلَيْنَا تَأْوِيلَ ذَلِكَ قَدْ وَلَّيْنَا وَوُلِّيَ عَلَيْنَا. وَهَذِهِ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ يَقُولُ قَدْ وَلَّيْنَا فَعَلَمْنَا مَا يُصْلِحُ الْوَالِيَّ وَوُلِّيَ عَلَيْنَا فَعَلَمْنَا مَا يَصْلَحُ الرُّعِيَّةَ. وَقَوْلُهُ: (حَتَّى إِذَا مَا انْقَضَتْ مِنِّي وَسَائِلُهُ) الْوَسَائِلُ وَاحِدُهَا وَسِيلَةٌ وَهِيَ الذَّرِيعَةُ وَالسَّبَبُ. يَقَالُ قَدْ تَوَسَّلْتُ إِلَى فُلَانٍ، قَالَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ.

وَالنَّاسُ إِنْ فَصَّلْتَهُمْ فَصَائِلًا كُلُّ إِلَيْنَا يَبْتَغِي الْوَسَائِلَا

وقوله لم يولع بإهلاعي أي بإفزازي. وترويعي، والهَلْعُ مِنَ الْجُبْنِ عِنْدَ مَلَاقَاةِ الْأَقْرَانِ. يَقَالُ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْهَلْعِ، وَيَقَالُ: رَجُلٌ هَلُوعٌ إِذَا كَانَ لَا يَصْبِرُ عَلَى خَيْرٍ وَلَا عَلَى شَرٍّ حَتَّى يَفْعَلَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا غَيْرَ الْحَقِّ. قَالَ

(١) كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَيْ لِعِمَارِ بْنِ بَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اللَّهُ عز وجل : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ
مَنُوعاً﴾^(١) وقال الشاعر :

وَلِي قَلْبٌ سَقِيمٌ لَيْسَ يَصْحَوُ وَنَفْسٌ مَا تُفِيقُ مِنَ الْهُلَاعِ
وقوله : (أما صميم وأما فقعة القاع) الصَّمِيمُ الخالص من كل شيء يقال :
فلان من صميم قومه أي من خالصهم . وقال جرير لهشام بن عبد الملك :
وَتَنْزِلُ مِنْ أُمِّيَّةٍ حَيْثُ تَلْقَى شُؤُونَ الرُّأْسِ مُجْتَمَعِ الصَّمِيمِ
وقوله : وأما فقعة القاع ، يقال لمن لا أصل له هو فقعة بقاع ، وذلك لأن
الفقعة لا عروق لها ولا أغصان ، والفقعة الكمأة البيضاء ويقال حمام فقيع
لبياضه . ومن ذلك قول الشاعر :

قَوْمٌ إِذَا نُسِبُوا يَكُونُ أَبُوهُمْ عِنْدَ الْمُنَاسِبِ فَقْعَةٌ فِي قَرَقَرٍ^(٢)

وقال بعض القرشيين :

إِذَا مَا كُنْتَ مَتَّخِذاً خَلِيلاً فَلَا تَجْعَلْ خَلِيلَكَ مِنْ تَمِيمٍ
بَلَوْتُ صَمِيمَهُمْ وَالْعَبْدَ مِنْهُمْ فَمَا أَذْنَى الْعَبْدِ مِنَ الصَّمِيمِ
وقوله نسر بما فيه من الأنس والخفر فأصل الخفر شدة الحياء يقال امرأة
خفيرة إذا كانت مستترة لإستحيائها . قال ابن نمير الثقفي .
تَضَوُّعٌ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي بَسْوَةِ خَفِرَاتٍ

وقوله إن الأزد أكرم أسرة ، يقول عصابة وقبيلة ويقال للرجل من أسرة
أنت ، وأصل هذا من الاجتماع . يقال للقتب مأسور وقد مضى تفسيره وينشد
(يمانية قَرَّبُوا إِذَا نُسِبَ الْبَشَرُ) يريد قَرَّبُوا وهذا جائز في كل شيء مضموم أو
مكسور إذا لم يكن من حركات الإعراب ، تقول في الاسماء في فِخْذٍ فَخْذٌ

(١) سورة المعارج : الآية ١٩ .

(٢) قرقر : أرض مطمئة ليلة .

وفي عَصْدُ عَصْدُ وتقول في الأفعال كَرُمَ عَبْدُ اللَّهِ أَي كَرُمَ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَي عَلِمَ اللَّهُ. قَالَ الْأَخْطَلُ.

فإن أَهْجُهُ يَضْجَرُ كَمَا ضَجَرَ بَازِلٌ من الإِبِلِ دَبَّرَتْ^(١) صَفْحَتَاهُ وَكَاهَلَهُ وَقَالَ آخِرُ:

عَجِبْتُ لِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلِدْهُ أَبُوانُ^(٢)

وَلَا يَجُوزُ فِي ضَرْبٍ وَلَا فِي حَمَلٍ أَنْ يُسَكَّنَ لَخَفَةِ الْفَتْحَةِ. وَقَوْلُهُ: أَتُونِي فَقَالُوا مِنْ رِبْعَةٍ أَوْ مَضَرَ، يَقُولُ: أَمِنْ رِبْعَةٍ أَمْ مِنْ مَضَرَ، وَيَجُوزُ فِي الشَّعْرِ حَذْفُ أَلِفِ الْإِسْتِفْهَامِ لِأَنَّ أُمَّ الَّتِي جَاءَتْ بَعْدَهَا تَدُلُّ عَلَيْهَا. قَالَ ابْنُ أَبِي رِبْعَةٍ:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا بَسْبَعٍ رَمَيْنَ الْجَمْرَ أَمْ بِشِمَانٍ يَرِيدُ أَبْسَعٍ. وَقَالَ التَّمِيمِيُّ:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مَنَقَرٍ الرِّوَايَةُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَمِنْ رِبْعَةٍ أَمْ مَضَرَ أَمْ الْحَيَّ قَحْطَانَ يَرِيدُ أَذَا أَمْ ذَا وَالْأَصْلَحُ فِي الرِّوَايَةِ مِنْ رِبْعَةٍ أَوْ مَضَرَ أَمْ الْحَيَّ قَحْطَانَ، لِأَنَّ رِبْعَةَ أَخُو مَضَرَ فَأَرَادَ مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ أَمْ الْحَيَّ قَحْطَانَ، لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ أَزِيدُ عِنْدَكَ أَمْ عَمْرُو؟ فَالْجَوَابُ نَعَمْ أَوْ لَا إِنْ أَحَدُ هَذَيْنِ عِنْدَكَ وَمَعْنَى الْأَوَّلِ أَيُّهُمَا عِنْدَكَ. وَيُرْوَى وَحْدَتِيَّةُ الْمَازْنِيِّ أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَتَاهَا رَجُلٌ فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ الزُّبَيْرُ؟ قَالَتْ: وَمَا تَرِيدُ إِلَيْهِ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَبَاطِشَهُ^(٣). فَقَالَتْ: هَا هُوَ ذَاكَ: فَصَارَ إِلَى الزُّبَيْرِ فَبَاطِشَهُ فَعَلْبَهُ الزُّبَيْرُ فَمَرَّ بِهَا مَغْلُولًا فَقَالَتْ صَفِيَّةُ:

كَيْفَ رَأَيْتَ زَبْرًا^(٤) أَقِطًا أَوْ تَمْرًا أَمْ قُرْشِيًا صَقْرًا

(١) دَبَّرَتْ بِسُكُونِ الْبَاءِ يَرِيدُ دَبَّرَتْ بِكُسْرِهَا مِنَ الدَّبَرِ حَرْكًا وَهُوَ قَرْقَةٌ تَكُونُ فِي ظَهْرِ الْبَعِيرِ.

(٢) لَمْ يَلِدْهُ أَبُوانُ: أَيِ بِسُكُونِ اللَّامِ وَتَحْرِيكِ الدَّالِ.

(٣) أَبَاطِشَهُ: أَغَالِيهِ فِي الْبَطْشِ وَهُوَ الْإِخْذُ بِالْعَنْفِ وَالسُّطُورَةِ.

(٤) يَرِيدُ الزُّبَيْرِ وَهَذَا تَرْخِيمٌ.

لم تَشْكُكْ بين الاقط والتمر فتقول: أيهما هو، ولكنها أرادت رأيته طعاماً أم قريشياً صفراً، أي الأحد هذين رأيته أم صفراً. ولو قالت: أأقط أم تمرا كان محالاً على هذا الوجه. وقوله: وما منهما إلا يُسرُّ بنسبة معناه: وما منهما واحد، فحذف لعلم المخاطب. قال الله جل اسمه: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾^(١). أي وإن أحد، ومعنى إن معنى ما قال الشاعر:

وما الدهرُ إلا تارتان فمنهما أموتُ وأخرى أبتغي العيش أكدح^(٢)

يريد فمنهما تارة وقوله:

فنحن بنو الإسلام والله واحد وأولى عباد الله بالله من شكر يقول: انقطعت الولاية إلا ولاية الإسلام، لأن ولاية الإسلام قد قاربت بين الغرباء. وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣). وقال عز وجل: ﴿فَبَاعِدْ بِهِ بَيْنَ الْقَرَابَةِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ أَنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(٤). وقال نهار ابن تومعة البشكري:

دعي القوم ينصرو مدعيه ليُلحقه بذئ الحسب الضميم
أبي الإسلام لا أب لي سوام إذا افتخروا بقبس أو تميم

ويقال فيما يروى من الأخبار أن أول من حَكَّم عُرْوَة^(٥) ابن أديّة وأديّة جدة له جاهلية، وهو عروة ابن حذير أحد بني ربيعة بن حنظلة. وقال قوم: بل أول من حَكَّم رجل يقال له سعيد من بني مُحارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، ولم يختلفوا في إجماعهم على عبد الله بن وهب الراسبي، وأنه امتنع

(١) سورة النساء: الآية ١٥٩.

(٢) كدح يقال كدح في العمل سعى وعمل لنفسه خيراً أو شراً مع كد ومشقة.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٤) سورة هود: الآية ٤٦.

(٥) إن أول من حكم: لعله يريد أول من أظهر قولهم لا حكم إلا لله ردّاً على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تحكيمه الحكمين بينه وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقال علي حين سمعها كلمة حق أريد بها باطل.

عليهم وأوماً إلى غيره فلم يقنعوا إلا به فكان إمام القوم، وكان يوصف بالرأي .
فأما أول سيف سُلَّ من سيوف الخوارج فسيف عروة ابن أدية^(٤) وذلك أنه
أقبل على الأشعث فقال: ما هذه الدنيئة يا أشعث وما هذا التحكيم أشرط
أوثق من شرط الله عز وجل، ثم شَهَرَ عليه السيف والإشعث مَوْلُ فضرب به
عجز البغلة فشَبَّتِ البغلة^(١) فنَفَرَت اليمانية وكانوا جُلَّ أصحابِ عليّ صلواتُ الله
عليه، فلما رأى ذلك الأحنف قصَدَ هو وجاريةُ بن قدامة ومسعودُ بن فدكيّ بن
أعبد وشَبَّتُ بن ربِيعي الرياحي إلى الأشعث، فسألوه الصفح ففعل . وكان
عروة ابن أدية نجا من حرب النُهرَوان فلم يزل باقياً مدةً من خلافة معاوية ثم
أتى به زيادُ ومعه مولى له فسأله عن أبي بكر وعمر فقال خيراً، ثم سأله فقال:
ما تقول في أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأبي ترابٍ علي بن أبي طالب فتولّى
عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر، وفعل في أمر عليّ مثل
ذلك إلى أن حَكَمَ ثم شهد عليه بالكفر . ثم سأله عن معاوية فسيه سباً قبيحاً
ثم سأله عن نفسه فقال: أُولُك لَزِيئَةٌ وَأَخْرُك لَدَعْوَةٍ وَأَنْتَ بَعْدُ عَاصٍ لِرَبِّكَ ثُمَّ
أَمَرَ بِهِ فَضَرِبَتْ عُنُقَهُ، ثُمَّ دَعَا مَوْلَاهُ فَقَالَ: أَطْنِبْ أَمْ أَخْتَصِرْ، فَقَالَ: بَلْ
أَخْتَصِرْ فَقَالَ: مَا أَتَيْتُهُ بِطَعَامٍ بِنَهَارٍ قَطٍ وَلَا فَرَشْتَ لَهُ فَرَّاشاً بَلِيلٍ قَطٍ . وكان
سبب تسميتهم الحُرورية أن علياً لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله
إياهم، فكان مما قال لهم: أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَمَّا رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ
قُلْتُ لَكُمْ إِنْ هَذِهِ مَكِيدَةٌ وَهَنْ، وَأَنْتُمْ لَوْ قَصَدُوا إِلَى حَكْمِ الْمَصَاحِفِ لَمْ
يَأْتُونِي . ثُمَّ سَأَلُونِي التَّحْكِيمَ أَفَعَلِمْتُمْ أَنَّهُ كَانَ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَكْرَهُ لَذَلِكَ مِنِّي .
قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ . قَالَ فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَنْكُمْ اسْتَكْرَهْتُمُونِي عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَجَبْتُمْ
إِلَيْهِ فَاشْتَرَطْتُ أَنَّ حُكْمَهُمَا نَافِذٌ مَا حَكَمَا بِحُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ خَالَفَاهُ فَأَنَا
وَأَنْتُمْ مِنْ ذَلِكَ بُرَاءٌ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حَكْمَ اللَّهِ لَا يَعْذُونِي . قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ -
وَفِيهِمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ ابْنُ الْكَوَاءِ - وَهَذَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَذْبَحُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَبَّابٍ
فَإِنَّمَا ذَبَحُوهُ بِكُسْكُرٍ فِي الْفُرْقَةِ الثَّالِثَةِ . فَقَالُوا: حَكَمْتُ فِي دِينِ اللَّهِ بِرَأْيِنَا وَنَحْنُ

(١) فشبت البغلة: أي رفعت يديها حتى كادت تلقيه على الأرض.

مَقْرُونٌ بَأَنَا قَدْ كَفَرْنَا، وَنَحْنُ تَائِبُونَ فَأَقْرِرْ بِمِثْلِ مَا أَقْرَرْنَا وَتُبْ نَنْهَضْ مَعَكَ إِلَى الشَّامِ. فَقَالَ: أَمَّا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَمَرَ بِالتَّحْكِيمِ فِي شِقَاقِ بَيْنِ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: فَاْبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا^(١). وَفِي صَيْدٍ أُصِيبَ فِي الْحَرَمِ كَأَرْبِ يَسَاوِي رُبْعَ دِينَارٍ.

مناظرة علي للخوارج

فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٢) فَقَالُوا: إِنْ عَمْرًا لِمَا أَبِي عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ فِي كِتَابِكَ، هَذَا مَا كَتَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَحَوْتَ اسْمَكَ مِنَ الْخِلَافَةِ وَكَتَبْتَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَ لَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْوَةٌ حَيْثُ أَبِي عَلَيْهِ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَنْ يَكْتُبَ هَذَا كِتَابُ كَتَبَهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: لَوْ أَقْرَرْنَا بِأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا خَالَفْنَاكَ وَلَكِنِّي أَقَدَمْتُكَ لِفَضْلِكَ. ثُمَّ قَالَ: أَكْتُبُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ لِي: يَا عَلِيُّ امْحُ رَسُولَ اللَّهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَسْخُو نَفْسِي بِمَحْوِ اسْمِكَ مِنَ النَّبُوَّةِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَفْنِي عَلَيْهِ فَمَحَاهُ بِيَدِهِ ﷺ. ثُمَّ قَالَ: أَكْتُبُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ تَبَسَّمَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ أَمَا أَنْتَ سُسُؤَامٌ مِثْلَهَا فَتَعْطِي. فَرَجَعَ مَعَهُ مِنْهُمْ أَلْفَانِ مِنْ حَرَوْرَاءٍ وَقَدْ كَانُوا تَجَمَّعُوا بِهَا فَقَالَ لَهُمْ عَلِيُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: مَا نُسَمِّيْكُمْ. ثُمَّ قَالَ: أَنْتُمْ الْحَرَوْرِيَُّّةُ لِاجْتِمَاعِكُمْ بِحَرَوْرَاءٍ وَالنَّسَبُ إِلَى مِثْلِ حَرَوْرَاءٍ حَرَوْرَاوِيٍّ، فاعْلَمُوا. وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا كَانَ فِي آخِرِهِ أَلْفُ التَّائِيثِ الْمَمْدُودَةِ، وَلَكِنَّهُ نُسِبَ إِلَى الْبَلَدِ بِحَذْفِ الزَّوَائِدِ فَقِيلَ الْحَرَوْرِيُّ وَقَالَ الصَّلَتَانِ الْعَبْدِيُّ فِي كَلِمَةٍ لَهُ:

أَرَى أُمَّةً شَهَرَتْ^(٣) سَيْفَهَا وَقَدْ زِيدَ فِي سَوَاطِئِهَا الْأَصْبَحِيَّ

(١) سورة النساء: الآية ٣٥.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٩.

(٣) أرى أمة شهرة سيفها: بنعي على المسلمين هذه الفتن العظيمة التي وقعت فيهم وشقت عصاهم ومزقتهم شيعاً حتى ذاق بعضهم بأس بعض.

بَنَجْدِيَّةٌ وَحَرُورِيَّةٌ وَأَزْرَقُ يَدْعُو إِلَى أَزْرَقِي
فَمِلَّتْنَا أَنَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى دِينِ صِدْقِنَا وَالنَّبِيِّ

وفي هذا الشعر مما يستحسن قوله :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرِ مُرُورُ اللَّيَالِي وَكَرُّ الْعَشِيِّ
إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ^(١) يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتِي
نَرُوحُ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةُ مَا بَقِيَ

قوله : (وقد زيد في سوطها الأصبحي)، فإنه تسمى هذه السياط التي يعاقب بها السلطان الأصبحية وتُنسَبُ إلى ذي أَصْبَحَ الْجَمِيرِيِّ وكان مَلِكاً من ملوك جَمِيرٍ، وهو أول من اتخذها وهو جدُّ مالك بن أنس الفقيه رضي الله عنه . والنَّجْدِيَّةُ تُنسَبُ إلى نَجْدَةَ بن عُثَيْمٍ وهو عامر الحنفي وكان رأساً ذا مقالة منفردة من مقالات الخوارج، وقد بقي من أهلها قوم كثير، وكان نَجْدَةُ يصلي بمكة بحذاء عبد الله بن الزبير في جَمْعِهِ في كل جمعة . وعبد الله يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ فَيُمْسِكَانِ عَنِ الْقِتَالِ مِنْ أَجْلِ الْحَرَمِ .

الراعي يخاطب عبد الملك

قال الراعي يخاطب عبد الملك .

إِنِّي حَلَفْتُ عَلَى يَمِينٍ بَرَّةٍ^(٢) لَا أَكْذِبُ الْيَوْمَ الْخَلِيفَةَ قِيلاً
مَا إِنْ أَتَيْتُ أَبَا خُبَيْبٍ^(٣) وَافِداً^(٤) يَوْماً أُرِيدُ بَيْعَتِي تَبْدِيلاً

(١) إذا ليلة حُرمت يومها الخ هذا على سبيل التمثيل والمجاز.

(٢) يمين برة : صادقة وأبرها أمضاها على الصدق .

(٣) أبو خبيب : كنيه عبد الله بن الزبير .

(٤) وافداً : قادماً .

ولا أَتَيْتُ نَجِيدَةَ بنِ عُوَيْمِرٍ أَبْعَى الْهُدَى فِيزِيدَنِي تَضْلِيلًا
من نِعْمَةِ الرَّحْمَنِ لَا مِنْ حِيلَتِي أَنِي أَعُدُّ لَهُ عَلَيَّ قُضُولًا
وفي هذه القصيدة:

أَخَذُوا الْعَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيَرومَهُ بِالْأَصْبَحِيَّةِ قَائِمًا مَغْلُولًا

قوله أزرَق يدعو إلى أزرقي، يريد مَنْ كَانَ من أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي، وكان نافع شجاعاً مُقَدِّماً في فقه الخوارج. وله ولعبد الله ابن عباس مسائل كثيرة، وسنذكر جملة منها في هذا الكتاب إن شاء الله. وقوله:

(على دين صديقنا^(١) والنبي)

فالعرب تفعل هذا، وهو في الواو جائز أن تَبْدَأَ بالشيء وغيره المُقَدَّم. قال الله عز اسمه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ، فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾^(٢). وقال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾^(٣) وقال: ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٤). وقال حسان بن ثابت:

بِهَالِيلٍ^(٥) مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ
يعني بني هاشم

محاربة المهلب لأصحاب نافع بن الأزرق

ومن كلام العرب ربيعة ومضر وقيس وخندف وسليم وعامر وأصحاب نافع بن الأزرق هم ذوو الحد والجذ وهم أحاطوا بالبصرة حتى ترحل أكثر أهلها منها، وكان الباكون على الترحل. فَقُلِّدَ الْمُهَلَّبُ حربهم فهزمهم إلى

(١) صديقنا يريد الصديق أبا بكر رضي الله عنه وقدمه في الذكر على النبي لأن العرب تفعل هذا ثقة بعلم السامع أن النبي أفضل من أبي بكر.

(٢) سورة التغابن: الآية ٢.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٣٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٣.

(٥) بهاليل: واحده بهلول بالضم وهو السيد الجامع لكل خير وجعفر هو بن أبي طالب ذو الجناحين قتيل مؤتة.

الفرات ثم هزمهم إلى الأهواز، ثم أخرجهم عنها إلى فارس ثم أخرجهم إلى كرمّان. وفي ذلك يقول شاعرٌ منهم في هذه الحرب التي صاحبها صاحبُ الزنج بالبصرة يرثي البلد، يذكر المَنقمة التي كانت لهم. (قال الأخفش، أنشدنيهِ يزيدُ المَهَلبيُّ لنفسه):

سَقَى اللَّهُ مِصْرًا خَفَّ أَهْلُوهُ^(١) مِنْ مِصْرٍ
وَلَوْ كُنْتُ فِيهِ إِذْ أُبِيحَ حَرِيمُهُ^(٢)
أُبِيحَ فَلَمْ أَمْلِكْ لَهُ غَيْرَ عِبْرَةٍ
وَنَحْنُ رَدَدْنَا أَهْلَهَا إِذْ تَرَحَّلُوا
وَمَنْ يَخْشَى أَطْرَافَ الْمَنَايَا^(٣) فَإِنَّا
فَبِإِنْ كَرِيهِ الْمَوْتِ عَذَبَ مَذَاقُهُ
وَمَا رَزَقَ الْإِنْسَانُ مِثْلَ مَنِيَّةِ

وما الذي يَبْقَى على عَقَبِ الدَّهْرِ
لَمْتُتُ كَرِيمًا أَوْ صَدَرْتُ عَلَى عُذْرِ
تُهِيْبُ بِهَا أَنْ حَارَدَتْ لَوْعَةُ الصَّدْرِ
وَقَدْ نَظَمْتُ خَيْلُ الْأَزَارِقِ بِالْجَسْرِ
لَيْسْنَا لَهُنَّ السَّابِغَاتِ^(٤) مِنَ الصَّبْرِ
إِذَا مَا مَرَجْنَاهُ بِطَيْبٍ مِنَ الذِّكْرِ
أَرَاخَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ تَخْزِ فِي الْقَبْرِ

وفي هذا الشعر:

لِشُكْرِ بَنِي الْعَبَّاسِ نَعَمِي تَجَدَّدَتْ
لَقَدْ جَنَّبْتُكُمْ أَسْرَةً حَسَدَتْكُمْ
وَقَدْ نَغَصَّتْهُمْ جَوْلَةً بَعْدَ جَوْلَةٍ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ:
أَلَا طَرَقَتْ مِنْ أَهْلِ بَيْتَةِ طَارِقَةٍ
تَبِيْتُ وَأَرْضُ السُّوسِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

فَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمَزِيدَ عَلَى الشُّكْرِ
فَسَلَّتْ عَلَى الْإِسْلَامِ سَيْفًا مِنَ الْكُفْرِ
يُبَيِّتُونَ فِيهَا الْمُسْلِمِينَ عَلَى ذَعْرِ

عَلَى أَنَّهَا مَعْشُوقَةُ الدَّلِّ عَاشِقَةٍ
وَسُؤْلَافُ رُسْتَاقٍ^(٥) حَمَتُهُ الْأَزَارِقَةُ

(١) سقى الله مصرا خف أهلوه: أي ارتحلوا عنه.

(٢) أبيح حريمه: أي حل ما كان منه ممنوعاً عن الناس. يقول لو كنت بهذا البلد حين ما فعل هذا الفعل لأبليت بلاء حسناً فأما أن أموت موت الكرام وأما أن أبلغ العذر في نفسي.

(٣) أطراف المنايا: قطع المنايا وحما علتها واحدها طرف بالتحريك ومنه قوله تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا فِي الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ﴾.

(٤) السابغات: من الصبر جنتاً ودروعاً على طريق الاستعارة بالكنية والسابغة من السبوغ وهو التمام والشمول.

(٥) الرستاق: بالضم. السواد والقرى: فارسية معربة.

إذا نحن شئنا صادفتنا عصابة حُرورية أضحّت من الدين مارقهُ

وكان مقدار مَنْ أَصابَ عليّ صلوات الله عليه منهم بالنَهْروان ألفين وثمانين مائة في أصبح الأقاويل، وكان عَدَدُهُمْ ستّة آلاف. وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يُسرُّ أمرُهُ، ولم يشهد الحرب، فخرج منهم رجل بعد أن قال عليّ رضوان الله عليه: إرجعوا وادفعوا إلينا قاتِلَ عبدِ الله بن خَبَّابٍ. فقالوا: كُلُّنا قَتَلُهُ وَشَرِكُ فِي دَمِهِ. ثم حَمَلَ منهم رجلٌ على ضَفِّ عليّ وقد قال عليّ: لا تبدؤهم بقتال، فقتل من أصحاب عليّ ثلاثة وهو يقول:

أَقْتُلُهُمْ وَلَا أَرَى عَلَيَّا وَلَوْ بَدَأَ أَوْجَرُهُ^(١) الْخَطِيْأَ

فخرج إليه عليّ صلوات الله عليه فقتله، فلما خالطه السيف قال: خَبِّدَا الرُّوحَةَ إِلَى الْجَنَّةِ. فقال عبد الله بن وهب: ما أدري أإلى الجنة أم إلى النار. فقال رجل من سعد: إنما حَضَرْتُ اغْتِرَاراً بهذا وأراه قد شكَّ فانخزل بجماعة من أصحابه، ومال ألفٌ إلى ناحية أبي أيوب الأنصاري. وكان رحمه الله على مَيْمَنَةِ عليّ وجعل الناس يتسللون. وقد قال عليّ وقيل له إنهم يريدون الجسر. فقال: لن يبلغوا النُّظْفَةَ^(٢). وجعل الناس يقولون له في ذلك حتى كادوا يشكون. ثم قالوا: قد رجعوا يا أمير المؤمنين. فقال: والله ما كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ^(٣). ثم خرج إليهم في أصحابه، وقد قال لهم: إنه والله ما يُقْتَلُ منكم عشرة، ولا يُقْلَتُ منهم عشرة. فقتل من أصحابه تسعة وأفلت منهم ثمانية. قال أبو العباس: وقيل أول مَنْ حَكَّمَ وَلَفَظَ بالحكومة ولم يُشَدَّ بها رجلٌ من بني سَعْدِ بن زيد مَنَاة بن تميم بن مُرٍّ من بني صَرِيمٍ يقال له الْحَبَّاجُ بن عبد الله، ويُعرَفُ بالبُرْك، وهو الذي ضرب معاوية على الْيَتَةِ. فإنه

(١) أوجره: الرمح: طعنه به في بطنه.

(٢) النظفة بالماء الصافي قل أو أكثر.

(٣) ما كذبت أي فيها أخبرتكم به ولا كذبت بتخفيف الذال حياً لما لم يسم فاعله كأنه يشير بهذا إلى أنه أخبر بذلك من قبل.

لما سَمِعَ بذكر الحَكَمَيْنِ قال: أَيَحْكُمُ في دين الله لا حُكْمَ إلا لله . فسمعه سامع فقال: طَعَنَ وَاللَّهِ فَأَنْفَذَ، وَأَوَّلَ مَنْ حَكَمَ بين الصَّفَيْنِ رجلٌ من بني يَشْكُرَ بن بكر بن وائل، فإنه كان من أصحاب عليٍّ، فحمل على رجلٍ منهم فقتله غيلةً ثم مَرَقَ بين الصَّفَيْنِ فَحَكَمَ وَحَمَلَ على أصحاب معاوية فَكَثَرُوا^(١)، فرجع إلى ناحية عليٍّ صلوات الله عليه فحمل على رجلٍ منهم، فخرج إليه رجل من هَمْدَانَ فقتله . فقال شاعرٌ هَمْدَانُ :

ما كان أغنى اليَشْكُرِيُّ عن التي تصلَّى بها جَمْرًا من النار حاميا
غداة يُنادي والرماحُ تنوشه^(٢) خلعتُ علياً بادياً^(٣) ومُعاويا

وجاء في الحديث: أن علياً رضي الله عنه تلي بحضرته، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صِنَاعًا﴾^(٤). فقال عليٌّ: أهلُ حروراء منهم . وروي عن عليٍّ صلوات الله عليه، أنه خرج في غداةٍ يوقظ الناس للصلاة في المسجد، فمرَّ بجماعة تتحدث فسَلَّمَ وَسَلَّمُوا عليه فقال، وقبض على لحيته: ظننت أن فيكم أشقاها الذي يَخْضِبُ هذه من هذه . وأومأ بيده إلى هامته ولحيته ومن شعر علي بن أبي طالب الذي لا اختلاف فيه أنه، وأنه كان يرددُ أنهم لَمَّا سَامُوهُ أن يُقَرَّ بالكفر ويتوبَ حتى يسيروا معه إلى الشام . فقال: أَبْعَدُ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . والتفقه في الدين أَرْجَعُ كَافِرًا:

يا شَاهِدَ اللَّهِ عليٍّ فاشْهَدِ أني على دين النبي أَحْمَدِ

(مَنْ شَكَّ في اللَّهِ فَإِنِّي مُهْتَدِي)

ويروى: (أَنِّي تَوَلَّيْتُ وَلِيَّ أَحْمَدِ)

(١) فكثروه: أي زادوا عليه قوة وكثرة.

(٢) الرماح تنوشه: أي تتناوله وتأخذه.

(٣) بادياً: معلناً وبجاهراً.

(٤) سورة الكهف: الآية ١٠٣.

حادثة الرجل الأسود مع رسول الله

ويروى أن رجلاً أسود شديد بياض الثياب، وقف على رسول الله ﷺ وهو يُقَسِّمُ غَنَائِمَ خَيْبَرَ، لم تكن إلا لِمَنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَّةَ فَأَقْبَلَ ذَلِكَ الْأَسْوَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا عَدَلْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ. فغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى رُؤِيَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَلَا أَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنَّهُ سَيَكُونُ لِهَذَا وَلِأَصْحَابِهِ نَبَأٌ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: وَنَحَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أُعْدِلْ. ثُمَّ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: اقْتُلْهُ، فَمَضَى ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَهُ رَاكِعاً. ثُمَّ قَالَ لِعُمَرَ اقْتُلْهُ فَمَضَى ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُهُ سَاجِداً. ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: اقْتُلْهُ. فَمَضَى ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ قُتِلَ هَذَا مَا اخْتَلَفَ اثْنَانِ فِي دِينِ اللَّهِ. قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ قَاضِي الْبَصْرَةِ فِي إِسْنَادٍ ذَكَرَهُ أَنَّ عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَّهَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِذَهَبِيَّةٍ مِنَ الْيَمَنِ فَقَسَمَهَا أَرْبَاعاً فَأَعْطَى رُبْعاً لِلْأَفْرَغِ بْنِ حَابِسٍ الْمَجَاشِعِيِّ وَرُبْعاً لَزَيْدِ الْخَيْلِ الطَّائِي وَرُبْعاً لَعُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ وَرُبْعاً لَعَلْقَمَةَ بْنِ عَلَاثَةَ الْكَلَابِيِّ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مُضْطَرِبُ الْخَلْقِ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ نَاتِيٌّ مِنَ الْجَبْهَةِ فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ قِسْمَةً مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ. فغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَوَرَّدَ خَدَاهُ ثُمَّ قَالَ: أَيَأْمُنُنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي. فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ فَقَالَ: اقْتُلْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ ﷺ: إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ضُضْضَى^(١) هَذَا قَوْمٌ يَمْرُقُونَ^(٢) مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ^(٣) تَنْظُرُ فِي النُّصْلِ فَلَا تَرَى شَيْئاً وَتَنْظُرُ فِي الرِّصَافِ^(٤) فَلَا تَرَى شَيْئاً وَتَتَمَارَى فِي الْفُوقِ^(٥). وَقَوْلُهُ ﷺ: مِنْ ضُضْضَى هَذَا

(١) ضُضْضَى: بالكسر الأصل يريد أن يخرج من نسله وعقبه.

(٢) يَمْرُقُونَ: يخرقون الدين كالسهم يخرق الشيء المرمى به ويخرج منه.

(٣) الرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك.

(٤) الرصاف: بالكسر، عقب يلوى على مدخل النصل في السهم ورصف السهم إذا شده به وواحد الرصاف. رصفه بالتحريك.

(٥) الفوق: موضع الوتر من السهم يريد أنهم لم ينالوا شيئاً من الدين في حاق الأمر ولكن إذا نظرت إلى صلاتهم وصيامهم وسمعت كلامهم دخلك شك فيهم.

أَيُّ مَنْ جَنَسَ هَذَا يَقَالُ فَلَانٌ مِنْ ضَيْضِيٍّ صِدْقٍ وَمَنْ مَحْتَدٍ صِدْقٍ
وَفِي مُرْكَبٍ صِدْقٍ. وَقَالَ جَرِيرٌ لِلْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ
وَهُوَ ابْنُ عَقِيلٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الْحَجَّاجِ. وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْبَصْرَةِ:

أَقْبَلَنَ مِنْ تَهْلَانٍ أَوْ وَادِي حَيْمٍ عَلَى قِلَاصٍ مِثْلِ خَيْطَانِ السَّلَمِ
إِذَا قَطَعْنَ عِلْمًا بَدَا عِلْمٌ حَتَّى أَنْخَاها إِلَى بَابِ الْحَكَمِ
خَلِيفَةُ الْحَجَّاجِ غَيْرَ الْمُتَّهَمِ فِي ضَيْضِيٍّ الْمَجْدِ وَبُجُوحِ الْكَرَمِ
وَيَقَالُ مَرَقَ السُّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ: إِذَا نَفَذَ مِنْهَا، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ أَنْ لَا
يَعْلُقَ بِهِ مِنْ دَمِهَا شَيْءٌ، وَأَقْطَعُ مَا يَكُونُ السِّيفُ إِذَا سَبَقَ الدَّمُ. قَالَ أَمْرُو
الْقَيْسِ بْنِ عَابِسٍ الْكِنْدِيُّ.

وَقَدْ اخْتَلَسَ الضَّرْبَةُ لَا يَسْذَمِي لَهَا نَضْلِي

فَأَمَّا مَا وَضَعَهُ الْأَصْمَعِيُّ^(١) فِي كِتَابِ الْاِخْتِيَارِ، فَعَلَى غَلْطٍ وَضَعَ، وَذَكَرَ
الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ الشَّعْرَ لَا سَحْقَ ابْنِ سُؤَيْدٍ الْفَقِيهَ. وَهُوَ لِأَعْرَابِيٍّ لَا يَعْرِفُ الْمَقَالَاتِ
الَّتِي يَمِيلُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ. أَشَدُّ الْأَصْمَعِيِّ

بَرِئْتُ مِنَ الْخَوَارِجِ لَسْتُ مِنْهُمْ مِنَ الْغَزَالِ مِنْهُمْ وَابْنُ بَابٍ
وَمِنْ قَوْمٍ إِذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَى السَّحَابِ
وَلَكِنِّي أَحِبُّ بِكُلِّ قَلْبِي وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَاكَ مِنَ الصُّوَابِ
رَسُولَ اللَّهِ وَالصَّدِيقَ حُبًّا بِهِ أَرْجُو غَدًا حُسْنَ الثَّوَابِ

فَإِنْ قَوْلُهُ مِنَ الْغَزَالِ مِنْهُمْ يَعْنِي وَاصِلَ بْنِ عَطَاءٍ. وَكَانَ يُكْنَى أَبَا حُذَيْفَةَ.
وَكَانَ مَعْتَزِلِيًّا وَلَمْ يَكُنْ غَزَالًا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَلْقَبُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَلْزِمُ الْغَزَالِينَ
لِيَعْرِفَ الْمُتَعَفِّفَاتِ مِنَ النِّسَاءِ فَيَجْعَلَ صَدَقَتَهُ لَهُنَّ. وَكَانَ طَوِيلَ الْعُنُقِ، وَيُرْوَى
عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكْلِمَهُ فَقَالَ: لَا يُفْلِحُ هَذَا مَا دَامَتْ
عَلَيْهِ هَذَا الْعُنُقُ. وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ: يَهْجُو وَاصِلَ بْنِ عَطَاءٍ:

(١) فَأَمَّا وَضَعَهُ الْأَصْمَعِيُّ كَلَامَ مَغْلَقٍ غَامُضٍ لَمْ يَبَيِّنْ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرَادَ مِنْهُ.

ماذا مُنيتُ^(١) بَغْزَالٍ لَهُ عُنُقٌ كِنَقْنِقِ^(٢) الدَّوِّ^(٣) إِنْ وَلَّى وَإِنْ مَثَلَا
عُنُقُ الزَّرَافَةِ مَا بَالِي وَبِالْكُمِّ تُكْفَرُونَ رَجَالًا أَكْفَرُوا رَجُلًا

ويروى لا بَلْ كَأَنَّهُ لَا يَشُكُّ فِيهِ أَنَّ بَشَارًا كَانَ يَتَعَصَّبُ لِلنَّارِ عَلَى الْأَرْضِ.
وَيُصَوَّبُ رَأْيِي إِبْلِيسَ لَعْنَهُ اللَّهُ فِي امْتِنَاعِهِ مِنَ السَّجُودِ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
وَيُرْوَى لَهُ:

الْأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتْ النَّارُ
فهذا ما يرويه المتكلمون، وَقَتْلُهُ الْمَهْدِيِّ عَلَى الْإِلْحَادِ. وَقَدْ رَوَى قَوْمٌ أَنَّ
كُتِبَ فُتِّشَتْ فَلَمْ يُصَبِّ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا كَانَ يُرْمَى بِهِ، وَأَصِيبَ لَهُ كِتَابٌ فِيهِ:
إِنِّي أُرِدْتُ هِجَاءَ آلِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ فَذَكَرْتُ قِرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:
فَأَمْسَكْتُ مِنْهُمْ. (إِلَّا أَنِّي قُلْتُ):

دِينَارُ آلِ سُلَيْمَانَ وَدِرْهَمُهُمْ كِبَابِلِيَّيْنِ حُفَا بِالْعَفَارِيثِ
(لَا يُرْجِيَانِ وَلَا يُرْجَى نَوَاهُمَا كَمَا سَمِعْتُ بِهَارُوتَ وَمَارُوتَ)

بشار يهجو واصل بن عطاء

وحدثني المازني قال: قال رجل لبشار: أَتَأْكُلُ اللَّحْمَ وَهُوَ مُبَايِنٌ لِدِيَانَتِكَ
يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ ثَنَوِيٌّ. قال: فقال بشار: لَيْسُوا يَذْرُونَ أَنَّ اللَّحْمَ يَذْفَعُ عَنِّي شَرُّ
هَذِهِ الظُّلْمَةِ. وَكَانَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ أَحَدَ الْأَعَاجِيبِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ اللَّثْغَ قَبِيحَ
اللَّثْغَةِ فِي الرَّاءِ فَكَانَ يُخْلِصُ كَلَامَهُ مِنَ الرَّاءِ، وَلَا يُفْطَنُ بِذَلِكَ لِاقْتِدَارِهِ
وَسَهُولَةِ الْفَافِظَةِ. فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَاعِرٌ مِنَ الْمَعْتَزَلَةِ يَمْدَحُهُ بِإِطَالَتِهِ الْخُطْبَ
وَاجْتِنَانِهِ الرَّاءَ عَلَى كَثَرَةِ تَرَدُّدِهَا فِي الْكَلَامِ. حَتَّى كَانَهَا لَيْسَتْ فِيهِ:

عَلِيمٌ بِابْدَالِ الْحُرُوفِ وَقَامِعٌ لِكُلِّ خَطِيبٍ يَغْلِبُ الْحَقُّ بَاطِلُهُ
وقال آخر:

(١) ماذا مُنيت أي قدر لي وابتليت به يريد أن ما ابتليت به شيء عظيم.

(٢) النَقْنَق: بالكسر الظليم النافر الخفيف.

(٣) الدَّو: الفلاة.

وَيَجْعَلُ الْبُرَّ قَمْعاً فِي تَصْرِفِهِ وخَالَفَ الرَاءَ حَتَّى احْتَالَ لِلشَّعْرِ
وَلَمْ يُطَقْ مَطَرًا^(١) وَالْقَوْلُ يُعْجَلُهُ فعَاذَ بِالْغَيْثِ إِشْفَاقاً مِنَ الْمَطَرِ

ومما يُحْكِي عنه قوله: وذكر بشاراً أما لهذا الأعمى المُكْتَنِي بِأَبِي مُعَاذٍ مَنْ يَقْتُلُهُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الْغَيْلَةَ خُلِقَتْ مِنْ أَخْلَاقِ الْغَالِيَةِ لَبَعَثْتُ إِلَيْهِ مَنْ يَبْعَجُ بَطْنَهُ عَلَى مَضْجَعِهِ، ثُمَّ لَا يَكُونُ إِلَّا سَدُوسِيًّا أَوْ عُقَيْلِيًّا. فقال هذا الأعمى: ولم يقل بشاراً ولا ابن بُرْدٍ ولا الضَّرِيرَ وقال: من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرة ولا المنصورية. وقال: لبعثت، ولم يقل لأرسلت إليه. وقال: على مضجعه، ولم يقل على فراشه ولا مرقده. وقال: يبعج، ولم يقل: يَبْقُرُ. وذكر بني عقيل لأن بشاراً كان يتوالى إليهم، وذكر بني سدوس لأنه كان نازلاً فيهم واجتنب الحروف شديداً. قال ولما سقطت ثنايا عبد الملك قال: والله لولا الخطبة والنساء ما حفلت^(٢) بها. قال وخطب الجمحي وكان منزع إحدى الثبيتين، وكان يصفّر إذا تكلم فأجاد الخطبة. وكانت لنكاح فرد عليه زيد بن علي ابن الحسين كلاماً جيداً، إلا أنه فضله يتمكن الحروف وحسن مخارج الكلام. فقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك:

صَحَّتْ مَخَارِجُهَا وَتَمَّ حُرُوفُهَا فله بِذَاكَ مَزِيَّةٌ لَا تُنْكَرُ

المزية الفضيلة. وأما قوله: وابن باب فإنه عمرو بن عبيد بن باب. وكان مولى بني العدوية من بني مالك بن حنظلة، فهذان معتزليان وليس من الخوارج ولكن قصد إسحق بن سويد إلى أهل البدع والأهواء. ألا تراه ذكر الرافضة معهما فقال:

وَمِنْ قَوْمٍ إِذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا أشاروا بالسلام على السحاب

ويروى (يردون السلام على السحاب)

(١) لم يطلق: يريد له ما صعب عليه أن ينطق بهذا اللفظ والقول يعجله أسرع إلى ما يرادفه وهو الغيث وهذا من القدرة على الكلام بكان.

(٢) حفلت: اهتمت.

عوده إلى الخوارج ومحاربة علي لهم

ثم نرجع إلى ذكر الخوارج. قال فلما قتل علي أهل النهرَوان، وكان بالكوفة زهاء ألفين ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب وقوم ممن استأمن إلى أبي أيوب الأنصاري، فتجمعوا وأمروا عليهم رجلاً من طيء فوجه إليهم علي صلوات الله عليه رجلاً وهم بالنخيلة فدعاهم ورفق بهم، فأبوا فعاودهم، فأبوا فقتلوا جميعاً. فخرجت طائفة منهم نحو مكة، فوجه معاوية من يقيم للناس حجبهم فناوشه هؤلاء الخوارج.

اتفاق ثلاثة على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص

فبلغ ذلك معاوية، فوجه بسر ابن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي، فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب، بأن يصلي بالناس رجل من بين شيعة، لئلا يفوت الناس الحج. فلما انقضى نظرت الخوارج في أمرها، فقالوا: إن علياً ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الأمة، فلوقتلتناهما لعاد الأمر إلى حقه. وقال رجل من أشجع: والله ما عمرو ودونهما، وإنه لأضل هذا الفساد. فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا أقتل علياً، فقالوا وكيف لك به. قال: أغتاله. فقال الحجاج بن عبد الله الصريمي وهو البرك وأنا أقتل معاوية. وقال زاذويه مؤلى بني عمرو بن تميم: وأنا أقتل عمراً، فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم في ليلة واحدة، فجعلوا تلك الليلة ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان. فخرج كل واحد إلى ناحية، فأتى ابن ملجم الكوفة فأخفى نفسه وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة من تميم الرباب، وكانت ترى رأي الخوارج، والأحاديث تختلف وإنما يؤثر صحيحها. ويروى في بعض الأحاديث أنها قالت: لا أقنع منك إلا بصدقي أسميه لك وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل علياً، فقال لها: لك ما سألت فكيف لي به؟ قالت: تروم ذلك غيلة فإن سلمت أرحت الناس من شر وأقمت مع أهلك وإن أصبت سرت إلى الجنة ونعيم لا يزول فانعم لها. وفي ذلك يقول:

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المضمم

فلا مَهْرَ أَغْلَى من عليٍّ وإن غلا ولا فَتَكَ أَلَا دون فَتِكِ ابنِ مُلْجَمٍ

وقد ذكروا أن القاصد إلى معاوية يزيد بن ملجم، والقاصد إلى عمرو آخر من بني ملجم، وأن أباهم نهاهم فلما عَصَوْهُ قال: إستعدوا للموت، وأن أمهم حَضَّتْهُمْ على ذلك. والخبرُ الصحيح ما ذكرتُ لك أول مرة. فأقام ابن ملجم، فيقال أن امرأته قَطَامَ لَامَتْهُ وقالت: أَلَا تَمْضِي لِمَا قَضَتَ لَسَدُ مَا أَحْبَبْتَ أَهْلَكَ، قال: إني قد وَعَدْتُ صَاحِبِيَّ وَقَتًا بَعِينَهُ. وكان هنالك رجل من أَشْجَعٍ يقال له شَيْبٌ فَوَاطَأَهُ عبد الرحمن، ويروى أن الْأَشْعَثَ نَظَرَ إلى عبد الرحمن متقلداً سيفاً في بني كِنْدَةَ فقال: يا عبد الرحمن أرني سيفك، فأراه فرأى سيفاً حديدًا فقال: ما تَقْلُدُكَ السيفَ وليسَ بِأَوَانِ حَرْبٍ؟ فقال: إني أردت أن أَنَحَرَ به جَزُورَ القرية، فركب الْأَشْعَثُ بغلته وأتى علياً صلوات الله عليه. فَخَبَّرَهُ، وقال له: قد عرفتُ بِسَالَةِ ابنِ مُلْجَمٍ وَفَتَكَهُ فقال علي: ما قتلني بَعْدُ، ويروى أن علياً رضوان الله عليه كان يخطبُ مَرَّةً وَيُذَكِّرُ أَصْحَابَهُ وابْنَ مُلْجَمٍ تِلْقَاءَ الْمِنْبَرِ فُسِمِعَ وهو يقول: وَاللَّهِ لَا يَخْنَهُمْ مِنْكَ. فلما انصرف علي صلوات الله عليه إلى بيته أتى به مُلَبِّياً فاشرف عليهم فقال: ما تريدون؟ فَخَبَّرُوهُ بما سمعوا، فقال: ما قتلني بَعْدُ، فَخَلُّوا عَنْهُ. ويروى أن علياً كان يتمثل إذا رآه ببيت عمرو بن مَعْدِي كَرَبٍ في قَيْسِ بنِ مَكْشُوحٍ المَرَادِي، وَالْمَشُوحُ هُبَيْرَةُ، وَإِنَّمَا سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ ضُرِبَ عَلَى كَشْحِهِ:

أُرِيدُ جِبَاءَهُ^(١) وَيُرِيدُ قَتْلِي عَزِيرَكَ من خَلِيلِكَ من مُرَادٍ

فينتفي من ذلك حتى أَكْثَرَ عَلَيْهِ، فقال له المُرَادِيُّ: إِنْ قُضِيَ شَيْءٌ كَانَ. فقليل لعلي كأنك قد عرفته وعرفت ما يريد بك أَفَلَا تَقْتُلُهُ؟ فقال: كيف أَقْتُلُ قَاتِلِي. فلما كان ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان خرج ابنُ مُلْجَمٍ وشَيْبٌ الْأَشْجَعِيُّ فَاعْتَوَرَا^(٢) الباب الذي يدخل منه علي رضي الله عنه وكان مُغْلَساً^(٣)

(١) الجباء بالكسر العطاء بلا جزاء.

(٢) اعتورا الباب: اختلفا عليه وتناوبا.

(٣) مغلساً: يسير وقت الغلس وهو ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.

وَيُوقِظُ النَّاسَ لِلصَّلَاةِ فَيُخْرِجُ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فَضْرِبَهُ شَيْبٌ فَأَخْطَأَهُ وَأَصَابَ سَيْفُهُ
 الْبَابَ، وَضْرِبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ عَلَى صَلَاحَتِهِ. فَقَالَ عَلِيٌّ: فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ،
 شَأْنُكُمْ بِالرَّجُلِ. فَيُرْوَى عَنْ بَعْضٍ مِنْ كَانَ بِالْمَسْجِدِ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: سَمِعْتُ
 كَلِمَةً عَلَىٍّ وَرَأَيْتُ بَرِيقَ السَّيْفِ. فَأَمَّا ابْنُ مُلْجَمٍ فَحَمَلَ عَلَى النَّاسِ بِسَيْفِهِ
 فَأَفْرَجُوا لَهُ وَتَلَقَّاهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ نُوفَلٍ بْنُ الْحَرْثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ بِقَطِيفَةٍ^(١) فَرَمَى بِهَا
 عَلَيْهِ وَاحْتَمَلَهُ فَضْرِبَ بِهِ الْأَرْضَ، وَكَانَ الْمُغِيرَةُ أَيْدًا^(٢) فَقَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ. وَأَمَّا
 شَيْبٌ فَانْتَرَعَ السَّيْفَ مِنْهُ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَصَرَغَهُ! وَقَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ، وَكَثُرَ
 النَّاسُ فَجَعَلُوا يَصِيحُونَ: عَلَيْكُمْ صَاحِبَ السَّيْفِ. فَخَافَ الْحَضْرَمِيُّ أَنْ يُكَبُّوا
 عَلَيْهِ وَلَا يَسْمَعُوا عَذْرَهُ، فَرَمَى بِالسَّيْفِ وَأَنْسَلَ شَيْبٌ بَيْنَ النَّاسِ فَدَخَلَ عَلَى
 عَلِيِّ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَأَمَرَ فِيهِ فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي جَوَابِهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنْ
 أَعِشْ فَلَا أَمْرَ إِلَيَّ وَأَنْ أُصَبَّ فَلَا أَمْرَ لَكُمْ فَإِنْ أَثَرْتُمْ أَنْ تَقْتَضُوا فَضْرِبَةً بِضْرِبَةٍ وَإِنْ
 تَعَفَوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَقَالَ قَوْمٌ بَلَى قَالَ: وَإِنْ أُصِبْتُ فَاضْرِبُوهُ ضْرِبَةً فِي مَقْتَلِهِ،
 فَأَقَامَ عَلِيٌّ يَوْمَيْنِ فَسَمِعَ ابْنُ مُلْجَمٍ الرِّثَّةَ مِنَ الدَّارِ فَقَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ: أَيْ عَدُوَّ
 اللَّهِ إِنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: أَغْنَى مَنْ تَبْكِي أَمْ كُلُّهُمْ أَعْلَى أَمَّا
 وَاللَّهِ لَقَدْ اشْتَرَيْتُ سَيْفِي بِأَلْفِ دِرْهَمٍ وَمَا زِلْتُ أُعْرِضُهُ فَمَا يَعْبِيهِ أَحَدٌ إِلَّا
 أَصْلَحْتُ ذَلِكَ الْعَيْبَ، وَلَقَدْ أَسْقَيْتَهُ السَّمَّ حَتَّى لَفَقَهُ، وَلَقَدْ ضْرَبْتُهُ ضْرِبَةً لَوْ
 قُسِمَتْ عَلَى مَنْ بِالْمَشْرِقِ لَأَتَتْ عَلَيْهِمْ. وَمَاتَ عَلِيٌّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ
 عَلَيْهِ وَرَحْمَتُهُ فِي آخِرِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ فَدَعَا بِهِ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: إِنْ
 لَكَ عِنْدِي سِرًّا فَقَالَ الْحَسَنُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَتَذَرُونِ مَا يَرِيدُ؟ يَرِيدُ أَنْ يَقْرُبَ
 مِنْ وَجْهِ فَيَعَضُّ أُذُنِي فَيَقْطَعُهَا. فَقَالَ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَمَكَّنْتَنِي مِنْهَا لَأَقْتُلَعْتُهَا مِنْ
 أَصْلِهَا. فَقَالَ الْحَسَنُ: كَلَّا وَاللَّهِ لَأُضْرِبَنَّكَ ضْرِبَةً تُؤَدِّيكَ إِلَى النَّارِ. فَقَالَ: لَوْ
 عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا فِي يَدَيْكَ مَا اتَّخَذْتُ إِلَيْهَا غَيْرَكَ، فَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ يَا أَبَا

(١) القَطِيفَةُ: قِمَاشٌ مِنَ الْخَمَلِ.

(٢) أَيْدًا: قَوِيًّا.

محمد ادفعه إليّ أشف نفسي منه. فاختلفوا في قتله فقال قوم أحمي له ميلين
وكحلّه بهما فجعل يقول. إنك يا ابن أخي لتكحلّ عمك بمئملولين مضاضين^(١)،
وقال قوم: بل قطع يديه ورجليه، وقال قوم بل قطع رجله وهو في ذلك يذكر
الله عز وجل، ثم عمّد إلى لسانه فشق ذلك عليه فقبل له لم تجزّع من قطع
يديك ورجليك ونراك قد جزعّت من قطع لسانك! فقال: نعم أحببت أن لا
يزال فمي يذكر الله رطباً. ثم قتله. ويروى: أن علياً رضي الله عنه أتى بابن
مُلقم وقيل له، إن قد سمعنا من هذا كلاماً فلا تأمن قتله لك فقال: ما أصنع
به؟ ثم قال عليّ رضوان الله عليه.

أشدُّ حيازيمك^(٢) للموت فإن الموت لاقيك^(٣)
ولا تجزّع من الموت إذا حلّ بواديك
والشعر إنما يصح بأن تحذف أشدد فتقول:

حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك

ولكن الفصحاء من العرب يزيّدون ما عليه المعنى. ولا يعتدون به في
الوزن ويحذفون من الوزن علماً بأن المخاطب يعلم ما يريدونه. فهو إذا قال
حيازيمك للموت فقد أضمر أشدد فأظهره ولم يعتد به. قال وحدثني أبو عثمان
المازني قال فصحاء العرب يُشيدون كثيراً:

لَسَعْدُ بن الضَّبَابِ إذا غدا أَحَبُّ إلينا مِنْكَ فافْرَسِ^(٤) حَمِرٌ^(٥)

وإنما الشعر: (لعمري لَسَعْدُ بن الضباب إذا غدا). وأما الحجاج بن عبد

(١) مضاضين: مؤلمين أشدّ الألم.

(٢) أبيات لعليّ.

(٣) الحيازيم: جمع حيزوم وهو الصدر أو وسطه وهذا الكلام كناية عن التشمير للأمر والاستعداد له.

(٤) فافرس: للمخاطب يا فم الفرس.

(٥) الحمر: بكسر الميم من قولهم حمر الفرس كتعب تغيرت رائحة فمه.

الله الصريمي وهو البرك فإنه ضرب معاوية مُصْلِيًا فأصاب مَأْكَمَتُهُ ^(١) وكان معاوية عظيم الأوراك، فقطع منه عِرْقًا يقال عِرْقُ النكاح، فلم يُولَدْ لمعاوية بعد ذلك ولد، فلما أُخِذَ قال: الإنسان والبشارة قُتِلَ عليٌّ في هذه الصبيحة. فاستؤني به حتى جاء الخبر، فقطع معاوية يَدَهُ ورجله، فأقام بالبصرة فبلغ زياداً أنه قد وُلِدَ له فقال: أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له، فقتله. هذا أحد الخبرين ويروى أن معاوية قطع يديه ورجليه وأمر باتخاذ المقصورة ^(٢) فقيل لابن عباس بعد ذلك: ما تأويل المقصورة؟ فقال: يخافون أن يبهظهم ^(٣) الناس. وأما زاذويه فإنه أَرَصَدَ ^(٤) لعمر وواشكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة وخرج خارجة، وهو رجل من بني سَهْمٍ بن عمرو بن هُصَيْنٍ رَهْطِ عمرو بن العاص فضربه زاذويه فقتله. فلما دُخِلَ به على عمرو فرأهم يخاطبونه بالإمرة قال أو ما قَتَلْتُُ عمرًا؟ قيل: لا إنما قتلْتَ خارجة فقال: أردتُ عمرًا والله أراد خارجة.

في رثاء علي بن أبي طالب

وقال أبو زَيْبِدٍ الطائي يرثي علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

إِنَّ الْكِرَامَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ	رَهْطُ أَمْرِي خَارَهُ لِلدِّينِ مُخْتَارُ
طَبَّ بَصِيرٍ ^(٥) بِأَضْعَانِ الرِّجَالِ وَلَمْ	يُعْدَلْ بِخَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ أَخْبَارُ
وَقَطْرَةٌ قَطَرَتْ إِذْ حَانَ مَوْعِدُهَا	وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ وَقْتُ وَمَقْصِدَارُ
حَتَّى تَنْصَلَّهَا فِي مَسْجِدِ طُهُرٍ	عَلَى إِمَامٍ هَدَى إِنْ مَعَشَرَ جَارُوا
حُمْتُ لِيَدْخُلَ جَنَاتِ أَبُو حَسَنِ	وَأَوْجِبَتْ بَعْدَهُ لِلْقَاتِلِ النَّارُ

(١) أصاب مَأْكَمَتَهُ: هي الحمة على رأس الورك وهما اثنتان.

(٢) المقصورة: الدار الواسعة المحصنة أو هي أصغر من الدار ولا يدخلها إلا صاحبها.

(٣) يبهظهم الناس: يأخذوا بأذقانهم ولحاهم يعني بهذا معاوية وغيره ممن اتخذوا المقاصير خوفاً على أنفسهم من الناس.

(٤) أرصد لعمره: أي أعد نفسه له وجلس على طريقه مترقباً خروجه.

(٥) الطب بالفتح الحادق الماهر في علمه الذي لا يضع قدمه إلا حيث يبصر.

قوله : خارّه إنما هو اختاره وهو فعله ، واختاره إفتعله كما تقول قدّر عليه ، واقتدّر عليه . وقوله : بصير بأضغان الرجال فهي أسرارها ومخبّأتها قال الله تعالى ﴿فِيُخَفِّكُم﴾^(١) تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾^(٢) ، والخبرُ العالم . ويروى أن عليّ رضوان الله عليه مرّ بيهودي يسأل مسلماً عن شيء من أمر الدين فقال له علي : اسألني ودع الرجل ، فقال له : يا أمير المؤمنين أنت خبر ، أي عالم . قال عليّ أن تسأل عالماً أجدي لك . وقوله : حتى تنصلها يريد استخراجها ، قوله حمت معناه قدّرت قال الكميت :

والوصي الذي أمال التجو	بي ^(٣) به عرش أمة لانهدام
قتلوا يوم ذاك إذ قتلوه	حكماً لا كفاير الحمام
الإمام الزكيّ والفارس الممد	لم تحت العجاج غير الكهام
راعياً كان مسحاً ^(٤) ففقدنا	موفقد المسيم ^(٥) هلك السوام ^(٦)

قوله الوصي فهذا شيء كانوا يقولونه ويكثرون فيه . قال ابن قيس الرقيات :

نحن من النبي أحمد والصد	يق منا التقي والحكماء
وعليّ وجعفر ذو الجناحين ^(٧)	هناك السوصي والشهداء

وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية في خمسة عشر رجلاً من أهله في سجن عارم :

(١) الإحناء : الاستقصاء في السؤال والمبالغة فيه مع تردد وإلحاح .

(٢) سورة محمد : الآية رقم ٣٧ .

(٣) التجوي : نسبة إلى تجوب قبيلة من حمير .

(٤) مسحاً : حسن العفو .

(٥) المسيم : الراعي الذي يسوم الماشية الراعية .

(٦) السوام : الأبل السائمة .

(٧) ذو الجناحين : لقب جعفر بن أبي طالب ، قاتل يوم مؤتة حتى قطعت يده وقتل فقال النبي ﷺ : إن الله قد أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء .

تُخَبِّرُ مَنْ لَاقَيْتَ إِنَّكَ عَائِدُ بل العائدُ المحبوسُ في سِجْنِ عَارِمِ
وَصِيُّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ وَفَكَأَنَّكَ أَغْنَاكِ وَقَاضِي مَغَارِمِ
أَرَادَ ابْنُ وَصِيِّ النَّبِيِّ وَالْعَرَبُ تُقِيمُ الْمُضَافَ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْبَسَابِ مُقَامَ
الْمُضَافِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

سَبَّحَنَ مِنْ كَاطِمَةِ الْخُصِّ الْخَرِبِ يَحْمِلُنَ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
يُرِيدُ ابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ:
وَرَثْتُمْ ثِيَابَ الْمَجْدِ فَهِيَ لِبُوسِكُمْ عَنْ ابْنِي مَنَافٍ: عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمِ
يُرِيدُ ابْنِي عَبْدَ مَنَافٍ. وَقَالَ أَبُو الْأَسَدِ:

أَحَبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحُمَزَةً وَالْوَصِيًّا
أَحْبَهُمْ لِحُبِّ اللَّهِ حَتَّى أَجِيءُ إِذَا بَعَثْتَ عَلَى هَوِيًّا
هَوِيٌّ أَعْطَيْتَهُ مِنْذُ اسْتَدَارَتْ رَحَى الْإِسْلَامِ لَمْ يَعْدِلْ سَوِيًّا
(السوي والسواء: الذي قد سوَّى الله خلقه، لا زمانة به ولا داء، وفي القرآن ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(١)، وتقول: ساويت ذاك بهذا الأمر، أي جعلته مثلاً له).

يَقُولُ الْأَرْذَلُونَ، بَنُو قَشِيرٍ طَوَالَ الدَّهْرِ مَا تَنْسَى عَلِيًّا
بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ وَأَقْرَبُوهُ أَحَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمْ إِلَيَّا
فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رَشْدًا أَصْبَهُ وَلَيْسَ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غِيًّا
(ويروى: ولست) وكان بنو قشير عثمانيّة، وكان أبو الأسود نازلاً فيهم فكانوا يرمونه بالليل، فإذا أصبح شكوا ذلك، فشكاهم مرة فقالوا: ما نحن ترميك، ولكن الله يرميك. فقال: كذبتُم والله لو كان الله هو الذي يرميني لما أخطأني (وكان نقش خاتمه:

(١) سورة مريم: الآية ١٧.

يا غالبى حسبك من غالب إرحم على بن أبى طالب
وقوله : غير الكهام . فالكهام الكليل من الرجال والسيوف ، يقال : سيف
كهام ، وقوله :

راعىً كان مسجحاً ففقدنا هـ ، وفقد الميسيم هلك السوام
فالمسيم الذى يسيم إبله أو غنمه ترعى . وكذلك كل شيء من الماشية
فجعل الراعى للناس كصاحب الماشية الذى يسيمها ويسوسها ويصلحها وفتى
لم يرجع أمر الناس إلى واحد ، فلا نظام لهم ، ولا اجتماع لأموالهم : قال ابن
قيس الرقيا :

أيها المشتبهى فناء قریش بيد الله عمرها والفناء
إن تُودَّع من البلاد قریش لا يَكُنْ بعدهم لحي بقاء
لو تُقفى^(١) ويترك الناس كانوا غنم الذئب غاب عنها الرعاء
وقال الجعفي يعنى علياً رضوان الله عليه :

كان الميسيم ولم يكن إلا لمن لزم الطريقة واستقام مسيما
ولما سمع علي صلوات الله عليه نداءهم لا حُكْمَ إلا الله قال : كلمة
عادلة يراد بها جور ، إنما يقولون لا إمارة ولا بد من إمارة برّة أو فاجرة .

من أوقاف علي رضي الله عنه

ورَوَوْا أن علياً رضي الله عنه لما أوصى إلى الحسن في وقف أمواله ، وأن
يجعل فيها ثلاثة من مَواليه وَقَفَ فيها عين أبي نِيزَر والبَغِيغَةَ ،^(٢) وهذا غلط
لأن وَقْفَهُ لهذين الموضعين لِسِتَيْنِ من خِلافتِهِ . حدثنا أبو مُحَلِّمٍ محمد بن
هشام في أسنادٍ ذكره آخره كان أبو نيزر . وكان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك
الأعاجم . قال : وصح عندي بعدُ أنه من ولد النجاشي فرَغِبَ في الإسلام

(١) لو تقفى : أي تهلك ويعفى أثرها .

(٢) البغيغة : ضيعة بالمدينة كثيرة النخل بها عين غزيرة كانت لآل رسول الله ﷺ .

صغيراً فأتى رسول الله ﷺ، فأسلم. وكان معه في بيوته. فلما توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها عليه السلام. قال أبو نيزر: جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين عَيْن أبي نيزر والبغيغة فقال لي: عندك من طعام؟ فقلت: طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين قرع من قرع الضيعة صنعتها بإهالة^(١) سِنَخَة^(٢). فقال: عَلَيَّ به. فقام إلى الربيع، وهو جَدُول فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيئاً ثم رجع إلى الربيع فغسل يديه بالماء حتى أنقاهما ثم ضم يديه كل واحدة منها إلى أختها وشرب بهما حساً من ماء الربيع. ثم قال: يا أبا نيزر إن الأكف أنظف الآنفة، ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه، وقال: مَنْ أدخله بطنه النار فأبعده الله. ثم أخذ المِعْوَل وأنحدر في العين فجعل يضرب وأبطأ عليه الماء، فخرج وقد تَفَضَّح^(٣) جبينه عرقاً، فانتكف^(٤) العرق عن جبينه ثم أخذ المِعْوَل وعاد إلى العين فأقبل يضرب فيها، وجعل يَهْمُهُم فانشالت كأنها عنق جَزُور فخرج مسرعاً فقال: أشهد الله أنها صدقة، علي بدواة وصحيفة. قال: فَعَجَّلْتُ بهما إليه فكتب: - بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تصدَّق به عبدُ الله علي أمير المؤمنين، تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل لِيَقِيَ الله بهما وجهه حرَّ النار يوم القيامة لا تَبَاعَا ولا تَوْهَبَا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين، إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين فهما طَلَقُ لهما^(٥) وليس لأحد غيرهما. قال محمد بن هشام: فركب الحسين رضي الله عنه دَيْنُ فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى أن يبيع. وقال: إنما تصدق بها أبي لِيَقِيَ الله بها وجهه حر النار ولست بائعها بشيء.

(١) الإهالة: بالكسر ما أذيب من الإلية والشحم.

(٢) السِنَخَة: المتغيرة الريح.

(٣) تَفَضَّح جبينه عرقاً أي عرفت أصول شعره ولم يتل.

(٤) فانتكف العرق: أي انقطع عنه.

(٥) الطلق: الحلال.

حديث علي مع الخوارج

وتحدث الزبيريون أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم، وهو والي المدينة: أما بعد فإن أمير المؤمنين أحب أن يرد الألفة ويسل السخيمة^(١)، ويصل الرحم فإذا وصل إليك كتابي فاخطب إلى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد ابن أمير المؤمنين وارغب له في الصداق. فوجه مروان إلى عبد الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في رد الألفة من صلاح ذات النين واجتماع الدعوة. فقال عبد الله: إن خالها الحسين يئب^(٢) وليس من يفتات^(٣) عليه بأمر فأناظرني إلى أن يقدم. وكانت أمها زينب بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله بن جعفر فقام من عنده فدخل إلى الجارية، فقال: يا بنية إن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحللتك البغيغات. فلما حضر القوم للإملاك تكلم مروان بن الحكم فذكر معاوية وما قصده من صلاة الرحم وجمع الكلمة. فتكلم الحسين فزوجها من القاسم، فقال له مروان: أعذراً يا حسين؟ فقال: أنت بدأت. خطب أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان واجتمعنا لذلك، فتكلمت أنت فزوجتها من عبد الله بن الزبير، فقال مروان: ما كان ذلك فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب فقال: أنشدك الله أكان ذاك، قال: اللهم نعم. فلم تزل هذه الضيعة في يدي بني عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى ملك أمير المؤمنين المأمون فذكر ذلك له، فقال: كلاً هذا وقف علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فانتزعها من أيديهم وعوضهم عنها وردّها إلى ما كانت عليه. قال أبو العباس رجّع الحديث إلى

(١) السخيمة: الحقد في القلب.

(٢) يئب: كينصر، حصن له عيون ونخيل وزروع بطريق حاج مصر.

(٣) يفتات عليه: أي لا يقطع أمر دونه ولا يتصرف في شيء بنير أمره ولما ضمن الفعل معنى التغلب عدى بعل.

ذكر الخوارج وأمر علي بن أبي طالب، قال: يروى أن علياً في أول خروج القوم عليه دعا صَعْصَعَةَ بن صُوحَانَ العبدِيَّ، وقد كان وَجَّهَهُ إليهم، وزِيَادُ بن النَّضْرِ الحَارِثِيُّ مع عبد الله بن العباس فقال الصعصعة: بأي القوم رأيتم أشدَّ إِطَاقَةً^(١)؟ فقال: يزيد بن قَيْسِ الأَرَحْبِيِّ. فركب عليٌ إليهم إلى حَرُورَاءَ فجعل يتخللهم حتى صار إلى مَضْرِبِ يزيد بن قيس، فصلَّى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على قوسه، وأقبل على الناس. ثم قال: هذا مقام مَنْ فَلَجَ فيه فَلَجَ يوم القيامة أَنشَدُكُمْ اللهَ أَعَلِمْتُمْ أَحَدًا مِنْكُمْ كَانَ أَكْرَةً للحكومة مني، قالوا: اللهم لا، قال: أَعَلِمْتُمْ أَنْكُمْ أَكْرَهْتُمُونِي حتى قَبَلْتُهَا، قالوا: اللهم نعم، قال: فَعَلَامَ خَالَفْتُمُونِي وَنَابَذْتُمُونِي؟ قالوا: إِنَّا أَتَيْنَا ذَنْبًا عَظِيمًا فَتَبْنَا إِلَى الله فَتَبَ إِلَى الله مِنْهُ وَاسْتَغْفَرَهُ نَعْدُ لَكَ. فقال عليٌّ: إِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ. فرجعوا معه وهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن علياً رجع عن التحكيم ورآه ضاللاً، وقالوا: إِنَّمَا يَتَنَظَّرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْمَنَ الْكُرَاعُ وَيَجْبِيَ الْمَالَ فَيَنْهَضَ إِلَى الشَّامِ، فَاتَى الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ تَحَدَّثُوا أَنَّكَ رَأَيْتَ الْحُكُومَةَ ضَالًّا وَالْإِقَامَةَ عَلَيْهَا كُفْرًا، فَخَطَبَ عَلِيُّ النَّاسَ فَقَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنِّي رَجَعْتُ عَنِ الْحُكُومَةِ فَقَدْ كَذَبَ، وَمَنْ رَأَاهَا ضَالًّا فَهُوَ أَضَلُّ. فخرجت الخوارج من المسجد فَحَكَّمْتُ، فَقِيلَ لِعَلِيِّ إِنَّهُمْ خَارِجُونَ عَلَيْكَ، فَقَالَ: لَا أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَقَاتِلُونِي وَسَيَفْعَلُونَ فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللهِ بن العباس فلما صار إليهم رَحَّبُوا بِهِ وَأَكْرَمُوهُ، فَرَأَى مِنْهُمْ جِبَاهًا فَرِحَةً لَطُولِ السَّجُودِ وَأَيْدِيًا كَتِفَاتِ^(٢) الْإِبِلِ عَلَيْهِمْ قَمَصٌ مُرَحَّضَةٌ وَهُمْ مُشْمَرُونَ. فقالوا: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ؟ فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ صِهْرٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَابْنِ عَمِّهِ وَأَعْلَمِنَا بِرَبِّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَمَنْ عِنْدَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. قالوا: إِنَّا أَتَيْنَا عَظِيمًا حِينَ حَكَّمْنَا الرِّجَالَ فِي دِينِ اللهِ

(١) إِطَاقَةٌ: أَي تَعْلَقًا وَالْمَامًا.

(٢) كَتِفَاتُ الْإِبِلِ: جَمْعُ ثَفْنَةٍ بِكَسْرِ الْفَاءِ وَهِيَ مَا وَلِيَ الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ ذَاتِ أَرْبَعٍ إِذَا بَرَكْتَ كَالرَّكْنَيْنِ وَغَيْرِهِمَا وَيَحْصِلُ فِيهِ غَلْظٌ مِنْ أَثَرِ الْبُرُوكِ.

فإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا. فقال ابن عباس: نشدتكُم الله ما صدقتم أنفسكم، أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوي ربع درهم تُصاد في الحرم وفي شقاق رجل وامرأته؟ فقالوا: اللهم نعم. فقال: فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله ﷺ أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية؟ قالوا: نعم ولكن علينا محا نفسه من إمارة المسلمين! قال ابن عباس: ليس ذلك بمزيلها عنه وقد محا رسول الله ﷺ اسمه من النبوة، وقد أخذ عليُّ على الحكمين أن لا يجورا وان يجورا فعليُّ أولى من معاوية وغيره. قالوا: إن معاوية يدعي مثل دعوى عليٍّ. قال: فايهما رأيتموه أولى فلولوه، قالوا: صدقت. قال ابن عباس: متى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما. قال فاتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف فصلى بهم صلواتهم ابنُ الكواء وقال: متى كانت حربُ فرئيسكم شُبَّ ابنُ ربيعي الرياحي، فلم يزالوا على ذلك يومين حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي. قال: ومضى القوم إلى النهروان^(١) وكانوا أرادوا المضي إلى المدائن. قال الأخفش كذا كان يقول المبرد النهروان بكسر النون والراء وإنما هو النهروان بالفتح وأنشد للطرماح:

قَلَّ فِي شَطِّ نَهْرَوَانَ قَاضِي.

قال أبو العباس: فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلماً ونصرانياً فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني، فقالوا: إحفظوا ذمة نبيكم.

ولقيهم عبد الله بن خباب وفي عنقه مصحف ومعه امرأته وهي حامل: فقالوا إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتلك. قال: ما أحيى القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه، فوثب رجلٌ منهم على رُطبة فوضعها في فيه، فصاحوا به، فلفظها تورعاً. وعرض لرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض. فقال عبد الله بن خباب: ما علي منكم بأسٌ إني لمُسْلِمٌ،

(١) النهروان: بفتح النون وتثنية الراء ثلاث قرى أعلى وأوسط وأسفل من بين واسط وبغداد.

قالوا له: حَدَّثْنَا عَنْ أَبِيكَ قَالَ، سمعت أبي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يُمسي مؤمناً ويُصبحُ كافرًا، فَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولَ وَلَا تَكُنِ الْقَاتِلَ. قالوا: فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى خيرًا، قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وفي عثمان ست سنين؟ فأثنى خيرًا، قالوا: فما تقول في الحكومة والتحكيم؟ قال: أقول إن علياً أَعْلَمُ بكتاب الله منكم وأَشَدُّ تَوَقُّيًّا عَلَى دِينِهِ وَأَنْفَذُ بِصِيرَةٍ، قالوا: إنك لست تتبع الهدى إنما تتبع الرجال على أسمائها، ثم قَرَّبُوهُ إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ فذبحوه فامْدَقَرُ دَمَهُ، أي جرى مستطيلًا على دَقَّةٍ. وساموا رجلاً نصرانياً بنخلة له، فقال هي لكم، فقالوا: ما كنا لناخذها إلا بثمن قال: ما أعجب هذا أنقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا جنى نخلة!

غيلان بن خرشة عند زياد

ومن طريف أخبارهم أن غيلان بن خرشة الضبي سَمَرَ لَيْلَةً عِنْدَ زِيَادٍ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ، فَذَكَرَ أَمْرَ الْخَوَارِجِ فَأَنحَى عَلَيْهِمْ غِيلَانُ ثُمَّ انصرفت بعد ليلٍ إلى منزله فلقيه أبو مِرْدَاسُ بْنُ أَدِيَّةٍ فَقَالَ لَهُ: يَا غِيلَانُ قَدْ بَلَغَنِي مَا كَانَ مِنْكَ اللَّيْلَةَ عِنْدَ هَذَا الْفَاسِقِ مِنْ ذِكْرِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ شَرُّوا أَنْفُسَهُمْ وَابْتَاعُوا آخِرَتَهُمْ بِدُنْيَاهُمْ، مَا يُؤْمِنُكَ أَنْ يَلْقَاكَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَحْرَصُ وَاللَّهُ عَلَى الْمَوْتِ مِنْكَ عَلَى الْحَيَاةِ فَيَنْذِرَ حَضَنِيكَ^(١) بِرَمَحِهِ. فقال غيلان: لَنْ يَبْلُغَكَ أَنِّي ذَكَرْتُهُمْ بَعْدَ اللَّيْلَةِ.

وَمِرْدَاسُ تَنَتَحَلَهُ^(٢) جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ لِقَشْفِهِ^(٣) وَبَصِيرَتِهِ وَصَحَّةِ عِبَادَتِهِ وَظُهُورِ دِيَانَتِهِ وَبَيَانِهِ، تَنَتَحَلَهُ الْمَعْتَزَلَةُ، وَتَزْعَمُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْكَرًا لَجُورِ السُّلْطَانِ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ وَتَحْتَجُّ لَهُ بِقَوْلِهِ لَزِيَادٍ حَيْثُ قَالَ عَلَى الْمُنْبَرِ: وَاللَّهُ لَا أَخْذُنُ الْمُحْسِنَ مِنْكُمْ بِالْمَسِيءِ، وَالْحَاضِرَ مِنْكُمْ بِالْغَائِبِ، وَالصَّحِيحَ بِالسَّقِيمِ. فَقَامَ

(١) حَضَنِيكَ: أي جنبيك مثني حَضَنَ بالكسر ومنه قول أسيد بن حضير لعامر بن الطفيل أخرج بدمتك لا أنفذ حَضَنِيكَ.

(٢) تَنَتَحَلَهُ جَمَاعَةٌ أي تدعيه رئيساً لها وإماماً عليها.

(٣) لِقَشْفِهِ أي يسر عيشه وراثته حاله وتركه للتنظيف والغسل.

إليه مرداسٌ فقال: قد سمعنا ما قلت أيها الإنسان وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه إبراهيم عليه السلام إذ يقول: ﴿وإبراهيم الذي وفى ألا تزرُ وازرةً وزرَ أخرى﴾^(١). ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى ثم يُجزأه الجزاء الأوفى﴾^(٢)، وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي! ثم خرج في عقب هذا اليوم والشيعة^(٣) تتحلله، وتزعم أنه كتب إلى الحسين بن علي صلوات الله عليه: أني لست أرى رأي الخوارج وما أنا إلا على دين أبيك. وهذا رأي قد استهوى جماعة من الأشراف. يروى أن المُنذر بن الجارود كان يرى رأي الخوارج وكان يزيد ابن أبي مسلم، مولى الحجاج بن يوسف، يراه. وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق يراه، وكان عدّة من الفقهاء يُنسبون إليه منهم عكرمة مولى ابن عباس، وكان يقال ذلك في مالك بن أنس. ويروي الزبيريون أن مالك بن أنس المديني كان يذكر عثمان وعلياً وطلحة والزبير يقول: والله ما اقتتلوا إلا على الشريد الأعفر. فأما أبو سعيد الحسن البصري فإنه كان ينكر الحكومة ولا يرى رأيهم، وكان إذا جلس فتمكن في مجلسه ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثاً ولعن قتلته ثلاثاً ويقول: لو لم نلعنهم للعبنا. ثم يذكر علياً فيقول: لم يزل أمير المؤمنين عليّ رحمة الله يتعرفه النصر ويساعده الظفر حتى حكّم فلم تحكّم والحق معك، ألا تمضي قدماً^(٤) لا أبالك^(٥) وأنت على الحق. قال أبو العباس: وهذه كلمة فيها جفاء، والعرب تستعملها عند الحث على أخذ الحق والإغراء وربما استعملتها الجفأة من الأعراب عند المسئلة والطلب، فيقول القائل للأمير والخليفة: أنظر في أمر رعيتك لا أبا

(١) سورة الأنعام: الآية رقم ١٦٤.

(٢) سورة النجم: الآية رقم ٤٠.

(٣) الشيعة: جمع شيعة بالكسر وهي الفرقة من الناس وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم أنه يتولى علياً وأهل بيته رضي الله عنهم.

(٤) ألا تمضي قدماً بضميتين: يريد ألا تمضي فيما كنت فيه ولم تعرج على شيء. يقال مضي فلان قدماً إذا لم يتحول عن وجهة سيره.

(٥) لا أبالك: جد في أمرك.

لَكَ . وَسَمِعَ سُلَيْمَانُ ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ فِي سَنَةِ جَدِيدَةٍ يَقُولُ :

رَبُّ الْعِبَادِ مَا لَنَا وَمَا لَكَا قَدْ كُنْتَ تَسْقِينَا فَمَا بَدَا لَكَا
(أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْغَيْثَ لَا أَبَا لَكَا)

فَأَخْرَجَهُ سُلَيْمَانُ أَحْسَنَ مُخْرَجٍ . فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّهُ لَا أَبَا لَهُ وَلَا وَلَدَ وَلَا
صَاحِبَةَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الْخَلْقَ جَمِيعًا عِبَادُهُ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، أَبْعَدَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ لِبَعْضِ قَوْمِهِ :

أَبْنِي عُقَيْلٍ لَا أَبَا لَابِيكُمُ أَبِي وَأَيُّ بَنِي كِلَابٍ أَكْرَمُ

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ طَيٍّ أَنْشَدَهُ أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ :

يَا قُرْطُ قُرْطُ حَيٍّ لَا أَبَا لَكُمْ يَا قُرْطُ إِنِّي عَلَيْكُمْ خَائِفٌ حَذِرُ
أَنَّ رَوَى مِرْقَشٌ وَاصْطَافَ أُعْنَزُهُ مِنَ التَّلَاعِ الَّتِي قَدْ جَادَهَا الْمَطَرُ
قَلْتُمْ لَهُ اهْجُ تَمِيمًا لَا أَبَا لَكُمْ فِي كَفِّ عَبْدِكُمْ عَنْ ذَاكُمْ قِصْرُ
فَإِنْ بَيْتَ تَمِيمٍ ذُو سَمِغَتٍ بِهِ فِيهِ تَنْمَتْ وَأَرَسَتْ عِزُّهَا مُضَرُ

قَوْلُهُ : يَا قُرْطُ قُرْطُ حَيٍّ نَصَبُهُمَا مَعًا أَكْثَرُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ ، وَتَأْوِيلُهُمَا
أَرَادُوا يَا قُرْطُ حَيٍّ فَأَقْحَمُوا قُرْطَا الثَّانِي تَوْكِيدَ . وَكَذَلِكَ لَجَرِيرٍ :

يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لَا أَبَا لَكُمْ لَا يُلْقِنَنَّكُمْ فِي سَوَاءٍ عُمَرُ

وَمِثْلُهُ لِعُمَرَ بْنِ لَجَا :

يَا زَيْدُ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبُلِ تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْكَ فَاَنْزِلِ

فَإِنْ لَمْ تَرِدِ التَّوْكِيدَ وَالتَّكْرِيرَ وَلَمْ يَجْزِ إِلَّا رَفْعُ الْأَوَّلِ يَا زَيْدُ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ
وَيَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ كَمَا تَقُولُ : يَا زَيْدُ أَخَا عَمْرٍو عَلَى النِّعَةِ . وَمِثْلُ الْأَوَّلِ فِي
التَّوْكِيدِ يَا بُوْسَ لِلْحَرْبِ ، أَرَادَ يَا بُوْسَ الْحَرْبِ فَأَقْحَمَ اللَّامَ تَوْكِيدًا لِأَنَّهَا تَوْجِبُ
الْإِضَافَةَ . وَعَلَى هَذَا جَاءَ : لَا أَبَا لَكَ ، وَلَا أَبَا لَزَيْدٍ . وَلَوْلَا الْإِضَافَةُ لَمْ تَثْبِتِ
الْأَلْفُ فِي الْأَبِ لِأَنَّكَ تَقُولُ : رَأَيْتُ أَبَاكَ ؟ فَإِذَا أَفْرَدْتَ قُلْتَ : هَذَا أَبُ صَالِحٍ ،

وإنما كانت لا أباك كما قال الشاعر:

أبا لموتِ الذي لا بُدَّ أنِّي ملاقٍ لا أباك تُخَوِّفُني
وقال آخر:

وقد مات شَمَاحٌ ومات مُزَرَّدٌ^(١) وأيُّ كريمٍ لا أباك تُخَلِّدُ

وقوله: إن رَوَى مِرْقَشَ رجل، ورَوَى اسْتَقَى لاهله يقال: فلان راوِيَةُ أَهْلِهِ إذا كان يستقي لأهله، والتي على البعير والحمار مَزَادَةٌ^(٢). فإذا كَبُرَتْ وَعَظُمَتْ وكانت من ثلاثة أَدِمَةٍ فهي المَثَلَّةُ، وأصغرُ منها السَّطِيحَةُ وأصغرهنَّ الطَّبْعُ. وقوله: واصْطَافَ أعزَّه، يريد افتعلت من الصَّيْفِ أي أصابت البقل فيه. والتَّلْعَةُ ما ارتفع من الأرض في مُسْتَقَرِّ الْمَسِيلِ إذا تجافى السيلُ عن مُتْنِهِ، وجمعه تِلَاعٌ. وقوله: ذو سمعتَ به، يريد الذي^(٣). وكذلك تفعل طيء تجعل ذو في معنى الذي. قال زَيْدُ الْخَيْلِ لبني فزارة، وذكر عامر بن الطفيل فقال:

(إني أرى في عامر ذو تَرَوْنِ). وقال عَارِقُ الطَّائِي:

فإن لم يُغَيِّرْ بعضُ ما قد فعلتُم لَأُنْتَجِينَ للعَظَمِ ذو أنا عَارِقُهُ
يريد الذي. ومن ظُرفاءِ الْمُحَدِّثِينَ الْيَمَانِيَةِ مَنْ يَعْمَلُ هذا اعتِمَاداً أَلَّا يثار لغة قومه

من الخمریات

قال الحسن بن هانئ الحَكَمِيُّ:

حُبُّ المُدَامَةِ ذو سمعتَ به لم يُبْقِ في غيرها فَضْلاً

(١) شَمَاحٌ ومزرد شاعران صحابیان.

(٢) المَزَادَةُ: الظرف الذي يحمل فيه الماء كالراوية والقربة والسَطِيحَةُ ولا تكون إلا من جلدین ونصف أو ثلاثة جلود.

(٣) يريد الذي يعني أن ذو عند طيء بمعنى الذي.

وقال حبيب بن أوس الطائي :

أنا ذو^(١) عَرَفْتُ فَإِنْ عَرَّتْكَ جَهَالَةٌ فأنا المُقيمُ قِيَامَةَ الْعُدَّالِ

وقال الحسن بن وهب الحارثي :

عَلَّلَانِي^(٢) بِذِكْرِهَا عَلَّلَانِي وَاسْقِيَانِي أَوَّلًا فَمَنْ تَسْقِيَانِ
أنا ذو لم يَزَلْ يَهُونُ^(٣) عَلَى النَّدِّ مَا إِنْ عَزَّ جَانِبُ النَّدْمَانِ
وَيَكُونُ الْعَزِيزُ فِي سَاعَةِ الرَّوِّ عِ بَصْدَقِ الطِّعَانِ يَوْمَ الطِّعَانِ

عودة إلى الخوارج

عاد الحديث إلى ذكر الخوارج. قال أبو العباس: وكان في جملة الخوارج لَدَدٌ^(٤) واحتجاج على كثرة خطبائهم وشُعرائهم ونفاذ بصيرتهم وتوطين أنفسهم على الموت. فمنهم الذي طَعِنَ فَأَنْفَذَهُ الرُّمْحُ، فجعل يسعى فيه إلى قاتله وهو يقول: وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى. وروى عن النبي ﷺ أنه لما وصفهم قال: سيماهم التَّحْلِيْقُ يقرؤون القرآن لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ علامَتُهُمْ رجل مُخْدَجُ اليَدِ.^(٥) وفي حديث عبد الله بن عمرو، رجل يقال له: عمرو ذو الخُوَيْصِرَةِ أو الخُنَيْصِرَةِ. وروى عن النبي ﷺ أنه نظر إلى رجل ساجد إلى أن صلى النبي عليه السلام. فقال: أَلَا رَجُلٌ يَقْتُلُهُ؟ فَخَسَرَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ ذِرَاعِهِ، وَانْتَضَى السِّيفَ وَصَمَدَ نَحْوِهِ. ثم رجع إلى النبي ﷺ، فقال أَقْتُلْ رَجُلًا يَقُولُ:

(١) أنا ذو عرفت: يريد أبو تمام أنا الذي لا أجهل ولا أخفى على أحد وبني ضربت الأمثال.

(٢) عللاني: من العلل محركاً وهو الشرب الثاني يريد كرراً علي ذكرها مرة بعد أخرى والضمير للخمير.

(٣) أنا ذو لم يزل: يريد أنا الذي لم يزل جانبي سهلاً لمن يناديني ويشرب معي إذا عز جانب النديم.

(٤) اللدد: محركاً الخصومة الشديدة

(٥) مخدج اليد: أي في خلقها نقص يقال أخذجت الناقة إذا ولدت ولداً ناقص الخلق وإن كان لتمام الحمل، ومخدجت إن القت ولدها قبل أوانه كان تمام الخلق.

لا إله إلا الله . فقال النبي ﷺ ألا رجل يفعل ، ففعل عمر مثل ذلك . فلما كان في الثالثة قَصَدَ له عليُّ بن أبي طالب عليه السلام : فلم يره . فقال : رسول الله ﷺ : لو قُتِلَ لكان أولُ فِتْنَةٍ وآخِرَها .

ويروى عن أبي مريم ، عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ذَكَرَ الْمُخَدَّجُ عند النبي عليه السلام ، فقال أبو مريم : والله إن كان معنا لفي المسجد . وكان فقيراً وكان يَحْضُرُ طعام عليٍّ إذا وضعه للمسلمين ، ولقد كسوته بُرْنَساً لي . فلما خرج القوم إلى حُروراء ، قلت : والله لأنظرن إلى عسكرهم ، فجعلت أتخللهم حتى صِرْتُ إلى ابن الكَوَّاءِ وشَبَثِ بنِ رَبِيعٍ ورُسُلُ عليٍّ تناشدهم ، حتى وثب رجل من الخوارج على رسول لعلي ، فضرب دابته بالسيف . فحمل الرجل سرجه وهو يقول إنا لله وإنا إليه راجعون . ثم انصرف القوم إلى الكوفة فجعلت أنظر إلى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيد ، فرأيت الْمُخَدَّجَ . وكان مني قريباً فقلت : أكنت مع القوم . فقال : أخذتُ سلاحي أريدُهم . فإذا بجماعة من الصُّبيان قد عَرَضُوا لي فَأَخَذُوا سلاحي وجعلوا يتلاعبون بي . فلما كان يوم النهر قال علي : اطلبوا الْمُخَدَّجَ فطلبوه فلم يجدوه حتى ساء ذلك علياً ، وحتى قال رجل : لا والله يا أمير المؤمنين ما هو فيهم . فقال عليُّ : والله ما كذبتُ ولا كُذِّبْتُ ، فجاء رجل فقال : قد أصبناه يا أمير المؤمنين . فخر عليٌّ ساجداً وكان إذا أتاه ما يُسرُّ به من الفتوح سجد . وقال : لو أعلم شيئاً أفضل منه لفعلته . ثم قال : سيماهُ أن يده كالثدي عليها شعرات كشارب السُّنُور ، إيتوني بيده الْمُخَدَّجَةِ فَأَتَوْهُ بها فنصبها .

في تفسير الآيات القرآنية

ويروى عن أبي الجَلْدِ أنه نظر إلى نافع بن الأزرق الحنفي وإلى نظره وتَوَغَّلِهِ وتَعَمَّقِهِ فقال : إني لأجد لجهنم سبعة أبواب وأنَّ أشدَّها حرّاً للخوارج فأحذَرُ أن تكون منهم . قال ، وكان نافع بن الأزرق يَتَجَعُّ عبد الله بن العباس فيسأله فله عنه مسائل من القرآن وغيره قد رجع إليه في تفسيرها فقبله

وانتحله، ثم غلبت عليه الشقوة ونحن ذاكرون منها صَدْرًا إن شاء الله. حَدَّثَ أَبُو عبيدة مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التَّيْمِيُّ النَّسَابِيُّ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ وَعِنْدَهُ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَهُوَ يَسْأَلُهُ وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْاِحْتِجَاجَ بِاللُّغَةِ، فَسَأَلَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾^(١). فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَمَا جَمَعَ فَقَالَ: أَتَعْرِفُ ذَلِكَ الْعَرَبُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الرَّاجِزِ:

إِنَّ لَنَا قَلَائِصًا حَقَائِقًا مُتَوَسِّقَاتٍ^(٢) لَوْ يَجِدُنَّ سَائِقًا

هذا قول ابن عباس، وهو الحق الذي لَا يَقْدَحُ فِيهِ قَادِحٌ وَيَعْرِضُ الْقَوْلُ فَيَحْتَاجُ الْمَبْتَدِئُ إِلَى أَنْ يَزِدَادَ فِي التَّفْسِيرِ. قَوْلُهُ: حَقَائِقًا، إِنَّمَا بَنَى الْحَقَّةَ مِنَ الْإِبْلِ، وَهِيَ الَّتِي قَدْ اسْتَحَقَّتْ أَنْ يُجْمَلَ عَلَيْهَا عَلَى فَعِيلَةٍ مِثْلَ حَقِيقَةٍ وَلِذَلِكَ جَمَعُهَا عَلَى حَقَائِقَ. وَيُقَالُ اسْتَوَسَّقَ الْقَوْمُ، إِذَا اجْتَمَعُوا. وَرَوَى أَبُو عبيدة فِي هَذَا الْإِسْنَادِ وَرَوَى ذَلِكَ غَيْرُهُ. وَسَمِعْنَاهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَدْ جَعَلَ رَبِّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾^(٣) فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْجَدُولُ فَسَأَلَهُ عَنِ الشَّاهِدِ فَأَنْشَدَهُ:

سَلْمًا تَرَى الدَّالِجَ مِنْهَا أَزُورًا^(٤) إِذَا يَعْجُ فِي السَّرِيِّ هَرَهْرًا^(٥)

السَّلْمُ الدَّلْوُ الَّتِي لَهَا عُرْوَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ دَلْوُ السَّقَّائِينَ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ طَرَفَةُ فَقَالَ!

لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلَانِ^(٦) كَأَنَّمَا أَمِيرًا بَسَلَمَى دَالِجٍ مَتَشَدَّدٍ

(١) سورة الانشقاق: الآية ١٧.

(٢) متوسقات: وسقت بالاحمال.

(٣) سورة مريم: الآية ٢٤.

(٤) أزور أي مائل.

(٥) هرهر الماء إذا جرى وسمع لجره صوتاً.

(٦) أفتلان: من الفتل بالتحريك وهو التماج في مرفق الناقة.

والداليج الذي يمشي بالدلو بين البئر والحوض . وأصحاب الحديث يُنشدون «تَرَى الدالِيَّ منه أزورا»، وهذا خطأ لا وجه له . وروى أبو عبيدة وغيره أن نافعاً سأل ابن عباس عن قوله : «عُتِلَّ بعد ذلك زنيم» ، ما الزنيم ، قال : هو الدعيُّ المُلَزَقُ ، أما سمعت قول حسان بن ثابت :

زنيمُ تداعاه^(١) الرجالُ زيادةً كما زِيدَ في عَرْضِ الأديمِ الأكارع

ويزعم أهل اللغة أن اشتقاق ذلك من الزنمة التي بحلق الشاة ، كما يقولون لمن دخل في قوم ليس منهم زَعْنَفَةٌ (الأمُّ زَعْنَفَةٌ بالكسر) وللجمع زَعَانِفُ ، والزَعْنَفَةُ الجناح من أجنحة السمك . (قال أبو الحسن الأخفش : كذا قال زَعْنَفَةٌ . والناس كلهم يقولون زَعْنَفَةٌ بكسر الزاي ، وهو الوجه) وروى عن غير أبي عبيدة أنه سأل عن قوله جل اسمه : ﴿والتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾^(٢) قال الشدة بالشدة . فسأله عن الشاهد فأنشده :

أخو الحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ به الحربُ عَضَّها وَإِنْ شَمَّرَتْ عن ساقها الحربُ شمرا

هجاء جرير للمهلب

قال أبو العباس : وقرأت على عُمَاةِ بن عقيل بن بلال بن جرير قصيدة جرير التي يهجو فيها آل المهلب بن أبي صفرة ويمدح هلال بن أحوز المازني ، ويذكر الواقعة التي كانت لهم عليهم بالهند في سلطان يزيد بن عبد الملك بسبب خروج يزيد بن المهلب عليه :

أقول لها من ليلة ليس طولها كطول الليالي لَيْتَ صَبَحَكَ نُورًا
أخاف على نفس ابن أحوز أنه جلا حَمَمًا^(٣) فوق الوجوه فأسفرا

(١) الزنيم : الدعي في النسب الملحق بالقوم وليس منهم تشبيهاً بالزئمة محركاً وهي شيء يقطع من أذن الشاة ويترك معلقاً بها .

(٢) سورة القيامة : الآية ٢٩ .

(٣) الحمم كصرد جمع حمة وهي الفحمة .

(قال الشيخ أبو يعقوب الذي روي في شعر جرير:
جداراً على نفس ابن أحوز انه جلا كل وجه من معد فأسفرا
وقوله: عدي، يعني عدي بن أرطاة الفزاري قتله معاوية بن يزيد بن
المهلب بواسط. وكان عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله).
جَعَلْتُ لِقَبْرِ لِلْخِيَارِ وَمَالِكٍ وَقَبْرِ عَدِيٍّ فِي الْمَقَابِرِ أَقْبَرَا
ويروى للخيار وواسط: الخيار موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة
المُجاشعي وواسط بها عدي بن أرطاة الفزاري):

وَأَطْفَاتَ نِيرَانَ الْمَزُونِ وَأَهْلِهَا وَقَدْ حَاوَلُوهَا فِتْنَةً^(١) أَنْ تُسْعَرَا
(الْمَزُونُ عُمانُ بالفارسية):
فَلَمْ تُبْقِ مِنْهُمْ رَايَةً يَعْرِفُونَهَا وَلَمْ تُبْقِ مِنْ آلِ الْمُهَلْبِ عَسْكَرَا
أَلَا رَبُّ سَامِي الطَّرْفِ مِنْ آلِ مَازِينَ إِذَا شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَرَا
فهذا نظير ذلك، والمَزُونُ عُمانُ. قال الكُمَيْتُ:
فَأَمَّا الْأَزْدُ أَزْدَ أَبِي سَعِيدٍ فَآكُرُهُ أَنْ أُسَمِّيَهَا الْمَزُونَا
وقال آخر يعني الحرب:

فَإِنْ شَمَرَتْ لَكَ عَنْ سَاقِهَا فَوَيْهَافُ حَذِيفَ وَلَا تَسَامِ
(نقول ويها لزيد إذا زجرته عن الشيء فأغرثته به، وواها له إذا تعجبت
منه، وحذيف يريد حذيفة فرخم).

حوار نافع بن الأزرق وابن عباس

ويروى عن أبي عبيدة من غير وجه أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس
فقال: أَرَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ مَا خَوَّلَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ كَيْفَ عُنِيَ بِالْهَذْهِدِ^(٢)

(١) حاولوها فتنة: حاولوا اشعال الحرب وتسعيورها لأجل الفتنة.

(٢) كيف عني بالهذهد: يقال اعتنى فلان بكذا وعني به على ما لم يسم فاعله إذا اهتم به.

على قلته وضؤولته، فقال له ابن عباس: إنه احتاج إلى الماء والهدهدقناء^(١) الأرض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها، فسأل عنه لذلك. قال ابن الأزرق: قف يا وقاف، كيف يبصر ما تحت الأرض والفخ يغطي له بمقدار اصبع من تراب فلا يبصره حتى يقع فيه فقال ابن عباس: ويحك يا ابن الأزرق أما علمت أنه إذا جاء القدر عشي البصر^(٢)! ومما سأل عنه: ألم ذلك الكتاب^(٣)، فقال ابن عباس: تأويله هذا، القرآن هكذا جاء، ولا أحفظ عليه شاهداً عن ابن عباس، وأنا أحسبه أنه لم يقبله إلا بشاهد. وتقديره عند النحويين إذا قال ذلك الكتاب أنهم قد كانوا وعدوا كتاباً. هكذا التفسير كما قال جل ثناؤه: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾^(٤). يعني بذاك اليهود، وقال: يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فمعناه: هذا الكتاب الذي كنتم تتوقعونه. وبيت خفاف ابن ندبة على ذلك يصح معناه. وكان من خبره أنه غزا مع معاوية بن عمرو أخي خنساء مرة وفزارة فعمد ابنه حرملة دريد وهاشم المريان عمداً معاوية^(٥). فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وحمل الآخر على معاوية فطعنه متمكناً، وكان صميم الخيل. فلما نادوا: قتل معاوية! قال خفاف بن ندبة - وهي أمه، وكانت حبشية، وأبوه عمير أحد بني سليم بن منصور - قتلني الله إن رميت حتى أثار به، فحمل على مالك بن حمار، وهو سيد بني شمع بن فزارة فطعنه فقتله. فقال خفاف بن ندبة:

وإن تلك خيلي قد أصيب صميمها فعمداً على عيني تيممت مالكا
وقفت له علوى وقد خام^(٦) صحتي لأبني مجداً أو لأثار هالكا
أقول له والرمح ياطر متنه تأمل خفافاً إنني أنا ذلكا

(١) الهدهدقناء: أي عالم بمواضع الماء في الأرض.

(٢) عشي البصر: ساء وضعف.

(٣) سورة البقرة: الآية رقم ١ - ٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٥) عمد: أي فعل مثل فعله.

(٦) خام: أي تكص.

يريد، أنا ذلك الذي سمعت به. هذا تأويل هذا. وقوله: ياطر متنه، أي يشني يقال: أَطَرْتُ القوسَ أَطَرُهَا أَطْرًا وهي ماطورة، وعلوى فرسه. ومما سأله عنه قوله عز وجل: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(١) فقال ابن عباس: غير مقطوع. فقال: هل تعرف ذلك العرب؟ فقال: قد عرفه أخو بني يَشْكُرُ حيث يقول:

وترى خَلْفَهُنَّ من سرعة الرَجِّ مع مَنِيناً كأنه إهْيَاءُ
قال أبو العباس مَنِينٌ يعني الغبار، وذلك أنها تُقَطَّعُ قِطْعاً وراءها، والمَنِينُ الضعيف المؤذَنُ بانقطاع. أنشدني التَّوْزِيُّ عن أبي زيد:

يا رِيْهَا^(٢) إِنْ سَلِمْتَ يَمِينِي وَسَلِمَ السَّاقِي الَّذِي يَلِينِي
(ولم تحني عُقْدُ المَينِ)

يريد الحبل الضعيف فهذا هو المعروف. ويقال: مَنِينٌ وَمَمْنُونٌ، كَقَتِيلٍ ومقتول، وجريح ومَجْرُوح. وذكر التَّوْزِيُّ في كتاب الأضداد أن المَينِ يَكْرَنُ القوي يجعله فَعِيلاً من المُنَّة، والمعروف هو الأول. وقال غير ابن عباس: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(١) لا يُمْنُ عَلَيْهِمْ فَيَكْدُرُ عَلَيْهِمْ. ويروى من غير وجه، أن ابن الأزد أتى ابن عباس فجعل يسأله حتى أَمَلَّهُ، فجعل ابن عباس يُظْهِرُ الضَّجَرَ.

من قصائد عمر بن أبي ربيعة

وطلَّعَ عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام
فسلم وجلس، فقال له ابن عباس: أَلَا تُشِيدُنَا شَيْئاً مِنْ شِعْرِكَ فَأَنْشُدَهُ:
أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ غَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمُهْجَرُ

(١) سورة التين: الآية ٦.

(٢) يريد ما أشد ريب.

بحاجة نفسٍ لم تقل في جوابها
تهيمُ إلى نعمٍ فلا الشملُ جامعٌ
ولا قربُ نعمٍ إن دنت لك نافعٌ
وأخرى أتت من دون نعمٍ ومثلها
إذا زرتُ نعماً لم يزل ذو قرابةٍ
عزيزٌ عليه أن أمراً يبابها
ألكني إليها^(٣) بالسلام فإنه
بآية ما قالت غداة لقيتها
ففي فأنظري يا أسم هل^(٤) تعرفينه
أهذا الذي أطريت^(٥) نعتاً فلم أكنُ
فقلت نعم لا شك غير لونه
رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت
لئن كان إياه لقد حال بعدنا
حتى أتمها، وهي ثمانون بيتاً، فقال له ابن الأزرقي: لله أنت يا ابن عباس
أنضربُ إليك أكباد الإبل نسألك عن الدين فتعرض، ويأتيك غلام من قريش

فتبلغ عذراً والمقالة تعذر^(١)
ولا الحبْلُ موصول ولا القلبُ مقصّرٌ
ولا نأيتها يسلى ولا أنت تصبرُ
نهى ذا النهى لو يزعوي أو يفكرُ
لها كلما لا قيته يتنمر^(٢)
مسرُّ لي الشحنة والبغض مظهرُ
شهرُ إمامي بها وينكرُ
بمدفع أكنان^(٤) أهذا المشهر^(٥)
أهذا المغيري الذي كان يذكرُ
وعيشك أنساه إلى يوم أقبرُ
سرى الليل يحيي نصه^(٨) والتهجّر^(٩)
عن العهد والإنسان قد يتغيرُ
فيضحي وأما بالعشي فيخصرُ

(١) المقالة تعذر: أي تقطع العذر وتقيم الحجة على الخصم.

(٢) يتنمر: أي يغضب ويسوء خلقه كأنه النمر.

(٣) ألكني إليها: أي بلغ رسالتي إليها من الألوكة والمالكة وهي الرسالة، يريد أن يبعث إليها بالسلام ولا يذهب إليها فإن زيارته لها تظهر وتشهر بها وتخرجها من حال تسرها إلى حال تكرهها.

(٤) مدفع أكنان: موضع.

(٥) المشهر: الذي ظهر أمره في شناعة.

(٦) يا أسم: أي يا أسماء فرخم الاسم والمغيري كأنه منسوب إلى جده المغيرة.

(٧) أطريت: الاطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.

(٨) النصّ التحريك بالرجل ونحوها حتى يستخرج أقصى سير النافذة أصل النص أقصى الشيء وغايته ثم سمي به ضرب من السير السريع.

(٩) التهجر: السير في هاجرة النهار، وهذا طباق.

فَيُنْشِدُكَ سَفَهَا فَتَسْمَعُهُ؟! فقال: تالله ما سمعتُ سفهاً، فقال ابن الأزرَقُ أما أنشدك:

رَأَيْتُ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيُخْزِي وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيُخْسِرُ
فقال: ما هكذا؟ قال: إنما قال فيضحى وأما بالعشي فيخصرُ قال: أو تحفظ الذي قال. قال: والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه، ولو شئت أن أردّها لرددتها، قال فاردّها، فأنشده إياها.

في تفسير أبيات عمر

وروى الزبيريون أن نافعاً قال له: ما رأيتُ أروى منك قط، فقال له ابن عباس: ما رأيتُ أروى من عُمرَ ولا أعلم من عليٍّ. وقوله: فيضحى يقول: يظهر للشمس، ويخصر يقول في البردين، فإذا ذكر العشي فقد دل على عقيب العشي، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾^(١) والضحُّ الشمسُ وليس من ضحيّت، يقال: جاء فلان بالضح، والريح يراد به الكثرة، قال علقمة:

أَغْرُ أَبْزَرُهُ لِلضَّحِّ رَاقِبُهُ مُقَلَّدُ قُضْبِ الرِّيحَانِ مَفْغُومُ
له فغمة، أي رائحة طيبة يعني إبريقاً فيه شراب.

بعض ما ذكر عن رسول الله

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ لما توجه إلى تبوك جاء أبو خيثمة، وكانت له امرأتان وقد أعدت كل واحدة منهما من طيب ثمر بستانه ومهدت له في ظل، فقال: أطل ممدود، وثمره طيبة، وماء بارد، وامرأة حسناء، ورسول الله في الضح والروح! ما هذا بخير. فركب ناقته ومضى في أثره، وقد قيل لرسول الله ﷺ في نفر تخلّفوا، أبو خيثمة أحدهم، فجعل لا يذكر له أحد منهم إلا قال: دعوهُ فإن يرد الله به خيراً يلحقه بكم. فقيل ذات يوم: يا رسول الله

(١) سورة طه: الآية ١١٩.

نرى رجلاً يرفعه الال^(١)، فقال رسول الله ﷺ: كُنْ أبا خيثمة فكان هو. وإذا انبسطت الشمس فهو الضحى، مقصور، فإذا امتد النهار وبينهما مقدار ساعة أو نحو ذلك فذلك الضحاء، ممدود مفتوح الأول. وذكرت الرواة أن الحجاج أتى بامرأة من الخوارج وبحضرتة يزيد بن أبي مسلم مولاه، وكان يستسِرُّ برأي الخوارج، فكَلَّمَ الحجاج المرأة فأعرضت عنه، فقال لها يزيد بن أبي مسلم الأمير: ويَلِّك يكلمك فقالت: بل الويل والله لك يا فاسق الردي. والردِّي عند الخوارج هو الذي يعلم الحق من قولهم ويكتمه.

إعجاب عبد الملك برجل من الخوارج

وذكروا أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فَبَحَثَهُ فرأى منه ما شاء من ما وعلمنا، ثم بحثه فرأى ما شاء أرباً وذهياً^(٢)، فرغب فيه واستدعاه إلى الرجوع عن مذهبه، فراه مُسْتَبْصِراً مُحَقِّقاً فزاده في الاستدعاء، فقال له: لَتَعْبِكَ الأولى عن الثانية وقد قلت فسمعت فاسمع أقل. قال له: قل. فجعل يَسْطُ له من قول الخوارج ويُرِيْنُ له من مذهبهم بلسان طليق وألفاظ بيّنة ومعانٍ قريبة. فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته: لقد كاد يوقع في خاطري، أن الجنة خُلِقَتْ لهم وأناي بالجهاد منهم. ثم رجعت إلى ما ثَبَّتَ الله علي من الحجة وقرّر في قلبي من الحق. فقلت له: لله الآخرة والدنيا وقد سلطني الله في الدنيا، ومكّن لنا فيها وأراك لست تُجيب بالقول! والله لأقتلنك إن لم تُطع. فأنا في ذلك إذ دُخِلَ علي بابني مروان.

(قال أبو العباس): كان مروان أخا يزيد لأمه أمهمّا عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وكان أبيتاً عزيز النفس فدُخِلَ به في هذا الوقت على عبد الملك باكياً لضرب المؤدّب إياه، فشق ذلك على عبد الملك فأقبل عليه الخارجي. فقال له: دَعُهُ يَبْكُ فإنه أَرْحَبُ لِشَدَقِهِ وَأَصَحُّ وَأَذْهَبُ لَصَوْتِهِ، وأحرى أن لا تأبى عليه عينه إذا حضرته طاعة ربه، فاستدعى عبْرَتَهَا. فأعجب ذلك من قوله عبد

(١) الال: خاص بما يكون في أول النهار.

(٢) الذهي والذهاء النكر وجودة الرأي.

الملك، فقال له متعجباً: أما يَشْغَلُكَ ما أنت فيه، وبِعَرَضِهِ عن هذا^(١)؟ فقال: ما ينبغي أن يَشْغَلَ المؤمنَ عن قول الحق شيءٌ. فأمر عبدُ الملك بحبسه وصَفَحَ عن قتله، وقال بعدُ يعتذر إليه: لولا أن تُفْسِدَ بالفاظك أكثر رِعيتي ما حبستك. ثم قال عبد الملك: من شَكَّكَنِي ووَهَّمَنِي حتى مالت بي عِصْمَةُ اللَّهِ فغيرُ بعيدٍ أن يَسْتَهْوِيَ مَنْ بعدي، وكان عبدُ الملك من الرأي والعلم بموضع.

وفادة أحدهم على معاوية

وتزعم الرواة أن رجلاً من أهل الكتاب، وفد على معاوية وكان موصوفاً بقراءة الكتب. فقال له معاوية: تَجِدُ نعتي في شيء من كتب الله؟ قال: أي والله لو كنت في أُمَّةٍ لوضعتُ يدي عليك من بينهم، قال: فكيف تجدني؟ قال: أجذك أولَ مَنْ يُحوِّلُ الخلافةَ مُلكاً والخُشنةَ ليناَ ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم. قال معاوية، فُسِّرِي عني. ثم قال: لا تقبل هذا مني ولكن من نفسك فاخبر هذا الخبر. قال: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون منك رجل شَرَّابٌ للخمر سَفَّاكٌ للدماء، يَحْتَجِنُ الأموال^(٢) وَيَضْطَنِعُ الرجال وَيَجْنُبُ الخيولَ ويبيح حرمةَ الرسول. قال: ثم ماذا؟ قال: ثم تكون فِتْنَةٌ تَشْعَبُ بأقوامٍ حتى يُفْضِيَ الأمرُ بها إلى رجلٍ أُعْرِفُ نَعْتَهُ يبيع الآخرةَ الدائمةَ بخط من الدنيا مخسوس^(٣)، فَيَجْتَمِعُ عليه من آلِكَ وليس منك، لا يزال لِعَدُوِّهِ قاهراً وعلى مَنْ ناوَاهُ ظاهراً، ويكون له قَرِينٌ^(٤) مبير^(٥) لَعِينٌ، قال: أفترفه إن رأيته؟ قال: شَدْماً. فأراه مَنْ بالشام من بني أُمَيَّةَ، فقال: ما أراه ههنا. فوجه به إلى المدينة مع بُقاتٍ من رُسُلِهِ فإذا عبد الملك يسعى مُؤْتَزراً في يده طائر، فقال للرسول: هذا

(١) بعرضه: بالتحريك وهو ما يعرض للإنسان من مرض ونحوه.

(٢) يحتجن الأموال أي يحسبها.

(٣) مخسوس: منقوص دنيء.

(٤) قرين: أراد به الحجاج بن يوسف الثقفي.

(٥) مبير: أي مهلك يسرف في إهلاك الناس.

هوذا. ثم صاح به إليّ أبو من؟ قال، أبو الوليد. قال: يا أبا الوليد إن بشرتك ببشارة تسرك ما تجعل لي؟ قال: وما مقدارها من السرور حتى نعلم مقدارها من الجعل؟ أن تملك الأرض، قال: مالي من مال ولكن أرايتك إن تكلفت لك جعلاً أنال ذلك قبل وقته؟ قال: لا، قال: فإن حرمتك أتؤخره عن وقته؟ قال: لا، قال: فحسبك ما سمعت. فذكروا أن معاوية كان يكرم عبد الملك ليجعلها يداً عنده يجازيه بها في مخلفيه في وقته. وكان عبد الملك من أكثر الناس علماً وأبرعهم أدباً وأحسنهم في شبيبته ديانةً، فقتل عمرو بن سعيد وتسمى بالخلافة، فسلم عليه بها أول تسليم والمصحف في حجره فأطبقه. وقال: هذا فراق بيني وبينك.

قال أبو العباس: وحدثني ابن عائشة عن حماد بن سلمة في إسناد ذكره أن عبد الملك كان له صديق، وكان من أهل الكتاب يقال له يوسف، فأسلم، فقال له عبد الملك يوماً وهو في عنقوان نسكه. وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المري، من مرة غطفان، يريد المدينة: ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسول الله ﷺ. فقال له يوسف: جيشك والله إلى حرم رسول الله أعظم من جيشه، فنفض عبد الملك ثوبه، ثم قال: معاذ الله! قال له يوسف: ما قلت شاكاً ولا مرتاباً وإنني لأجدك بجميع أوصافك. قال له عبد الملك. ثم ماذا؟ قال: ثم يتداولها رهطك، قال: إلى متى؟ قال: إلى أن تخرج الرايات السود من خراسان.

قال: وحدثت عن ابن جعدة قال: كنت عند أمير المؤمنين المنصور في اليوم الذي أتاه فيه خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن قال: فغمه ذلك حتى امتنع من الغداء في وقته وطال عليه فكره. فقلت: يا أمير المؤمنين أحدثك حديثاً: كنت مع مروان بن محمد وقد قصده عبد الله بن علي فإنا كذلك إذا نظر إلى الاعلام السود من بعد فقال: ما هذه البخت المجللة؟ قلت: هذه اعلام القوم، قال: فمن تحتها؟ قلت: عبد الله بن علي بن

عبد الله بن العباس . قال : وأيهم عبد الله . فقلت : الفتى المَعْرُوقُ^(١) الطويلُ الخفيفُ العارِضين الذي رأيتُه في وَلِيمَةٍ كذا يأكل فيجيدُ فسألتني عنه فنسبته لك فقلت : إن هذا الفتى لَتِلْقَامَةٌ^(٢) . قال : قد عرفته ، والله ووددتُ أن عليَّ بن أبي طالب مكانه ، قال : فقال لي المنصور : الله ، لسمعتُ هذا من مروان بن محمد؟ قلتُ : والله لقد سمعتهُ منه . قال : يا غلام هاتِ الغداء . قال أبو العباس : وكان أهل النُخَيْلَةِ جماعةً بعد أهل النُهْرَوَانِ ممن فارق عبد الله بن وهب ، وممن لجأ إلى راية أبي أيوب وممن كان أقام بالكوفة ، فقال : لا أقاتل علياً ولا أقاتل معه . فتَوَاصَوْا فيما بينهم وتعاضدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم . فقام منهم قائم يقال له المُسْتَوْدُ من بني سعد بن زيد مناة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ، ثم قال : إن رسول الله ﷺ أتانا بالعدل تخفُّقُ رايته مُعلنًا مقالته ، مُبلِّغاً عن ربه ، ناصحاً لأُمته حتى قبضه الله مُخَيَّراً مُختاراً . ثم قام الصديقُ فَصَدَّقَ عن نبيه وقَاتَلَ من ارتدَّ عن دين ربه ، وذكر أن الله عز وجل قرَنَ الصلاة بالزكاة فرأى أن تعطيل إحداهما طعنٌ على الأخرى ، لا بل على جميع منازل الدين ثم قبضه الله إليه موفوراً . ثم قام الفاروقُ فَفَرَّقَ بين الحق والباطل مُسَوِّياً بين الناس في إعطائه لا مؤثراً لإقاربه ولا مُحَكِّماً في دين ربه . وها أنتم تعلمون ما حَدَّثَ ، والله يقول : وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً^(٣) . فكل أجاب وبأيع فوجه إليهم عليُّ بن أبي طالب عبد الله بن العباس داعياً ، فأبَوْا فسار إليهم ، فقال له عفيفُ بن قيس : يا أمير المؤمنين لا تَخْرُجْ في هذه الساعة فإنها ساعةٌ نحسُّ لعدوك عليك . فقال له عليُّ : توكلتُ على الله وحده وعصيت رأي كل مُتَكَهِّنٍ . أنت تزعم أنك تعرف وقت الظفر من وقت الخِذْلَانِ ، إني توكلتُ على الله ربي وربكم ،

(١) المعروق : قليل اللحم .

(٢) إن هذا الفتى لتلقامة : عظيم اللقم .

(٣) سورة النساء : الآية ٩٥ .

(ما دابة إلا آخذُ بناصيتها إن ربي على صراطٍ مستقيم) (١). ثم سار إليهم فطحنهم جميعاً لم يفلت منهم إلا خمسة منهم المُستوردُ وابن جُوَيْن الطائي وفروة بن شريك الأشجعي. وهم الذين ذكرهم الحسن البصري فقال: دعاهم إلى دين الله فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً، فسار إليهم أبو حَسَنٍ فطحنهم طحناً. وفيهم يقول عُمَرَانُ بن الخرب:

إني أدينُ بما دانَ الشراةُ به يوم النخيلة عند الجوسقِ الخربِ
وقال الحِميريُّ يعارض هذا المذهب:

إني أدينُ بما دانَ الوصيُّ به يوم النخيلة من قتل المُحلينا
وبالذي دانَ يوم النهرِ دنتُ به وشاركتُ كَفَّه كَفِّي بصفينا
تلك الدماءُ معاً يا ربَّ في عُقبي ومثلها فاسقني آمين آمينا

سؤال أصحاب النخيلة في سبأ

وكان أصحاب النخيلة قالوا لابن عباس: إذا كان عليٌّ على حق، لم يشكك فيه وحكم مضطراً فما باله حيث ظفر لم يسب؟ فقال لهم ابن عباس: قد سمعتم الجواب في التحكيم، فأما قولكم في السبأ: أفكتكم سابين أمكم عائشة! فوضعوا أصابعهم في آذانهم وقالوا: أميك عنا حرب لسانك يا ابن عباس فإنه طلق ذلق غواص على موضع الحجة. ثم خرج المستورد بعد ذلك بمدة على المغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة، فوجه إليه معقل بن قيس الرياحي فدعاه المستورد إلى المبارزة. وقال له: علام يقتل الناس بيني وبينك؟ فقال له معقل: النصف سألت، فأقسم عليه أصحابه فقال: ما كنت لأبى عليه. فخرج إليه فاختلفا ضربتين فخر كل واحد منهما ميتاً. وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد وله آداب يُوصي بها وهي محفوظة عنه، كان

(١) سورة هود: الآية ٥٦.

يقول: إذا أَفْضَيْتُ بِسِرِّي إِلَى صَدِيقِي فَأَفْشَاهُ لَمْ أَلْمُهُ لِأَنِّي كُنْتُ أَوَّلِي بِحِفْظِهِ.
 وكان يقول: لَا تُفْشِرْ إِلَى أَحَدٍ سِرًّا وَإِنْ كَانَ مُخْلِصًا إِلَّا عَلَى جِهَةِ الْمَشَاوِرَةِ.
 وكان يقول: كُنْ أَخْرَصَ عَلَى حِفْظِ سِرِّ صَاحِبِكَ مِنْكَ عَلَى حَقِّ دَمِكَ. وكان
 يقول أَوَّلُ مَا يَذُلُّ عَلَيْهِ عَائِبُ النَّاسِ مَعْرِفَتُهُ بِالْعُيُوبِ وَلَا يَعِيبُ إِلَّا مَعِيبٌ.
 وكان يقول: الْمَالُ غَيْرُ بَاقٍ عَلَيْكَ فَاشْتَرِ مِنَ الْحَمْدِ مَا يَبْقَى عَلَيْكَ. وكان
 يقول: بَذُلَ الْمَالُ فِي حَقِّهِ اسْتِدْعَاءً لِلْمَزِيدِ مِنَ الْجَوَادِ. وكان يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ:
 لَوْ مَلَكَتُ الْأَرْضَ بِحِذَافِيرِهَا ثُمَّ دُعِيتُ إِلَى أَنْ أُسْتَفِيدَ بِهَا خَطِيئَةٌ مَا فَعَلْتُ.
 قال، وَخَرَجَتِ الْخَوَارِجُ وَاتَّصَلَ خُرُوجُهَا، وَإِنَّمَا نَذَرَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ ذَا خَبَرٍ
 طَرِيفٍ وَاتَّصَلَتْ بِهِ جِئَمٌ مِنْ كَلَامٍ وَأَشْعَارٍ.

أول من خرج بعد مقتل علي

فأول مَنْ خَرَجَ بَعْدَ قَتْلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَوْثَرَةُ الْأَسَدِيِّ فَإِنَّهُ كَانَ
 مُتَنَجِّيًا بِالْبَنْدَنَجِينِ فَكَتَبَ إِلَى حَابِسِ الطَّائِسِيِّ بِسْأَلِهِ أَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَ الْخَوَارِجِ
 حَتَّى يَسِيرَ إِلَيْهِ بِجَمْعِهِ فَيَتَعَاضِدَا عَلَى مَجَاهِدَةِ مُعَاوِيَةَ. فَأَجَابَهُ، فَرَجَعَا إِلَى
 مَوْضِعِ أَصْحَابِ النَّخِيلَةِ، وَمُعَاوِيَةَ بِالْكُوفَةِ حَيْثُ دَخَلَهَا مَعَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ
 صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ بَايَعَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَقَيْسُ بْنُ
 سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ. ثُمَّ خَرَجَ الْحَسَنُ يَرِيدُ الْمَدِينَةَ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ وَقَدْ تَجَاوَزَ فِي
 طَرِيقِهِ بِسْأَلِهِ أَنْ يَكُونَ الْمُتَوَلَّى لِمَحَارَبَتِهِمْ، فَقَالَ الْحَسَنُ: وَاللَّهِ لَقَدْ كَفَفْتُ
 عَنْكَ لِحَقْنِ دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا أَحْسِبُ ذَلِكَ يَسْعَنِي، أَفَأَقَاتِلُ عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ
 وَاللَّهِ أَوَّلِي بِالْقِتَالِ مِنْهُمْ، فَلَمَّا رَجَعَ الْجَوَابُ إِلَيْهِ وَجَّهَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا أَكْثَرَهُمْ مِنْ
 أَهْلِ الْكُوفَةِ ثُمَّ قَالَ لِأَبِيهِ أَبِي حَوْثَرَةَ: اكْفِنِي أَمْرَ ابْنِكَ. فَصَارَ إِلَيْهِ أَبُوهُ فَدَعَاهُ
 إِلَى الرَّجُوعِ فَأَبَى، فَأَدَارَهُ فَصَمَّمَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَجِئْتُكَ بِابْنِكَ فَلَعَلَّكَ تَرَاهُ
 فَتَجِنُّ إِلَيْهِ. فَقَالَ: يَا أَبَتِ أَنَا وَاللَّهِ إِلَى طَعْنَةٍ نَافِذَةٍ أَتَقَلَّبُ فِيهَا عَلَى كُعُوبِ
 الرَّمْحِ أَشَوْقُ مَنِي إِلَى ابْنِي، فَرَجَعَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: يَا أَبَا حَوْثَرَةَ عَنَّا
 هَذَا جِدًّا، فَلَمَّا نَظَرَ حَوْثَرَةُ إِلَى الْكُوفَةِ قَالَ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ أَنْتُمْ بِالْأَمْسِ تُقَاتِلُونَ
 مُعَاوِيَةَ لِتَهْدُوا سُلْطَانَهُ، وَالْيَوْمَ تَقَاتِلُونَ مَعَ مُعَاوِيَةَ لِتَشُدُّوا سُلْطَانَهُ! فَخَرَجَ إِلَيْهِ

أبوه فدعاه إلى البراز فقال: يا أبت لك في غيري مندوحة ولي في غيرك عنك مذهب. ثم حمل على القوم وهو يقول:

اكرُرْ على هذي الجموعِ حوْثرةً^(١) فَعَنْ قَلِيلٍ مَا تَنَالُ الْمُغْفِرَةَ
فَحَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ طَيْءٍ فَقَتَلَهُ، فَرَأَى أَثَرَ السَّجُودِ قَدْ لَوَّحَ جَبْهَتَهُ فَنَدِمَ
عَلَى قَتْلِهِ، ثُمَّ انْهَزَمَ الْقَوْمُ جَمِيعاً.

خبر المستورد والخارجي وآدابه

وَأَنَا أَحْسِبُ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ:

وَأَجْراً مَنْ رَأَيْتُ بَظْهَرَ غَيْبٍ عَلَى غَيْبِ الرِّجَالِ ذُؤُوبِ الْعُيُوبِ
إنما أخذه من كلام المستورد قال رجل للمستورد: أريد أن أرى رجلاً
عياباً قال: التمسه بفضل معائب فيه. وقال العباس بن الأخنف يعاتب من
اتهمه فإفشاء سره!

تَعَنَيْتَ تَطْلُبُ مَا أُسْتَحَقُّ بِهِ الْهَجْرَ مِنْكَ وَلَا تَقْدِرُ
وَمَاذَا يَضُرُّكَ مِنْ شُهُرَتِي إِذَا كَانَ سِرُّكَ لَا يُشْهَرُ
أَمِنِي تَحَافُفُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَحَظِّي فِي سَتْرِهِ أَوْفَرُ
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي بُقْيَا عَلَيْكَ نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ

مما جرى مع رسول الله

ويروى من حديث محمد بن كعب القرظي. قال: قال عمار بن ياسر
خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات العشيرة^(٢) فلما قفلنا نزلنا منزلاً
فخرجت أنا وعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه ننظر إلى قوم يعملون^(٣)،

(١) حوْثرة: يريد حوْثرة ينادي نفسه.

(٢) ذات العشيرة: موضع بناحية ينبع غزوتها معروفة.

(٣) يعملون: أي يعملون بأنفسهم ويعملون أراءهم والاتهم.

فَنَعَسْنَا فَمِئْنَا، فَسَفَتْ عَلَيْنَا الرِّيحُ التُّرَابَ. فَمَا نَبَّهَنَا إِلَّا كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
 فَقَالَ لِعَلِيٍّ: يَا أَبَا تَرَابٍ لِمَا عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ، أَتَعْلَمُ مَنْ أَشَقَى النَّاسِ؟ فَقَالَ:
 خَبَّرَنِي يَارَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ أَشَقَى النَّاسِ اثْنَانِ، أَحْمَرُ ثُمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ،
 وَأَشَقَاها الَّذِي يَخْضِبُ هَذِهِ. وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَرْنِهِ. وَيُرَوَّى عَنْ عِيَاضِ بْنِ
 خَلِيفَةَ الْخُزَاعِيِّ قَالَ: تَلَقَّانِي عَلِيٌّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الْغَلَسِ، فَقَالَ لِي:
 مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عِيَاضُ بْنُ خَلِيفَةَ الْخُزَاعِيِّ، فَقَالَ: ظَنَنْتَكَ أَشَقَاها الَّذِي
 يَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذَا وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى لَحْيَتِهِ وَعَلَى قَرْنِهِ. وَيُرَوَّى أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ
 كَثِيرًا، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ - أَحْسِبْهُ عِنْدَ الضَّجَرِ بِأَصْحَابِهِ - : مَا يَمْنَعُ أَشَقَاها أَنْ
 يَخْضِبَ هَذِهِ مِنْ هَذَا! وَيُرَوَّى عَنْ رَجُلٍ مِنْ ثَقِيفٍ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجَ النَّاسُ
 يَعْطِفُونَ دَوَابَهُمْ بِالْمَدَائِنِ وَأَرَادَ عَلِيٌّ الْمَسِيرَ إِلَى الشَّامِ. وَوَجَّهَ مَعْقِلَ بْنَ قَيْسٍ
 الرِّيَّاحِيَّ لِيُرْجِعَهُمْ إِلَيْهِ، وَكَانَ ابْنُ عَمٍّ لِي فِي آخِرِ مَنْ خَرَجَ، فَأَتَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ
 عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَاتَ عَشِيَّةٍ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَأْخُذَ لِي كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى
 مَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ فِي التَّرْفِيهِ عَنْ ابْنِ عَمِّي فَإِنَّهُ فِي آخِرِ مَنْ خَرَجَ. فَقَالَ: تَغْدُو
 عَلَيْنَا وَالْكِتَابُ مَخْتُومٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. فَبِتَ لَيْلَتِي ثُمَّ أَصْبَحْتُ وَالنَّاسُ
 يَقُولُونَ قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّيْلَةَ، فَأَتَيْتُ الْحَسَنَ وَإِذَا بِهِ فِي دَارِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ فَقَالَ: لَوْلَا مَا حَدَّثَ لِقَضِينَا حَاجَتَكَ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ
 الْبَارِحَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي صَلَّيْتُ مَا رَزَقَ اللَّهُ ثُمَّ نَمْتُ نَوْمَةً
 فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مَخَالَفَةِ أَصْحَابِي وَقِلَّةِ
 رَغْبَتِهِمْ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُرِيحَكَ مِنْهُمْ فَدَعَا اللَّهَ، قَالَ
 الْحَسَنُ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَانَ مَا قَدْ عَلِمْتُ.

وَحُدِّثْتُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنْ عَلِيًّا لَمَّا ضَرَبَ ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ اعْتَرَتْهُ غَشِيَةٌ. ثُمَّ
 أَفَاقَ فَدَعَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَالَ: أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ
 وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّكُمَا مِنْهَا. اْعْمَلَا الْخَيْرَ وَكُونَا لِلظَّالِمِ
 خَصْمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا. ثُمَّ دَعَا مُحَمَّدًا فَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ مَا أُوصِيْتُ بِهِ

أَخَوَيْكَ. قَالَ: بلى. قَالَ: فإني أوصيك به وعليك ببر أخَوَيْكَ وتوقيرهما، ومعرفة فضلهما ولا تَقْطَعُ أَمراً دونهما. ثم أقبل عليهما فقال: أوصيكما به خيراً. فإنه شقيقكما وابن أبيكما وأنتما تَعْلَمَانِ أن أباكما كان يُحِبُّهُ فَأَجَبَاهُ. فلما قَضَى عَلَيَّ كَرَمَ اللَّهِ وجهه. قالت أم العُرْبَانِ:

وَكُنَّا قَبْلَ مَهْلِكِهِ زَمَانَا نَرَى نَجْوَى رَسُولِ اللَّهِ فِينَا
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَكْرَمَهُمْ وَمَنْ رَكِبَ السَّفِينَا
أَلَا أَبْلَغُ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ فَلَا قَرَّتْ عُيُونُ الشَّامَتِينَا

ويروى أن عبد الرحمن بن مُلْجَمٍ بات تلك الليلة عند الأشعث بن قيس بن معدي كرب، وأن حُجْرَ بن عَدِيٍّ سمع الأشعث يقول له: فَصَحَّكَ الصُّبْحُ. فلما قالوا قُتِلَ أمير المؤمنين، قال حجر بن عدي للأشعث: أنت قتلت يا أعور. ويروى أن الذي سمع ذلك أخو الأشعث عَفِيفُ بن قيس وأنه قال لأخيه: عَنْ أَمْرِكَ كَانَ هَذَا يَا أَعُورُ. وأخبار الخوارج كثيرة طويلة وليس كتابنا مفرداً لهم لكننا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدب أو شعر مُسْتَطَرَفٌ أو كلام من خطبة معروفة مختارة.

مركز تقيتكم بکچھ پیر علم و رسد

خروج قريب مرة وزحاف الطائي

خرج قُرَيْبُ مَرَّةَ الْأُرْدِيِّ وَزَحَّافُ الطَّائِي، وكانا مجتهدين بالبصرة في أيام زياد، واختلف الناس في أمورهما أيهما كان الرئيس، فاعترضا الناس، فلقيا شيخاً ناسكاً من بني ضُبَيْعَةَ بن رَبِيعَةَ بن نِزَارٍ فقتلاه، وكان يقال له: رُوْبَةُ الضُّبَيْعِي. وتنادى الناس فخرج رجل من بني قُطَيْعَةَ من الْأُرْدِ وفي يده السيف، فناده الناس من ظهور البيوت: الْحَرُورِيَّةُ^(١)! الْحَرُورِيَّةُ! أُنْجُ بِنَفْسِكَ، فَنَادَوْهُ: لَسْنَا حَرُورِيَّةً، نَحْنُ الشُّرَطُ. فوقف فقتلوه وبلغ أبا بلال خبرهما فقال:

(١) الحرورية: فرقة من الخوارج. ويريد بالتكرار هنا إثارة الانتباه والتحذير.

قُرَيْبٌ لاقربه الله من الخير وزحَّافٌ لا عفا الله عنه ركبها عَشَوَاءٌ مَظْلَمَةٌ^(١) يريد اعتراضهما الناس، ثم جعل لا يمرَّان بقبيلة إلَّا قَتَلَا مَنْ وجدا حتى مرَّا بني علي بن سُودٍ من الأزْد، وكانوا رماءً وكان فيهم مائة يُجيدون الرمي فرمَوْهم رميًّا شديدًا فصاحوا: يا بني علي البُقياء^(٢) لا رماء^(٣) بيننا. فقال رجل من بني علي:

لا شيء للقومِ سِوَى السَّهامِ مَشْحُودَةٌ فِي غَلَسِ الظَّلامِ

فَعَرَّدَ^(٤) عنهم الخوارج، وخافوا الطلب فاشتقوا مَقْبَرَةَ بني يَشْكُر حتى نَفَذُوا إلى مُزَيْنَةَ ينتظرون من يلحق بهم من مضرو وغيرها. فجاءهم ثمانون، وخرجت إليهم بنو طاحية بن سُود، وقبائلُ مُزَيْنَةَ، وغيرها فاستقتل الخوارجُ فقتلوا عن آخرهم

ثم غدا الناسُ إلى زياد فقال: أَلَّا يَنْهَى كُلُّ قَوْمٍ سَفَهَاءَهُمْ، يا معشر الأزْد! لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلتُ إنكم ارْتَمَوْهَا^(٥). فكانت القبائلُ إذا أَحَسَّتْ بخارجية^(٦) فيهم شَدَّتْهم وأتت بهم زياداً فكان هذا أحد ما يذكر من صحة تدبيره. وله أخرى في الخوارج: أخرجوا معهم امرأةً فَظَفَرَ بها فقتلها ثم عَرَّاهَا فلم تَخْرُجِ النساءُ بعد علي زياد، وكن إذا دُعِينَ إلى الخروج قلن: لولا التعرية لسارعنا. ولما قَتَلَ مصعب بن الزبير بنتَ النعمان بن بشير الأنصارية امرأة المختار (وليس هذا من أخبار الخوارج) أنكره الخوارجُ غاية الإنكار ورأوه قد أتى بقتل النساءِ أمراً عظيماً لأنه أتى ما نهى عنه رسول

(١) ركبها عَشَوَاءٌ مَظْلَمَةٌ: يريد أنها لم يذهب مذهب الصواب ولم يهتديا في أمرهما وركبا على غير بيان والعشواء في الأصل الظلمة.

(٢) البُقياء: بالضم اسم من قولك أبقيت على فلان إبقاء إذا رحمته واشفقت عليه.

(٣) الرمء من رامي، وهي المراماة.

(٤) عَرَّد: قوي جسمه وانتصب بعد المرض، طلع وارتفع.

(٥) ارْتَمَوْهَا من التارث وهو إيقاد النار واذكاؤها.

(٦) هنأت البعير: اهتؤه إذا أطليته بالهناء بالكسر وهو القطران.

اللَّهُ ﷻ في سائر نساء المشركين وللخَوَاصِّ منهن أخبار، فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة:

إِنْ مِنْ أَعْظَمِ الْكِبَائِرِ عِنْدِي قَتَلَ حَسَنَاءَ غَادَةٍ عُطْبُولٍ^(١)
قُتِلْتُ بِاطْلَالٍ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ إِنْ اللَّهُ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلٍ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جَرُّ الذِّبُولِ

قال: وكانت الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين يقال لأحدهما كُحَيْلَةُ والأخرى قَطَامٍ، فجعل أصحابُ ابن عامر يُعَيِّرُونَهُمْ وَيُصِيحُونَ بِهِمْ: يَا أَصْحَابَ كُحَيْلَةٍ وَقَطَامٍ يُعَرِّضُونَ لَهُمْ بِالْفَجْرِ فَتَنَادِيهِمُ الْخَوَارجُ بِالْدَفْعِ وَالرَّدْعِ، ويقول قائلهم: لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ. ويروى عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(٢) قال: هي أعياد المُشْرِكِينَ، وقال ابن مسعود: الزورُ الغناء، فقيل لابن عباس: أوما هذا في الشهادة بالزور؟ فقال: لا إنما آية شهادة الزور ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كلٌ أولئك كان عنه مسؤولاً.

قتل امرأة من الخوارج في البلجاء

عاد الحديث إلى أمر الخوارج، وكان من المجتهديات من الخوارج - ولو قُلتَ من المجتهدين وأنت تغني امرأة كان أفصح لأنك تريد رجالاً ونساء هي إحداهم. كما قال الله عز وجل: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَانِتِينَ﴾^(٣). وقال جل ثناؤه: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ - مِنْهُمْ﴾^(٤) البُلجاء، وهي امرأة من بني حَرَامٍ بن يَرْبُوع بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زيد مَنَاةَ بن تَمِيمٍ من رهط سَجَاحٍ التي كانت تَنبَأُ. وسنذكر خبرها في موضعه إن شاء الله

(١) العطبول: بالضم، المرأة الفتية.

(٢) سورة الفرقان: الآية رقم ٧٢.

(٣) سورة التحريم: الآية رقم ١٢.

(٤) سورة الشعراء: الآية رقم ١٧١.

أخبار مرداس بن حدير

وكان مرداس بن حدير أبو بلال، وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة تُعَظِّمُهُ الخوارج، وكان مجتهداً كثير الصواب في لفظه فلقبه غيلان بن خرشة الضبي فقال: يا أبا بلال إني سمعت الأمير البارحة عبيد الله بن زياد يذكر البلجاء وأحسبها ستؤخذ، فمضى إليها أبو بلال فقال لها: إن الله قد وسع على المؤمنين في التقيّة^(١) فاستتري فإن هذا المُشْرِفَ على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك، قالت: إن يأخذني فهو أشقى بي، فأما أنا فما أحب أن يُعَنَّتَ^(٢) إنسان بسببي. فوجه إليها عبيد الله بن زياد فأتى بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق، فمر أبو بلال والناس مجتمعون فقال: ما هذا؟ فقالوا: البلجاء، فعرج إليها فنظر ثم عض على لحيته وقال لنفسه: لهذه أطيّب نفساً عن بقية الدنيا منك يا مرداس. ثم أن عبيد الله تتبع الخوارج فحبسهم وحبس مرداساً. فرأى صاحب السجن شدة اجتهاده وحلاوة منطقِهِ، فقال له: إين أرى لك مذهباً حسناً وإني لأحب أن أوليك معروفاً، أفرأيت إن تركتك تنصرف ليلاً إلى بيتك أتدلج^(٣) إلي؟ قال: نعم. فكان يفعل ذلك به. ولج عبيد الله في حبس الخوارج، وقتلهم فكلّم في بعض الخوارج، فلج وأبى وقال: أقمع النفاق قبل أن ينجم. لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع. فلما كان ذات يوم قتل رجل من الخوارج رجلاً من الشرط. فقال ابن زياد: ما أدري ما أصنع بهؤلاء! كلّمنا أمرت رجلاً بقتل رجل منهم فتكوا بقاتله، لأقتلن من في حبسي منهم. فأخرج السجنان مرداساً إلى منزله كما كان يفعل وأتى مرداساً الخبر فلما كان السحر تهيأ للرجوع. فقال له أهله: إتق الله في نفسك فإنك إن رجعت قُتِلْتَ! فقال: إني ما كنت لألقى الله غادراً، فرجع إلى السجن فقال: إني قد علمت ما عزم عليه صاحبك فقال: أعلمت ورجعت؟!

(١) التقيّة: الحفية.

(٢) أن يعنت: أن يدخل عليه الضرر.

(٣) اتدلج: بالتشديد: أسير في الليل.

ويروى أن مرداساً مرَّ بأعرابي يَهْنَأُ بعيراً^(٧) له فَهَرَجَ البعيرُ^(٨) فسقط مرداسٌ مغشياً عليه، فظن الأعرابي أنه قد صُرِعَ فقرأ في أذنه. فلما أفاق قال له الأعرابي: قرأت في أذنك. فقال له مرداس: ليس بي ما خفته عليّ ولكني رأيت بعيرك هرج^(٩) من القطران فذكرت به قطران جهنم فأصابني مارأيت. فقال: لا جرم والله لا فارقتك أبداً. وكان مرداس قد شهد صِفِّينَ مع عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، وأنكر التحكيم وشهد النهرَ ونجا فيمن نجا، فلما خرج من حبس ابن زياد ورأى جد ابن زياد في طلب الشراة عزم على الخروج. فقال لأصحابه: إنه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين، تجري علينا أحكامهم مجانين للعدل مفارقين للفصل. والله إن الصبر على هذا لعظيم، وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم ولكننا ننتبذ عنهم ولا نجرّد سيفاً ولا نقاتل إلا مَنْ قاتلنا. فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلاً منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمي، فأرادوا أن يولوا أمرهم حريثاً فأبى فوَلَّوْا أمرهم مرداساً. فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الأنصاري. وكان له صديقاً، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد أن أهربَ بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة. فقال له: أعلمَ بكم أحد؟ قال: لا. قال فارجع. قال أو تخاف عليّ مكروهاً؟ قال نعم وأن يؤتي بك، قال فلا تخف فإنني لا أجردُ سيفاً ولا أخيفُ أحداً ولا أقاتل إلا من قاتلني. ثم مضى حتى نزل آسك - وهو ما بين رامهرمز وأرجان - فمر به مألٌ يُحْمَلُ لابن زياد وقد قارب أصحابه الأربعين، فحطَّ ذلك المال فأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه وردَّ الباقي على الرسل، وقال: قولوا لصاحبكم إنما قبضنا أعطياتنا فقال بعض أصحابه فعَلَامَ ندعُ الباقي فقال: إنهم يقسمون، هذا ألفي، كما يُقيمون الصلاة فلا نقاتلهم. ولأبي بلال أشعار في الخروج اخترت منها قوله:

أبعد ابن وهب ذي النزاهة والتقى ومن خاض في تلك الحروب المهالكا

(١) هرج: تحير من شدة الحر وثقل الحمل.

(٢) النزاهة: البعد عن النقائص والتجافي عن المعاصي.

أَحِبُّ بَقَاءً أَوْ أَرْجِي سَلَامَةً وَقَدْ قَتَلُوا زَيْدَ بْنَ حِصْنٍ وَمَالِكًا
فِيَا رَبِّ سَلِّمْ نِيَّتِي وَبَصِيرَتِي وَهَبْ لِي التَّقَى حَتَّى الْأَقْيَ أُولَئِكَ

قوله: وقد قتلوا ولم يذكر أحداً^(١)، وإنما فعل ذلك لعلم الناس أنه يعني مخالفيه وإنما يحتاج الضمير إلى ذكر قبله ليُعرف. فلو قال رجل: ضربته، لم يجز، لأنه لم يذكر أحداً قبل ذكره الهاء. ولو رأيت قوماً يلتمسون الهلال فقال قوم: هذا هو، لم يحتج إلى تقديم الذكر لأن المطلوب معلوم، وعلى هذا قال علقمة بن عبدة في إفتاح قصيدته:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبّلها إذا نأتك اليوم مصروم

لأنه قد علم أنه يريد حبيبة له. وقوله: حيث ألقى ولم يحرك الياء فقد مضى شرحه مستقصى. ويروى أن رجلاً من أصحاب ابن زياد قال: خرجنا في جيش نريد خراسان، فمررنا بآسك فإذا نحن بهم ستة وثلاثين رجلاً، فصاح بنا أبو بلال: أقاصدون لقتالنا أنتم؟ وكنت أنا وأخي قد دخلنا زرباً^(٢)، فوقف أخي ببابه فقال: السلام عليكم. فقال مرداس: وعليكم السلام. فقال لأخي: أجتثم لقتالنا؟ فقال له: لا، إنما نريد خراسان، قال: فأبلغوا من لقيكم أنا لم نخرج لنفسد في الأرض ولا لنزوع أحداً ولكن هرباً من الظلم، ولسنا نقاتل إلا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفيء إلا أعطياتنا. ثم قال: أنديب إلينا أحد؟ قلنا: نعم، أسلم بن زُرعة الكلابي، قال: فمتى تُروّنه يصل إلينا؟ قلنا يوم كذا وكذا فقال أبو بلال: حسبنا الله ونعم الوكيل! وجهز عبيد الله أسلم بن زُرعة في أسرع وقت ووجهه إليهم في ألفين، وقد تتأّم أصحاب مرداس أربعين رجلاً، فلما صار إليهم أسلم صاح به أبو بلال: اتق الله يا أسلم فإننا لا نريد قتالاً ولا نحتجّن فيثاً، فما الذي تريد؟ قال: أريد أن أردكم إلى بن زياد، قال مرداس: إذا يقتلنا، قال: وإن قتلكم، قال، تشركه في دمانا، قال: إني أدين

(١) ولم يذكر أحداً: يريد أن الضمير المرفوع في الفعل لم يتقدم له مرجع فيعود إليه.

(٢) الزرب: جمع زريبة، مكان بينى للغنم.

بأنه مُحِقٌّ وانكم مبطلون. فصاح به حُرَيْثُ بْنُ حَجَلٍ: أهو محق وهو يطيع
 الفَجْرَةَ وهو أحدهم، وَيَقْتُلُ بِالظَّنِّ وَيَخْصُصُ بِالْفِيءِ وَيَجُورُ فِي الْحَكْمِ؟ أما
 علمت أنه قتل بابتن سَعَادَ أَرْبَعَةَ بُرَاءَ وَأَنَا أَحَدُ قَتَلَتِيهِ، ولقد وضعتُ في بطنه
 دراهم كانت معه. ثم حملوا عليه حَمَلَةً رَجُلٍ واحد فانهزم هو وأصحابه من
 غير قتال. وكان مَعْبُدٌ أَحَدُ الْخَوَارِجِ قد كاد يأخذه، فلما ورد على ابن زياد
 غضب عليه غضباً شديداً. وقال: وَيْلَكَ، أتمضي في ألفين فتنهزم لحملة
 أربعين؟ وكان أَسْلَمُ يَقُولُ: لَأَنْ يَذْمَنِي ابْنُ زِيَادٍ حَيًّا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَمْدَحَنِي
 ميتاً. وكان إذا خرج إلى السوق أو مرَّ بصبيان أصحابه: أَبُو بِلَالٍ وَرَاءَكَ!
 وربما صاحوا به: يَكْفُوا النَّاسَ عَنْهُ.

عيسى بن فاتك يمدح الخوارج

ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك من بني تميم اللات بن ثعلبة في كلمة له:

فلما أصبحوا صلُّوا وقاموا	إلى الجُرْدِ ^(١) العِتَاقِ ^(٢) مُسَوِّمِينَا
فلما استجمعوا حملوا عليهم	فَطَلَّ ذُوو الْجَعَائِلِ ^(٣) يُقْتَلُونَا
بقية يومهم حتى أتاهم	سَوَادُ اللَّيْلِ فِيهِ يُرَاوِغُونَا ^(٤)
يقول بصيرهم لما أتاهم	بَأَنَّ الْقَوْمَ وَلَوْ هَارِبِينَ
ألفاً مؤمنين فيما زعمتم	وَيَهْزِمُهُمْ بِأَسْكَ أَرْبَعُونَا
كذبتهم ليس ذاك كما زعمتم	وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَا
هم الفئة القليلة غير شك	عَلَى الْفِتَّةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَا

(١) الجرد جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر رقيقه وقد جرد كفرج.

(٢) العتاق: جمع عتيق وهو الكريم.

(٣) الجمائل جمع جميلة أو جمالة بالفتح وهي الأجر على الشيء فعلاً كان أو قولاً والمراد في الشعر أن يكتب الغزو على الرجل فيعطي رجلاً آخر شيئاً ليخرج مكانه يذكر أن أعداءهم إنما يخرجون في الغزو لأخذ المال.

(٤) يراوغونا: المرواغة المصارعة وأن يطلب بعض القوم بعضاً.

ثم تَدَبَّ لهم عبيدُ الله بن زيادِ النَّاسَ فاخْتارَ عَبَّادَ بنَ أَخْضَرَ (وليس بابن أخضر هو عبادُ بن عَلْقَمَةَ المازنيُّ). وكان أَخْضَرُ زَوْجَ أُمِّهِ فَغَلَبَ عليه فوجهه في أربعة آلاف، فَهَذَ لهم. ويزعم أهل العلم أن القوم قد كانوا تَنَحَّوْا عن دَارِ بَجْرَدٍ من أرض فارس فصار إليهم عباد. وكان التقاؤهم في يوم الجمعة فناده أبو بلال: اخرج إليَّ يا عبادُ فإنِّي أريد أن أحاوركَ، فخرج إليه فقال: ما الذي تبغي؟ قال: آخذ بأقفاكم^(١) فأرَدْتُكُمْ إلى الأمير عبيدِ الله بن زيادٍ. قال: أو غير ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أن ترجع فإننا لا نُخِيفُ سَبِيلاً ولا نَدْعُرُ مسلماً ولا نحاربُ إلا مَنْ حاربنا ولا نَجْبي إلا ما حَمَيْنَا. فقال له عَبَّادُ: الأمر ما قلتُ لك. فقال له حُرَيْثُ بن حَجَلٍ: أتحاول أن تَرُدَّ فِئْتَهُ من المسلمين إلى جِيَارِ عَنِيْدٍ! قال لهم: أنتم أولى بالضلال منه وما من ذاك بُدٌّ. وقدم القَعْقَاعُ بن عَطِيَّةَ الباهليُّ من خُراسان يريد الحج، فلما رأى الجَمْعَيْنِ قال: ما هذا قالوا: الشُّرَاةُ فَحَمَلَ عليهم. وَنَشِبَتِ الحربُ فَأَخَذَ القَعْقَاعُ أسيراً فَأَتَيْتُ به أبو بلال، فقال: ما أنت؟ قال لستُ من أعدائك وإنما قدمت للحج فَجَهِلْتُ وَغَرِزْتُ، فأطلقه. فرجع إلى عباد فأصلح من شأنه ثم حمل عليهم ثانية وهو يقول:

أَقَاتِلُهُمْ وَلَيْسَ عَلَيَّ بَعْثٌ نَشِيطاً لَيْسَ هَذَا بِالنَّشِيطِ
أَكُرُّ عَلَى الْحُرُورِيِّينَ مَهْرِي لِأَحْمِلَهُمْ عَلَى وَضَحِ الصِّرَاطِ

فحمل عليه حريث بن حجل السدوسيُّ وَكَهْمَسُ بن طَلْقِ الصريميُّ، فَأَسْرَاهُ فقتلاه، ولم يأتيا به أباً بلال. فلم يزل القوم يجتلدون^(٢) حتى جاء وقت الصلاة صلاة يوم الجمعة، فناداهم أبو بلال: يا قومُ هذا وقتُ الصلاة فوادِعونا^(٣) حتى نُصَلِّيَ وَتُصَلُّوا! قالوا: لك داك. فرمى القومُ أَجْمَعُونَ أسلحتهم وَغَمَدُوا الصلاة، فأسرع عباد ومن معه والحروريةُ مبطنون^(٤) فهم من بين راعٍ وقائم

(١) الاقفاء: جمع قفاء وهو ما وراء العنق.

(٢) يجتلدون: أي يضرب بعضهم بعضاً بالسيوف.

(٣) فوادِعونا: من المواعدة وهي المتاركة بأن يدع كل منهما ما هو فيه.

(٤) مبطنون: من الإبطاء: أي أن من عادتهم أنهم لا يسرعون في أداء العبادة.

وساجد في الصلاة وقاعد، حتى مال عليهم عَبَادٌ ومن معه فقتلوه جميعاً. وأُتِيَ برأس أبي بلال، وتَرَوِي الشُّرَاةُ أَنَّ مِرْدَاساً أبا بلال لما عَقَدَ على أصحابه وعَزَمَ على الخروج رفع يديه وقال: اللهم إن كان ما نحن فيه حقاً فأرنا آيةً، فَرَجَفَ البيتُ، وقال آخرون فارتفع السقف. وروى أهل العلم أن رجلاً من الخوارج ذكر ذلك لأبي العالية الرياحي يُعْجِبُهُ من الآية^(١). ويرغبه في مذهب القوم، فقال أبو العالية كاذب الخُسْفُ يَنْزِلُ بهم ثم أدركتهم نِظْرَةُ اللَّهِ^(٢). فلما فرغ من أولئك الجماعة أقبل بهم فَصَلَبَتْ رؤوسهم، وفيهم داود بن شَبَثٍ، وكان ناسكاً، وفيهم حبيبة النَصْرِيُّ من قَيْسٍ، وكان مجتهداً.

عمران بن حطان يرثي مرداساً

فيروى عن عُمَرَانَ بْنِ حَطَّانٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي حَبِيبَةٌ، لَمَّا عَزَمْتَ عَلَى الْخُرُوجِ فَكَّرْتُ فِي بِنَاتِي فَقُلْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، لَأَمْسِكََنَّ عَنْ تَفَقُّدِهِنَّ حَتَّى أَنْظُرَ، فَلَمَّا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ اسْتَسْقَيْتُ بَنِيَّ لِي فَقَالَتْ: يَا أَبْتَ اسْقِنِي، فَلَمْ أُجِبْهَا فَأَعَادَتْ فَقَامَتْ أُخِيَّةٌ لَهَا أَسْرُ مِنْهَا فَسَقَتْهَا. فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَيْرُ مُضَيِّعِهِنَّ فَأَتَمَمْتُ عَزْمِي. وَكَانَ فِي الْقَوْمِ كَهَمَسٌ، وَكَانَ مِنْ أَبَرِّ النَّاسِ بِأَمِهِ، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّةٌ لَوْلَا مَكَانُكَ لَخَرَجْتُ. فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ قَدْ وَهَبْتُكَ لِلَّهِ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَيْسَى بْنُ فَاتِكٍ الْحَبِطِيُّ:

أَلَا فِي اللَّهِ ^(٣) لَا فِي النَّاسِ شَالَتْ	بِداود وإخوته الجذوعُ
مَضَوْا قَتْلًا وَتَمْزِيقًا وَصَلْبًا	تَحُومٌ عَلَيْهِمْ طَيْرٌ وَقُوعٌ
إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابِدُوهُ ^(٤)	فِيُسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعٌ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا	وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ

(١) يعجبه من الآية أي يجعله يتعجب فيها.

(٢) النظرة: بكسر الظاء المعجمة طلب الانتظار التأخير في الأمر.

(٣) الا في الله البيت: يمدحهم بأنهم أودوا في الله وتمسكوا بدينهم أشد تمسك.

(٤) كابدوه: أي قاسوا فيه شدة بالإكثار من صلاتهم وعبادتهم.

وقال عمران بن حطان:

يا عَيْنُ بَكِي لِمِرْدَاسٍ وَمُضَرَعِهِ	يا رَبِّ مِرْدَاسٍ اجْعَلْنِي كِمِرْدَاسٍ
تَرَكْتَنِي هَائِماً أَبْكِي لِمِرْزَتِي	في مَنْزِلٍ مُوَجِّشٍ مِنْ بَعْدِ إِيْناسٍ
أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ	ما النَّاسُ بَعْدَكَ يا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ
إِمْأَ شَرِبْتُ بِكَاسٍ دَارَ أَوْلَئِهَا	على الْقُرُونِ فذاقُوا جُرْعَةَ الْكَاسِ
فَكُلْ مَنْ لَمْ يَذُقْهَا شاربٌ عَجَلًا	منها بِأَنْفَاسٍ وَرَدٍ بَعْدَ أَنْفَاسِ

مقتل عباد بن أخضر المازني

ثم أن عباداً بن أخضر المازني، لبثَ دهرًا في المصر محموداً موصوفاً بما كان منه، فلم يزل على ذلك حتى ائتمر به جماعة، وقد أقبل على بغلة له وابنه رديفه. فقام إليه رجل منهم فقال: أسألك عن مسألة قال: قل، قال: أرأيت رجلاً قتل رجلاً بغير حق، وللقاتل جأه وقدرٌ وناحية من السلطان، الولي ذلك المقتول أن يفتك به إن قدر عليه؟ قال: بل يرفعه إلى السلطان، قال: إن السلطان لا يُعدي عليه لمكانه وعظيم جأه عنده. قال: أخاف عليه أن فتك به فتك به السلطان. قال: دَع ما تخافه من ناحية السلطان، أتَلَحُّقُه تَبْعَةً فيما بينه وبين الله؟ قال: لا، قال: فَحَكِّمْهُ هو وأصحابه وَخَبَطُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ. وَرَمَى عِبَادُ ابْنَهُ فَتَنَجَا، وَتَنَادَى النَّاسُ قُتِلَ عِبَادُ. فَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَأَخَذُوا أَفْوَاهَ الطُّرُقِ، وَكَانَ مَقْتُلُ عِبَادٍ فِي سَكَّةِ بَنِي مَازِنٍ عِنْدَ مَسْجِدِ بَنِي كُليبٍ فَجَاءَ مَعْبُدُ بْنُ أَخْضَرَ أَخُو عِبَادٍ - وَهُوَ مَعْبُدُ بْنُ عِلْقَمَةَ وَأَخْضَرُ زَوْجُ أُمِّهِمَا - فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي مَازِنٍ، فَصَاحُوا بِالنَّاسِ: دَعُونَا وَثَارْنَا. فَأَحْجَمَ النَّاسُ وَتَقَدَّمَ الْمَازِنِيُّونَ فَحَارَبُوا الْخَوَارِجَ حَتَّى قَتَلُوهُمْ جَمِيعاً لَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا عَبِيدَةُ بْنُ هَلَالٍ فَإِنَّهُ خَرَقَ خُصْاً وَنَفَذَ مِنْهُ: ففِي ذَلِكَ يَقُولُ الْفَرَزْدَقُ:

لَقَدْ أَدْرَكَ الْأَوْتَارَ غَيْرَ دَمِيمَةٍ إِذَا دُمَّ طُلَّابُ الْبِرَاتِ الْأَخْضَرِ^(١)

(١) الأخضر: جمع أخضر، الخالص النسب من العرب.

هُمْ جَرَّدُوا الْأَسْيَافَ يَوْمَ ابْنِ أَخْضَرٍ فَنَالُوا الَّتِي مَا فَوْقَهَا نَالُ ثَائِرٍ
 أَقَادُوا بِهِ أَسْدًا لَهَا فِي اقْتِحَامِهَا إِذَا بَرَزَتْ نَحْوَ الْحُرُوبِ بَصَائِرِ
 ثُمَّ ذَكَرَ بَنِي كَلِيبَ لِأَنَّهُ قُتِلَ بِحَضْرَةِ مَسْجِدِهِمْ وَلَمْ يَنْصُرُوهُ، فَقَالَ فِي
 كَلِمَتِهِ هَذِهِ:

كَفَعْلٍ كَلِيبٍ إِذْ أَخَلَّتْ بِجَارِهَا وَنَصْرُ اللَّئِيمِ مُعْتَمٍ^(١) وَهُوَ حَاضِرُ
 وَمَا لِكَلِيبٍ حِينَ تُذَكَّرُ أَوَّلُ وَمَا لِكَلِيبٍ حِينَ تُذَكَّرُ آخِرُ
 وَقَالَ مَعْبُدُ بْنُ أَخْضَرٍ:

سَأُحْمِي دِمَاءَ الْأَخْضَرِيِّينَ أَنَّهُ أَتَى النَّاسُ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا ابْنُ أَخْضَرَا
 وَكَانَ مَقْتُلَ عِبَادِ وَعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِالْكُوفَةِ، وَخَلِيفَتُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ عُبَيْدُ
 اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ أَنْ لَا يَدْعَ أَحَدًا يُعْرِفُ بِهَذَا الرَّأْيِ إِلَّا
 حَبْسَهُ، وَجَدَّ فِي طَلَبِهِ مِمَّنْ تَغَيَّبَ مِنْهُمْ. فَجَعَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ يَتَّبِعُهُمْ
 فَيَأْخُذُهُمْ، فَإِذَا شُفِعَ إِلَيْهِ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ كَفَّلَهُ إِلَى أَنْ يَقْدَمَ ابْنُ زِيَادٍ حَتَّى أُوتِيَ
 بِعُرْوَةَ بْنِ أَدِيَّةٍ فَأَطْلَقَهُ وَقَالَ: أَنَا كَفَيْلُكَ. فَلَمَّا قَدِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ أَخَذَ مَنْ
 فِي السِّجْنِ مِنْهُمْ فَقَتَلَهُمْ جَمِيعًا، وَطَلَبَ الْكُفَلَاءَ بِمَنْ كَفَلُوا بِهِ مِنْهُمْ فَكُلُّ مَنْ
 جَاءَهُ بِصَاحِبِهِ أَطْلَقَهُ وَقَتَلَ الْخَارِجِيَّ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِمَنْ كَفَلَ بِهِ مِنْهُمْ قَتَلَهُ. ثُمَّ
 قَالَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ: هَاتِ عُرْوَةَ بْنَ أَدِيَّةٍ، قَالَ: لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ. قَالَ: إِذَا
 وَاللَّهِ أَقْتَلْتُكَ فَإِنَّكَ كَفَيْلُهُ. فَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُهُ حَتَّى دُلَّ عَلَيْهِ فِي سَرَبِ الْعَلَاءِ بْنِ
 سُوَيْتَةَ الْمُنْقَرِي. فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْكَاتِبُ أَنَا
 أَصْبَنَاهُ فِي شَرَبٍ فَتَهَانَفَ^(٢) بِهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَحَاوِرَةِ عَاشِقًا
 لِلْكَلامِ الْجَيِّدِ مُسْتَحْسِنًا لِلصَّوَابِ مِنْهُ لَا يَزَالُ يَبْحَثُ عَنْ عُذْرِهِ، فَإِذَا سَمِعَ
 الْكَلِمَةَ الْجَيِّدَةَ عَرَّجَ عَلَيْهَا. وَيُرْوَى أَنَّهُ قَالَ فِي عَقَبِ مَقْتُلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ

(١) معتم: أي بطيء متأخر يصف بني كليب بالدناءة وعدم الوفاء.

(٢) تهانف: أي ضحك مستهزئاً.

لميه السلام لزينب بنت علي رحمها الله تعالى ، وكانت أَسَنَ مَنْ حُمِلَ إِلَيْهِ
 نهن ، وقد كلمته فأفصحت وأبلغت وأخذت من الحجة حاجتها ، فقال لها :
 ن تكوني بلغت من الحجة حاجتك ، فقد كان أبوك خطيباً شاعراً . قالت : ما
 لمناء والشعر . وكان مع هذا أَلَكَنَ يَرْتَضِخُ لغة فارسية ، وقال لرجل مرة واتهمه
 برأي الخوارج أهروري منذ اليوم . رجع الحديث . فقالت للكاتب :
 صَحَّفَتْ^(١) والله ولَوُثَّتْ^(٢) إنما هوفي سَرَبِ العلاء بن سُويَّة ، ولوِدِدْتُ^(٣) أنه
 كان ممن يشرب النبيذ . فلما أقيم عُرْوَةُ بن أَدِيَّةَ بين يديه حاوره ، وقد اختلف
 الناس في خبره ، وأصححه عندنا أنه قال له : جَهَّزْتُ أَخَاكَ عَلِيَّ؟ فقال : والله
 لقد كنتُ به ضنيناً ، وكان لي عِزّاً ، ولقد أردتُ له ما أريده لنفسي ، فعزم
 عزماً ، فمضى عليه وما أحبُّ لنفسِي إلا المُقَامَ وترك الخروج . قال له : أفأنت
 على رأيهِ؟ قال : كلُّنا نعبُدُ رَبّاً واحداً ، قال : أما لأمثلنَّ بك ، قال : اختر
 لنفسك من القصاص ما شئت . فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ، ثم قال : كيف
 ترى؟ قال : أفسدت عليّ دُنْيَايَ وأفسدتُ عليك آخِرَتَكَ . ثم أمر به فُقُتِلَ ثم
 صُلِبَ على باب داره ، ثم دعا مولاه فسأله عنه فأجابه جواباً مضى ذكره . قوله :
 فتهانف حقيقته ، تضاحك به ضحك هُزْءٍ ، وقال ابن أبي ربيعة المخزومي :

ولقد قالت لجارات لها	وتعرت ذات يوم تبترد
أكما ينعتني تبصرنني	عمركن ^(٤) أم لا يقتصد
فتهانفن وقد قلن لها	حسن في كل عين من تود
حسد حملنه من أجلها	وقديماً كان في الناس الحسد

وكان عبيد الله لا يُلَبِّثُ الخوارج^(٥) يحبسهم تارة ويقتلهم تارة ، وأكثر ذلك

(١) صحفت أي أخطأت في قراءة الكلمة .

(٢) لوثت : أي أردت بذلك سوا .

(٣) لوددت : يريد ليته لم يكن خارجياً وكان ممن يشرب الخمر .

(٤) عمركن الله : أسأل الله أن يطيل عمركن والعمر بالفتح العمر بالضم ولا يقال في القسم إلا بالفتح .

(٥) لا يلبث الخوارج : لا يدعمهم يلبثون يوماً من غير أن ينكل بهم .

يقتلهم ولا يتغافل عن أحد منهم . وسبب ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زياد لما وُلِّي بعده، فخرجوا عليه .

سياسة زياد مع الخوارج

فأما زياد فكان يقتل المُعَلَّنَ ويستصلح المُسِيرَ ولا يُجَرِّدُ السيفَ حتى تزولَ التهمة . ووجه يوماً بُحَيْنَةَ بن كُبَيْشٍ الأعرجيَّ إلى رجل من بني سعد يرى رأي الخوارج ، فجاءه بُحَيْنَةُ فأخذه فقال : إني أريد أن أُحْدِثَ وُضُوءاً للصلاة ، فَدَعْنِي أَدْخُلَ إلى منزلي ، قال : وَمَنْ لي بخروجك؟ قال : اللَّهُ عز وجل : ﴿ فَتَرَكْهُ فَدْخَلَ فَأَحْدَثَ وَضُوءاً ﴾^(١) ثم خرج فأتى به بِحَيْنَةَ زياداً ، فلما مَثَلَ بين يديه ذكر الله زياد ثم صلى على نبيه ، ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير ، ثم قال : قعدت عني فأنكرت ذلك ، فذكر الرجل ربه فَحَمِدَهُ وَوَحَّدَهُ ، ثم ذَكَرَ النبيَّ عليه السلام ثم ذَكَرَ أبا بكر وعمر بخير ، ولم يذكر عثمان ، ثم أقبل على زياد فقال : إنك قد قلت قولاً فَصَدَّقَهُ بِفَعْلِكَ . وكان من قولك وَمَنْ قَعَدَ عَنَّا لَمْ نَهْجُهُ ، فَقَعَدْتُ ، فَأَمَرَ لَه بِصَلَةٍ وَكِسْوَةٍ وَحُمْلَانٍ^(٢) . فخرج الرجل من عند زياد ، وتلقاه الناس يسألونه فقال : ما كلكم أستطيع أن أخبره ولكني دخلت على رجل لا يملك ضراً ولا نفعاً لنفسه ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فرزق الله منه ما تَرَوْنَ . وكان زياد يبعث إلى الجماعة منهم فيقول : ما أَحْسِبُ الذي يمنعكم من إتياني إلا الرجل^(٣) ، فيقولون أَجَلٌ ، فيحملهم ويقول : اغشوني الآن واشمروا عندي ، فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال : قاتل الله زياداً ، جَمَعَ لهم كما تَجْمَعُ الذَّرَّةُ ، وحاطهم كما تحوط الأمُّ البَرَّةُ ، وأصلح العراق بأهل العراق ، وترك أهل الشام في شأهم ، وجبى العراق مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف . قال أبو العباس : وبلغ زياداً عن رجل يُكْنَى أبا الخير من أهل البأس والتجدة أنه يرى رأي الخوارج ، فدعاه فؤلاه جُنْدِي سَابُورَ^(٤) وما يليها

(١) سورة الشعراء : الآية ١٧١ .

(٢) حملان : جمع حمل بالتحريك وهو الجذع من أولاد الضأن .

(٣) الرجل : السير على الأرجل لتعذر حمله الدابة .

(٤) جندي سابور : مدينة في بلاد فارس .

ورزقه أربعة آلاف درهم في كل شهر وجعل عُمالته في كل سنة مائة ألف، فكان أبو الخير يقول: ما رأيت شيئاً خيراً من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة فلم يزل والياً حتى أنكر منه زيادُ شيئاً فتَنَمَّرَ لزياد فحبسه. فلم يخرج من حبسه حتى مات. وقال الرُّهَيْنُ وكان رجلاً من مرادٍ وكان لا يرى القعود عن الحرب، وكان في الدهاء والمعرفة والشعر والفقه - يقول الخوارج - بمنزلة عِمْران بن حِطَّان، وكان عمرانُ بن حِطَّان في وقته شاعراً قَعَدَ الصُّفْرِيَّةَ ورئيسهم ومفتيهم. وللرُّهَيْنِ المُرَادِي ولعمران بن حِطَّان مسائل كثيرة من أبواب العلم في القرآن والآثار، وفي السير والسنن، وفي الغريب والشعر نذكر منها طريفها إن شاء الله، قال المرادي:

يا نَفْسُ قد طال في الدنيا مُراوِغتي لا تَأْمَنَنَّ لصرفِ الدَّهْرِ تَنْغِيصا
إني لِبائِعُ^(١) ما يَفْنَى لِباقيةِ إن لم يَعْقِنِي رجاءُ العيشِ تَرْبِيها
وَأَسْأَلُ اللَّهَ بَيْعَ النفسِ محتسِباً حتى أَلْأَقِي في الفِرْدَوْسِ حُرْقوصا

(قال الأخفش حرقوص ذو الثدية):

وَأَسْأَلُ اللَّهَ بَيْعَ النفسِ محسِباً حتى أَلْأَقِي في الفِرْدَوْسِ حُرْقوصا
وابن المنيح ومرداساً وإخوته إذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصاً^(٢)

قال أبو العباس: وهذه كلمة له، وله أشعار كثيرة في مذاهبهم. وكان زياد ولي شيبان بن عبد الله الأشعري صاحب مقبرة بني شيبان باب عثمان وما يليه. فجَدَّ في طلب الخوارج، وأخافهم وكانوا كثروا، فلم يزل كذلك حتى أتاه ليلة وهو متكئ بباب داره رجلان من الخوارج فضرباه بأسيا فهما فقتلاه. وخرج بنون له للإغاثة، فقتلوا ثم قتلها الناس. فَأَتَى زيادُ بعد ذلك برجل من الخوارج فقال: اقتلوه متكئاً كما قُتِلَ شيبانُ متكئاً فصاح الخارججي! يا عدوَّاه، يَهْزَأُ به. فأما قول جرير:

(١) أني لبائع ما يغني لباقية: يذكر أنه اشترى الآخرة بالدينار.

(٢) مخاميصاً: أي ضامري البطون كناية عن الزهد في الدنيا وقلة ما يملكون منها رغبة عنها.

ومنا فتى الفتيان والباس معقل ومنا الذي لاقى بدجلة معقلا

فإنه أراد معقل بن قيس الرياحي، ورياح ابن يربوع وجريز من كليب بن يربوع. وقوله: ومنا الذي لاقى بدجلة معقلا، يريد المستورد التيمي وهو من تميم بن عبد مناة بن أد وتميم ابن مربي بن أد. وأما قول ابن الرقيات:

والذي نغص ابن دومة ماتو حي الشياطين والسيوف ظماء
فأباح العراق يضربهم بالسيف ف صلتا وفي الضراب غلاء

فإنما يريد بابن دومة المختار بن أبي عبيد الثقفي، والذي نغصه مضعّب بن الزبير. وكان المختار لا يوقف له على مذهب: كان خارجياً ثم صار زبيرياً ثم صار رافضياً في ظاهره. وقوله: ما توحى الشياطين، فإن المختار كان يدعي أنه يلهم ضرباً من السجاعة^(١) لأمور تكون ثم يحتال فيوقعها فيقول للناس: هذا من عند الله عز وجل، فمن ذلك قوله ذات يوم لتسزلن من السماء ناراً دهماً فلتحرقن دار أسماء فذكر ذلك لأسماء بن خزيمة فقال: أقدم سجع بي أبو أسحاق! هو والله محرق داري. فتركه والدار وهرب من الكوفة. وقال في بعض سجعه: أما والذي شرع الأديان وجنب الأوثان وكرة العصيان، لأقتلن أزد عمان وجل قيس عيلان وتميم أولياء الشيطان، حاشاً النجيب ظبيان، فكان ظبيان النجيب يقول: لم أزل في عمر المختار أقلب آمنا.

المختار بن أبي عبيد الثقفي ودعوته

ويروى أن المختار ابن أبي عبيد حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة، اتهمه ابن الزبير فولّى أبي عبيد حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة، اتهمه ابن الزبير فولّى رجلاً من قريش الكوفة. فلما أطل، قال لجماعة من أهلها: اخرجوا إلى هذا المغرور فردوه. فخرجوا إليه، فقالوا: أين تريد! والله لئن دخلت الكوفة ليقتلنك المختار. فرجع، وكتب المختار إلى ابن الزبير: إن

(١) السجاعة من السجع وهو كلام على روي واحد.

صاحبك جاءنا فلما قاربنا رجع فما أدري ما الذي رَدَّه، فغضب ابن الزبير على القرشي وعَجَّزَه ورده إلى الكوفة، فلما شارفها قال المختار: أخرجوا إلى هذا المغرور فردوه. فخرجوا إليه، فقالوا: إنه والله قاتلك، فرجع. وكتب المختار إلى ابن الزبير بمثل كتابه الأول، فلام القرشي، فلما كان في الثالثة فِطَنَ بنُ الزبير. وعلم بذلك المختار، وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفية مع خمسة عشر رجلاً من بني هاشم فقال: لتبايعنَّ أو لأحرقنكم. فأبوا بيعته وكان السجن الذي حبسهم فيه يُدعى سجنَ عارم. ففي ذلك يقول كثيرٌ.

تُخَبِّرُ^(١) مَنْ لاقيتَ أنك عائدٌ بل العائدُ المظلومُ في سجنِ عارم
وَمَنْ يَلْقَ هذا الشيخَ بالخيفِ^(٢) مني من الناس يعلم أنه غيرُ ظالم
سَمِيَّ النبيِّ المصطفى وابنِ عمه وفكَّاك أغلالٍ وقاضي مغارم

وكان عبدُ الله بن الزبير يدعى العائدُ لأنه عاذ بالبيت. ففي ذلك يقول ابن الرُّقَيَّات يذكر مُضْعَباً:

بلدٌ تَأْمَنُ الحمامةُ فيه حيث عاذ الخليفةُ المظلومُ
وكان عبدُ الله يدعى المُجَلُّ لاحلاله القتال في الحرم. وفي ذلك يقول رجل في رَمْلَةِ بَنِي الزُّبَيْرِ:

ألا مَنْ لِقَلْبٍ مُعَنَّى غَزِلَ بذكر المُجِلَّةِ أختِ المَجَلِّ
وكان عبدُ الله بن الزبير يُظْهِرُ البغضَ لابن الحنفية إلى بغض^(٣) أهله. وكان يحسده على أيده^(٤). ويقال أن علياً استطال درعاً فقال: لِيُنْقَضَ منها كذا وكذا

(١) تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ: يخاطب عبد الله بن الزبير يقول تسمي نفسك بالعائد ولست به إنما العائد

محمد بن الحنفية الذي سجنته وأرهقته.

(٢) الخيف: غرة بيضاء في جبل أسود.

(٣) إلى بغض أهله: أي مضموماً بغضه إلى بغض أهله.

(٤) أيده: قوته.

حَلَقَةً، فقبض محمد بن الحنفية بإحدى يديه على ذيلها وبالأخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حذّه أبوه، فكان ابن الزبير إذا حَدَّثَ بهذا الحديث غضب واعتراه له أَفْكُلُ^(١). فلما رأى المختار بن الزبير قد فطن لما أراد كتب إليه: من المختار بن أبي عبيد الثقفي خليفة الوصي محمد بن علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أسماء ثم ملأ الكتاب بسبّه وسب أبيه. وكان قبل ذلك في وقت إظهاره طاعة ابن الزبير يَدُسُّ إلى الشيعة ويُعَلِّمُهُمُ مَوَالَاتِهِ إِيَّاهُمْ، ويخبرهم أنه على رأيهم ومحمد مذهبهم، وأنه سيُظهر ذلك عما قليل. ثم وَجَّه جماعةً تسير الليل وتَكْمُنُ النهارَ حتى كسروا سجن عارم، واستخرجوا منه بني هاشم ثم ساروا بهم إلى مأمَنهم. وكان من عجائب المختار أنه كتب إلى إبراهيم بن مالك الأَشْترِ يسأله الخروجَ إلى الطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما، فأبى عليه إبراهيم إلا أن يستأذن محمد بن علي بن أبي طالب، فكتب إليه يستأذنه، فعلم محمد أن المختار لا عقد له. فكتب محمد إلى إبراهيم بن الأشتر أنه ما يسوءني أن يأخذ الله بحقنا على يَدَيَّ مَنْ يَشَاءُ من خلقه. فخرج معه إبراهيم بن الأشتر فتوجه نحو عبيد الله بن زياد وخرج يُشيعه ماشياً، فقال له إبراهيم: إركب يا أبا إسحق. فقال: إني أحب أن تغبرَّ قدمائي في نصرة آل محمد ﷺ فشيعة فرسخين ودفع إلى قوم من خاصته حماماً بيضاً ضخماً وقال: إن رأيتم الأمر لنا فدعوها وإن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها. وقال للناس: إن استقمتم فبنصر الله وإن حَضُمْتُمْ^(٢) حَيْصُهُ فإني أجد في محكم الكتاب وفي اليقين والصواب إن الله مؤيدكم بملائكة غَضَابٍ تأتي في صُورِ الحمامِ دُونَ السحاب. فلما صار ابن الأشتر بخازرونها عبيد الله بن زياد، قال: مَنْ صاحبُ الجيش؟ قيل له: ابن الأشتر. قال: أليس الغلام الذي كان يُطِيرُ الحمامَ بالكوفة؟ قالوا: بلى. قال: ليس بشيء. وعلى مَيْمَنَةِ ابن زياد حُضَيْنُ بن نُمَيْرٍ السَّكُونِيُّ من كِنْدَةَ. ويقال السكوني

(١) الافكل: الرعدة.

(٢) حصم حَيْصُهُ: جلتهم جولة تطلبون الفرار والهروب.

والسُّكُونِيَّ والسُّدُوسِيَّ والسُّدُوسِيَّ، كذا كان أبو عبيدة يقول: (قال أبو الحسن السُّكُونِيَّ أَكْثَرُ) وعلى ميسرته عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ فَارِسُ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ حُصَيْنُ بْنُ نَمِيرٍ لَابْنِ زِيَادٍ: أَنْ عَمِيرَ بْنَ الْحُبَابِ غَيْرُ نَاسٍ قَتَلَى الْمَرْجَ وَأَنْي لَا أَتَقُ لَكَ بِهِ، قَالَ ابْنُ زِيَادٍ: أَنْتَ لِي عَدُوٌّ. قَالَ حُصَيْنٌ: سَتَعْلَمُ. قَالَ ابْنُ الْحُبَابِ: فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي نَرِيدُ أَنْ نَوَاقِعَ ابْنَ الْأَشْثَرِ فِي صَبِيحَتِهَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ وَكَانَ لِي صَدِيقًا وَمَعِيَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي، فَصَرْتُ إِلَى عَسْكَرِهِ فَرَأَيْتُهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ هَرَوِيٌّ وَمُلَاءَةٌ وَهُوَ مُتَشَحُّ السِّيفِ^(١) يَجُوسُ^(٢) عَسْكَرَهُ فَيَأْمُرُ فِيهِ وَيَنْهَى فَالْتَزَمْتُهُ مِنْ رَوَائِهِ فَوَاللَّهِ مَا التَقَتِ إِلَيَّ وَلَكِنْ قَالَ: مَنْ هَذَا فَقُلْتُ: عَمِيرُ بْنُ الْحُبَابِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِأَبِي الْمُغَلَّسِ كُنْ بِهَذَا الْمَوْضِعِ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ. فَقُلْتُ لَصَاحِبِي أَرَأَيْتَ أَشْجَعُ مِنْ هَذَا قَطُّ، يَحْتَضِنُهُ رَجُلٌ مِنْ عَسْكَرِ عَدُوِّهِ وَلَا يَدْرِي مَنْ هُوَ فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ! ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ وَهُوَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ فَقَالَ: مَا الْخَبْرُ؟ فَقُلْتُ: الْقَوْمُ كَثِيرٌ وَالرَّأْيُ أَنْ تُنَاجِزَهُمْ^(٣) فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ بِهَذِهِ الْعَصَابَةِ الْقَلِيلَةِ عَلَى مُطَاوَلَةِ هَذَا الْجَمْعِ الْكَثِيرِ، فَقَالَ: نُصْبِحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَحَاكُمُهُمْ إِلَى طُبَاتِ السِّيفِ، وَأَطْرَافِ الْقَنَا. فَقُلْتُ: أَنَا مُنْخَزِلُ عَنْكَ ثَلَاثَ النَّاسِ غَدًا. فَلَمَّا التَقُوا كَانَتْ عَلَى أَصْحَابِ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَرْسَلَ أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ الطَّيْرَ فَتَصَايَحُ النَّاسَ الْمَلَائِكَةُ، فَتَرَاوَعُوا وَنَكَّسَ عَمِيرُ بْنُ الْحُبَابِ رَأْيَتَهُ وَنَادَى يَا لَثَارَاتِ! الْمَرْجُ وَانْخَزِلْ بِالْمَسِيرَةِ كُلِّهَا وَفِيهَا قَيْسٌ فَلَمْ يَعْصُوهُ. وَاقْتَتَلَ النَّاسُ حَتَّى اخْتَلَطَ الظَّلَامُ وَأَسْرَعَ الْقَتْلُ فِي أَصْحَابِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، ثُمَّ انْكَشَفُوا وَوُضِعَ السِّيفُ فِيهِمْ حَتَّى أَفْنُوا. فَقَالَ ابْنُ الْأَشْثَرِ لَقَدْ ضَرَبْتُ رَجُلًا عَلَى شَاطِئِ هَذَا النَّهْرِ فَرَجَعَ إِلَيَّ سِيفِي وَمِنْهُ رَائِحَةُ الْمَسْكِ وَرَأَيْتُ إِقْدَامًا وَجُرْأَةً فَصَرَعْتُهُ فَذَهَبَتْ يَدَاهُ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَرَجَلَاهُ قَبْلَ الْمَغْرِبِ. فَأَنْظَرُوهُ فَأَتَوْهُ بِالنِّيرَانِ. فَإِذَا هُوَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَ الْمُخْتَارِ كُرْسِيٌّ قَدِيمٌ الْعَهْدِ

(١) منشح السيف أي جعله عليه كالوشاح.

(٢) يجوس عسكره: يتنقل بين صفوفه ذهاباً ورجوعاً.

(٣) تناجزهم: أي تقاتلهم.

فَغَشَاهُ بِالْذِيْبَاجِ وَقَالَ: هَذَا الْكَرْسِيُّ مِنْ ذَخَائِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَضَعُوهُ فِي بَرَكَاءٍ^(١) الْحَرْبِ وَقَاتِلُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ مَحَلَّهُ فِيكُمْ مَحَلُّ السَّكِينَةِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَيُقَالُ إِنَّهُ اشْتَرَى الْكَرْسِيَّ بِدَرَاهِمِينَ مِنْ نَجَارٍ. وَقَوْلُهُ فِي بَرَكَاءِ الْقِتَالِ يُقَالُ: بَرَكَاءٌ وَبَرُوكَاءٌ وَهُوَ مَوْضِعُ اصْطِدْأَمِ الْقَوْمِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَيْسَ بِمُنْقِذٍ لَكَ مِنْهُ إِلَّا بَرَكَاءُ الْقِتَالِ أَوْ الْفِرَارُ



(١) البراكاء: أن يحشوا المقاتلة على الركب فيقتلوا وأراد الموضع الذي يكون فيه هذا الفعل.

إستعمال اللام في الاستغاثة والاضافة

٥٠ (هذا باب اللام التي للاستغاثة والتي للإضافة)

إذا استغثت بواحد أو بجماعة فاللام مفتوحة تقول: يا للرجال ويا للقوم ويا لزيد إذا كنت تدعوهم، وإنما فتحتها لتفصل بين المدعو والمدعوله. ووجب أن تفتحها لأن أصل اللام الخافضة، إنما كان الفتح فكسرت مع المظهر ليُفصل بينها وبين لام التوكيد. تقول: إن هذا الزيد إذا أردت أن هذا زيد. وتقول: إن هذا لزيد إذا أردت أنه في ملكه، ولو فتحت لالتبسنا. فإن وقعت اللام على مضمّر فتحتها على أصلها فقلت: إن هذا لك وإن هذا لأنّ إذا أردت لام التوكيد لأنه ليس ههنا لبس، وذلك أن الاسماء المضمرة على غير لفظ المظهرة فلهذا أجريتها على الأصل والاستغاثة تردّها إلى أصلها من أجل اللبس. والمدعوه في بابه، فاللام معه مكسورة تقول: يا للرجال للماء، ويا للرجال للعجب، ويا لزيد للخطب الجليل. قال الشاعر:

يا للرجال ليوم الأربعاء أما ينفك يبعث لي بعد النهي طربا

وقال آخر:

تكنفني الوشاة فأزعجونني فيا للناس للواشي المطاع

وفي الحديث: لما طعن العليّ أو العبد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، صاح: يا لله يا للمسلمين، وتقول يا للعجب، إذا كنت تدعو إليه ويا لغير العجب كأنك قلت: يا للناس للعجب. ويُشَدُّ هذا البيت:

يا لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سماعان من جار

فيا لغير اللعنة^(١) كأنه قال: يا قوم لعنة الله والأقوام كلهم. وزعم سيبويه أن هذه اللام التي للإستغاثَة دليلٌ بمنزلة الألف التي تُبَيَّنُ بالهاء في الوقف. إذا أردت أن تُسمعَ بعيداً، فإنما هي للإستغاثَة بمنزلة هذه اللام وذلك قولك يا قوماء على غير النُدْبَةِ، ولكن للإستغاثَة ومدُّ الصوت. والقول كما قال: محلُّهما عند العرب محلٌّ واحد، فإن وصلتَ حذفْتَ الهاء لأنها زِيدت في الوقف لخفاء الألف، كما تُراد لبيان الحركة. فإذا وصلتَ أغْنَى ما بعدها عنها، تقول: يا قوماً تعالوا ويا زيداً ألا تفعل. ولا يجوز أن تقول: يا لزيد وهو مقبلٌ عليك. وكذلك لا يجوز أن تقول: يا زيداؤه وهو معك، إنما يقال ذلك للبعيد أو يُنبه به النائم. فأن قلت: يا لزيد ولعمرو، كسرت اللام في عمرو وهو مدعوٌ لأنك إنما فتحت اللام في زيد لتفصل بين المدعو والمدعو إليه. فلما عطفت عليه شيئاً صار في مثل حاله، ونظير ذلك الحكاية. يقول الرجل: رأيتُ زيداً فتقول: مَنْ زيداؤه؟ وإنما حكيتَ قوله ليعلم أنك إنما تستفهمه عن الذي ذكر بعينه ولا تسأله عن زيد غيره. والموضع موضع رفع لأنه ابتداء وخبر، فإن قلت ومن زيد؟ أو فمن زيد؟ لم يكن إلا رفعاً، لأنك عطفت على كلامه فاستغنيت عن الحكاية لأن العطف لا يكون مستأنفاً. ونظير هذا الذي ذكرت لك في اللام قول الشاعر:

يُكَيِّكُ ناءٌ بَعِيدُ الدارِ مُغْتَرِبٌ يا لِّلْكُهولِ وَلِلشُّبانِ لِلْعَجَبِ

عودة إلى الخوارج

فقد أحكمتُ لك كلَّ ما في هذا الباب. ثم نعود إلى ذكر الخوارج،

قال: وَذَكَرَ لُعْبِيدُ اللَّهِ بنَ زِيَادٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَدُوسٍ يُقَالُ لَهُ خَالِدُ بنِ عَبَّادٍ أَوْ ابْنُ عُبَادَةَ، وَكَانَ مِنْ نُسَّاكِهِمْ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ. فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ آلِ ثَوْرٍ فَكَذَّبَ عَنْهُ وَقَالَ: هُوَ صَهْرِي وَهُوَ فِي ضِمْنِي فَخَلَّى عَنْهُ. فَلَمْ يَزَلِ الرَّجُلُ يَتَفَقَّدُهُ حَتَّى

(١) فيا لغير اللعنة: يريد أن حرف النداء ليس داخلاً على ما بعده وإنما هو المحذوف.

تَغَيَّبَ فَاتَى ابْنَ زِيَادٍ فَأَخْبَرَهُ فَبَعَثَ إِلَى خَالِدِ ابْنِ عِبَادٍ فَأَخَذَ فَقَالَ عبيد الله بن زياد: أين كنت في غيبتك هذه؟ قال: كنت عند قوم يذكرون الله ويذكرون أئمة الجور فيتبرؤون منهم. قال: دلي إذن يسعدوا وتشقى ولم أكن لأروهم. قال: فما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: خيراً قال فما تقول في أمير المؤمنين عثمان؟ أتولاه وأمير المؤمنين معاوية؟ قال: إن كانا وليين لله فلست أعاديهما. فأراغه^(١) مرات فلم يرجع فعزم على قتله، فأمر بإخراجه إلى رحبة تعرف برحبة الزينبي فجعل الشرط يتفادون من قتله ويروغون عنه توقياً لأنه كان شاسفاً^(٢) عليه أثر العباداة حتى أتى المثلث بن مسروح الباهلي، وكان من الشرط فتقدم فقتله. فائتمر به الخوارج ليقتلوه، وكان مغرم باللقاح^(٣) يتبعها فيشتريها من مظانها وهم في تفقده، فذسوا إليه رجلاً في هيئة الفتيان، عليه ردع زعفران فلقبه بالمربد وهو يسأل عن نحتصفي^(٤)، فقال له الفتى: إن كنت تبلغ فعندي ما يغنيك عن غيره، فامض معي. فمضى المثلث على فرسه والفتى أمامه، حتى أتى به بني سعد فدخل داراً، وقال له: ادخل على فرسك. فلما دخل وتوغل في الدار أغلق الباب وثارت به الخوارج فاعتوره حرث بن حجل وكهمس بن طلح الصريمي فقتلاه، وجعلوا دراهم كانت معه في بطنه ودفناه في ناحية الدار، وحكاً آثار الدم وخلياً فرسه في الليل، فأصيب من الغد في المربد. ونحس^(٥) عنه الباهليون فلم يروا له أثراً فاتهموا به بني سدوس، فاستعدوا عليهم السلطان وجعل السدوسيون يحلفون. فتحامل ابن زياد مع الباهليين فأخذ من السدوسيين أربع ديات وقال: ما أدري ما أصنع بهؤلاء الخوارج كلما أمرت بقتل رجل منهم اغتالوا قاتله، فلم يعلم بمكانه حتى خرج مرداس، فلما واقفهم ابن زُرعة الكلابي، صاح بهم حرث بن حجل:

(١) فاراغه أي راوده وأراد منه أن يرجع عن ذلك.

(٢) الشاسف: اليأس ضمراً وهزالاً.

(٣) اللقاح بالكسر الإبل ذوات الألبان.

(٤) الصفي كغني: الناقة الغزيرة اللبن والجمع الصفايا.

(٥) نحس: أي فتنوا عليه ويحثوا عنه.

أههنا من باهلة أحد؟ قالوا: نعم. قال: يا أعداء الله أخذتم بالمثل أربع ديات وأنا قاتله، وجعلت دراهم كانت معه في بطنه، وهو في موضع كذا مدفون. فلما انهزموا صاروا إلى الدار، فأصابوا أشلاءه والدراهم، ففي ذلك يقول أبو الأسود الدؤلي:

آليت لا أغدو إلى ربّ لقحة أساومه حتى يعود المثلّم

فرق الخوارج

ثم خرجت خوارج لا ذكر لهم كلهم قتل، حتى انتهى الأمر إلى الأزارقة. ومن ههنا افرقت الخوارج فصارت على أربعة أضرب: الإباضية وهم أصحاب عبد الله بن أباض، والصفورية واختلفوا في تسميتهم، فقال قوم سموهم بابن صفار وقال آخرون، وأكثر المتكلمين عليه: هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم، ومنهم البهسية، وهم أصحاب أبي بيّس، ومنهم الأزارقة وهم أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي، وكانوا قبل علي رأي واحد لا يختلفون إلا في الشيء الشاذ من الفروع. كما قال صخر بن عروة: إني كرهت قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لسابقته وقربته. فأما الآن فلا يسعني إلا الخروج، وكان اعتزل عبد الله بن وهب يوم النهر فضلّته الخوارج بامتناعه من قتال علي فكان أول أمرهم الذي نستاقه أن جماعة من الخوارج منهم نجدة بن عامر الحنفي، عزموا على أن يقصدوا مكة لما توجه مسلم بن عقبة يريد المدينة لوقعة الحرة فقالوا: هذا ينصرف عن المدينة إلى مكة ويجب علينا أن نمنع حرم الله منه، ونمتحن ابن الزبير فإن كان على رأينا بايعناه، فمضوا لذلك. فكان أول أمرهم أن أبا الوازع الراسبي، وكان من مجتهدي الخوارج، كان يذمر نفسه^(١) ويلومها على القعود، وكان شاعراً وكان يفعل ذلك بأصحابه^(٢). فأتى نافع بن الأزرق، وهو في جماعة من أصحابه

(١) يذمر نفسه: أي يعاتب نفسه على قوت الذمار وهو الحرب لأن الإنسان يقاتل عما يلزمه حفظه والوفاء به.

(٢) وكان يفعل ذلك بأصحابه أي يعانهم يلومهم على ترك الحرب.

يصف لهم جور السلطان، وكان ذا لسان^(١) غضب واحتجاج وصبر على المنازعة. فأتاه أبو الوازع فقال: يا نافع لقد أُعْطِيتُ لِسَانًا صَارَ مَا وَقَلْبًا كَلِيلًا، فَلَوْدِدْتُ أَنْ صَرَامَةً لِسَانِكَ كَانَ لِقَلْبِكَ وَكَلَالُ قَلْبِكَ كَانَ لِلْسَانِكَ أَتَحْضُرُ عَلَى الْحَقِّ وَتَقْعُدُ عَنْهُ، وَتُقَبِّحُ الْبَاطِلَ، وَتُقِيمُ عَلَيْهِ؟ فقال: إِيَّيَّ أَنْ تَجْمَعَ مِنْ أَصْحَابِكَ مَنْ تَنْكِي بِهِ عَدُوَّكَ. فقال أبو الوازع:

لِسَانُكَ لَا تَنْكِي^(٢) بِهِ الْقَوْمَ إِنَّمَا تَنْأَلُ بِكَفِّكَ النِّجَاةَ مِنَ الْكَرْبِ
فَجَاهِدْ أَنْاسًا حَارِبُوا اللَّهَ وَأَصْطَبِرْ عَسَى اللَّهُ أَنْ يُخْزِيَ غَوِيَّ بَنِي حَرْبِ

ثم قال: واللَّهِ لَا أَلُومُكَ وَنَفْسِي أَلُومٌ، وَلَا أُغْدُوَنَّ غَدُوَّةً لَا أَتْنِي بَعْدَهَا أَبَدًا. ثم مضى فاشتري سيفاً وأتى صَيْقِلًا كَانَ يَذُمُّ الْخَوَارِجَ، وَيَذُلُّ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ فَشَاوَرَهُ فِي السَّيْفِ فَحَمَدَهُ فَقَالَ: اشْحَذْهُ، فَشَحَذَهُ حَتَّى إِذَا رَضِيَهِ حَكَمَ. وَخَبَطَ بِهِ الصَّيْقِلَ وَحَمَلَ عَلَى النَّاسِ، فَتَهَارَبُوا مِنْهُ حَتَّى أَتَى مَقْبَرَةَ بَنِي يَشْكُرَ فَدَفَعَ عَلَيْهِ رِجَالُ حَائِطِ السُّتْرِ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ بَنُو يَشْكُرَ خَوْفًا أَنْ تَجْعَلَ الْخَوَارِجُ قَبْرَهُ مُهَاجِرًا. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَافِعٌ وَأَصْحَابُهُ جَدُّوا، وَخَرَجَ فِي ذَلِكَ جَمَاعَةٌ فَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ عَيْسَى بْنُ فَيَاثَ الشَّاعِرِ الْخَطَّيُّ مِنْ تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، وَمَقْتَلُهُ بَعْدَ خُرُوجِ الْأَزَارِقَةِ.

خروج الأزارقة إلى ابن الزبير

فمضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف إلى مكة ليمنعوا الحرم من جيش مسلم بن عقبة، فلما صاروا إلى الزبير عَرَفُوهُ أَنْفُسَهُمْ فَأَظْهَرَ لَهُمْ أَنَّهُ عَلَى رَأْيِهِمْ حَتَّى أَتَاهُمْ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ وَأَهْلُ الشَّامِ فَدَافَعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ رَأْيُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَلَمْ يَبَايَعُوا ابْنَ الزَّبِيرِ. ثُمَّ تَنَازَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فَقَالُوا: نَدْخُلُ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَتَنْظُرُ مَا عِنْدَهُ فَإِنْ قَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَبِرَّاءَ مِنْ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَكَفَّرَ أَبَاهُ وَطَلْحَةَ بَايَعْنَاهُ، وَإِنْ تَكُنَ الْأُخْرَى ظَهَرَ لَنَا مَا عِنْدَهُ فَتَشَاغَلْنَا بِمَا يُجِدِّي

(١) لسان غضب أي حاد نافذ.

(٢) لا تنكي: تشن أعداءك بالجراح.

علينا. فدخلوا على ابن الزبير وهو مُتَبَذِّلٌ^(١) وأصحابه متفرقون عنه، فقالوا: إنا جئناك لتخبرنا رأيك فإن كنت على الصواب بايعناك، وإن كنت على غيره دعوناك إلى الحق، ما تقول في الشيخين؟ قال: خيراً قالوا فما تقول في عثمان الذي أحمى الحمى^(٢) وآوى الطريد^(٣) وأظهر لأهل مصر شيئاً، وكتب بخلافه، وأوطأ آل أبي مُعَيْطٍ رِقَابَ الناس وأثرهم بفيء المسلمين. وفي الذي بعده الذي حكم في دين الله الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم، وفي أبيك وصاحبه وقد بايعا علياً، وهو إمام عادل مرضي لم يظهر منه كفر ثم نكث بعرض من أعراض الدنيا، وأخرجنا عائشة تقاتل، وقد أمرها الله بـ... أحبها أن يقرن في بيوتهن وكان لك في ذلك ما يدعوك إلى التوبة؟ فإن... فلت كما تقول فلك الزلفة عند الله والنصر على أيدينا ونسأل الله لك... موفق. وإن أبيت إلا نصر رأيك الأول وتصويب أبيك وصاحبه والتحقيق بعثمان والتولي في السنين الست التي أحلت دمه ونقضت وأفسدت امامته، خذلك الله وانتصر منك بأيدينا. فقال ابن الزبير: إن الله أمر وله العزة والقدرة في مخاطبة أكفر الكافرين، وأعتى العتاة بأراف من هذا القول؟ فقال لموسى وأخيه صلى الله عليه عليهما في فرعون: فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى. وقال رسول الله ﷺ: لا تؤذوا الأحياء بسب الموتى، فنهي عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ابنه. وأبو جهل عدو الله وعدو الرسول، والمقيم على الشرك والجأ في المحاربة والمتبعض إلى رسول الله ﷺ قبل الهجرة والمحارب له بعدها وكفى بالشرك ذنباً، وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سميت فيه طلحة وأبي أن تقولوا أئبراً من الظالمين فإن كانا منهم دخلا في

(١) وهو متبذل: التبذل ترك التزين والتهيب بالهيئة الجميلة على جهة التواضع.

(٢) أحمى الحمى: يقال أحمى المكان إذا جعلته حمى لا يقرب ولا ينتفع به أحد سواك.

(٣) ابن الطريد، المراد به الحكم بن أبي العاص طرده رسول الله ﷺ إلى الطائف في حديث طويل ندم بعضه، فردّه عثمان رضي الله عنه أيام خلافته وأواه وأظهر لأهل مصر شيئاً.

غمار الناس^(١)؛ وإن لم يكونا منهم لم تُحفظوني بسبب أبي وصاحبه، وأنتم تعلمون أن الله جل وعز قال للمؤمن في أبيه: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مُعْرِفُونَ﴾^(٢). وقال جل ثناؤه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا، وَهَذَا الَّذِي دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ أَمْرٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ﴾^(٣). وليس يَنْعُكُمُ إِلَّا التَّوْقِيفُ والتَّصْرِيحُ، وَلَعَمْرِي أَنْ ذَلِكَ لِأُخْرَى بِقَطْعِ الْحُجَجِ وَأَوْضَحُ لِمِنْهَاجِ الْحَقِّ وَأَوْلَى بِأَنْ يَعْرِفَ كُلُّ صَاحِبِهِ مِنْ عَدُوِّهِ. فَرُوحُوا إِلَيَّ مِنْ عَشِيَّتِكُمْ هَذِهِ أَكْشِفُ لَكُمْ مَا أَنَا عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ رَاحُوا إِلَيْهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ لَبَسَ سِلَاحَهُ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَجَدُهُ قَالَ: هَذَا خُرُوجُ مُنَابِذٍ لَكُمْ، فَجَلَسَ عَلَيَّ رَفَعُ مِنَ الْأَرْضِ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَيَّ نَبِيِّهِ ﷺ، ثُمَّ ذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرَ أَحْسَنَ ذَكَرٍ، ثُمَّ ذَكَرَ عُثْمَانَ فِي السَّنِينَ الْأَوَّالِ مِنْ خِلَافَتِهِ، ثُمَّ وَصَلَهُنَّ بِالسَّنِينَ الَّتِي أَنْكَرُوا سِيرَتَهُ فِيهَا فَجَعَلَهَا كَالْمَاضِيَةِ وَخَبَّرَ أَنَّهُ يَرَى الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ بِإِذْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَذَكَرَ الْحِمَى وَمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاحِ، وَأَنَّ الْقَوْمَ اسْتَعْتَبُوهُ^(٤) مِنْ أُمُورٍ، وَكَانَ لَهُ أَنْ يَفْعَلَهَا أَوْ لَا مَصِيئَاتٍ أُعْتَبَهُمْ بَعْدُ مُحْسِنًا. وَأَنَّ أَهْلَ مِصْرَ لَمَّا أَتَوْهُ بِكِتَابٍ ذَكَرُوا أَنَّهُ مِنْهُ، بَعْدَ أَنْ ضَمِنَ لَهُمُ الْعُتْبِيُّ^(٥). ثُمَّ كُتِبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ بِقَتْلِهِمْ فَدَفَعُوا الْكِتَابَ إِلَيْهِ، فَحَلَفَ أَنَّهُ لَمْ يَكْتُبِهِ وَلَمْ يَأْمُرْ بِهِ، وَقَدْ أَمَرَ بِقَبُولِ الْيَمِينِ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ سَابِقَتِهِ مَعَ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ صِهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَكَانِهِ مِنَ الْإِمَامَةِ، وَأَنَّ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ إِنَّمَا كَانَتْ بِسَبَبِهِ. وَعُثْمَانُ الرَّجُلُ الَّذِي لَزِمَتْهُ يَمِينُ لَوْ خَلَفَ عَلَيْهَا لَحَلَفَ عَلَى حَقِّ فَافْتَدَاهَا بِمِائَةِ أَلْفٍ، وَلَمْ يَحْلَفْ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْذُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ فَعُثْمَانُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كَصَاحِبِهِ، وَأَنَا وَلِيُّ وَلِيِّهِ وَعَدُوُّ عَدُوِّهِ، وَأَبِي وَصَاحِبِهِ صَاحِبًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

(١) دخلا في غمار الناس: أي في جمعهم المتكاثف.

(٢) سورة لقمان: الآية رقم ١٥.

(٣) سورة البقرة: الآية رقم ٨٣.

(٤) استعتبوه: طلبوا منه الرجوع عما فعل.

(٥) العتبي: أي عاد إلى ما سألوه طالباً رضاهم.

ورسول الله يقول عن الله تعالى يوم أُحُدٍ لَمَّا قَطَعَتْ إِبْصَعُ طَلْحَةَ: سَبَقْتَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَقَالَ: أَوْجَبَ طَلْحَةُ. وَكَانَ الصَّدِيقُ إِذَا ذَكَرَ يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ: ذَاكَ يَوْمَ كُلَّهُ أَوْجَلُهُ لَطَلْحَةَ، وَالزَّبِيرُ حَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ وَصِفْوَتُهُ. وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَالَ جَل وَعَز: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا يَسَاعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾^(١). وَمَا أَخْبَرْنَا بَعْدُ أَنَّهُ سَخِطَ عَلَيْهِمْ. فَإِنْ يَكُنْ مَا سَعَوْا فِيهِ حَقًّا فَأَهْلُ ذَلِكَ هُمْ وَأَنْ يَكُنْ زَلَّةٌ فِي عَفْوِ اللَّهِ تَمْحِصُهَا، وَفِيمَا وَفَقَهُمْ لَهُ مِنَ السَّابِقَةِ مَعَ نَبِيِّهِمْ ﷺ. وَمَهُمَا ذَكَرْتُمُوهُمَا بِهِ فَقَدْ بَدَأَ ثَمَّ بِأَمْرِكُمْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَإِنْ أَبِي أَبِي أَنْ تَكُونَ لَهُ أُمًّا نَبَذَ اسْمَ الْإِيمَانِ عَنْهُ. قَالَ اللَّهُ جَلْ ذَكَرَهُ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٢). فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ. وَكَانَ سَبَبُ وَضْعِ الْحَرْبِ بَيْنَ ابْنِ الزَّبِيرِ وَبَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ حُضَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ قَدْ حَصَرَ ابْنَ الزَّبِيرِ أَنَّهُ آتَاهُمْ مَوْتُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ قَتَاوَدَعَ النَّاسَ، وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ ضَجِرُوا مِنَ الْمَقَامِ عَلَى ابْنِ الزَّبِيرِ وَخَنَقَتِ الْخَوَارِجُ فِي قِتَالِهِمْ. فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ:

يَا صَاحِبِي ارْتَحِلَا ثُمَّ أَمْلَسَا^(٣) لَا تَحْبِسَا لَدَى الْحُضَيْنِ مَحْبِسَا
إِنْ لَدَى الْأَرْكَانِ نَاسًا بُؤْسَا

(قَالَ الْأَخْفَشُ حَفَظِي بِأَسَا أَبُؤْسَا):

وَبَارِقَاتٍ يَخْتَلِسْنَ الْأَنْفَسَا إِذَا الْفَتَى حَكَّمَ يَوْمًا كُلَّسَا

قَوْلُهُ: ثُمَّ أَمْلَسَا يَرِيدُ تَخَلَّصًا تَخَلَّصًا سَهْلًا، وَكَلَّسَ أَيَّ حَمَلَ وَجَدًا. وَلَمَّا سَمِعَ ابْنُ الزَّبِيرِ لِلْخَوَارِجِ فِي الْقَوْلِ وَأَظْهَرَ أَنَّهُ مِنْهُمْ قَالَ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ قَيْسُ بْنُ هَمَّامٍ مِنْ رَهْطِ الْفَزَزْدَقِ:

يَا ابْنَ الزَّبِيرِ أَتَهْوَى عُصْبَةً قَتَلُوا ظِلْمًا أَبَاكَ وَلَمَّا تُنْزِعِ الشِّكْكَ

(١) سورة الفتح الآية ..

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٦ .

(٣) أَمْلَسَا: أَي سَوْفَا سَوْفَا شَدِيدًا.

صَحَّوْا بَعَثْمَانَ يَوْمَ النَحْرِ ضَاحِيَةً مَا أَعْظَمَ الْحَرَمَةَ الْعُظْمَى الَّتِي انْتَهَكُوا
فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ: وَلَوْ شَاحَيْعَتْنِي التُّرْكُ وَالذَّيْلَمُ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ
لَشَاحَيْعَتَهَا. الشُّكُّ جَمْعُ شِكَّةٍ وَهِيَ السَّلَاحُ. قَالَ الشَّاعِرُ:
وَمُدْجَجًا^(١) يَسْعَى بِشِكَّتِهِ مُحْمَرَّةٌ عَيْنَاهُ كَالْكَلْبِ

ما حدث مع الأزارقة في البصرة

فَتَفَرَّقَتِ الْخَوَارِجُ عَنْ ابْنِ الزَّبِيرِ لَمَّا تَوَلَّى عَثْمَانُ، فَصَارَتْ طَائِفَةٌ إِلَى
الْبَصْرَةِ وَطَائِفَةٌ إِلَى الْيَمَامَةِ. وَكَانَ رَجَاءُ النَّمِيرِيِّ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ جَمْعَهُمْ
لِلْمَدَافِعَةِ عَنْ الْحَرَمِ. فَكَانَ فِيمَنْ صَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ نَافِعُ ابْنِ الْأَزْرَقِ الْحَنْفِيُّ،
وَبَنُو الْمَاحُوزِ السَّلِيطِيُّونَ وَرُئُسُهُمْ حَسَانُ بْنُ يَخْرَجٍ. فَلَمَّا صَارُوا إِلَى الْبَصْرَةِ
نَظَرُوا فِي أُمُورِهِمْ، فَأَمَرُوا عَلَيْهِمْ نَافِعًا. وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا الْجَلْدِ الْيَشْكُرِيَّ قَالَ
لنَافِعٍ يَوْمًا: يَا نَافِعُ إِنْ لَجَهْنَمُ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، وَأَنْ أَشَدَّهَا حَرًّا الْبَابُ الَّذِي أُعِدَّ
لِلْخَوَارِجِ فَإِنْ قَدَّرْتَ أَنْ لَا تَكُونَ مِنْهُمْ فَافْعَلْ. فَأَجْمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْخُرُوجِ
فَمَضَى بِهِمْ نَافِعٌ إِلَى الْأَهْوَازِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ فَأَقْوَمُوا بِهَا لَا يَهَيِّجُونَ أَحَدًا
وَيُنَظِرُهُمُ النَّاسُ. وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِمْ إِلَى الْأَهْوَازِ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ يَزِيدُ بَايَعَ أَهْلُ
الْبَصْرَةِ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ، وَكَانَ فِي السِّجْنِ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْخَوَارِجِ.
وَضَعُفَ أَمْرُ ابْنِ زِيَادٍ فَكَلَّمَ فَأَطْلَقَهُمْ فَأَفْسَدُوا الْبَيْعَةَ عَلَيْهِ، وَفَشَوْ فِي النَّاسِ
يَدْعُونَ إِلَى مُحَارَبَةِ السُّلْطَانِ وَيُظْهِرُونَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، حَتَّى اضْطَرَبَ عَلَى
عُبَيْدِ اللَّهِ أَمْرُهُ فَتَحْصُلُ عَنْ دَارِ الْإِمَارَةِ إِلَى الْأَزْدِ، وَنَشَأَتِ الْحَرْبُ
بِسَبَبِهِ بَيْنَ الْأَزْدِ وَرَبِيعَةَ وَبَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ. فَاعْتَزَلَهُمُ الْخَوَارِجُ إِلَّا نَفَرًا مِنْهُمْ مِنْ
بَنِي تَمِيمٍ مَعَهُمْ عَبْسُ بْنُ طَلْقٍ الصَّرِيمِيُّ أَخُو كَهْمَسٍ فَإِنَّهُمْ أَعَانُوا قَوْمَهُمْ.
فَكَانَ عَبْسُ الطَّعَانِ فِي سَعْدٍ وَالرَّبَابُ فِي الْقَلْبِ بِحِذَاءِ الْأَزْدِ، وَكَانَ حَارِثَةُ بْنُ
بَذْرِ الْيَرْبُوعِي فِي حَنْظَلَةَ بِحِذَاءِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ حَارِثَةُ بْنُ زَيْدٍ

(١) مدججاً: بكسر الجيم وفتحها الذي عليه سلاح تام سمي به لأنه يدل أي يمشي رويداً لثقله ولأنه
يتغطى به.

لِلأَخْنَفِ وَهُوَ صَخْرُ بْنُ قَيْسٍ :

سَيَكْفِيكَ عَبْسُ أَخِي كَهَمْسٍ مُوَاقِفَةُ الْأَزْدِ بِالْمَرْبَدِ^(١)
وَتَكْفِيكَ عَمْرُو عَلَى رِسْلِهَا لُكَيْزُ^(٢) بْنُ أَمْضٍ وَمَا عَدُّوا

لُكَيْزٌ هُوَ عَبْدُ الْقَيْسِ :

وَتَكْفِيكَ بَكْرًا إِذَا أَقْبَلْتُ بِضَرْبِ يَشِيبٍ لَهُ الْأَمْرُدُ

فلما قتل مسعود بن عمرو المَعْنِيُّ وتكاف الناس، أقام نافع بن الأزرق بموضعه بالأهواز ولم يَعدْ إلى البصرة. وطرَدوا عُمَالُ السُلْطَانِ عَنْهَا وَجَبُوا الْفَيْءَ وَلَمْ يَزَالُوا عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ يَتَوَلَّوْنَ أَهْلَ النَّهْرِ وَمِرْدَاسًا وَمِنْ خَرَجَ مَعَهُ حَتَّى جَاءَ مَوْلَى لَبْنِي هَاشِمٍ إِلَى نَافِعٍ فَقَالَ لَهُ : أَنْ أَطْفَالَ الْمَشْرِكِينَ فِي النَّارِ، وَإِنْ مِنْ خَالَفْنَا مَشْرُكَ فِدْمَاءَ هَؤُلَاءِ الْأَطْفَالِ لَنَا حَلَالٌ. قَالَ لَهُ نَافِعٌ : كَفَرْتَ وَأَدْلَلْتَ بِنَفْسِكَ، قَالَ لَهُ : إِنْ لَمْ آتِكَ بِهَذَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَاقْتُلْنِي. قَالَ نُوحٌ ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(٣) فَهَذَا أَمْرُ الْكَافِرِينَ وَأَمْرُ أَطْفَالِهِمْ فَشَهِدَ نَافِعٌ أَنَّهُمْ جَمِيعًا فِي النَّارِ، وَرَأَى قَتْلَهُمْ وَقَالَ الدَّارُ دَارُ كَفَرٍ إِلَّا مَنْ أَظْهَرَ إِيمَانَهُ وَلَا يَحِلُّ أَكْلُ ذَبَائِحِهِمْ وَلَا تَنَاكُحُهُمْ وَلَا تَوَارَثُهُمْ^(٤) وَمَتَى جَاءَ مِنْهُمْ جَاءٌ فَعَلِينَا أَنْ نَمْتَحِنَهُ، وَهُمْ كُفَّارُ الْعَرَبِ لَا نَقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوِ السِّيفَ وَالْقَعْدَ بِمَنْزِلَتِهِمْ وَالتَّقِيَّةَ لَا تَحِلُّ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾^(٥) وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فَيَمْنُ كَانَ عَلَى خِلَافِهِمْ : ﴿يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾^(٦) فَفَرَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ عَنْهُمْ مِنْهُمْ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾^(٧)، وَبِقَوْلِهِ

(١) المربد : موضع بالبصرة.

(٢) لُكَيْزٌ كَزِيرٌ : أَخُو شَيْبَانَ ابْنِ أَفْصَى بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ وَأُمُّهُمَا لَيْلَى بِنْتُ قُرَانَ وَكِلَاهُمَا أَبُو قَبِيلَةٍ.

(٣) سُورَةُ نُوحٍ : الْآيَةُ ٢٧.

(٤) سُورَةُ النَّسَاءِ : الْآيَةُ ٧٧.

(٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ : الْآيَةُ ٥٤.

(٦) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : الْآيَةُ ٢٨.

عز وجل : ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾^(١) ، فالقعد منا والجهاد إذا أمكن أفضل لقوله جل وعز : ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾^(٢) . ثم مضى نجده بأصحابه إلى الإمامة وتفرقوا في البلدان . فلما تتابع نافع في رأيه وخالف أصحابه ، وكان أبو طالب سألهم بن مطر بالخضارم في جماعة قد بايعوه ، فلما انخذل نجدة خلعوا أبا طالب وصاروا إلى نجدة فبايعوه . ولقي نجدة وأصحابه قوماً من الخوارج بالعرمة . والعرمة كالسكر وجمعها عرم وفي القرآن المجيد : ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾^(٣) (٤) وقال النابغة الجعدي :

من سبأ الحاضرين مأرب^(٥) إذا يئنون من دون سيله العرما

فقال لهم أصحاب نجدة : إن نافعاً قد كفر القعد ، ورأى الاستعراض وقتل الأطفال . فانصرفوا مع نجدة ، فلما صار بالإمامة كتب إلى نافع : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن عهدي بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم ، وللضعيف كالأخ البر ، لا تأخذك في الله لومة لائم ، ولا ترى معونة ظالم ، كذلك كنت أنت وأصحابك ، أما تذكر قولك : لولا أنني أعلم أن للإمام العادل مثل أجر جميع رعيته ، ما توليت أمر رجلين من المسلمين . فلما شريت نفسك في طاعة ربك ابتغاء رضوانه وأصبحت من الحق فصة^(٦) ، وركبت مرة تجراً ذلك الشيطان ، ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك ، فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك فغويت . فأكفرت الذين عذركم الله في كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم . فقال جل ثناؤه ، وقوله الحق ووعدته الصدق :

(١) سورة غافر : الآية ٢٨ .

(٢) سورة النساء : الآية ٩٥ .

(٣) سورة سبأ : الآية ١٦ .

(٤) العرم : بكسر الراء . سد يعترض به الوادي والجمع عرم ككتف

(٥) مأرب : كمنزل موضع باليمن .

(٦) وأصبحت من الحق فصة أي مفصلة .

﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج، إذا نصحوا لله ورسوله﴾^(١) ثم سَمَّاهُمْ فِي أَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ فَقَالَ: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٢) ثُمَّ اسْتَحَلَّتْ قَتْلَ الْأَطْفَالِ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِهِمْ، وَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٣). وَقَالَ فِي الْقَعْدِ خَيْرًا وَفَضَّلَ اللَّهُ مَنْ جَاهَدَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَدْفَعُ مَنَزِلَةَ أَكْثَرِ النَّاسِ عَمَلًا مَنَزِلَةً مَنْ هُوَ دُونَهُ، أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾^(٤)، فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَضَّلَ عَلَيْهِمُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَعْمَالِهِمْ وَرَأَيْتُ أَلَّا تُوَدِّيَ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ خَالَفَكَ وَاللَّهُ يَأْمُرُ أَنْ تُوَدِّيَ الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا﴾^(٥) فَاتَّقِ اللَّهَ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ، وَاتَّقِ يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا، فَإِنَّهُ عَزَّ ذِكْرَهُ بِالْمُرْصَادِ وَحَكْمُهُ الْعَدْلُ وَقَوْلُهُ الْفَصْلُ، وَالسَّلَامُ. فَكُتِبَ إِلَيْهِ نَافِعٌ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَعْظِي فِيهِ وَتُذَكِّرُنِي وَتَنْصَحُ لِي وَتَزَجُرُنِي وَتَصِفُ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَمَا كُنْتُ أُؤَثِّرُهُ مِنَ الصَّوَابِ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنَ الَّذِينَ يَسْتَعْمُونَ الْقَوْلَ، فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ. وَعَبْتُ عَلَيَّ مَا دِنْتُ بِهِ مِنْ إِكْفَارِ الْقَعْدِ وَقَتْلِ الْأَطْفَالِ، وَاسْتِحْلَالِ الْأَمَانَةِ فَسَأَفْسِرُ لَكَ لِمَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. أَمَّا هَؤُلَاءِ الْقَعْدُ فَلْيَسُوا كَمَنْ ذَكَرْتَ مِمَّنْ كَانَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِمَكَّةَ مَقْهُورِينَ مُحْصُورِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَى الْهَرَبِ سَبِيلًا وَلَا إِلَى الْإِتِّصَالِ بِالْمُسْلِمِينَ طَرِيقًا، وَهَؤُلَاءِ قَدْ فَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ وَالطَّرِيقَ لَهُمْ نَهَجٌ وَاضِحٌ، وَقَدْ عَرَفْتَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ إِذَا قَالُوا: ﴿كُنَّا مُسْتَضَعِّفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٦) فَقِيلَ لَهُمْ: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً

(١) سورة التوبة: الآية ٩١.

(٢) سورة التوبة: الآية ٩١.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

(٤) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٥) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٦) سورة النساء: الآية ٩٧.

فتهاجروا فيها، وقال: فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقال: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ، فَخَبَّرَ بِتَعْذِيرِهِمْ وَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١) وقال: ﴿سَيَصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. فَانْظُرْ إِلَى أَسْمَانِهِمْ وَاسْمَاتِهِمْ﴾^(٢) وأما أمر الأطفال فإن نبي الله نوحاً عليه السلام كان أعلم بالله يا نَجْدَةُ مني ومنك، قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَاراً إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(٣). فسماهم بالكفر وهم أطفال، وقبل أن يولدوا، فكيف كان ذلك في قوم نوح ولا نكون نقوله في قومنا والله يقول: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾^(٤) وهؤلاء كمشركي العرب لا نقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام. وأما استحلال أمانات من خالفنا فإن الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم، فدمائهم حلال طلق^(٥)، وأموالهم فيء للمسلمين، فاتق الله وراجع نفسك فإنه لا عذر لك إلا بالتوبة ولن يسعك خذلاننا والقعود عنا وترك ما نهجناه لك من طريقتنا ومقاتلتنا. والسلام على من أقر بالحق وعمل به. وكتب نافع إلى عبد الله بن الزبير يدعوه إلى أمره: أما بعد، فإنني أحذرك من الله يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، فاتق الله ربك ولا تتول الظالمين. فإن الله يقول: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء

في قتل عثمان

وقد حضر عثمان يوم قتل فلعمري لئن كان قتل مظلوماً لقد كفر قاتلوه

(١) سورة التوبة: الآية ٩٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ٩٠.

(٣) سورة نوح: الآية ٢٦.

(٤) سورة القمر: الآية ٤٣.

(٥) الطلق بالكسر الحلال الخاص يقال أعطيته من طلق مالي أي من صفوه وطيه.

وخاذلوه، ولئن كان قاتلوه مهتدين وإنهم لمُهْتَدُونَ لقد كفر مَنْ يتولاه وينصره ويعضدُهُ. ولقد علمت أن أباك وطلحةً وعلياً كانوا أشد الناس عليه، وكانوا في أمره من بين قاتلٍ وخاذلٍ، وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان. وكيف ولاية قاتلٍ مُتَعَمِّدٍ ومقتولٍ في دين واحد! ولقد مَلَكَ عليٌّ بعدَ فَنَفَى الشُّبُهَاتِ، وأقام الحدود وأجرى الأحكام مجاريها، وأعطى الأمور حقائقها فيما عليه وله. فبايعه أبوك وطلحةُ ثم خلعهَا ظالمين له وإنَّ القولَ فيكَ وفيهما لَكَمَا قال ابنُ عباس: إِنْ يَكُنْ عليٌّ في وقتِ معصيتكم ومُحَارَبَتكم له كان مؤمناً أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل، ولئن كان كافراً كما زعمتم وفي الحُكْم جائراً لقد بَوَّئْتُم بغضب من الله لفراركم من الرِّحَاب. ولقد كنتَ له عدواً ولسيرته عائباً فكيف تَوَلَّيْتَهُ بعدَ موته فاتَّقِ اللهَ فإنه يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^(١) وكتب نافع إلى مَنْ بِالْبَصْرَةِ مِنَ الْمُحْكَمَةِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أما بعد، فإن الله اصطفى لكم الدينَ فلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، والله إنكم لتعلمون إن الشريعةَ واحدةٌ، فسيمُ المَقَامُ بينَ أَظْهَرِ الكُفَارِ، تَرَوْنَ الظلمَ ليلاً ونهاراً، وقد نَذَبَكُمُ اللهُ إلى الجهاد فقال: وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً، ولم يجعل لكم في التَخَلُّفِ عَذْرًا في حَالٍ مِنَ الْحَالِ، فقال: أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً. وَإِنَّمَا عَذْرُ الضُّعَفَاءِ وَالْمَرْضَى وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ! وَمَنْ كَانَتْ إِقَامَتُهُ لِبَعْلَةٍ. ثُمَّ فَضَّلَ عَلَيْهِمْ مَعَ ذَلِكَ الْمُجَاهِدِينَ فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢) فلا تَغْتَرَّوْا وَلَا تَطْمَئِنُّوْا إِلَى الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَرَارَةٌ مَكَّارَةٌ لَنْتَهَا نَافِذَةٌ وَنِعْمَتُهَا بَائِدَةٌ حَفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ اغْتِرَارًا، وَأُظْهِرَتْ خُبْرَةٌ^(٣) وَأُضْمِرَتْ عِبْرَةٌ، فَلَيْسَ آكُلُ مِنْهَا أَكْلَةً تُسْرُهُ وَلَا شَارِبُ شُرْبَةٍ تُؤْنِقُهُ^(٤) إِلَّا دَنَا بِهَا دَرَجَةً إِلَى أَجَلٍ، وَتَبَاعَدَ بِهَا مَسَافَةً مِنْ أَمَلِهِ، وَإِنَّمَا

(١) مدارة الثوبة: الآية ٢٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٣) الخبره: بالفتح الحسب والشر المعرفه.

(٤) تؤنقه: أي تعجبه ويسره.

جعلها الله داراً لمن تزود منها إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، فلن يرضى بها حازم داراً ولا حلیم بها قراراً فاتقوا الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى والسلام على من اتبع الهدى. فورد كتابه عليهم، وفي القوم يومئذ أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعي وعبد الله بن أباض المري من بني مرة بن عبيد فأقبل أبو بيهس على ابن أباض فقال: إن نافعاً غلاً فكفر وإنك قصرت فكفرت زعم أن من خالفنا ليس بمشرك، وإنما كفار النعم لتمسكهم بالكتاب وإقرارهم بالرسول. وتزعم أن مناكحهم ومواريتهم والإقامة فيهم جل طلق وأنا أقول أعداءنا كأعداء رسول الله ﷺ تحل لنا الإقامة فيهم كما فعل المسلمون في إقامتهم بمكة وأحكام المشركين تجري فيها وأزعم أن مناكحهم ومواريتهم تجوز لأنهم منافقون يظهرون الإسلام وأن حكمهم عند الله حكم المشركين.

فصاروا في هذا الوقت على ثلاثة أقاويل قول نافع في البراءة والاستعراض^(١) واستحلال الأمانة، وقتل الأبطال. وقول أبي بيهس الذي ذكرناه، وقول عبد الله بن أباض وهو أقرب الأقاويل إلى السنة من أقاويل الضلال، والصفريّة والنجدية في ذلك الوقت يقولون، بقول ابن أباض ما ذكرنا من مقالته، وأنا أقول إن عدونا كعدو رسول الله ﷺ، ولكني لا أحرم مناكحتهم ومواريتهم لأن معهم التوحيد والاقرار بالكتاب والرسول عليه السلام، فأرى معهم دعوة المسلمين تجمعهم وأراهم كفاراً للنعم. وقالت الصفريّة الذين من هذا القول في أمر القعد حتى صار عامتهم قعداً واختلفوا فيهم، وقد ذكرنا ذلك، فقال قوم سُموا صفريّة لأنهم أصحاب ابن صفار وقال قوم: إنما سُموا بصفريّة غلتهم، وتصديق ذلك قول ابن عاصم الليثي. وكان يرى رأي الخوارج وصار مرجئاً^(٢).

(١) الاستعراض: أي قتل الناس من غير الاهتمام بأحد.

(٢) صار مرجئاً: أي أصبح من المرجئة وهي فئة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يقدر مع الإثم ذنب ولا معصية كما أنه لا يرفع مع الكفر طاعة، سُموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي أي أخر.

فَارَقْتُ نَجْدَةَ وَالَّذِينَ تَزْرَقُوا^(١) وابن الزبير وشيعة الكذاب
والصُّفْرَ الْأَذَانَ. الَّذِينَ تَخَيَّرُوا دِينًا بِلا ثِقَةٍ وَلَا بَكْتَابٍ

خَفَّفُ الْهَمْزَةُ مِنَ الْأَذَانِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَانْكَسَرَ الشِّعْرُ. وَقَالَ أَبُو بِيَهْسٍ: الدَّارُ
دَارُ كَفْرِ، وَالْأَسْتِعْرَاضُ فِيهَا جَائِزٌ وَإِنْ أَصِيبَ مِنَ الْأَطْفَالِ فَلَا حَرَجَ، إِلَى هَهنا
انتهت المقالة.

مقتل نافع بن الأزرق

وتفرقت الخوارج على الأضراب الأربعة التي ذكرنا وأقام نافع بالأهواز
يعترض الناس ويقتل الأطفال فإذا أُجِيبَ إلى المقالة جَبَا الخِرَاجَ وَفَشَا عُمَالُهُ
فِي السَّوَادِ. فَارْتَاعَ لِذَلِكَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ فَاجْتَمَعُوا إِلَى الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ فَشَكُوا
ذَلِكَ إِلَيْهِ وَقَالُوا: لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعَدُوِّ إِلَّا لَيْلَتَانِ وَسِيرَتُهُمْ مَا تَرَى، فَقَالَ
الْأَحْنَفُ، إِنْ فَعَلَهُمْ فِي مَصْرِكُمْ إِنْ ظَفَرُوا بِهِ كَفَعْلِهِمْ فِي سَوَادِكُمْ فَجَدُّوا فِي
جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ عَشْرَةُ آلَافٍ، فَأَتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ
نَوْفَلٍ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ بِهِ^(٢) فَسَأَلَهُ أَنْ يَوْمَرَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَارَ لَهُمْ ابْنُ
عُبَيْسٍ بْنُ كُرَيْرٍ، وَكَانَ دِينًا شَجَاعًا فَأَمَرَهُ عَلَيْهِمْ وَشِيعَةً. فَلَمَّا نَفَذَ مِنْ جِسْرِ
الْبَصْرَةِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: إِنِّي مَا خَرَجْتُ لَامْتِيَارَ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ. وَإِنِّي
لَا حَارِبَ فَوْماً إِنْ ظَفَرْتُ بِهِمْ، فَمَا وَرَاءَهُمْ إِلَّا سِيوفُهُمْ وَرِمَاحُهُمْ، فَمَنْ كَانَ
شَأْنُهُ الْجِهَادَ فَلْيَنْهَضْ، وَمَنْ أَحَبَّ الْحَيَاةَ فَلْيَرْجِعْ. فَرَجَعَ نَقَرُ يَسِيرٍ وَمَضَى
الْبَاقُونَ مَعَهُ. فَلَمَّا صَارُوا بِدُولَابٍ خَرَجَ إِلَيْهِمْ نَافِعٌ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى
تَكَسَّرَتِ الرِّمَاحُ، وَعُقِرَتِ الْخَيْلُ وَكَثُرَتِ الْجِرَاحُ وَالْقَتْلُ، وَتَضَارَبُوا بِالسِّيُوفِ
وَالْعَمَدِ، فَقُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ ابْنُ عُبَيْسٍ وَنَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ. وَكَانَ ابْنُ عُبَيْسٍ تَقَدَّمَ
إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: إِنْ أَصِيبْتُ فَأَمِيرُكُمْ الرَّبِيعُ بْنُ عَمْرِو الْأَجْدَمُ الْغُدَّانِي. فَلَمَّا

(١) تَزْرَقُوا: أَيِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى مَذْهَبِ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ.

(٢) هُوَ بِهِ بِفَتْحِ الْبَاءِ الْأُولَى وَتَشْدِيدِ الثَّانِيَةِ وَكَانَتْ أُمُّهُ لَقِبَتْهُ بِهِ فِي صَغَرِهِ كَانَتْ تَرْقُصُهُ وَتَقُولُ
لَانْكَحَنِ بِهِ - جَارِيَهُ حَذَبَهُ

أَصِيبَ ابْنِ عَبَّيسٍ، أَخَذَ الرِّبْعُ الرَّايَةَ، وَكَانَ نَافِعٌ قَدْ اسْتَخْلَفَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ بَشِيرٍ بْنِ الْمَاحُوزِ السَّلِيطِيَّ، فَكَانَ الرَّيْثَانُ مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ رَئِيسُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي عُدَانَةَ بْنِ يَرْبُوعَ، وَرَئِيسُ الْخَوَارِجِ مِنْ بَنِي سَلِيطِ بْنِ يَرْبُوعَ. فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً وَادَّعَى قَتْلُ نَافِعٍ سَلَامَةَ الْبَاهِلِيِّ. وَقَالَ لَمَّا قَتَلْتُهُ وَكُنْتُ عَلَى بَرْدُونٍ وَرَدٍ إِذَا بِرَجُلٍ عَلَى فَرَسٍ، وَأَنَا وَقَفْتُ فِي خُمْسٍ قَيْسٍ يَنَادِي: يَا صَاحِبَ الْوَرْدِ، هَلُمَّ إِلَى الْمُبَارَاةِ. فَوَقَفْتُ فِي خُمْسٍ بَنِي تَمِيمٍ، فَلِذَا بِهِ يَعْزِضُهَا عَلَيَّ، وَجَعَلْتُ أَتَقَلُّ مِنْ خُمْسٍ إِلَى خُمْسٍ، وَلَيْسَ يَزَالُنِي فَصَرْتُ إِلَى رَحْلِي^(١)، ثُمَّ رَجَعْتُ فَرَأَنِي، فَدَعَانِي إِلَى الْمُبَارَاةِ فَلَمَّا أَكْثَرَ خَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضَرَبْتُهُ فَصَرَعْتُهُ، فَتَزَلْتُ لِسْلَبِهِ وَأَخَذَ رَأْسَهُ إِذَا أَمْرَأَةً قَدْ رَأَتْني حِينَ قَتَلْتُ نَافِعاً فَخَرَجْتُ لَتَّارَ بِهِ، فَلَمْ يَزَلِ الرِّبْعُ الْأَجْدَمُ يَقَاتِلُهُمْ نَيْفًا وَعِشْرِينَ يَوْماً حَتَّى قَالَ يَوْماً: أَنَا مَقْتُولٌ لَا مَحَالَةَ، قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ لِأَنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ كَانَ يَدِي الَّتِي أَصِيبْتُ بِكَابُلٍ انْحَطَّتْ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَشَلَّتْنِي. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَاتَلَ إِلَى اللَّيْلِ، ثُمَّ غَادَاهُمْ فَقُتِلَ فَتَدَافَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ الرَّايَةَ حَتَّى خَافُوا الْخَطْبَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ رَئِيسٌ. ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى الْحِجَّاجِ بْنِ بَابِ الْحَمِيرِيِّ فَأَبَاهَا فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَرَى أَنَّ رُؤَسَاءَ الْعَرَبِ بِالْحَضْرَةِ، وَقَدْ اخْتَارُوكَ مِنْ بَيْنِهِمْ؟ فَقَالَ: مَشْؤُومَةٌ، مَا يَأْخُذُهَا أَحَدٌ إِلَّا قُتِلَ ثُمَّ أَخَذَهَا فَلَمْ يَزَلْ يَقَاتِلُ الْخَوَارِجَ بِدُولَابٍ وَالْخَوَارِجَ أَعَدُّ بِالْأَلَاتِ وَالْدُرُوعِ، وَالْجَوَاشِينَ^(٢)، فَالْتَقَى الْحِجَّاجُ بْنُ بَابٍ وَعِمْرَانُ بْنُ الْحَرِثِ الرَّاسِيُّ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ اقْتَتَلُوا زُهَاءَ شَهْرٍ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ فَسَقَطَا مَيِّتَيْنِ فَقَالَتْ أُمُّ عِمْرَانَ تَرْتِيهِ:

وَكَانَ عِمْرَانُ يَدْعُو اللَّهَ فِي السَّحَرِ	اللَّهُ أَيُّدَ عِمْرَاناً وَطَهْرَهُ
شَهَادَةً بِيَدِي مِلْحَادَةٍ غُدْرَ	يَدْعُوهُ سِرّاً وَإِعْلَاناً لِيَرْزُقَهُ
وَشَدَّ عِمْرَانُ كَالضَّرْغَامَةِ الْهَاصِرِ	وَلَّى صَحَابَتَهُ عَنْ حَرِّ مَلْحَمَةٍ ^(٣)

(١) فصرت إلى رجلي أي منزلي يقال لمنزل الإنسان ومسكنه رجل والجمع رمال.

(٢) الجواشن جمع جوشن وهو الدرع.

(٣) الملحمة هي الحرب وموضع القتال والجمع الملاحم مأخوذ من التحام الناس واشتباكهم فيها.

في شرح بعض ما أورد من الفاظ

قول الربيع : إشتلنتني ، أي أخذتني إليها واستنفذتني . يقال اشتلاه واشتلاه . وفي الحديث أن السارق إذا قَطَعَ سَبْقَتُهُ يده إلى النار ، فإن تاب استشلاها ، قال رؤبة :

(إنَّ سليمان اشتلانا ابنَ علي) . وقول الناس أَشْلَيْتُ كَلْبِي ، أي أغريته بالصيد ، خَطَأً ، إنما يقال : آسَدْتَهُ ، وَأَشْلَيْتُهُ دَعْوَتَهُ . وقولها بيدي ملحادة ، بِفَعَالٍ من الالحاد ، كما تقول : رجل مِعْطَاءٌ يا فتى وَمِحْسَانٌ وَمِكْرَامٌ ، وَأُدْخِلْتَ الهَاءَ للمبالغة ، كما تُدْخَلُ في رواية وَعَلَامَةٌ ونَسَابَةٌ . وَغَدَرُ فَعْلٌ من الغَدَرِ ، وَلَفْعَلٌ باب نذكره في عقب هذه القصة ، إذا فرغنا من خبر هذه الواقعة ، والضرغامة من أسماء الأسد ، والهصرُ الذي يَهْصِرُ كل شيء أي يثنيه . قال امرؤ القيس :

فلما تنازعنا الحديثَ وأُسمَحَتْ^(١) هَصَرْتُ بغصن ذي شَمَارِيخٍ مَيَالٍ

ولذكرنا الصفريَّةَ والأزارقةَ والبيهسيةَ والإباضيةَ ، تفسير لِمَ نُسِبَ إلى ابن الأزرق بالأزارقة ، وإلى أبي بيهس بالكنية المضاف إليها ، ونُسِبَ إلى صُفْرِ رَنَمٍ يُنْسَبُ إلى واحدٍ ، ونُسِبَ إلى ابن أباض فَجُعِلَ النسبُ إلى أبيه . وهذا نذكره بعد باب فَعْلٌ ، ومما قيل من الشعر في يوم دُولَابٍ قول قَطْرِي :

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ	وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ أُمَّ حَكِيمٍ
مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يُرْ مَثَلُهَا	شِفَاءً لَّذِي بَثَّ وَلَا لَسَقِيمٍ
لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ الْبَطْمِ وَجْهَهَا	عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جَدُّ لَثِيمٍ
وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دُولَابٍ أَبْصَرْتُ	طِعَانَ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ دَمِيمٍ
غَدَاةَ طَفَّتْ عُلَمَاءُ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ	وَعُجْنًا ^(٢) صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمٍ

(١) أُسْمِحَتْ : أي جادت وأعطت عن كرم وسخاء .

(٢) عَجْنًا : عاج إلى الشيء : مال إليه .

وكان لعبد القيس أول جدها وظلّت شيوخ الأزد في حومة الوغى فلم أر يوماً كان أكثر مُغصاً^(١) وضاربة خذاً كريماً على فتى أصيب بدولاب ولم تك موطناً فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا رأيت فتية باعوا الاله نفوسهم وأحلافها من يحضب وسليم تعوم وظلنا في الجلال نعوم يمج دم^(٢) من فائظ^(٣) وكليم أغر نجيب الأمهات كريم له أرض دولاب ودير حميم تبيع من الكفار كل حريم بجنات عدن عنده ونعيم

قوله: ولو شهدتنا يوم دولاب، فإنما ذلك لأنه أراد البلدة، ودولاب أعجمي مُعَرَّبٌ وكل ما كان من أسماء الأعجمية نكرة بغير الألف واللام، فإذا دخلته الألف واللام فقد صار مُعَرَّباً وصار على قياس الأسماء العربية، لا يمنع من الصرف إلا ما يمنع العربي. فدولاب فوعال مثل طومار^(٤) وسولاف، وكل شيء لا يخص واحداً من الجنس من غيره فهو نكرة نحو رجل، لأن هذا الاسم يتحقق كل ما كان على بنيتيه، وكذلك حمل وجبل وما أشبه ذلك، فإن وقع الاسم في كلام العجم معرفة فلا سبيل إلى ادخال الألف واللام، لأنه معرفة، فلا معنى لتعريف آخر فيه، فذلك غير منصرف نحو فرعون وقارون، وكذلك اسحق وإبراهيم ويعقوب، وقوله: غداة طفت عماء بكر بن وائل، وهو يريد: على الماء، فإن العرب إذا التقت في مثل هذا الموضع لامن استجازوا حذف إحداهما استئثالا لتضعيف، لأن ما بقي دليل على ما حذف. يقولون علماء بنو فلان، كما قال الفرزدق.

وما سبق القيسي من ضعف حيلة ولكن طفت علماء قفنة^(٥) خالد

(١) غص: أن يضرب الإنسان فيموت مكانه.

(٢) مج الدم: يقدفه ولا يكون مجاً حتى يبعده.

(٣) الفائظ: الميت.

(٤) طومار: الصحيفة.

(٥) قفنة: التي تقطع من ذكر الصبي.

وكذلك كل إسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة فإنهم يجيزون معه حذف النون التي في قولك بنو، يُقرب مخرج النون من اللام، وذلك قولك فلان من بَلَحْرَثَ وَبَلْعَنْبَرٍ وَبَلْهَجِيمٍ . وقال آخر من الخوارج .

يرى مَنْ جاء ينظر من دُجَيْلٍ شيوخ الأزد طافية لحاها
وقال رجل منهم :

شَمِتَ^(١) ابنُ بَذْرِ والحوادثُ جَمَّةٌ والحائرونَ بنافع بن الأزرقي
والموتُ حَتْمٌ لا محالةَ واقعٌ مَنْ لا يُصَبِّحُهُ نهاراً يَطْرُقُ
فلئن أمير المؤمنين أصابه رَيْبُ المَنُونِ فَمَنْ يُصِيبُهُ يَغْلِقُ^(٢)

نصب بعد أن، لان حرف الجزاء للفعل، فإنما أراد: فلئن أصاب أمير المؤمنين، فلما حذف هذا الفعل وأضمر: ذكر أصابه ليدل عليه . ومثله قول النمر بن تولب:

لا تُجْزَعِي إن مُنِفساً أَهْلَكَتْهُ وإذا هَلَكْتُ فعند ذلك فاجزعي

وقال ذو الرمة:

إذا ابن أبي موسى بلالاً بَلَعْتِهِ فقام بفأس بين وِصْلَيْكَ^(٣) جازرُ
لأن إذا لا يليها إلا الفعل وهي به أولى .

(١) شمت: يشمت كنعب يتعب إذا فرح ببيلة نزلت بأعدائه .

(٢) يغلق: أي لا نبيج منه ولا يفك .

(٣) بين وِصْلَيْكَ: مثنى وصل بكسر الواو وتضم وهو العظم لا يكسر ولا يختلط بغيره والجازر القاضع .

٥١ - هذا باب فعل في النسب

أعلم أن كل اسم على مثال فعلٍ فهو مصروف في المعرفة والنكرة، إذا كان اسماً أصلياً أو نعتاً، فالاسماء نحو صُرِدَ ونُعِرَ وجُعِلَ، وكذلك إن كان جمعاً نحو ظَلِمَ وعُرِفَ وإن سميت بشيء من هذا رجلاً انصرف في المعرفة والنكرة، وأما النعت فنحورجل حُطِمَ، كما قال:

(قد لَفَهَا اللَّيْلُ بَسَاقٍ حُطِمَ) وكذلك مال لُبْدٌ، وهو الكثير من قوله جل جلاله: ﴿أَهْلَكْتُ مَالاً لُبْدًا﴾^(١) فإن كان الاسم على فعل معدولاً عن فاعل لم ينصرف إذا كان اسم رجل في المعرفة، وينصرف في النكرة. وذلك نحو عُمَرَ وَقُتَمَ لأنه معدول عن عامر، وهو الاسم الجاري على الفعل فهذا مما معرفته قبل نكرته. فإذا أريد به مذهب المعرفة جاز أن تنيه في النداء من كل فعلٍ، لأن المنادي مشارٌ إليه. وذلك قولك: يا فُسْقُ ويا خُبْثُ. تريد، يا فاسق ويا خبيث. وإنما قالت: بيدي ملحادة غُدِرَ في غير النداء للضرورة فنقلته معرفة من النداء، ثم جعلته نكرة لخروجه عن الإشارة فنعتت به ملحادة. كما قال الحطيئة:

أَجُولُ مَا أَجُولُ ثُمَّ آوِي إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتُهُ^(٢) لَكَاع^(٣)

وهذا لا يقع إلا في النداء، ولكن للشاعر نقله نكرةً، ونقله معرفةً على حد

(١) سورة البلد: الآية ٦.

(٢) القعيدة: المرأة التي تلازم الرجل في قعوده واطرافها إلى البيت لأنها تلازمه فيه، فعيل بمعنى مفاعل.

(٣) لكاع: لثيمة.

ما ثان له في النداء فيلحق قولها غدر بقوله : حطّم، ومأل لبّد وما أشبهه.
 وفعال في المؤنث بمنزلة فعل في المذكر، ولو سميت رجلاً حطماً لصرفته من
 عولك : هذا سائق حطّم لأنه قد وقع انكراً غير معدول فهو في الدعوت بمنزلة
 مُرد في الأسماء.



مرکز تحقیقات کتب و تیر علوم اسلامی

٥٢ (هذا باب النسب إلى المضاف)

إعلم أنك إذا نسبت إلى عَلمٍ مضاف فالوجه أن تنسب إلى الاسم الأول، وذلك قولك في عبد القيس عَبدِيّ، وكذلك في عبد الله بن دارم. فإن كان الاسم الثاني أشهر من الأول جاز النسب إليه لثلا يقع في النسب التباس من إسم باسم وذلك قولك في النسب إلى عَبدٍ مَنَافٍ: منافِيّ. وإلى أبي بكر بن كلاب: بَكْرِيّ. وقد يجوز وهو قليل أن تبني له من الاسمين إسمًا على مثال الأربعة لتنظم النسب، وذلك قولك في النسب إلى عبد الدار بن قَصِيّ: عَبدَرِيّ. وفي النسب إلى عبد القيس عَبدِيّ. فإن كان المضاف غير عَلمٍ، فالنسب إلى الثاني على كل حال وذلك قولك في النسب إلى ابن الزبير: زُبَيْرِيّ، لأن ابن الزبير إنما صار معرفة بالزبير. وكذلك النسب إلى ابن رَآلَانَ^(١): زَالَانِيّ. فلذلك قالوا في النسب إلى ابن الأزرق: أَزْرَقِيّ. وإلى أبي بَئَهَسٍ، بَئَهَسِيّ. فأما قولهم: صَفْرِيّ فإنما أرادوا الصُّفْرَ الألوان، فنسبوا إلى الجماعة، وحق الجماعة إذا نسب إليها أن يقع النسب إلى واحدها كقولك: مُهَلَّبِيّ ومِسْمَعِيّ. ولكن جعلوا صفرًا إسمًا للجماعة، ثم نسبوا إليه ولم يقولوا: أَصْفَرِيّ فينسب إلى واحدها. وإنما كان ذلك لأنهم جعلوا الصُّفْرَ إسمًا للجماعة كما تسمى القبيلة بالاسم الواحد. ألا ترى أن النسب إلى الانصار أنصاريّ لأنه كان علمًا للقبيلة؟ وكذلك مدائنيّ؟ وتقول في النسب إلى الأبناء من بني سَعْدٍ: أَسْعَدِيّ، لأنه اسم للجماعة. فأما قولهم الأزارقة فهذا

(١) ابن رآلان هو جابر بن رآلان الشاعر.

باب من النسب آخر وهو أن يُسمَّى كل واحد منهم باسم الاب إذا كانوا إليه، ونظيره المهالبة والمسامعة والمناذرة ويقولون: جاءني النُميرون والأشعرون جعل كل واحد منهم نُميراً وأشعر. فهذا يتصل في القبائل على ما ذكرت لك. وقد تُنسب الجماعة إلى الواحد على رأي أو دين فيكون له: مثل نسب الولادة كما قالوا: أزرقني لمن كان على رأي ابن الأزرق كما تقول: تميمي وقيسي لمن ولده تميم وقيس. ومن قرأ سلام على الياسين فإنما يريد الياس عليه السلام، ومن كان على دينه كما قال: (قَدْنِي مَنْ نَصَرَ الْخُبَيْيْنِ^(١)) قَدِي) يريد أبا خُبَيْب ومنه معه. وقد يجتمع الرجل مع الرجل في الثنية إذا كان مجازهما واحداً في أكثر الأمر على لفظ أحدهما، فمن ذلك قولهم العُمَران لأبي بكر وعُمَرَ رضي الله عنهما، ومن ذلك قولهم الخُبَيَّان لعبد الله ومُضْعَب، وقد مضى تفسيره.

عودة إلى الخوارج الأزارقة وتكفير من قتل مسلماً

عاد القول في الخوارج. قال والأزارقة لا تكفّر أحداً من أهل مقاتلتها في دار الهجرة إلا القاتل رجلاً مسلماً، فإنهم يقولون: المسلم حجة الله والقاتل قصد لقطع الحجة. ويروى أن نافعاً مراً بمالك بن مسمع في الحرب التي كانت بين الأزد وربيعه وبني تميم، ونافع متقلد سيفاً، فقام إليه مالك، فضرب بيده إلى جمالة سيفه، وقال: ألا تنصُرنا في حربنا هذه؟ فقال: لا يحل لي. قال: فما بال مؤمني بني تميم ينصرون كفارهم في هذه الحرب؟ فأمسك عنه، وخرج بعد ذلك بأيام إلى الأهواز فلما قُتل مَنْ قُتل ممن بخازر^(٢) من الخوارج في أيام ابن الماحوز كره بيعة القتال، وأقام حارثة بن بَذَر الغداني بازاء الخوارج يناوشهم على غير ولاية، وكان يقول: ما عذَرنا عند إخواننا من أهل البصرة أن وصل إليهم الخوارج ونحن دونهم.

(١) قَدْنِي: بكفني ومثله قالت ألا ليتها هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد.

(٢) خازر: نهر بين الموصل وأربل.

وقائع الأزارقة مع ولاية ابن الزبير

فكتب أهل البصرة إلى ابن الزبير يخبرونه بقعود بيته، ويسألونه أن يولي والياً. فكتب إلى أنس بن مالك أن يصلي بالناس، فصلى بهم أربعين يوماً، وكتب إلى عمر بن عبيد الله بن معمر فولاه البصرة، فلقبه الكتاب وهو يريد الحج وهو في بعض الطريق، فرجع فأقام بالبصرة وولى أخاه عثمان محاربة الأزارقة، فخرج إليهم في اثني عشر ألفاً. ولقيه حارثة فيمن كان معه وعبيد الله بن الماحوز في الخوارج بسوق الأهواز، فلما غبروا إليهم دجياً نهض إليهم الخوارج وذلك قبيل الظهر، فقال عثمان بن عبيد الله لحارثة بن بدر: أما الخوارج إلا ما أرى. فقال له حارثة: حسبك بهؤلاء، فقال: لا جرم والله لا أتغدى حتى أناجزهم. فقال له حارثة: إن هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف فأبقي على نفسك وجندك، فقال: أبيت أهل العراق إلا جبناً، وأنت يا حارثة ما علمك بالحرب! أنت والله بغير هذا أعلم، يُعرضُ له بالشراب. فغضب حارثة فاعتزل وحاربهم عثمان يومه إلى أن غابت الشمس فأجلت الحرب عنه قتيلاً، وانهزم الناس وأخذ حارثة الراية، وصاح بالناس: أنا حارث بن بدر، فتأب إليه قومه فعبّر بهم دجياً.

إستنجاد أهل البصرة بالأحنف

وبلغ قل عثمان البصرة وخاف الناس الخوارج خوفاً شديداً، وعزل ابن الزبير عمر بن عبيد الله وولى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع^(١) أحد بني مخزوم، وهو أخو عمر بن عبد الله بن المخزومي الشاعر. فقدم البصرة، فكتب إليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمَدَدَ فأراد أن يوليّه، فقال له رجل من بكر بن وائل: إن حارثة ليس بذلك إنما هو صاحب شراب. وفيه يقول رجل من قومه:

(١) القباع: كغراب مكياي ضخم لقب به الحرث بن عبد الله لأنه اتخذ ذلك المكياي لأهل البصرة.

ألم تر أن حارثة بن بدر يصلي وهو أكفر من حمار
ألم تر أن للفتيان حظاً وحظك في البغايا والقمار

فكتب إليه القبايع تكفى حربهم إن شاء الله، فأقام حارثة يدافعهم، فقال
شاعر من بني تميم يذكر عثمان بن عبيد الله بن معمر ومسلم بن عبيس
وحارثة بن بدر:

مضى ابن عبيس صابراً غير عاجز وأعقبنا هذا الحجازي عثمان
فأرعد من قبل اللقاء ابن معمر وأبرق والبرق اليماني خوان
فضحت قريشاً غثها وسمينها وقيل بنو تميم بن مرة عزلان^(١)
فلولا ابن بدر للعراقيين لم يقم بما قام فيه للعراقيين إنسان

إذا قيل من حامي الحقيقة أومأت إليه معد بالانوف وقحطان

قوله: فأرعد، زعم الأصمعي أنه خطأ وأن الكميت أخطأ في قوله:

أرعد وأبرق يا يزيد فما وعيدك لي بضائر

وزعم أن هذا البيت الذي يروى لمهلهل مصنوعٌ مُحدثٌ. وهو قوله:
أنبضوا معجس القسي و

أنبضوا^(٢) معجس القسي وأبرقنا كما ترعد الفحول الفحولا

وأنه لا يقال إلا رعد وبرق إذا أوعد وتهدد، وهو يرعد وبرق وكذا يقال:
رعدت السماء وبرقت وأرعدنا نحن وأبرقنا إذا دخلنا في الرعد والبرق. قال
الشاعر:

(فقل لأبي قابوس^(٣) ما شئت فارعد) وروى غير الأصمعي أرعد وأبرق
على ضغف. وقوله: والبرق اليماني خوان، يريد والبرق يخون. وأجود النسب

(١) عزلان: جمع أعزل وهو من لا سلاح له.

(٢) أنبض فلان في قوسه، حرك وترها لترن، والمعجس مقبض القوس.

(٣) قابوس: هو النعمان بن المنذر ملك العرب.

إلى اليمن يَمْنِي وَيَجُوزُ يَمَانٍ بتخفيف الياء، وهو حسن وهو في أكثر الكلام تكون الألف عوضاً من إحدى الياءين ويجوز يمانِي فاعلم تكون الألف زائدة وتُشَدُّ الياء. قال العباس بن عبد المطلب:

ضربناهم ضَرْبَ الأحامِسِ (١) غُدُوَّةً بكل يمانِي (٢) إذا هَزَّ صَمَمًا (٣)

ثم إن حارثة لما تفرق الناس عنه أقام بنهر تيرِي (٤) فَعَبَّرَتْ إليه الخوارج فهرب وأصحابه يَرْكُضُ حتى أتى دجيلاً. فجلس في سفينة، وأتبعه جماعة من أصحابه فكانوا معه. وأتاه رجل من بني تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه وقد تَوَسَّطَ حارثة فصاح به: يا حارثَ ليس مثلي ضيِّعَ فقال للملاح: قَرِّبْ، فَقَرَّبَ إلى جُرْفٍ ولا فُرْضَةٍ (٥) هناك. فطَفَرَ بسلاحه في السفينة فساخَتْ بالقوم جميعاً، وأقام ابن الماحوز يَجْبِي كُورَ الأهواز ثلاثة أشهر. ثم وجَّه الزبير بن علي نحو البصرة فضجَّ الناس إلى الأحنف فأتى القُبَاعَ فقال: أصلح الله الأمير، إن هذا العدو قد غلبنا على سوادنا وفِئتنا فلم يبق إلا أن يَحْضُرَنَا في بلدنا حتى نموت هَزْلاً قال: فسموا رجلاً. فقال الأحنف: الرأي لا يُخِيلُ، ما أرى لها إلا المَهْلَبَ بن أبي صُفْرَةَ، فقال: أو هذا رأي جميع أهل البصرة، اجتمعوا إليَّ في غَدٍ. وجاء الزبير حتى نزل الفرات وعقدَ الجِسْرَ لِيَعْبُرَ إلى ناحية البصرة فخرج أكثر أهل البصرة إليه، وقد اجتمع للخوارج أهل الأهواز وكُورُها رغبة ورهبةً، فأتاه البصريون في السُفُنِ وعلى الدواب ورجالةً، فاسودَّتْ بهم الأرض فقال الزبير لما رآهم: أبي قومنا إلا كفرا. فقطعوا الجسر، وأقام الخوارج بالفرات بإزائهم، واجتمع الناس عند القُبَاعِ وخافوا الخوارج خوفاً شديداً. وكانوا ثلاثَ فِرَقٍ فَسَمَّى قوم المَهْلَبِ وَسَمَّى قوم

(١) الأحامس: أحسن وهو الشجاع.

(٢) اليماني: من أسماء السيف نسبة إلى اليمن.

(٣) صمم: أصاب المفصل - أي قطعه.

(٤) نهر تيري: نهر في منطقة الأهواز.

(٥) الفرضة: بالضم من النهر ثلثة يستقى منها.

مالك بن مسمعٍ وسمى قوم زياد بن عمرو بن الأشرف العتكيّ فصرفهم . ثم
اختبر ما عند مالك وزياد فوجدهما متثاقلين عن ذلك . وعاد إليه من أشار بهما
وقالوا : قد رجعنا عن رأينا ما نرى لها إلا المهلب . فوجه الحرث إليه فأتاه
فقال له : يا أبا سعيدٍ قد ترى مارهةً لنا من هذا العدو ، وقد اجتمع أهل مصرك
عليك . وقال الأحنف : يا أبا سعيد ، إنا والله ما آثرناك بها ولكننا لم نر من
يقوم مقامك . فقال له الحرث ، وأوماً إلى الأحنف ، إن هذا الشيخ لم يسمك
إلا إشاراً للدين ، وكل من في مصرك ما دُعِيته إليك راجح أن يكشف الله عز
وجل هذه الغمة بك : فقال المهلب : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إني عند نفسي
لدون ما وصفتُم ولست آبياً ما دعوتُم إليه على شروطٍ أشرطها . قال الأحنف ،
قل . قال على أن أنتخب من أحببت ، قال ذاك لك . قال : ولي امرأة كل بلد
أغلب عليه ، قال : وذاك لك ، قال : ولي في كل بلد أظفر به ، قال الأحنف :
ليس ذاك لك ولا لنا إنما هو فيء المسلمين ، فإن سلبتهم إياه كنت عليهم
كعدوهم ، ولكن لك أن تعطي أصحابك من فيء كل بلد تغلب عليه ما شئت
وتنفق على محاربة عدوك فما فضل عنكم كان للمسلمين . فقال المهلب :
فمن لي بذلك ؟ قال الأحنف : نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك . قال : قد
قبلت . فكتبوا بذلك كتاباً ووضع على يدي الصلت بن حريث بن جابر
الحنفي . وانتخب المهلب من جميع الأخماس ، فبلغت نخبته إثني عشر ألفاً ،
ونظروا ما في بيت المال فلم يكن إلا مائتي ألف درهم ، فعجزت ، فبعث
المهلب إلى التجار أن تجارتكم منذ حولٍ قد كسدت عليكم بانقطاع مواد
الأهواز وفارس عنكم فهلُم فبايعوني وأخرجوا معي أوفكم إن شاء الله
حقوقكم . فتاجروه فأخذ من المال ما يصلح به عسكره واتخذ لأصحابه
الخفائين والرانات المحشوة بالصوف ، ثم نهض وأكثر أصحابه رجالة حتى إذا
صار بحذاء القوم أمر بسفن فأحضرت وأصلحت . فما ارتفع النهار حتى فرغ
منها ثم أمر الناس بالعبور إلى الفرات وأمر عليهم ابنه المغيرة ، فخرج الناس .
فلما قاربوا الشاطئ خاضت إليهم الخوارج فحاربهم المغيرة ونضحهم

بالسهام حتى تَنَحَّوْا. فصار هو وأصحابه على الشاطئ، فحاربوهم فَكَشَفُوهم
وَشَغَلُوهم حتى عَقَدَ المهلبُ الجسرَ وَعَبَّرَ والخوارجُ منهزمون، فَنهَى الناسَ عن
إتباعهم، ففي ذلك يقول شاعر من الأزد:

إِنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ لَمْ يَخْبُرُوا مِثْلَ الْمُهْلَبِ فِي الْحُرُوبِ فَسَلَّمُوا
أَمْضَى وَأَيُّمَنَ فِي اللَّقَاءِ نَقِيَّةً^(١) وَأَقْلَّ تَهْلِيلًا إِذَا مَا أَحْجَمُوا

التهليل التكذيب والانهزام، وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمر
العنبري، وكان من فرسان بني تميم وشجعانهم، فقال عطية:

يُذْعَى رَجَالٌ لِلْعَطَاءِ وَإِنَّمَا يُذْعَى عَطِيَّةٌ لِلطَّعَانِ الْأَجْرَدِ

وقال الشاعر:

وَمَا فَارَسٌ إِلَّا عَطِيَّةٌ فَوْقَهُ إِذَا الْحَرْبُ أَبَدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا الْقَمَا
بِهِ هَزَمَ اللَّهُ الْأَزَارِقَ بَعْدَمَا أَبَاحُوا مِنَ الْمَصْرَيْنِ حِلًّا وَمَحْرَمًا

فأقام المهلب أربعين يوماً يجبي الخراج بَكُورٍ دِجْلَةَ والخوارجُ بنهر تيري،
والزبير بن علي منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز، ففَضَى المهلبُ التِّجَارَ
وأعطى أصحابه، فأسرع إليه الناسُ رغبةً في مجاهدةِ الخوارج، ولما في
الغنائم والتجارات، فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الأزدي وعبد الله بن رياح
ومعاوية بن قرة المزي. وكان يقول يعني معاوية: لو جاء الدَّيْلَمُ من ههنا
والحرورية من ههنا لحاربتُ الحرورية، وأبو عمران الجوني وكان يقول: كان
كعبٌ يقول، قَتِيلُ الحرورية يُفْضَلُ قَتِيلُ غيرهم بعشرة أنوار. ثم نهض المهلبُ
إليهم إلى نهر تيري فَتَنَحَّوْا عنه إلى الأهواز وأقام المهلبُ يجبي ما حوَالَيْهِ من
الْكُورِ، وقد دَسَّ الجَوَاسِيسَ إلى عسكر الخوارج، فَأَتَوْه بأخبارهم وَمَنْ فِي
عسكرهم، فإذا حُشُوهُ^(٢) أَمَّا^(٢) بين قَصَارٍ وَصَبَاغٍ، ودَاعِرٍ وَحَدَّادٍ. فَخَطَبَ المهلبُ

(١) فلان ميمون النقية أي منجح مظفر في مطالبه والنقية النفس أو الطبيعة أو الخليفة.

(٢) حشوه بالضم والسكر في الأصل جماعة الأمعاء استعيرت لاخلط الناس وأفنائهم ورجل داعر
خبيث مفسد.

الناس، فذكر من هناك، وقال للناس: أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم؟ فلم يزل مقيماً حتى فهمهم وأحكم أمره وقوى أصحابه، وكثرت الفرسان في عسكره، وتنام إليه زهاء عشرين ألفاً، ثم مضى يؤم سوق الأهواز، فاستخلف أخاه المعمارك بن أبي صفرة على نهر تيرى، وفي مقدمته المغيرة ابن المهلب حتى قاربهم المغيرة فناوشوه فانكشف عنه بعض أصحابه وثبتت المغيرة بقیة يومه وليلته يؤقد النيران. ثم غاداهم القتال فإذا القوم قد أوقدوا النيران في ثقله متاعهم وارتحلوا عن سوق الأهواز، فدخلها المغيرة وقد جاءت أوائل خيل المهلب، فأقام بسوق الأهواز وكتب بذلك إلى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة كتاباً يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإننا منذ خرجنا نؤم هذا العدو في نعم من الله متصلة علينا ونعمة من الله متتابعة عليهم، نقدم ويحجمون ونحل ويرتحلون، إلى أن حللنا سوق الأهواز والحمد لله رب العالمين، الذي من عنده النصر وهو العزيز الحكيم. فكتب إليه الحرث: هنيئاً لك أخا الأزد الشرف في الدنيا والآخر في الآخرة إن شاء الله. قال المهلب لأصحابه: ما أجفى أهل الحجاز، أما ترونه يعرف إسمي واسم أبي وكنتي! وكان المهلب يثب الأحراس في الأمن كما يثبتهم في الخوف ويذكر العيون في الأمصار كما يذكرها في الصحاري، ويأمر أصحابه بالتحرز ويخوفهم البيات، وإن بعد منهم العدو، ويقول: احذروا أن تكادوا كما تكيدون ولا تقولوا هزمنا وغلبنا، فإن القوم خائفون وجلون والضرورة تفتح باب الحيلة.

خطبة المهلب في أصحابه

ثم قام فيهم خطيباً فقال: يا أيها الناس، إنكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج، وأنهم إن قدروا عليكم فتتوكم في دينكم وسفكوا دماءكم، فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فقد لقيهم قبلكم الصابر المحتسب مسلم بن عبيس، والعجل المفرط عثمان بن

عَبِيدُ اللَّهِ، وَالْمَعْصِيُّ الْمُخَالَفُ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ، فَقَتَلُوا جَمِيعاً وَقَتَّلُوا فَأَلْقَوْهُمْ بِجِدٍّ وَحَدٍّ فَإِنَّمَا هُمْ مَهْتَكُومٌ وَعَبِيدُكُمْ وَعَارٌ عَلَيْكُمْ وَنَقْصٌ فِي أَحْسَابِكُمْ وَأَدْيَانُكُمْ أَنْ يَغْلِبَكُمْ هَؤُلَاءِ عَلَى فَيْتِكُمْ وَيَطْوُوا حَرِيمَكُمْ. ثُمَّ سَارَ يَرِيدُهُمْ وَهُوَ بِمَنَاذِرِ الصُّغْرَى، فَوَجَّهَ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ بَشِيرٍ بْنُ الْمَاحُوزِ رَئِيسُ الْخَوَارِجِ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ وَاقِدٌ مَوْلَى لَالِ أَبِي صَفْرَةَ مِنْ سَبِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا، فِيهِمْ صَالِحُ بْنُ مُحَرَّاقٍ إِلَى نَهْرِ تَيْسَرَى وَبِهَا الْمُعَارِكُ ابْنُ أَبِي صَفْرَةَ، فَقَتَلُوهُ. فَتَمَّى الْخَبْرُ إِلَى الْمُهَلَّبِ فَوَجَّهَ ابْنَهُ الْمَغِيرَةَ فَدَخَلَ نَهْرَ تَيْسَرَى وَقَدْ خَرَجَ وَاقِدٌ مِنْهَا فَاسْتَنْزَلَهُ وَدَفَنَهُ وَسَكَنَ النَّاسَ وَاسْتَخْلَفَ بِهَا وَرَجَعَ إِلَى أَبِيهِ. وَقَدْ حَلَّ بِسُؤْلَافٍ وَالْخَوَارِجُ بِهَا، فَوَاقَعَهُمْ. وَجَعَلَ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ الْحَرِيشُ بْنُ هِلَالٍ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَسْكَافُ، فَجَعَلَ يُحْضِرُ النَّاسَ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ صَفْرَاءُ فَجَعَلَ يَأْتِي الْمَيْمَنَةَ وَالْمَيْسَرَةَ وَالْقَلْبَ فَيُحْضِرُ النَّاسَ وَيُهَوِّنُ أَمْرَ الْخَوَارِجِ، وَيَخْتَالُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ لِأَصْحَابِهِ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، هَلْ لَكُمْ فِي فَتْكَةٍ فِيهَا أُرْيَحِيَّةٌ؟ فَحَمَلَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَلَى الْأَسْكَافِ فَقَاتَلَهُمْ وَحَدَّهُ فَارِسًا. ثُمَّ كَبَا^(١) بِهِ فَرَسُهُ فَقَاتَلَهُمْ رَاجِلًا قَائِمًا وَبَارَكًا، ثُمَّ كَثُرَتْ بِهِ الْجَرَاحَاتُ فَذَبَّ بِسَيْفِهِ وَجَعَلَ يَحْثُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِهِمْ وَالْمُهَلَّبُ غَيْرُ حَاضِرٍ ثُمَّ قُتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَحَضَرَ الْمُهَلَّبُ فَأَخْبَرَ، فَقَالَ لِلْحَرِيشِ وَغَطِيَّةَ الْعَنْبَرِيِّ: أَسْلَمْتُمَا سَيِّدَ أَهْلِ الْعَسْكَرِ لَمْ تَعِينَاهُ وَلَمْ تَسْتَنْقِذَاهُ حَسَدًا لَهُ لِأَنَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي، وَوَبِخَهُمَا.

فِي مَا يَسْتَحْسِنُ مِنَ الْكُذْبِ

وَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَتَلَهُ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ الْمُهَلَّبُ فَطَعَنَهُ وَقَتَلَهُ، وَمَالَ الْخَوَارِجُ بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى الْعَسْكَرِ فَانْهَزَمَ النَّاسُ

(١) كَبَا: سَقَطَ بِهِ.

وَقَتَلُوا سَبْعِينَ رَجُلًا، وَثَبَتَ الْمَهْلَبُ وَأَبْلَى^(١) الْمَغِيرَةُ يَوْمَئِذٍ، وَعُرفَ مَكَانُهُ وَيُقَالُ: حَاصِ الْمَهْلَبُ يَوْمَئِذٍ حَيْصَةً^(٢) وَتَقُولُ الْأَزْدُ: بَلْ كَانَ يَرُدُّ الْمَنْهَزِمَةَ وَيَحْمِي أَدْبَارَهُمْ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُنْقَرٍ بْنِ عُبَيْدٍ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ:

بَسُولَافٍ أَضَعْتَ دِمَاءَ قَوْمِي وَطَرْتُ عَلَى مُوَاشِكَةٍ دُرُورٍ

قوله مواشكة يريد سريعة، ويقال نحن على وشك رحيل، ويقال ذميل مواشك إذا كان سريعاً قال ذو الرمة:

إِذَا مَا رَمَيْنَا رَمِيَةً فِي مَفَازَةٍ عَرَاقِيهَا بِالشَّيْظَمِيِّ^(٣) الْمُوَاشِكِ

ودرور فعول، من در الشيء إذا تتابع.

أحد بني تميم يذم المهلب

وقال رجل من بني تميم، آخر:

تَبِعْنَا الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ طَوْعًا يُزْجِي^(٤) كُلُّ أَرْبَعَةٍ حِمَارًا
فِيَا نَسْأَمِي عَلَى تَرْكِي عَطَائِي مُعَايِنَةً وَأَطْلُبُهُ ضِمَارًا
إِذَا الرَّحْمَنُ يَسَّرَ لِي قَفُولًا فَحَرَّقَ فِي قُرَى سُولَافٍ نَارًا

قوله: الأعور الكذاب، يعني المهلب. ويقال عارت عينه بسهم كان أصابها. وقال الكذاب، لأن المهلب كان فقيهاً وكان يعلم ما جاء عن رسول الله ﷺ من قوله: كل كذب يُكْتَبُ كَذِباً إِلَّا ثَلَاثَةٌ الْكَذِبُ فِي الصَّلَاحِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، وَكَذِبُ الرَّجُلِ لَامْرَأَتِهِ يَعِدُهَا، وَكَذِبُ الرَّجُلِ فِي الْحَرْبِ يَتَوَعَّدُ وَيَتَهَدَّدُ. وجاء عنه ﷺ: إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ فَخَذَّلْ عَنَّا فَإِنَّمَا الْحَرْبُ خَدَعَةٌ^(٥). وقال

(١) أبلى: أظهر شجاعة.

(٢) حاص حيصه ذكرت في مكان سابق.

(٣) الشيطمي: الطويل الجسم الفتي من الخيل والابل.

(٤) يزجي: يسوق.

(٥) إنما الحرب خدعة: يروى بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال فالأول معناه أن الحرب ينتهي أمرها خدعة واحدة وهذه أفصح الروايات وأصحها والثاني إسم من الخداع.

عليه السلام: في حرب الخندق لسعد بن عباد وسعد بن معاذ وهما سيدا
الحَيِّينِ الخَزْرَجِ والأَوْسِ: أثبتا بني قُرَيْظَةَ فإن كانوا على العهد فَأَعْلَنَّا بِذَلِكَ،
وإن كانوا قد نقضوا ما بيننا فالْحَنَّا^(١) لي لَحْنًا أعرفه، ولا تَفْتًا في أعضاء
المسلمين. فرجعا بغدر القوم فقالا: يا رسول الله عَضَلُ والقارة. قال: فقال
رسول الله ﷺ للمسلمين: أبشروا فإن الأمر ما تحبون. (قال الأخفش: سألت
المُبَرِّدَ عن قولهما عَضَلُ والقارة، فقال هذان حيان كانا في نهاية العداوة
لرسول الله ﷺ فأراد أنهما في الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين). قال
أبو العباس: فكان المهلبُ ربما صَنَعَ الحديثَ لِيَشُدَّ به من أمر المسلمين
وَيُضَعِّفَ من أمر الخوارج، فكان حَيٌّ من الأَزْدِ يقال لهم النَّدَبُ إذا رأوا
المهلبَ رائحاً إليهم قالوا قد راح المهلبُ ليَكْذِبَ. وفيه يقول رجل منهم:
أَنْتَ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى لَوْ كُنْتَ تَصَدَّقُ مَا تَقُولُ

فبات المهلب في ألفين، فلما أصبح رجع بعضهم المنهزمة فصار أربعة
آلاف، فخطب أصحابه. فقال: واللَّهِ ما بكم من قِلَّةٍ، وما ذهب عنكم إلا
أهل الجُبْنِ والضعفِ والطمعِ والطَّبعِ ﴿فَإِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ
مِثْلُهُ﴾ فسيروا إلى عدوكم على بركة الله. فقام إليه الحريش بن هلال فقال:
أَنْشُدْكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْ تَقَاتِلَهُمْ إِلَّا أَنْ يَقَاتِلُوكَ فَإِنْ بِالْقَوْمِ جِرَاحاً وَقَدْ ائْتَحْتَهُمْ
هَذِهِ الْجَوْلَةُ. فَقَبِلَ مِنْهُ. ومضى المهلب في عشرة فأشرف على عسكر
الخوارج، فلم يرَ منه أحداً يتحرك. فقال له الحريش: ارْتَحِلْ عن هذا
الموضع، فارتحل فَعَبَّرَ دُجَيْلًا وصار إلى عاقولٍ لا يُوْتِي إلا من وجه واحد،
فأقام به واستراح الناس ثلاثاً. وقال ابن قيس الرُّقَيَّاتِ.

أَلَا طَرَقْتُ مِنْ آلِ بَيْتِ طَارِقَةٍ	على أنها مَعْشُوقَةُ الدَّلِّ عَاشِقَةٍ
تَبَيْتُ وَأَرْضُ السُّوسِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا	وَسُولاْفُ رُسْتاقُ حَمَتِهِ الْأَزَارِقَةِ
إِذَا نَحْنُ شَتْنَا صَادَفْتَنَا عِصَابَةٌ	حَرُورِيَّةٌ أَضَحَّتْ مِنَ الدِّينِ مَارِقَةٍ

(١) يقال لحنت لفلان إذا قلت له قولاً يفهمه ويخفى على غيره.

(٢) سورة آل عمران الآية رقم ١٤٠.

أَجَازَتْ إِلَيْنَا الْعَسْكَرِينَ كِلَيْهِمَا فَبَاتَتْ لَنَا دُونَ اللَّحَافِ مُعَانِقُهُ

في شرح لفظة الضمار

وقد ذكرنا الضمار ومعناه الغائب وأصله من قولك أضمرت الشيء أي أخفيتُه عنك، ويقال: مَالٌ عَيْنٌ لِلْجَاحِظِ وَمَالٌ ضِمَارٌ لِلْغَائِبِ. قال الأَعَشَى.

وَمَنْ لَا تَضِيعُ لَهُ ذِمَّةٌ فَيَجْعَلُهَا بَعْدَ عَيْنٍ ضِمَارًا
وقال أيضاً:

نَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتَكَ الْبِلَا دُنُجْفَى وَتُقَطَّعُ مِنَّا الرَّجْمُ

والفعل من هذا أَضْمَرَ يُضْمِرُ والمفعول به مُضْمَرٌ، والفاعل مُضْمِرٌ، والضمار إسم للفعل في معنى الأضمار، وأسماء الأفعال تَشْرِكُ المصادر في معانيها. تقول أعطيته غَصَاءً فَيَشْرِكُ الْعَطَاءُ الْإِعْطَاءُ في معناه ويسمى به المفعول، وتقول كلمته تَكْلِيمًا وَكَلَامًا في معناه. والمصدر يُنْعَتُ به الفاعل في قولك: رَجُلٌ عَدْلٌ وَرَجُلٌ كَرَمٌ وَرَجُلٌ نَوْمٌ وَرَجُلٌ غَمٌ وَغَيْمٌ. وينعت به المفعول به المفعول في قولك رَجُلٌ رِضًا وَهَذَا دِرْهَمٌ ضَرْبُ الْأَمِيرِ. وجاءني الخَلْقُ تَعْنِي المخلوقين. وقال رجل من الخوارج في ذلك اليوم:

وَكَأَنَّ تَرَكْنَا يَوْمَ سُؤْلَافٍ مِنْهُمْ أَسَارَى وَقَتْلَى فِي الْجَحِيمِ مَصِيرُهَا

قوله: وَكَأَنَّ معناه كَمْ، وأصله كاف التشبيه دخلت على أَيِّ فصارَتَا بمنزلة كَمْ، ونظير ذلك له كَذَا وَكَذَا دِرْهَمًا إِنَّمَا هِيَ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهَا الْكَافُ وَالْمَعْنَى لَهُ كَهَذَا الْعَدَدِ مِنَ الدِّرَاهِمِ، فَإِذَا قَالَ: لَهُ كَذَا كَذَا دِرْهَمًا، فَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ أَحَدٍ عَشَرَ دِرْهَمًا إِلَى تِسْعَةِ عَشَرَ لِأَنَّهُ ضَمَّ الْعَدْدَيْنِ. فَإِذَا قَالَ: كَذَا وَكَذَا فَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ أَحَدٍ وَعَشْرَيْنِ إِلَى مَا جَازَ فِيهِ الْعُطْفُ بَعْدَهُ، وَلَكِنْ كَثُرَتْ كَأَيُّ فَخَفَفَتْ وَالتَّثْقِيلُ الْأَصْلُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَايٍ مِنْ قَرْيَةٍ أُمْلِيَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾^(١)،

(١) سورة الحج: الآية رقم ٤٨.

﴿وَكَايَ مِنْ نَبِيٍّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾^(١) . وقد قرئ بالتخفيف .

في شرح لفظة كائن

كما قال الشاعر :

وكائن رددنا عنكم من مُدَجِّجٍ يجيءُ أمامَ الألفِ يَرْدِي مُقْنَعَا
وقال آخر :

وكائن ترى يوم الغُمَيْصَاءِ^(٢) من فتى أُصِيبَ ولم يُجْرَحْ وقد كان جارحاً
قال أبو العباس : وهذا أكثر على ألسنتهم لطلب التخفيف ، وذلك الأصل . وبعض العرب يقلب فيقول كَيَّ يا فتى فيؤخر الهمزة لكثرة الاستعمال . قال الشاعر :

وكَيَّ في بني دودان^(٣) منهم غداة الرِّوْعِ معروفاً كَمِيَّ^(٤)

قتال المهلب للخوارج

فَأَقَامَ الْمَهْلَبُ فِي ذَلِكَ الْعَاقُولِ^(٥) ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ ارْتَحَلَ ، وَالْخَوَارِجُ بَسَلَى
وَسَلَّى^(٦) . (قال الأخفش : سَلَى وَسَلَّى بفتح السين فيهما موضعان بالأهواز .
وسَلَى بكسر السين موضع بالبادية وهكذا ينشد هذا البيت :

كَأَنَّ عَدِيرَهُمْ بِجُنُوبِ سَلَى نَعَامُ فَاقَ^(٦) فِي بَلَدٍ قَفَارِ
فنزل قريباً منهم فقال ابن الماحوز لأصحابه : ما تنتظرون بعدوكم وقد

(١) سورة آل عمران : الآية رقم ١٤٦ .

(٢) الغميصاء : موضع أوقع فيه خالد بن الوليد ببني جذيمة .

(٣) دودان أسد أبو قبيلة .

(٤) الكمي : الشجاع .

(٥) عاقول : بلد بالنهروان .

(٦) فاق الطائر : صوت .

هزمتهم بالأمس وكسرتهم خدّهم!! فقال له وافدٌ مولى أبي صفرة: يا أمير المؤمنين إنما تفرّق عنهم أهل الضعف والجبن وبقي أهل النجدة والقوة، فإن أصبتهم لم يكن ظفراً هنيئاً لأنّي أرهم لا يُصابون حتى يُصيبوا، فإن غلبوا ذهب الدين. فقال أصحابه: نافق وافدٌ، فقال ابن الماحوز: لا تعجلوا على أخيكم فإنه قال هذا نظراً لكم. ثم توجّه الزبير بن عليّ إلى عسكر المهلب لينظر ما حالهم فأتاهم في مائتين فحزّهم ورجع. وأمر المهلب أصحابه بالتحارّس حتى إذا أصبح ركب إليهم على تعبئة صحيحة فالتقوا بسلي وسليرى فتصافوا. فخرج من الخوارج مائة فارس فركّزوا رماحهم بين الصفيين واتكثوا عليها، وأخرج إليهم المهلب عداّهم ففعلوا مثل ما فعلوا لا يريمون إلا أصالة حتى أمسوا فرجع كل قوم إلى معسكرهم، ففعلوا هذا ثلاثة أيام، ثم إن الخوارج تطاردوا لهم في اليوم الثالث فحمل عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعة، ثم إن رجلاً من الخوارج حمل على رجل فطعنه فحمل عليه المهلب فطعنه. فحمل الخوارج بأجمعهم كما صنعوا يوم سولاف فضعضعوا الناس، وفقد المهلب، وثبت المغيرة في جمع أكثرهم أهل عمان ثم نجّم المهلب في مائة فارس وقد انغمست كفاه في الدم وعلى رأسه قلنسوة مربعة فوق المغفر محشوة قرّاً وقد تمزقت وإن حشوها ليطاير وهو يلهث، وذلك في وقت الظهر، فلم يزل يحاربهم إلى الليل حتى كثر القتل في الفريقين. فلما كان الغد غاداهم. وقد كان وجه بالأمس رجلاً من طاحية بن سود بن مالك بن فهم بن الأزد يردّ المنهزمين فمر به عامر بن مسمع فردّه، فقال: إن الأمير أذن لي فبعث إلى المهلب فأعلمه فقال: دعه فلا حاجة لي في مثله من أهل الجبن والضعف. وقد تفرق أكثر الناس فغاداهم المهلب في ثلاثة آلاف، وقال لأصحابه: ما بكم من قلة؟ أيعجز أحدكم أن يرمي برمح ثم يتقدم فيأخذه؟ ففعل ذلك رجل من كندة يقال له عيَّاش. وقال المهلب لأصحابه: أعدوا محاليّ فيها حجارة وارموا بها في وقت الغفلة فإنها تصدّ الفارس وتصرع الراجل. ففعلوا، ثم أمر منادياً ينادي في أصحابه يأمرهم بالجدّ والصبر ويطعمهم في العدو

ففعل حتى مر ببني العدويّة من بني مالك بن حنظلة فضربوه. فدعا المهلبُ
بسيدهم وهو معاوية بن عمرو فجعل يركّله برجله، وهذا معروف في الأزدي،
فقال: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ أُعْغِنِي مِنْ أُمَّ كَيْسَانَ وَالرُّكْبَةَ تَسْمِيهَا الْأَزْدُ أَمْ كَيْسَانَ،
ثُمَّ حَمَلَ الْمَهْلَبُ وَحَمَلُوا فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً فَجُهِدَ الْخَوَارِجُ فَنَادَى مُنَادِيهِمْ:
أَلَا إِنْ الْمَهْلَبُ قَدْ قُتِلَ، فَركب المهلبُ بِرْذَوْنًا قَصِيراً أَشْهَبَ وَأَقْبَلَ يَرْكُضُ بَيْنَ
الصَّفَيْنِ وَإِنْ إِحْدَى يَدَيْهِ لَفِي الْقَبَاءِ وَمَا يَشْعُرُ بِهَا، وَهُوَ بِصِيحٍ: أَنَا الْمَهْلَبُ.
فَسَكَنَ النَّاسُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا قَدْ ارْتَاعُوا وَظَنُوا أَنَّ أَمِيرَهُمْ قَدْ قُتِلَ، وَكُلُّ النَّاسِ مَعَ
العصر فصاح المهلبُ بَابْنِهِ الْمُغِيرَةَ تَقَدَّمَ ففعل وصاح بِذَكْوَانَ مَوْلَاهُ قَدَّمَ رَأَيْتَكَ
ففعل فقال له رجل من ولده، وَإِنَّكَ تُغَرَّرُ بِنَفْسِكَ فَذَمَرَهُ^(١) ثُمَّ صَاحَ: يَا بَنِي تَمِيمِ
أَأَمْرُكُمْ فَتَعَصُونَنِي؟ فَتَقَدَّمَ وَتَقَدَّمَ النَّاسُ وَاجْتَلَدُوا أَشَدَّ جِلَادٍ حَتَّى إِذَا كَانَ مَعَ
الْمَسَاءِ قُتِلَ ابْنُ الْمُحَاوِزِ وَانْصَرَفَ الْخَوَارِجُ وَلَمْ يَشْعُرِ الْمَهْلَبُ بِقَتْلِهِ فَقَالَ
لَأَصْحَابِهِ أَبْغُونِي رَجُلًا جَلْدًا يَطُوفُ فِي الْقَتْلِ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِرَجُلٍ مِنْ جَرَمٍ،
وَقَالُوا إِنَّا لَمْ نَرِ رَجُلًا قَطُّ أَشَدَّ مِنْهُ. فَطُوفَ وَمَعَهُ النَّيْرَانُ فَجَعَلَ إِذَا مَرَّ بِجَرِيحٍ
مِنَ الْخَوَارِجِ، قَالَ: أَكَاْفِرُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، فَأَجْهَزَ عَلَيْهِ. وَإِذَا مَرَّ بِجَرِيحٍ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ أَمَرَ بِسُقْيِهِ وَحَمْلِهِ. وَأَقَامَ الْمَهْلَبُ فِي عَسْكَرِهِ بِأَمْرِهِمْ بِالْإِحْتِرَاسِ
حَتَّى إِذَا كَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ وَجَّهَ رَجُلًا مِنَ الْيَحْمَدِ قَالَ الْأَخْفَشُ: الْيَحْمَدُ مِنَ
الْأَزْدِ وَالْخَلِيلُ مِنْ بَطْنٍ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُمُ الْفَرَاهِيدُ، وَالْفُرْهُودُ فِي الْأَصْلِ الْحَمْلُ
فَإِنْ نَسَبْتَ إِلَى الْحَيِّ قُلْتَ فَرَاهِيدِي وَإِنْ نَسَبْتَ إِلَى الْحُمَلَانِ قُلْتَ فُرْهُودِي لَا
غَيْرَ فِي عَشْرَةِ فَصَارُوا إِلَى عَسْكَرِ الْخَوَارِجِ فَإِذَا الْقَوْمُ قَدْ تَحَمَلُوا إِلَى أَرْجَانِ^(٢)
فَرَجَعَ إِلَى الْمَهْلَبِ فَأَعْلَمَهُ فَقَالَ: أَنَا لَهُمُ السَّاعَةُ أَشَدُّ خَوْفًا فَاحْذَرُوا الْبَيَاتَ:
قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَيُرْوَى عَنْ شُعْبَةَ بْنِ الْحَجَّاجِ أَنَّ الْمَهْلَبَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمًا
أَنْ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجُ قَدْ يَتَّبِعُونَ مِنْ نَاحِيَّتِكُمْ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْبَيَاتِ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ
فَاجْعَلُوا شِعَارَكُمْ حِمًّا لَا يَنْصُرُونَ^(٣) فَإِنْ رَسُلَ اللَّهُ ﷺ كَانَ بِأَمْرِ بِهَا، وَيُرْوَى أَنَّهُ

(١) فذمره: فزجره وهدده.

(٢) أَرْجَانُ بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ: بَلَدٌ بِفَارَسٍ.

(٣) حِمٌّ لَا يَنْصُرُونَ: مَعْنَاهُ الْخَيْرُ لَا الدَّعَاءُ كَأَنَّهُ قَالَ وَاللَّهِ لَا يَنْصُرُونَ أَوْ مَعْنَاهُ الدَّعَاءُ وَإِنْ كَانَ لَهُ =

كان شعار أصحاب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه . فلما أصبح المهلب غدا على القتلى فأصاب ابن الماحوز فيهم ، ففي ذلك يقول رجل من الخوارج :

بِسْلَى وَسَلِيرِي مِصَارُغُ فِتْيَةٍ كَرَامٍ وَجَرَحِي لَمْ تُوسِّدْ خَدَوَهَا
وقال آخر :

بِسْلَى وَسَلِيرِي مِصَارُغُ فِتْيَةٍ كَرَامٍ وَعَقَرِي مِنْ كُمَيْتٍ وَمِنْ وَرْدٍ
وقال رجل من موالى المهلب : لقد صرعتُ يومئذ بحجر واحد ثلاثة ، رميت به رجلاً فأصبتُ أصل أذنه فصرعته ثم أخذتُ الحجر فضربت به آخرَ على هامته فصرعته ثم صرعت به ثالثاً . وقال رجل من الخوارج .

أَتَانَا بِأَحْجَارٍ لِيَقْتُلَنَا بِهَا وَهَلْ تُقْتَلُ الْأَبْطَالُ وَيَحْكُ بِالْحَجَرِ
وقال رجل من أصحاب المهلب في يوم سلى وسليرى وقيل ابن الماحوز .

وَيَوْمَ سَلَى وَسَلِيرِي أَحْصَاظُ بِهِمْ مَنَاصِبُوا عَقُ مَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُ
حتى تركنا عبيد الله منجداً كما تجدل جُدْعَ مَالٍ مُنْقَعِرُ

قال أبو العباس : تقول العرب صاعقة وصواعق ، وهو مذهب أهل الحجاز وبه نزل القرآن ، وبنو تميم يقولون صاقعة وصواقع ، والمنقعر المنقلع من أصله ، قال الله أصدق القائلين : كأنهم أعجاز نخل منقعر . ويروى أن رجلاً من الخوارج يوم سلى حمل على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فلما خالطه الرمح صاح يا أمّاه فصاح به المهلب لا كثر الله بمثلك المسلمين فضحك الخارجي وقال :

خبراً يريد اللهم لا تنصرهم وقال بعضهم السور التي أولها حم لها شأن فبه أن ذكرها أشرف ميزاتها مما سيتنزل به النصر من الله وقوله لا ينصرون كلام مستأنف .

أَمَّكَ خَيْرُ لَكَ مِنِّي صَاحِبًا تَسْقِيكَ مَحْضًا^(١) وَتَعْلُ رَائِبًا^(٢)

وكان المغيرة بن المهلب إذا نظر إلى الرماح قد تشاجرت^(٣) في وجهه نكس قربوس سرجه وحمل من تحتها فبراها بسيفه وأثر في أصحابها حتى تخرمت الميمنة من أجله، وكان أشد ما تكون الحرب أشد ما يكون تبسماً، فكان المهلب يقول: ما شهد معي حر باقط إلا رأيت البشري في وجهه.

وقال رجل من الخوارج في هذا اليوم:

فإن تك قَتَلِي يوم سَلَى تتابعَتْ فكم غادرتُ أسياْفنا من قُماقم^(٤)
غداة نَكُرُ المَشْرِفِيَّةَ فيهم بسُولا ف يوم المَأزِقِ المِتلاحِمِ

والمأزق هو يوم الحرب، والمتلاحم نعت له، والمشرقية السيوف نسب إلى المشارف من أرض الشام، وهو الموضع الملقب مؤنة الذي قتل به جعفر بن أبي طالب وأصحابه. (قال الأخفش: كان المبرد لا يهمز موة ولم أسمعها من علمائنا إلا بالهمز).

كتاب المهلب إلى الحارث

قال أبو العباس: فكتب المهلب إلى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة القُبَاع: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإننا لقينا الأزاقة المارقة بحدٍّ وجدٍّ، فكانت في الناس جولةً، ثم تاب أهل الحِفاظ^(٥) والصبر بنيات صادقة، وأبدان شداد، وسيوف جداد، فأعقب الله خير عاقبة، وجاوز بالنعمة مفدار الأمل، فصاروا دَرَّةً^(٦) رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل الله أميرهم ابن الماحوز

(١) المحض: الخالص من كل شيء.

(٢) الرائب: اللبن المخوض من الروب وهو الخلط لأنه يخلط بالماء عند المحض ليخرج زبده.

(٣) تشاجرت: اشتبكت من المشاجرة.

(٤) القماقم: السيد العظيم.

(٥) الحفاظ: الذب عن المحارم.

(٦) درية: حلقة يعلم الطعن والرمي عليها استعيرت هنا لمن غلب وظهر على خصمه.

وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها، والسلام. فكتب إليه القُبَاعُ: قد قرأت كتابك يا أخا الأزد فرأيتك وقد وهب الله لك شرف الدنيا وعِزَّها، وذخرك ثواب الآخرة إن شاء الله وأجرها، ورأيتك أوثق حصون المسلمين، وهادئ أركان المشركين، وأخا السياسة وذا الرياسة فاستدِمَّ الله بشكره يُتِمَّ عليك نعمة، والسلام. وكتب إليه أهل البصرة يهنؤنه ولم يكتب إليه الأحنف، ولكن قال: أقرؤا عليه السلام وقولوا له أنا لك على ما فارقتك عليه. فلم يزل يقرأ الكتب ويلتمس في أضعافها كتاب الأحنف، فلما لم يره قال لإصحابه: أما كتب إلينا؟ فقال له الرسول: حملني إليك رسالة، وأبلغه، فقال هذه أحب إلي من هذه الكتب.

مبايعة الخوارج للزبير

واجتمعت الخوارج بأرجان فبايعوا الزبير بن علي وهو من بني سَلِيط بن يَرْبُوع من رهط ابن الماحوز فرأى فيهم انكساراً شديداً وضِعْفاً بيناً فقال لهم: اجتمعوا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ، ثم أقبل عليهم فقال: إن البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر، وهو على الكافرين عقوبة وحِزْيٌ، وإن يُصَبَّ منكم أمير المؤمنين فما صار إليه خير مما خلف، وقد أصبتم منهم مسلم بن عُبَيْس، وربيعاً الأجدَم، والحجاج ابن باب وحارثة بن بدور، أشجيتُ المهلب وقتلتُم أخاه المَعَارِك، والله يقول لإخوانكم من المؤمنين: إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقد مَسَّ القوم قَرْحٌ مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس. فيوم سَلَى كان لكم بلاء وتمحيصاً، ويوم سُولاف كان لهم عقوبة ونكالا فلا تُغْلِبَنَّ على الشك في حينه والصبر في وقته، وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١) ثم تَحَمَّلَ لمحاربة المهلب فنفتحهم المهلب نفحة فرجعوا. فأكَمَنَ للمهلب في غَمُضٍ من غَمُوض الأرض يَقْرُبُ من عسكره مائة فارس ليغتالوه. فسار المهلب يوماً يطوف بعسكره ويفقد سواده فوقف على جبل، فقال: إن من التدبير لهذه المارقة أن تكون قد أَكْمَنْتُ في سَفْحِ هذا

(١) سورة هود: الآية ٤٩.

الجل كميناً، فبعث عشرة فوارس فأطلعوا على المائة، فلما علموا أنهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونَجَّسُوا وكَسَفَتِ الشمسُ فصاحوا بهم يا أعداء الله، لو قامت القيامة لجددنا في جهادكم ثم يش الزبير في ناحية المهلب فضرب إلى ناحية أُصْبَهَانِ ثم كَرَّ راجعاً إلى أَرْجَانٍ وقد جمع جموعاً، وكان المهلب يقول: كأني بالزبير وقد جمع جموعاً فلا ترهبوهم، فَتَخَبَّتْ قُلُوبُكُمْ وَلَا تُغْفِلُوا الاحتراس فيطمعوا فيكم، فجأؤوه من أَرْجَانٍ خالفوه متسعداً آخذاً بأفواه الطرق، فحاربوه فظهر عليهم ظهوراً بيناً، ففي ذلك يقول رجل من بني تميم أحسبه من بني رياح بن يربوع:

سَقَى اللَّهُ الْمَهْلَبَ كُلَّ غَيْثٍ من الوَسْمِيِّ (١) يَنْتَجِرُ انتحاراً
فَمَا وَهَنَ الْمَهْلَبُ يَوْمَ جَاءَتْ عَوَابِسُ خَيْلِهِمْ تَبْغِي الْغَوَارِ (٢)

وقال المهلب يومئذ: ما وقعت في أمر ضيق من الحرب، رأيت أمامي رجالاً من بني الهُجَيْمِ ابن عمرو بن تميم، بِجَالِدُونَ (٣) وكأنَّ لحاهم أذنانُ العقاقير، وكانوا صبروا معه في غير موطن. وقال رجل من بني تميم من بني عَبْشَمِ بْنِ سَعْدٍ:

أَلَا يَا مَنْ لَصَبٌ مُسْتَجِنٌ (٤) قَرِيحِ الْقَلْبِ قَدْ صَحِبَ الْمَزُونَا
لَهَانَ عَلَى الْمَهْلَبِ مَا لَقِينَا إِذَا مَا رَاحَ مَسْرُوراً بَطِينَا
يَجُرُّ السَّابِرِيَّ (٥) وَنَحْنُ شُعْتُ كَأَنَّ جُلُودَنَا كُسِيَتْ طَحِينَا

المزونُ عُمانٌ وهو اسم من أسمائها. قال الكُمَيْتُ:

فَأَمَّا الْأَزْدُ أَزْدُ أَبِي سَعِيدٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أَسْمِيَهَا الْمَزُونَا

وقال جرير:

-
- (١) الوسمي: مطر الربيع.
(٢) الغوار: بالكسر: الإغارة.
(٢) بجالدون: يتضاربون.
(٤) مستجن: أصابه جنون.
(٥) السابري: ثوب رقيق جيد يستشف ما وراءه.

وأطفأت نيران المَزُونِ وأهلها وقد حاولوها فتنةً أن تُسْعَرا
وحمل يومئذ الحريشُ بن هلالٍ غلي قيسَ الإكافِ، وكان قيس من أنجَدِ
فُرسانِ الخوارجِ، فطعنه فذَقَ صُلْبَهُ وقال: ...

قيسُ الإكافِ غداةَ الرُّوعِ يَعْلَمُنِي^(١) ثَبَّتَ المَقَامَ إِذَا لاقَيْتُ أَقراني
وقد كان فُلُ المَهلبِ يومَ سَلَى وسليرى صاروا إلى البصرة، فذكروا أن
المهلب أصيب، فَهَمُّ أهل البصرة بالنُّقْلةِ إلى الباديةِ حتى ورد كتابه بظفره،
فأقام الناسُ وتراجع من كان ذهب منهم، فعند ذلك يقول الأحنفُ بن قيس:
البصرةُ بصرةُ المهلبِ. وقَدِمَ رجلٌ من كِنْدَةَ يقال له فلان بن أرقم، فَتَعَى ابن
عم له وقال: رأيتُ رجلاً من الخوارجِ وقد مَكَّنَ رُمحه من صلبه فقَدِمَ المنعِي،
فقيل له ذلك فقال: صدقَ ابن أرقم لما أَحسَسْتُ برُمحه بين كَتِفَيَّ صَحْتُ،
البَقِيَّةُ. فرفعه عني وتلا: بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَوَجَّهَ المهلبُ
بعقب هذه الوقعة رجلاً من الأَزْدِ برأس عُبَيْدِ اللَّهِ بن بَشِيرِ بن الماحوزِ إلى
الحرث بن أبي ربيعة القُبَاعِ. فلما صار بِكُريجِ دينارٍ لقيه حَبِيبٌ وعبد الملك
وعلي بنو بشير بن الماحوز فقالوا له: ما الخبر؟ ولا يعرفهم، فقال: قتلَ اللَّهُ
المارقَ ابنَ الماحوزِ، وهذا رَأْسُهُ معي، فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنوا
الرأسَ. فلما وَلِيَ الحجاجُ دخل عليه علي بن بشير، وكان وسيماً جسيماً،
فقال: من هذا؟ فَخَبَّرَ، فقتله ووهب ابنه الأزهرَ وابنتَهُ لأهل الأَزْدِ المقتول.

تولية مصعب بن الزبير على البصرة

وكانت زينب بنت بشير لهم مواصلةً فوهبوهما لها. فلم يزل المهلبُ
يقاتل الخوارج في ولاية الحرث بن القباع حتى عَزَلَ الحرثُ ووَلِيَ مُصْعَبُ بن
الزبير، فكتب إليه أن أَقْدِمَ عليَّ واستخلفَ ابنك المغيرة، ففعل، فجمع
الناسَ فقال لهم: إني قد استخلفتُ عليكم المغيرةَ وهو أبو صغيركم رَقَّةُ
ورحمةً، وابنُ كبيركم طاعةٌ وبرٌّ وتبجيلاً وأخو مثله مُواساةٌ ومُناصحةٌ، فَلْتَحْسُنْ
(١) يعلمني: ثَبَّتَ المَقَامَ يقول إني شجاع ثابت في مكاني عند لقاء أقراني.

له طاعتكم وليلن له جانبكم ، فوالله ما أردت صواباً قط إلا سبقني إليه .

مشاورة بين مصعب والناس بشأن الخوارج

وولاية عمر بن عبيد الله

ثم مضى إلى مصعب، وكتب مصعب إلى المغيرة بولايته وكتب إليه : إنك لم تكن كأبيك، فإنك كافٍ لما وليتكَ، فشمّر واتررر وجد واجتهد، ثم شخّص المصعب إلى المذار^(١) فقتل أحمر بن شميطة، ثم أتى الكوفة فقتل المختار بن أبي عبيد. وقال للمهلب : أشر عليّ برجل أجعله بيني وبين عبد الملك، قال : اذكر لك واحداً من ثلاثة، محمد بن عمير بن عطارٍ الدارميّ أو زياد بن عمرو بن الأشرف العتكيّ، أو داود بن قحدم . فقال : أوتكفيني ؟ قال : أكفيك إن شاء الله . فولاه الموصل، فشخّص المهلب إليها وصار مصعب إلى البصرة، فسأل من يستكفي أمر الخوارج ويقد إلى أخيه، فشاوّر الناس . فقال قوم : ولّ عبيد الله بن أبي بكر . وقال قوم : ولّ عمر بن عبيد الله بن معمر . وقال قوم : ليس لهم إلا المهلب فأردده إليهم . وبلغت المشورة الخوارج فأداروا الأمر بينهم فقال قطريّ بن الفجاءة المازنيّ : إن جاءكم عبيد الله بن أبي بكر أناكم سيّد سمح جواد كريم مطيع لعسكره . وإن جاءكم عمر بن عبيد الله أناكم شجاع بطل فارس جاد يقابل لدينه وملكه، وبطبيعة لم أر مثلاً لأحد، فقد شهّدته في وقائع فما نوّدي في القوم لحرب إلا كان أول فارس يطلع حتى يشدّ على قرنيه فيضربه، وإن ردّ المهلب فهو من قد عرفتموه، إن أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر يمّده إذا أرسلتموه ويرسله إذا أرسلتموه وإذا مددتموه لا يبدؤكم إلا أن تبدؤوه، إلا أن يرى فرصة فينتهزها فهو الليث المبر^(٢) والثعلب الرواغ والبلاء المقيم، فوّلهم عمر بن عبيد الله وولاه فارس والخوارج

(١) المذار : بلد بين واسط والبصرة .

(٢) الليث المبر : الغالب يقال ابر فلان على فلان غلبه وقهره وعلاه .

بَارْجَانٍ وَعَلَيْهِمُ الزَّبِيرُ بْنُ عَلِيٍّ السَّلِيطِيُّ، فَشَخَّصَ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلَهُمْ وَأَلْحَ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ عَنْهَا فَأَلْحَقَهُمْ بِأَصْبَهَانَ. فَلَمَّا بَلَغَ الْمُهَلَّبُ أَنْ مَصْعَباً وَلَّى عَمْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ: رَمَاهُمْ بِفَارِسِ الْعَرَبِ وَفَتَاهَا. فَجَمَعُوا لَهُ وَأَعَدُّوا وَاسْتَعَدُّوا ثُمَّ أَتَوْا سَابُورَ فَسَارَ إِلَيْهِمْ حَتَّى نَزَلَ مِنْهُمْ عَلَى أَرْبَعَةِ فَرَسَخٍ فَقَالَ لَهُ مَالِكُ بْنُ حَسَّانَ الْأَزْدِيُّ: أَنْ الْمُهَلَّبُ كَانَ يُذَكِّي الْعَيُونَ، وَيَخَافُ الْبِيَّاتَ، وَيَرْتَقِبُ الْغَفْلَةَ، وَهُوَ عَلَى أَبْعَدَ مِنْ هَذِهِ الْمَسَافَةِ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُ: اسْكُتْ خَلَعَ اللَّهُ قَلْبَكَ أَتَرَكَ تَمُوتُ قَبْلَ أَجْلِكَ، فَأَقَامَ هُنَاكَ. فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ بَيْتُهُ الْخَوَارِجُ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَحَارِبَهُمْ حَتَّى أَصْبَحَ فَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ، فَأَقْبَلَ عَلَى مَالِكِ بْنِ حَسَّانٍ فَقَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَ؟ قَالَ: قَدْ سَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يَكُونُوا يَطْمَعُونَ مِنَ الْمُهَلَّبِ بِمِثْلِهَا، فَقَالَ: أَمَّا أَنْكُمْ لَوْ نَاصَحْتُمُونِي مُنَاصَحَتَكُمْ الْمُهَلَّبَ لَرَجَوْتُ أَنْ أَنْفِيَ هَذَا الْعَدُوَّ وَلَكِنْكُمْ تَقُولُونَ قَرَشِيَّ حِجَازِيَّ، بَعِيدُ الدَّارِ خَيْرُهُ لَغَيْرِنَا فَتَقَاتَلُونَ مَعِيَ تَعْذِيرًا^(١). ثُمَّ رَحَفَ إِلَى الْخَوَارِجِ مِنْ غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَاتَلَهُمْ قِتَالاً شَدِيداً حَتَّى الْجَاهُومَ إِلَى قَنْطَرَةٍ فَتَكَاثَفَ النَّاسُ عَلَيْهَا حَتَّى سَقَطَتْ، فَأَقَامَ حَتَّى أَصْلَحَهَا ثُمَّ عَبَرُوا.

مركز تقيت كميوتير علوم وپوهنې

مقتل عمرو بن هصيص

وَتَقَدَّمَ ابْنَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو وَأُمُّهُ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبٍ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ فَقَالَ قَطْرِيٌّ. لَا تَقَاتِلُوا عَمْرَ الْيَوْمَ فَإِنَّهُ مَوْتُورٌ وَلَمْ يَعْلَمْ عَمْرُ بِقَتْلِ ابْنِهِ حَتَّى أَفْضَى إِلَى الْقَوْمِ، وَكَانَ مَعَ ابْنِهِ النُّعْمَانُ بْنُ عَبَّادٍ فَصَاحَ بِهِ: يَا نُعْمَانُ أَيْنَ ابْنِي؟ فَقَالَ إِحْتَسِبُهُ فَقَدْ اسْتَشْهَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ صَابِراً مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ: فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى النَّاسِ حَمْلَةً لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، وَحَمَلَ أَصْحَابَهُ بِحَمَلَتِهِ فَقَتَلُوا فِي وَجْهِهِمْ ذَلِكَ تَسْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ، وَحَمَلَ عَلَى قَطْرِيٍّ فَضْرِبَهُ عَلَى جَبِينِهِ فَفَلَقَهُ. وَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ وَانْتَهَبَهَا. فَلَمَّا اسْتَقَرُّوا قَالَ لَهُمْ قَطْرِيٌّ: أَمَا أُشِرْتُ عَلَيْكُمْ بِالْانْصِرَافِ؟ فَجَعَلُوهُ وَجُوهَهُمْ حَتَّى

(١) التعذير: والتقصير وهنا وصف القتال بالتقصير والتواكل.

خرجوا من فارس . وتلقاهم في ذلك الوقت الفرز بن مهزم العبدى فسأله عن خبره ، وأرادوا قتله فأقبل على قطري فقال : إني مؤمن مهاجر ، فسأله عن أقوالهم فأجاب إليها ، فحلوا عنه . ففي ذلك يقول في كلمة له :

وَشَدُّوا وَثَاقِي ثُمَّ أَلْجَؤُا خُصُومِي ^(١) إِلَى قَطْرِي ذِي الْجَبِينِ الْمُفْلَقِ
وَحَاجَجْتُهُمْ فِي دِينِهِمْ وَحَجَجْتُهُمْ وَمَا دِينُهُمْ غَيْرُ الْهَوَى وَالتَّخَلُّقِ

ثم إنهم تراجعوا وتكانفوا (قال الأخفش : تكانفوا أعان بعضهم بعضاً واجتمعوا وصار بعضهم في كنف بعض) وعادوا إلى ناحية أرجان ، فسار إليهم عمرو وكتب إلى مُصْعَب : أما بعد ، فإني قد لقيت الأزارقة فرزق الله عبيد الله بن عمرو الشهادة ووهب له السعادة ، ورزقنا عليهم الظفر ففرقوا شذراً مَذَرًا ، وبلغتني عنهم عودة فيممتهم ، وبالله أستعين وعليه أتوكل . فسار إليهم ومعه عطية بن عمرو ومُجَاعَةُ بن سعيد ، فالتقوا ، فألح عليهم حتى أخرجهم . وانفرد من أصحابه فعمد له أربعة عشر رجلاً منهم من مذكوريهم وشجعانهم وفي يده عمود ، فجعل لا يضرب رجلاً منهم إلا صرعه ، فركض إليه قطري على فرس طمر ^(٢) وعمر على مهر فاستعلاه قطري بموه فرسه حتى كاد يصرعه ، فبصر به مُجَاعَةُ فأسرع إليه فصاحت الخوارج بقطري : يا أبا نعام إن عدو الله قد رهقك ^(٣) ، فاحط قطري عن قربوسه فطعنه مُجَاعَةُ ، وعلى قطري درعان ، فهتكهما ، وأسرع السنان في رأس قطري فكشط عنه جلدة ونجا . وارتحل القوم إلى أصفهان فأقاموا برهة ثم رجعوا إلى الأهواز . وقد ارتحل عمر بن عبيد الله إلى اضطخر فأمر مُجَاعَةُ فجبى الخراج أسبوعاً ، فقال كم جببت ؟ قال تسعمائة ألف . فقال هي لك ، فقال يزيد بن الحكم الثقفي لمجاعة :

وَدَعَاكَ دَعْوَةَ مُرْهَقٍ فَأَجَبْتَهُ عُمَرُ وَقَدْ نَسِيَ الْحَيَاةَ وَضَاعَا

(١) الخصومة : الجدل والمنازعة .

(٢) فرس طمر : بكسر الطاء والنيم والراء المشددة - وهو الجواد .

(٣) رهقه : لحق به .

فَرَدَدَتْ عَادِيَةَ الْكُتَيْبَةِ عَنْ فَتَى قَدْ كَادَ يُتْرَكُ لَحْمُهُ أَوْزَاعاً^(١)

وَعَزَلَ مُضْعَبُ بْنُ الزَّبِيرِ، وَوُلِّيَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ، فَوَجَّهَ
الْمَهْلَبُ إِلَيْهِمْ فَحَارَبَهُمْ فَأَخْرَجَهُمْ عَنِ الْأَهْوَازِ، ثُمَّ رَدَّ مُضْعَبُ وَالْمَهْلَبُ
بِالْبَصْرَةِ، وَالْخَوَارِجُ بِأَطْرَافِ أَصْبَهَانَ، وَالْوَالِي عَلَيْهَا عَتَابُ بْنُ وَرْقَاءَ الرِّيَّاحِيُّ.
فَأَقَامَ الْخَوَارِجُ هُنَاكَ شَيْئاً يَجْبُونَ الْقُرَى، ثُمَّ أَقْبَلُوا إِلَى الْأَهْوَازِ مِنْ نَاحِيَةِ
فَارَسَ، فَكُتِبَ مُضْعَبُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: مَا أَنْصَفْتَنَا، أَقَمْتَ بِفَارَسَ
تَجْبِي الْخَرَاجَ وَمِثْلُ هَذَا الْعَدُوَّ يَحَارِبُكَ، وَاللَّهُ لَوْ قَاتَلْتَ ثُمَّ هَرَبْتَ لَكَانَ أَعْذَرُ
لَكَ. وَخَرَجَ مُضْعَبُ مِنَ الْبَصْرَةِ يَرِيدُهُمْ، وَأَقْبَلَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَرِيدُهُمْ
فَتَنَحَّى الْخَوَارِجُ إِلَى السُّوسِ^(٢)، ثُمَّ أَتَوْا الْمَدَائِنَ فَقَتَلُوا أَحْمَرَ طِيءٍ وَكَانَ
شَجَاعاً وَكَانَ مِنْ فُرْسَانَ عبيدِ اللَّهِ بْنِ الْحُرِّ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

تَرَكْتُمْ فَتَى الْفَتَيَانِ أَحْمَرَ طِيءٍ بِسَابَاطٍ لَمْ يَعْطِفَ عَلَيْهِ خَلِيلُ

ثُمَّ خَرَجُوا عَامِدِينَ إِلَى الْكُوفَةِ، فَلَمَّا خَالَطُوا سَوَادَهَا وَوَالِيَهَا الْحَرِثُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ الْقُبَاعُ فَتَشَاوَلَ عَنِ الْخَوَارِجِ، وَكَانَ جَبَاناً، فَذَمَرَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ
وَلَامَهُ النَّاسُ فَخَرَجَ مُتَحَامِلاً حَتَّى أَتَى النُّخَيْلَةَ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْقُبَاعَ سَارَ سَيْراً نَكِراً يَسِيرُ يَوْمًا وَيُقِيمُ شَهْرًا

وَجَعَلَ يَعِدُ النَّاسَ بِالْخُرُوجِ وَلَا يَخْرُجُ وَالْخَوَارِجُ يَعِيشُونَ حَتَّى أَخَذُوا امْرَأَةً
فَقَتَلُوا أَبَاهَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَكَانَتْ جَمِيلَةً ثُمَّ أَرَادُوا قَتْلَهَا فَقَالَتْ: أَتَقْتُلُونَ مَنْ يُنْشَأُ
فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مَبِينٍ^(٣)؟ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: دَعُوهَا. فَقَالُوا:
قَدْ فَتَنَّاكَ ثُمَّ قَدْ مَوَّاهَا فَقَتَلُوهَا ثُمَّ قَرَّبُوا أُخْرَى وَهُمْ بِحِذَاءِ الْقُبَاعِ، وَالْجَسْرُ مَعْقُودٌ
بَيْنَهُمَا، فَقَطَعَهُ الْقُبَاعُ وَهُوَ فِي سِتَّةِ آلَافٍ وَالْمَرْأَةُ تَسْتَغِيثُ بِهِ وَتَقُولُ: عَلَامُ

(١) أَوْزَاعاً: مَقْسِماً.

(٢) السُّوسُ: كُورَةٌ بِالْأَهْوَازِ فِيهَا قَبْرُ النَّبِيِّ دَانِيَالٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٣) سُورَةُ الزَّخْرَفِ: آيَةُ ١٨.

تقتلونني؟ فوالله ما فسقت ولا كفرت ولا ارتددت والناس يتفلتون إلى الخوارج والقباع يمنعهم فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقطع الجسر فأقام بين دباها وذبيرى خمسة أيام، والخوارج بقربه وهو يقول للناس في كل يوم: إذا لقيتم العدو غداً فأثبتوا أقدامكم واصبروا فإن أول الحرب الترامي. ثم إشراع الرماح ثم السلة^(١) فتكملت رجلاً أمه فر من الزحف فقال بعضهم لما أكثر عليهم، إما الصفة فقد سمعناها فمتى يقع الفعل، وقال الراجز:

إن القباع سار سيراً ملساً^(٢) بين دباها وذبيرى خمسا

فأخذ الخوارج حاجتهم، وكان شأن القباع التحصن منهم، ثم انصرفوا ورجع إلى الكوفة وصاروا من فورهم إلى أصفهان فبعث، عتاب بن ورقاء إلى الزبير بن علي: أنا ابن عمك ولست أراك تقصد في انصرافك من كل حرب غيري فبعث إليه الزبير أن أدنى الفاسقين وأبعدهم من الحق سواء. وإنما سمي الحرث بن عبد الله القباع لأنه ولي البصرة، فعير على الناس مكاييلهم، فنظر إلى مكيال صغير في مرآة العين وقد أحاط بدقيق استكثره فقال: إن مكيالكم هذا لقباع، والقباع الذي يخفي أو يخفى ما فيه يقال: انقبع الرجل إذا استتر، ويقال للقفذ القبع وذلك أنه يحبس رأسه. وأقام الخوارج يغادون عتاب بن ورقاء القتال ويراوحونه حتى طال عليهم المقام ولم يظفروا منه بكثير. فلما كثر ذلك عليهم انصرفوا لا يمرون بقرية بين أصفهان والأهواز إلا استباحوها وقتلوا من فيها وشاور المصعب الناس. فأجمع رأيهم على المهلب فبلغ الخوارج مشورته فقال لهم قطري: إن جاءكم عتاب بن ورقاء فهو فاتك يطلع في أول المقنب ولا يظفر بكبير، وإن جاءكم عمر بن عبيد الله ففارس يقدم فإما له وإما عليه، وإن جاءكم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه ويأخذ منكم ولا يعطيكم فهو البلاء اللازم والمكروه الدائم. وعزم مصعب

(١) السلة بالفتح وقد يكسر وهي استلال السيوف.

(٢) سيراً ملساً: أي سيراً مغباً وشديداً.

على توجيه المهلب وإن يَشْخَصَ هو لحرب عبد الملك. فلما أَحَسَّ به الزبير بن علي خرج إلى الرِّيِّ وبها يزيد بن الحرث بن رُوَيْمٍ فحاربه ثم حصره. فلما طال عليه الحصار خرج إليه فكان الظَّفَرُ للخوارج فقتل يزيد بن رُوَيْمٍ ونادى يومئذ ابنه حَوْشَباً ففر عنه وعن أمه لَطِيفَةٌ. وكان علي بن أبي طالب عليه السلام. دخل على الحرث بن رُوَيْمٍ يعود ابنه يزيد فقال: عندي جارية لطيفة الخدمية أبعثُ بها إليك، فسامها يزيد لَطِيفَةٌ، فقتلت معه يومئذ ففي ذلك يقول الشاعر:

مَوَاقِفُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ أَسْرُ وَأَشْقَى مِنْ مَوَاقِفِ حَوْشَبِ
دَعَاهُ يَزِيدٌ وَالرَّمَاخُ شَوَارِعُ فلم يستجب بل راغ تَرَوَاغٌ ثَعْلَبِ
ولو كان شَهْمُ النَّفْسِ أَوْ ذَا حَفِيزَةٍ رأى ما رأى في الموت عيسى بن مُصْعَبِ
وقد مر خبر عيسى بن مصعب مستقصى، وقال آخر:
نَجَّى حَلِيلَتَهُ وَأَسْلَمَ شَيْخَهُ نَصَبَ الْأَسِنَّةِ حَوْشَبِ بْنِ يَزِيدِ

ما دار بين خالد بن حصوان وبلال ابن أبي مروة

وقال ابن حوشب لبلال بن أبي بردة يعيره بأمه، وبلال مَشْدُودٌ عند يوسف بن عمر: يا ابن حَوْرَاءَ: فقال بلال، وكان جَلْدًا أن الأمة تسمى حَوْرَاءَ وَجِيدَاءَ وَلَطِيفَةً. وزعم الكلبي أن بلالاً كان جلدًا حيث ابتلي قال الكلبي: وَيُعْجِبُنِي أَنْ أَرَى الْأَسِيرَ جَلْدًا. قال، وقال خالد بن صَفْوَانُ لَهُ بِحَضْرَةِ يَوْسُفَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَزَالَ سُلْطَانَكَ، وَهَدَّ رُكْنَكَ، وَغَيَّرَ حَالَكَ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتَ شَدِيدَ الْحِجَابِ مُسْتَخْفًا بِالشَّرِيفِ، مَظْهَرًا لِلْعَصْبِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ بِلَالُ: إِنَّمَا طَالَ لِسَانُكَ يَا خَالِدُ لثَلَاثَ مَعَكَ هُنَّ عَلَيَّ: الْأَمْرُ عَلَيْكَ مُقْبِلٌ وَهُوَ عَنِي مُدْبِرٌ، وَأَنْتَ مُطْلَقٌ وَأَنَا مَأْسُورٌ، وَأَنْتَ فِي طِينَتِكَ وَأَنَا فِي هَذَا الْبَلَدِ غَرِيبٌ. وَإِنَّمَا جَرَى إِلَى هَذَا لِأَنَّهُ يُقَالُ أَنَّ أَصْلَ آلِ الْأَهْثَمِ مِنَ الْحَيْرَةِ، وَأَنَّهُمْ أَشَابَةُ^(١) دَخَلَتْ فِي بَنِي مِثْقَرٍ مِنَ الرُّومِ.

(١) الاشابة: بالضم الاخلاط من الناس تجتمع من كل حذب وصوب.

حصار الخوارج لعتاب بن ورقاء

ثم انحط الزبير بن علي على أصفهان فحَصَرَ بها عَتَابَ بن وَرْقَاءَ الرِّياحِيَّ سبعة أشهر، وعَتَابُ يحاربه في بعضهن، فلما طال به الحِصار قال لأصحابه: ما تنتظرون، واللَّه ما تُؤْتُونَ من قِلَّةٍ وإنكم لَفُرْسَانُ عِشائركم. ولقد حاربتموهم مراراً فانتصفتهم منهم وما بقي مع هذا الحِصار إلا أن تَفْنَى ذِخائركم فيموت أحدكم، فيدفنه أخوه، ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه. فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل أن يضعف أحدكم عن أن يمشي إلى قَرْبِهِ. فلما أصبح الغد صلى بهم الصبح، ثم خرج إلى الخوارج وهم غَارُونَ^(١)، وقد نَصَبَ لواء لجارية له يقال لها ياسمين: من أراد البقاء فليحلق بلواء الياسمين، ومن أراد الجهاد فليخرج معي. فخرج في ألفين وسبعمائة فارس، فلم يَشْعُرْ بهم الخوارج حتى غَشَوْهُمْ فقاتلوهم بجِدٍّ لم ير الخوارج منهم مثله، فعقروا منهم خَلْقاً وقتلوا الزبير بن عليّ وانهزمت الخوارج، فلم يَبْغَهُمْ عَتَابُ. ففي ذلك يقول الشاعر:

وَيَوْمٌ بِجَيٍّ^(٢) تَلَا فَيْتَهُ^(٣) وَلَوْلَاكَ لَا ضُطِّلِمَ^(٤) الْعَسْكَرُ

قال أبو العباس: نُفِّسَ قوله ولولاك في آخر هذا الخبر إن شاء الله. وقال رجل من بني ضَبَّةَ في تلك الواقعة:

خَرَجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ مُسْتَمِيئاً^(٥) وَلَمْ أَكْ فِي كَتِيبَةِ يَاسْمِينَا
أَلَيْسَ مِنَ الْفَضَائِلِ أَنَّ قَوْمِي غَدَوْا مُسْتَلْئِمِينَ مِجَاهِدِينَا

وتزعم الرواة أنهم في أيام حصارهم كانوا يَتَوَاقِفُونَ، وَيَحْمِلُ بَعْضُهُمْ عَلَى

(١) غارون: غافلون واحدة غار.

(٢) جي: بالفتح اسم أصفهان قديماً أو بلدة بها.

(٣) تلافاه: تداركه.

(٤) الاضطلام هو الاستئصال.

(٥) مستمياً: الشجاع الذي لا يهاب الموت.

بعض . وربما مُوَافَقَةٌ بغير حرب، وربما اشتدت الحرب بينهم . وكان رجل من أصحاب عتّاب يقال له شريح ويكنى أبا هريرة، إذا تَحَاجَزَ القوم مع المساء نادى بالخوارج وبالزُبَيْر بن عليّ :

يا ابن أبي الماحوز والأشرار كيف تَرَوْنَ يا كِلاب النار
شَدُّ أبي هريرة الهَرَارِ يَهْرُكُكُمْ بالليل والنهار
ألم تَرَوْا جَيًّا على المِضْمَارِ تُمَسِّي من الرحمن في جِوَارِ

فغاظهم ذلك منه، فَكَمَنَ له عُبيدةُ بن هلالٍ فضربه، واحتمله أصحابه فظنت الخوارج أنه قد قُتِلَ . فكانوا إذا تَوَاقَفُوا نَادَوْهُمُ : ما فَعَلَ الهَرَّارُ؟ فيقولون : ما به من بأس حتى أَبْلَّ من عِلَّتِهِ؟ إليهم فصاح : يا أعداء الله، أترون بي بأساً؟ فصاحوا به : قد كنا نَرَى أنك لِحَقَّتْ بِأَمِّكَ الهاوية في النار الحامية . قال أبو العباس : نفسر أشياء من العربية تحتاج إلى الشرح، من ذلك قوله : ولولاك، ومنه قوله : ألم تَرَوْا جَيًّا، ومنه قوله : يهركم بالليل والنهار

الحديث على مواقع لولا في اللغة

أما قوله لولاك فإن سبويه يزعم أن لولا تخفض المضمر، ويرتفع بعدها الظاهر لا ابتداء فيقال : إذا قلت لولاك فما الدليل على أن الكاف مخفوضة دون أن تكون منصوبة، وضمير النصب كضمير الخفض؟ فتقول : إنك تقول لنفسك لولاي، ولو كانت منصوبة لكانت النون قبل الياء كقولك رماني وأعطاني . قال يزيد بن الحكم الثقفى :

وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طَحَتْ^(١) كَمَا هَوَى بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوَى

النِّيقُ أعلى الجبل، وَجَرْمُ الإنسان خَلْقُهُ فيقال له : الضمير في موضع ظاهره فكيف يكون مختلفاً، وإن كان هذا جائزاً فَلِمَ لا يكون في الفعل وما أشبه نحو إن وما كان معها في الباب . وزعم الأخفش سَعِيدٌ أن الضمير

(١) طحت : أهلكت .

مرفوع، ولكن وافق ضمير الخفض كما يستوي الخفض والنصب فيقال هذا في غير هذا الموضع؟ قال أبو العباس: والذي أقوله إن هذا خطأ لا يصلح إلا أن تقول لولا أنت، كما قال الله عز وجل: ﴿لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾،^(١) ومن خالفنا يزعم أن الذي قلناه أجود ويدعي الوجه الآخر فيجيزه على بُعْدِهِ. وأما جِيُّ فالأجود فيها أن تقول: (ألم تروا جِيَّ على المضمار) فلا تُنَوِّن، لأنها مدينة والاسم أعجمي، والمؤنث إذا سمي باسم أعجمي على ثلاثة أحرف لم ينصرف إذا كان مؤنثاً، وإن كان أوسطه ساكناً نحو جُور وجَمَص وما كان مثل ذلك، ولو كان إسمائاً لمذكر لانصرف فإن صرفته جعلته إسمائاً لبلد، وإن لم تصرفه جعلته إسمائاً لبلده، أو لمدينة. ألا ترى أنك تصرف نُوحاً ولوطاً وهما أعجميان؟ وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف كلها متحرك، لأنك تصرف قَدماً لو سميت به رجلاً، فالأعجمي بمنزلة المؤنث لأن إمتناعهما واحداً. وأما قوله يهرکم فإن كسل ما كان من المضاعف على ثلاثة أحرف، وكان متعدياً فإن المضارع منه على يَفْعُل نحو شَدَّهُ يَشُدُّه وَرَزَّهُ يَرِزُّه وَرَدَّهُ يَرُدُّه وَحَلَّهُ يَحُلُّه. وجاء منه حرفان على: يَفْعُل وَيَفْعُل، فيهما جيد: هَرَّةٌ يَهْرُهُ إذا كرهه، وَيَهْرُهُ أجود، وَعَلَّهُ بالحناء، يَعْلُهُ وَيَعْلُهُ أجود ومن قال حَبَبُهُ قال يَحِبُّه لا غير. وقرأ أبو رجاء العطاردي: فاتبعوني يَحِبُّكُمْ اللَّهُ. وذلك أن بني تميم تدَّعِمُ في موضع الجزم، وتُحَرِّكُ أواخره لالتقاء الساكنين.

مبايعة الخوارج لقطري بعد مقتل الزبير

رجع الحديث. ثم إن الخوارج أداروا أمرهم بينهم فأرادوا تولية عُبَيْدَةَ بن هِلَالٍ، فقال: أَذُلُّكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي، مَنْ يُطَاعِنُ فِي قُبُلٍ، وَيَحْمِي فِي دُبُرٍ عَلَيْكُمْ قَطْرِيَّ بن الفُجَاءَةِ المازني فبايعوه. فوقف بهم فقالوا: يا أمير المؤمنين، امض بنا إلى فارس. فقال: أن يفارس عمر بن عبيد الله بن معمر ولكن نصير إلى الأهواز، فإن خرج مُضْعَبُ بن الزبير من البصرة

(١) سورة سبأ: الآية ٣١.

دخلناها. فأتوا الأهواز، ثم ترفعوا عنها إلى إيدج^(١). وكان مصعب قد عزم على الخروج إلى باجمير، فقال لإصحابه: إن قطرياً قد أطل علينا وإن خرجنا عن البصرة دخلها. فبعث إلى المهلب، فقال: أكفنا هذا العدو، فخرج إليهم المهلب، فلما أحس به قطري تيمم نحو كرمان، فأقام المهلب بالأهواز ثم كر قطري عليه، وقد استعد، فكان الخوارج في جميع حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم بكثرة السلام وكثرة الدواب، وحصانة الجبن^(٢)، فحاربهم المهلب فنفاهم إلى رام هرمز، وكان الحرث بن عميرة الهمداني قد صار إلى المهلب مراغماً^(٣) لعتاب بن ورقاء يقال: إنه لم يرضه عن قتله الزبير بن علي، وكان الحرث بن عميرة هو الذي تولى قتله، وحاص^(٤) إليه أصحابه. ففي ذلك يقول أعشى همدان:

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَكْمَلَتْ أَسْبَابُهَا لابن الليث الغر من قحطان
للفارس الحامي الحقيقة معلماً^(٥) زاد الرفاق إلى قرى نجران
الحرث بن عميرة الليث الذي يحمي العراق إلى قرى كرمان
ود الأزارق لو يصاب بطعنة ويموت من فرسانهم مائتان

(ويروى: زاد الرفاق وفارس القرسان) وتأويله أن الرفقة إذا صاحبها أغناها عن التزود، كما قال جرير وأراد ابن له سفاً وفي ذلك السفر يحيى بن أبي حفصة، فقال لأبيه: زودني، فقال جرير:

أزاداً سوى يحيى تريد وصاحباً ألا إن يحيى نعم زاد المسافر
فما تنكر الكوماء ضربة سيفه إذا أرملوا أو خف ما في الغرائر

(١) إيدج: بلد بکردستان.

(٢) الجن: جمع جنة بالضم، كل ما بقي الإنسان ويحفظه وأراد بها أداة الحرب وحصانتها وأحكامها.

(٣) مراغماً: المراجعة، الهجران والتباعد.

(٤) حاص إليه أصحابه: عدلوا إليه واجتمعوا عليه.

(٥) معلماً على صيغة أسم الفاعل من قولهم أعلم الفارس فرسه أي علق عليه صوفاً ملوناً في الحرب وأعلم نفسه وسمها بسماء الحرب.

وقوله: ويموت من فرسانهم، يكون على وجهين مرفوعاً ومنصوباً، فالرفع على العطف، ويدخل في التمني، والنصب على الشرط، والخروج من العطف. وفي مصحف ابن مسعود وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ^(١) فَيَذْهَبُوا، والقراءة فيدهنون، على العطف. وفي الكلام: وَدُّوا تَأْتِيَهُ فَتُحَدِّثُهُ وَإِنْ شِئْتَ نَصَبْتَ الشَّانِي. وخرج مصعب بن الزبير إلى باجميرا، ثم أتى الخوارج خبر مَقْتَلِهِ بِمَسْكِنٍ، ولم يأت المهلب وأصحابه، فتواقفوا يوماً على الخندق، فناداهم الخوارج: ما تقولون في المصعب؟ قالوا، إمامٌ هُدَى، قالوا: فما تقولون في عبد الملك؟ قالوا: ضالٌّ مُضِلٌّ. فلما كان بعد يومين أتى المهلب قتل مصعب وإن أهل الشام اجتمعوا على عبد الملك، وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته. فلما تواقفوا ناداهم الخوارج: ما تقولون في مصعب؟ قالوا: لا نخبركم. قالوا: فما تقولون في عبد الملك؟ قالوا: إمامٌ هُدَى، قالوا: يا أعداء الله، بالأمس ضالٌّ مُضِلٌّ واليوم إمامٌ هُدَى! يا عبيد الدنيا عليكم لعنة الله.

طرد الخوارج من الأهواز

وَوَلِي خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسِيدٍ فَقَدِمَ فَدَخَلَ الْبَصْرَةَ، فَأَرَادَ عَزْلَ الْمُهَلَّبِ فَأَشِيرَ عَلَيْهِ بِأَنْ لَا يَفْعَلَ وَقِيلَ لَهُ: إِنَّمَا آمَنَ أَهْلُ هَذَا الْمَصْرِ بِأَنَّ الْمُهَلَّبَ بِالْأَهْوَازِ وَعُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بِفَارَسَ فَقَدْ تَنَحَّى عَمْرُو إِنْ نَحَيْتَ الْمُهَلَّبَ لَمْ تَأْمَنَ عَلَى الْبَصْرَةِ. فَأَبَى إِلَّا عَزْلَهُ، فَقَدِمَ الْمُهَلَّبُ الْبَصْرَةَ، وَخَرَجَ إِلَى الْأَهْوَازِ فَأَشْخَصَهُ فَلَمَّا صَارَ بِكُرْبَجٍ دِينَارٍ لَقِيَهُ قَطْرِيٌّ فَمَنَعَهُ حَظَّ أَثْقَالِهِ، وَحَارِبَهُ ثَلَاثِينَ يَوْماً، ثُمَّ أَقَامَ قَطْرِيٌّ بِإِزَائِهِ وَخَنَدَقَ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ: إِنْ قَطْرِيًّا لَيْسَ بِأَحَقَّ بِالْخَنْدَقِ مِنْكَ، فَعَبَّرَ دَجِيلاً إِلَى شِقِّ نَهْرِ تِيرِي، وَأَتْبَعَهُ قَطْرِيٌّ فَصَارَ إِلَى مَدِينَةِ نَهْرِ تِيرِي، فَبَنَى سُورَهَا وَخَنَدَقَ عَلَيْهَا، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لَخَالِدٍ: خَنَدَقْ عَلَى نَفْسِكَ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ عَلَيْكَ الْبَيَاتِ، فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، الْأَمْرُ أَجَلٌ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِبَعْضِ وَلَدِهِ: إِنِّي أَرَى أَمْرًا ضَائِعًا، ثُمَّ قَالَ لَزِيَادَ بْنِ عَمْرٍو:

(١) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ: الأدهان إظهار خلاف ما تضرر والدائرة والعلانية ومثله المداهنة.

خَنْدِيقَ عَلَيْنَا، فَخَنْدِيقَ الْمَهْلَبِ وَأَمَرَ بِسُفْنِهِ فَفَرَّغَتْ وَأَبَى خَالِدٌ أَنْ يَفْرَغَ سُفْنَهُ، فَقَالَ الْمَهْلَبُ لِفَيْرُوزِ حُصَيْنٍ: صِرْ مَعَنَا، فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدَ، الْحَزْمُ مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَفَارِقَ أَصْحَابِي. قَالَ: فَكُنْ بِقَرْبِنَا. قَالَ: أَمَا هَذِهِ فَتَنَمُ. وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَى بَشِيرِ بْنِ مَرْوَانَ بِأَمْرِهِ أَنْ يُمِدَّ خَالِدًا بِجَيْشِ أَمِيرِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ، فَفَعَلَ فَقَدِمَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَقَامَ قَطْرِيَّ يُغَادِيهِمُ الْقِتَالَ وَيُزِيلُهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَقَالَ الْمَهْلَبُ لِمَوْلَى أَبِي عُيَيْنَةَ: أَنْتَبِذْ إِلَى ذَلِكَ النَّوَسِ فَبِتْ عَلَيْهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، فَمَتَى أَحْسَسْتُ خَبْرًا مِنَ الْخَوَارِجِ أَوْ حَرَكَةً أَوْ صَهِيلَ خَيْلٍ فَأَعَجِّلْ إِلَيْنَا. فَجَاءَهُ لَيْلَةً فَقَالَ: قَدْ تَحَرَّكَ الْقَوْمُ، فَجَلَسَ الْمَهْلَبُ بِيَابِ الْخَنْدِيقِ وَأَعَدَّ قَطْرِيَّ سَفْنًا فِيهَا حَطَبٌ فَأَشْعَلَهَا نَارًا وَأَرْسَلَهَا عَلَى سُفْنِ خَالِدٍ، وَخَرَجَ فِي أَذْبَارِهَا حَتَّى خَالَطَهُمْ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِرَجُلٍ إِلَّا قَتَلَهُ، وَلَا بَدَايَةَ إِلَّا عَقَرَهَا، وَلَا بِفُسْطَاطٍ إِلَّا هَتَكَهُ. فَأَمَرَ الْمَهْلَبُ يَزِيدَ فَخَرَجَ فِي مَائَةِ فَارَسٍ فَقَاتَلَ وَأَبْلَى يَوْمًا، وَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ فَأَبْلَى بِلَاءً حَسَنًا.

فَيْرُوزُ حُصَيْنٍ وَمَآثِرُهُ

وَخَرَجَ فَيْرُوزُ حُصَيْنٍ فِي مَوَالِيهِ فَلَمْ يَزَلْ يَرْمِيهِمُ بِالنُّشَابِ هُوَ مِنْ مَعَهُ، فَأَثَرًا أَثَرًا جَمِيلًا فَصُرِعَ يَزِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ فِي الْخَنْدِيقِ. فَأَخَذَ بِيَدِهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ، فَاسْتَنْقَذَهُ، فَوَهَبَ لَهُ فَيْرُوزُ حُصَيْنٍ عَشْرَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ. وَأَصْبَحَ عَسْكَرُ خَالِدٍ كَأَنَّهُ حَرَّةٌ سُودَاءُ، فَجَعَلَ لَا يَرَى إِلَّا قَتِيلًا أَوْ صَرِيعًا. فَقَالَ لِلْمَهْلَبِ: يَا أَبَا سَعِيدَ، كَذَبْنَا نَفْتَضِحُ! فَقَالَ: خَنْدِيقُ عَلَى نَفْسِكَ فَإِنْ لَا تَفْعَلْ عَادُوا إِلَيْكَ، فَقَالَ: أَكْفَنِي أَمْرَ الْخَنْدِيقِ. فَجَمَعَ لَهُ الْأَحْمَاسُ^(١)، فَلَمْ يَبْقَ شَرِيفٌ إِلَّا عَمِلَ فِيهِ، فَصَاحَ بِهِمُ الْخَوَارِجُ: وَاللَّهِ لَوْلَا هَذَا السَّاحِرُ الْمَرْزُوقِيُّ لَكَانَ اللَّهُ قَدْ دَمَّرَ عَلَيْكُمْ، وَكَانَتْ الْخَوَارِجُ تُسَمِّي الْمَهْلَبَ السَّاحِرَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَدْبُرُونَ الْأَمْرَ فَيَجِدُونَهُ قَدْ سَبَقَ إِلَى نَفْسِ تَدْبِيرِهِمْ. فَقَالَ أُعْشَى هَمْدَانَ لَابْنِ الْأَشْعَثِ فِي كَلِمَةٍ طَوِيلَةٍ:

وَيَوْمَ أَهْوَاؤِكَ لَا تَنْسَهُ
لَيْسَ الثَّنَا وَالذِّكْرُ بِالْدَاتِرِ

(١) الْأَحْمَاسُ: الشَّجْعَانُ.

وقد ذكرنا في قصر الممدود من أن مَدَّ المقصور لا يجوز ما يغني عن إعادته. وتذكر فيروز حُصَيْن لما مر من ذكره، وكان فيروز حُصَيْن رجلاً جيد البيت في العجم، كريم المَحْتَد^(١) مشهور الأباء. فلما أسلم والي حُصَيْن، وهو حُصَيْن بن عبد الله العنبري من بني العنبر بن تميم بن مُر. ثم من ولد طريف بن تميم، وكان فيروز حُصَيْن شجاعاً جواداً نَبِيل الصورة^(٢)، جهير الصوت.

بعض ما حدث مع فيروز

وتَرَوِي الرواة أن رجلاً من العرب كانت أمه فتاة، فقاوَل بني عم له، بالجميَّة. ومَرَّ فيروز حُصَيْن فقال: هذا خالي فمن منكم له خالٌ مثله؟ وظن أن فيروز لم يسمعها، وسَمِعَهَا فيروز، فلما صار إلى منزله بعث إلى الفتى فاشترى له منزلاً وجارية، ووهب له عشرة آلاف درهم. ومن مآثره المعروفة أن الحجاج لما واقَف ابن الأشعث برُستقا بئاد نادى منادي الحجاج: من أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم. ففَصَلَ فيروز من الصف، فصاح بالناس: مَنْ عرفني فقد اكتفى وَمَنْ لم يعرفني فأنا فيروز حُصَيْن، وقد عرفتم مالي ووفائي، من أتى برأس الحجاج فله مائة ألف. فقال الحجاج: والله لقد تركني أَكْثَرُ التَلَفُ، وإني لَبَيِّنٌ خاصتي. فأَتَيْ به الحجاج فقال له: أأنت الجاعل في رأس أميرك مائة ألف؟ قال: قد فعلت، قال: والله لأُمَهْدَنَّكَ^(٣) ثم لأَحْمَلَنَّكَ! أين أين المال؟ قال: عندي فهل إلى الحياة من سبيل؟ قال: لا. قال: فأخرجني إلى الناس حتى أجمع لك المال فلعل قلبك يَرِقُّ عليَّ. ففعل الحجاج. فخرج فيروز فأَحْلَلَ الناس من ودائعهم، وأعتق رقيقه، وتَصَدَّقَ بماله ثم رُدَّ إلى الحجاج، فقال: شَأْنُكَ الآن فاصنع ما شئت. فَشَدَّ في القصب

(١) المحتد: كمجلس الأصل.

(٢) نَبِيل الصورة: حَسَن الصورة.

(٣) لأُمَهْدَنَّكَ: كأنه يريد لأَحْرَمَنَّكَ على المهاد وهو الأرض.

الفارسيّ ثم سُلّ حتى سُرحَ ثم نُضِحَ بالخل والملح فما تَأَوّه حتى مات . ومضى قطريّ إلى كَرْمَان ، فانصرف خالدٌ إلى البصرة ، فأقام قطريّ بِكِرْمَان أشهراً ، ثم عَمَدَ لِفَارَسَ وخرج خالد إلى الأهواز وندب للناس رجلاً فجعلوا يطلبون المهلب ، فقال خالد : ذهب المهلبُ بخط هذا المصر ، إني قد وَلَّيْتُ أخي قتال الأزارقة . فَوَلَّى أخاه عبد العزيز ، واستخلف المهلبُ على الأهواز في ثلثمائة ومضى عبد العزيز في ثلاثين ألفاً ، والخوارجُ بِدَرَابَ جَرْدَ ، فجعل عبد العزيز يقول في طريقه : يَزْعُمُ أهل البصرة أن هذا الأمر لا يَتِمُّ إلا بالمهلب ، فسيعلمون . قال صَعْبُ بن زيد : فلما خرج عبدُ العزيز عن الأهواز ، جاءني كُرْدُوسُ حاجبُ المهلبِ فقال : أجب الأمير ! فجئت إلى المهلب وهو في سطح وعليه ثياب هَرَوِيَّةٌ فقال : يا صَعْبُ أنا ضائعٌ ، كأنني أنظر إلى هزيمة عبد العزيز وأخشى أن توافيني الأزارقة ولا جند معي ، فابعث رجلاً من قبلك يأتيني بخبرهم ، سابقاً به إليّ ، فوجهتُ رجلاً يقال له عِمْرَانُ بن فلانٍ فقلت : أَصْحَبْ عسكر عبد العزيز واكتب إليّ بخير يوم يوم . فجعلت أورده على المهلب ، فلما قاربهم عبد العزيز وقف وقفة ، فقال له الناس : هذا يوم صالح فينبغي أن تترك أيها الأمير حتى نطمئن ثم نأخذ أهُبْتَنَا ، فقال : كَلَّا ، الأمر قريب . فنزل الناس على غير أمره ، فلم يُسْتَمَمْ النزولُ حتى وَرَدَ عليهم سعدُ الطلائع في خمسمائة فارس ، كأنهم خيط ممدود ، فناهضهم ^(١) عبد العزيز فواقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدةً ، فاتبعهم ، فقال له الناس : لا تتبعهم فإننا على غير تَعْبِيَةٍ فأبى ، فلم يَزَلْ في آثارهم حتى اقتحموا عَقَبَةً فاقتحمها ، وراءهم والناسُ يَنْهَوْنَهُ وَيَأْبَى . وكان قد جعل على بني تميم عَبْسُ بن طَلْقِ الصَّريم الملقب عَبْسُ الطَّعَانِ ، وعلى بَكْرِ بن وائلٍ مُقاتِلُ ابن مُسَمِّعِ القيسيّ ، وعلى شُرْطَتِهِ رجلاً من بني ضُبَيْعَةَ بن ربيعة بن نزار ، فنزلوا عند العقبة ونزل خلفهم ، وكان لهم في بطن العقبة كَمِينٌ . فلما صاروا وراءها خرج عليهم الكَمِينُ ، وعطف سعدُ الطلائعِ فَتَرَجَّلَ عَبْسُ بن طَلْقٍ فَقُتِلَ وَقُتِلَ

(١) ناهضهم : قاومهم وتناهضوا في الحرب . نهض كل إلى أصحاب . .

مُقاتِل بن مِسمعٍ وقُتِلَ الضُّبَيْعِيُّ صاحبُ الشرطة وانحاز عبد العزيز. وأتبعهم الخوارجُ على فرسخين يقتلونهم كيف شاؤوا، وكان عبد العزيز قد خرج معه بأمِّ حفص ابنة المُنذِر بن الجارود امرأته، فسبوا النساء يومئذ وأخذوا أسرى لا تُحصى، فقتلُوهم في غارٍ بعد أن شدُّوهم وثاقاً. ثم سدُّوا عليهم بابهُ حتى ماتوا فيه. وقال رجل حضر ذلك اليوم: رأيت عبد العزيز وإن ثلاثين رجلاً ليقربونه بأسيا فهم وما تُحِيكُ في جسده^(١)، قال: ما أحاك فيه السيف وما يُحِيكُ فيه وما حددا الأمرُ في صدري وما حَكى في صدري وما اختكى في صدري، ويقال: حاك الرجلُ في مشيته يُحِيكُ إذا تبختر، ونُودي السَّبِي يومئذ فغُولِي بأمِّ حفص فبلغ بها رجلٌ سبعين ألفاً، وذلك الرجلُ من مجوس كانوا أسلموا ولحقوا بالخوارج ففرض لكل واحد منهم خمسمائة. فكاد يأخذها فشق ذلك على قطريٍّ وقال: ما ينبغي لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفاً، إن هذه فتنة، فوثب إليها أبو الحديد العبدِيُّ فقتلها فأتى به قطريُّ، قال: يا أبا الحديد مهيم^(٢)، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيت المؤمنين قد تزايدوا في هذه المشركة فخشيت عليهم الفتنة، فقال قطري: قد أصبت وأحسن، فقال رجل من الخوارج:

كفانا فتنةً عظمت وجلت بحمد الله سيفُ أبي الحديد
أهابَ المسلمونَ بها وقالوا على قرطِ الهوى هل من مزيد
فزاد أبو الحديد بنصلِ سيفٍ رقيقِ الحدِّ فعلُ فتى رشيدٍ

قوله: أهاب، يريد أعلن، يقال: أهابت به إذا دعوته مثل صوت: قال الشاعر:

أهابَ بأحزانِ الفؤادِ مهيبُ وماتت نفوسُ للهوى وقلوبُ

وقوله: مهيم، حرف استفهام ومعناه ما الخبر؟ وما الأمر؟ فهو دال على

(١) يحيك في جسده: يقال أحاك السيف في جسد فلان فلا أثر فيه كحاك.

(٢) مهيم: ما أمرك وما شأنك وهي كلمة يمانية وضعت للاستفهام واستعملت هنا للانكار.

ذلك محذوف الخبر. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ رأى بعبد الرحمن بن عوف رذع خلوق^(١)، فقال: مهيم! فقال تزوجت يا رسول الله، فقال: أولم ولو بشاة. وكان تزوج على نواة. وأصحاب الحديث يروونه على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم، وهذا خطأ وغلط^(٢). العرب تقول نواة^(٣) فتعني بها خمسة دراهم، كما تقول النش لعشرين درهماً، والأوقية لأربعين درهماً وإنما هو إسم لهذا المعنى. وكان العلاء بن مطرف السعدي ابن عم عمرو القنا! وكان يحب أن يلقاه في تلك الحروب مبارزة، فلحقه عمرو القنا وهو منهزم، فضحك عمرو وقال متمثلاً:

تَمَنَّانِي لِيَلْقَانِي لَقِيْطُ أَعَامِ لَكَ ابْنُ صَعْصَعَةَ بْنِ سَعْدٍ

ثم صاح به: انج أبا المصدي. وكان عمرو القنا يكنى أيضاً أبا المصدي. وهذا البيت الذي تمثل به عمرو ليزيد بن عمرو بن الصعقي الكلابي يقوله، يعني لقيط بن زُرارة وكان يطلبه. وقوله: أعام لك، يريد يا عامر فرخم وإنما يريد الحي تعجباً، أي لكم أعجب من تمنيه للقاءني قد عابني عامر بن صعصعة، وهم بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ويقال إن عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم لا ابن معاوية وإنهم نامله في قيس^(٤)، ولذلك تمنعت بنو سعد من محاربتهم مع بني تميم يوم جيلة، ولذلك أنذرهم كرب بن صفوان. وهذا البيت وضعه سيويه في باب النداء الذي معناه معنى التعجب. وشبيه به قول الصلتان العبدَي:

فِيَا شَاعِرًا لَا شَاعِرَ الْيَوْمَ مِثْلُهُ جَرِيرٌ وَلَكِنْ فِي كُلِّبٍ تَوَاضَعُ

على معنى قوله: فله دُرُّه شاعراً. وكان العلاء بن مطرف قد حمل معه

(١) خلوق: بالفتح طيب مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والردع لطنخ منه.

(٢) هذا خطأ وغلط: قال الأزهري لفظ الحديث يدل على أنه تزوج المرأة على ذهب قيمته خمسة دراهم إلا تراه قال نواة من ذهب ولست أدري لم أنكره أبو عبيدة.

(٣) النوا في الأصل عجمة الثمرة ويعني قدر نواة من ذهب.

(٤) الناقلة: قبيلة تنقل من قوم إلى قوم وجمعها نواقل.

امرأتين له، إحداهما من بني ضَبَّةَ يقال لها أم جميل، والأخرى بنت عمه وهي فلانة بنت عَقِيلٍ، فطَلَقَ الضُّبَّةَ وتخلص بهما يومئذ وحمل الضُّبَّةَ أولاً، ففي ذلك يقول:

أَلَسْتُ كَرِيماً إِذْ أَقُولُ لِفَتِيَّتِي قِفُوا فَاحْمِلُوهَا قَبْلَ بِنْتِ عَقِيلٍ
ولو لم يكن عُودِي نُضَاراً لَأَصْبَحْتُ تَخِرُّ عَلَى الْمَتْنَيْنِ أُمُّ جَمِيلٍ

بين الصعب بن يزيد والمهلب

قال الصَّعْبُ بن يزيد: بعثني المهلبُ لآتيه بالخبر، فَصِرْتُ إلى قنطرة أَرُبُكَ^(١) على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم، فلم أَحِسْ خبراً، فَسِرْتُ مُهْجِراً إلى أن أُمِيت. فلما أَظْلَمْنَا سمعتُ كلام رجل عرفته من الجَهاضمِ فقلت: ما وراءك؟ فقال: الشرُّ. قلتُ: فأين عبدُ العزيز؟ قال: أَمَامَكَ. فلما كان آخر الليل إذا أَنَا بِرُهَاءِ خمسين فارساً معهم لواء هذا، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا لواء عبد العزيز. فتقدمت إليه، فسَلِمْتُ وقلتُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الأميرَ، لَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ما كان فَإِنَّكَ كُنتَ فِي شَرِّ جَنْدٍ وَأَخْبَثِهِ، قال لي: أَوَكُنتَ معنا؟ قلتُ: لَا وَلَكِنْ كَسَانِي شَاهِدُ أَمْرِكَ، قال: كَأَنَّكَ كُنتَ معنا. قلتُ: ما يسرك، قَدْ هُزِمَ وَقُلَّ جَيْشُهُ، فقال: ويحك، وما يسرنِي من هزيمة رجل من قريش وَقُلَّ جيش من المسلمين؟ قلتُ: قَدْ كَانَ ذَاكَ، سَاءَكَ أَوْ سَرَّكَ. فَوَجَّهَ رجلاً إلى خالد يخبره. قال الرجل: فلما أَخْبَرْتُ خَالداً قال: كَذَبْتَ وَلَوْمْتُ. ودخل رجل من قريش فكذَّبَنِي، وقال لي خالد: وَاللَّهِ لَهَمَمْتُ أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَكَ! قلتُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الأميرَ إِنْ كُنتُ كَاذِباً فَاقْتُلْنِي وَإِنْ كُنتُ صَادِقاً فَأَعْطِنِي مُطَرَفَ هَذَا الْمُتَكَلِّفِ، فقال خالد: لَبِثْ مَا أُخْطِرْتُ بِهِ دَمَكَ^(٢) فما برحتُ حتى دخل بعضُ القُلِّ وقدم عبد العزيز سوق الأهواز فأكرمه المهلبُ وكساه، وَقَدِمَ معه

(١) أربك بضم الباء بلد وناحية في الأهواز له قنطرة مشهورة.

(٢) أخطرت به دمك: بشما جعلت نفسك خطراً له والخطر محرّكاً قدر الرجل أي ومثله ينكر عليه أن يجعل دمه قدر ذلك المطرف.

على خالد واستخلف ابنه حبيباً، وقال له: تَحَسَّسْ عن الأخبار فإن أحسست
بخبر الأزارقة قريباً منك فانصرف إلى البصرة. فلم يزل حبيب مقيماً والأزارقة
تدنو منه حتى بلغوا قنطرة أربك، فانصرف إلى البصرة على نهر يّري، فلما
دخلها أُعْلِمَ خالد، فغضب عليه واستتر حبيب في بني هلال بن عامر بن
صعصعة فتزوج هناك في استتاره الهلالية أم عبّاد بن حبيب. وقال الشاعر
لخالد يُقِيلُ رأيَه أي يخطئه:

بَعَثْتَ غَلاماً من قريش فَرَوَقَةً^(١) وتترك ذا الرأي الأصيل المَهْلَباً
أبى الذم واختار الوفاء وأَحْكَمْتَ قَواه وقد ساسَ الأمورَ وجَرَّباً

وقال الحرث بن خالد المخزومي:

فَرَّ عبدُ العزيز لما رأى الأبطا سَالَ بالسُّفْحِ نازِلوا قَطَرِيّاً

ويروي:

فر عبدُ العزيز إذا راءَ عيسى وابن داود نازلاً قَطَرِيّاً
عاهدَ الله إن نَجَا مِلْمَائِيّاً لِيَعُودَنَّ بَعْدَهَا حُرْمِّاً
يسكنُ الخُلَّ والصِّمَاحَ قَمَرِّاً نَسَلُوعاً وتارةً نَجْدِيّاً
حيث لا يَشْهَدُ ولا يسمِعُ يوماً لِكُرِّ خَيْلٍ دَوِيّاً

قوله: إذا راءَ عيسى، الأصل رأى، ولكنه قلب فقَدِمَ الألف وأخر الهمزة،
كما قال كُثَيِّر:

وكلُّ خليلٍ راءني فهو قائلٌ من أجلكِ هذا هامةُ اليوم أو غَدِ

والقلب كثير في كلام العرب. وسنذكر منه شيئاً في موضعه إن شاء الله.
وقوله مِلْمَائِيّاً يريد من المنايا، ولكنه حَذَفَ النون لقرب مخرجها من اللام.
فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيُحَذَفُ أحدهما. ومن كلام العرب أن
يحذفوا النون إذا لقيت لام المعرفة ظاهرة فيقولون في بني الحرث وبني العنبر

(١) الفَرَقُ: الفرع الشديد.

وما أشبه ذلك: بَلَحَرْتُ وَبَلَعَنْبِرُ وَبَلْهَجِيمُ، كما يقولون علماً بنو فلان فيحذفون إحدى اللامين. وقوله ليعودن بعدها حُرْمِيًّا، العربُ تَنْسُبُ إلى الحرم فيقولون: حِرْمِيٌّ وَحُرْمِيٌّ على قولهم حُرْمَةُ البيت وحِرْمَةُ البيت وقال النابغة الذبْيَانِيُّ:

من قول حُرْمِيَّةٍ قالت وقد رحلوا هل في مُحَفِّقِكُمْ مَنْ يَشْتَرِي أَدَمًا

كتاب خالد إلى عبد الملك

وكتب خالد إلى عبد الملك بعذر عبد العزيز. وقال للمهلب: ما تُرى عبد الملك صانعاً بي؟ قال: يعزلك، قال: أترأه قاطعاً رَحِمِي؟ قال: نعم أثنى هزيمة أُمَيَّةٍ أخيك من البحرين وتأثيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس. قال أبو العباس: فكتب عبد الملك إلى خالد: أما بعد، فإني كنتُ حَدَدْتُ لك حَدًّا في أمر المهلب، فلما ملكتُ أمرك نبذت طاعتي، واستبددت برأيك فوليت المهلب الجبائية^(١)، ووليت أخاك حرب الأزارقة، قَبَّحَ اللَّهُ هذا رأياً، أتبعْتُ غلاماً غِراً لم يُجَرِّبِ الحروبَ، وتترك سيداً شجاعاً مُدَبِّراً حازماً قد مارس الحروبَ تَشْغُلُهُ بالجبائية! أما لو كافأْتُكَ على قدر ذنبك لأتاك من نكيري ما لا بَقِيَّةَ لك معه، ولكن تذكرتُ رَحِمَكَ فلفتني عنك وقد جعلت عقوبتك عزلَكَ. وولَّى بِشْرَ بن مَرْوَانَ وهو بالكوفة وكتب إليه: أما بعد، فإنك أخو أمير المؤمنين، يجمعك وإياه مَرْوَانُ بن الحَكَمِ، وإن خالداً لا مجتمَعُ له مع المؤمنين دون أُمَيَّةٍ، فانظر المهلب فَوَلِّهِ حرب الأزارقة فإنه سيد بَطْلٌ مُجَرَّبٌ فأمده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل. فشقَّ عليه ما أمره في المهلب وقال: واللَّهِ لا قتلنَّه، فقال له موسى بن نُصَيْرٍ: إن للمهلب حِفاظاً وبلاءً وَوَفَاءً. وخرج بشر بن مروان يريد البصرة، فكتب موسى وعكرمة إلى المهلب أن يتلقاه لِقَاءً لا يعرفه به فتلقاه المهلب على بغل، فسَلَّم عليه في

(١) الجبائية: بالكسر جمع الخراج من الرعية واستخراج المال من مكانه.

خُمارِ الناس . فلما جلس بِشْرُ مَجْلِسِهِ قال : ما فعل أميرُكم المهلبُ ، قالوا : قد تلقاك أيها الأمير وهو شاكٍ . فهمَ بِشْرُ أن يُولِّيَ حربَ الأزارقة عمر بن عبيد الله ، فقال له أسماءُ بن خارجة : إنما ولاك أمير المؤمنين لتري رأيك . فقال له عكرمة بن ربِيعٍ أكتب إلى أمير المؤمنين وأعلمه علةَ المهلبِ ، فكتب إليه يُعَلِّمُهُ عِلَّةَ المهلبِ ، وإن بالبصرة من يغني غَناءَهُ^(١) ، وَوَجَّهَ بالكتاب مع وفدٍ أوفدهم إليه ، رئيسُهم عبد الله بن حكيم المجاشعي . فلما قرأ الكتاب خلا بعبد الله بن حكيم ، فقال : إن لك ديناً ورأياً وحزماً ، فمن لقتال هؤلاء الأزارقة ؟ قال : المهلب . قال : إنه غليلٌ . قال : ليست علة بما نعته . قال عبد الملك : أراد بِشْرُ أن يفعل ما فعل خالد فكتب يَعْزِمُ عليه أن يولي المهلبَ ، فوجَّهَ إليه ، وقال المهلبُ : أنا غليلٌ ولا يمكنني الاختلافُ^(٢) . فأمر بِشْرُ بحمل الدواوين إليه ، فجعل ينتخب ، فاعترض بِشْرُ عليه ، فاقطع أكثر نخبته ، ثم عزم أن لا يقيم بعد ثالثة . وقد أخذت الخوارج الأهواز ، وخلفوها وراء ظهورهم ، وصاروا بالفُرات . فخرج إليهم المهلبُ حتى صار إلى شَهَارْطَاق ، فاتاه شيخ من بني تميم فقال : أصلحَ الله الأمير ، إن سني ما ترى فهُبْني لعيالي . قال : على أن تقول للأمير إذا خَطَبَ فَحَثِّكُم على الجهاد كيف تَحُثُّنا على الجهاد وأنت تحبس أشرافنا ، وأهل النجدة منا ! ففعل الشيخ ذلك فقال له بِشْرُ : ما مَأْنَتْ وذاك ؟ قال : لا شيء . وأعطى المهلبُ رجلاً ألف درهم على أن يأتي بشراً فيقول له : أيها الأمير أعِنِ المهلبَ بالشرطة والمقاتلة ، ففعل الرجل ذلك فقال له بِشْرُ : ما أنت وذاك ! قال : نصيحةٌ للأمير والمسلمين ولا أعود إلى مثلها ، فأمدَّهُ بالشرطة والمقاتلة .

وكتب بِشْرُ إلى خليفته بالكوفة أن يعقد لعبد الرحمن بن مُحَنَفٍ على ثمانية آلاف من كُلِّ رُبْعٍ ألفين ويُوَجِّهَ بها مَدَدًا إلى المهلبِ . فلما أتاه الكتاب بعث إلى عبد الرحمن بن مُحَنَفٍ الأزدِيّ ، فعقد له واختار له من كل رُبْعٍ

(١) من يغني غَناءَهُ : ينوب عنه ويجزئه مجزأه .

(٢) الاختلاف التردد والذهاب : يريد أن لا أستطيع الذهاب والتردد إلى دار الامارة .

ألفين، فكان على ربع أهل المدينة بشر بن جرير البجلي، وعلى ربع تميم وهمدان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني، وعلى ربع كندة وربيعة محمد بن اسحق بن الأشعث الكندي، وعلى مذحج وأسد زحر بن قيس المذحجي. فقدموا على بشر فخلا بعبد الرحمن بن مخنف، فقال له: قد عرفت رأيي فيك وثقتي بك فكن عند ظني، أنظر هذا المزوني فخالقه في أمره وأفسد عليه رأيه! فخرج عبد الرحمن بن مخنف، وهو يقول: ما أعجب ما طمع مني فيه هذا الغلام! يأمرني أن أصغر شيخاً من مشايخ أهلي وسيداً من ساداتهم، فلحق بالمهلب. فلما أحس الأزارقة بدنوه منهم إنكشفوا عن الفرات. فاتبعهم المهلب إلى سوق الأهواز فنفاهم عنها، ثم تبعهم إلى رام هرمز فهزمهم منها، فدخلوا فارس. وإبلى يزيد ابنه في وقائعه هذه بلاءً حسناً تقدم فيه، وهو ابن إحدى وعشرين سنة. فلما صار القوم بفارس وجّه إليهم ابنه المغيرة، فقال له عبد الرحمن بن صبح: أيها الأمير، ليس برأي قتل هذه الأكلب، ولئن والله قتلتهم لتقعدن في بيتك ولكن طاولتهم وكل بهم، فقال: ليس هذا من الوفاء.

موت بشر

فلم يلبث برام هرمز إلا شهراً حتى أتاه موت بشر، فاضطرب الجند على ابن مخنف، فوجه إلى محمد بن إسحق بن الأشعث وابن زحر واستحلفهما أن لا يبرحا، فحلفا له ولم يفيا. فجعل الجند من أهل الكوفة يتسللون^(١) حتى اجتمعوا بسوق الأهواز. وأراد أهل البصرة الانسلا من المهلب، فخطبهم فقال: إنكم لستم كأهل الكوفة إنما تدبون عن مصركم وأموالكم وحرمكم. فأقام منهم قوم وتسلل منهم ناس كثير. وكان خالد بن عبد الله خليفة بشر بن مروان، فوجه مؤلى له بكتاب منه إلى من بالأهواز يحلف فيه بالله مجتهداً لئن يرجعوا إلى مراكزهم وانصرفوا عصاة لا يظفر بأحد منهم إلا قتله، فجاء مولاه فجعل يقرأ الكتاب عليهم ولا يرى في وجوههم قبوله، فقال: إني لأرى

(١) يتسللون: ينطلقون في استخفاء.

وَجُوهًا مَا الْقَبُولُ مِنْ شَأْنِهَا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زَحْرٍ: أَيُّهَا الْعَبْدُ، اقْرَأْ مَا فِي الْكِتَابِ
وَانْظُرْ. إِلَى صَاحِبِكَ، فَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا فِي أَنْفُسِنَا. وَجَعَلُوا يَسْتَعْجِلُونَهُ فِي
قِرَاءَتِهِ. ثُمَّ قَصَدُوا قَصْدَ الْكُوفَةِ فَنَزَلُوا النَّخِيلَةَ وَكَتَبُوا إِلَى خَلِيفَةِ بَشَرٍ يَسْأَلُونَهُ أَنْ
يَأْذَنَ لَهُمْ فِي الدَّخُولِ، فَأَبَى، فَدَخَلُوهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ.

ولاية الحاج للعراق

فَلَمْ يَزَلِ الْمَهْلَبُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قَوَائِدِهِ وَابْنُ مَخْنَفٍ فِي عَدَدٍ قَلِيلٍ فَلَمْ يَنْشَبُوا
أَنْ وَلِيَ الْحِجَابُ الْعِرَاقَ فَدَخَلَ الْكُوفَةَ قَبْلَ الْبَصْرَةِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ
وَسَبْعِينَ، فَخَطَبَهُمْ وَتَهَدَّدَهُمْ. وَقَدْ ذَكَرْنَا الْخُطْبَةَ مُتَقَدِّمًا. ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ لَوُجُوهِ
أَهْلِهَا: مَا كَانَتْ الْوَلَاةُ تَفْعَلُ بِالْعُصَاةِ؟ قَالُوا: كَانَتْ تَضْرِبُ وَتَحْبَسُ! فَقَالَ
الْحِجَابُ: وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُمْ عِنْدِي إِلَّا السِّيفُ، إِنْ الْمُسْلِمِينَ لَوْ لَمْ يَغْزُوا الْمَشْرِكِينَ
لَغَزَاهُمُ الْمَشْرِكُونَ، وَلَوْ سَاغَتْ الْمَعْصِيَةُ لِأَهْلِهَا مَا قُوتِلَ عَدُوٌّ وَلَا جُبِّي فَيءٌ وَلَا
عَزٌّ دِينٌ. ثُمَّ جَلَسَ لِتَوْجِيهِ النَّاسِ، فَقَالَ: قَدْ أَجَلْتُكُمْ ثَلَاثًا، وَأَقْسَمُ بِاللَّهِ لَا
يَتَخَلَّفُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَخْنَفٍ بَعْدَهَا وَلَا مِنْ أَهْلِ الثُّغُورِ إِلَّا قَتَلْتُهُ. ثُمَّ
قَالَ لَصَاحِبِ حَرَسِهِ وَصَاحِبِ شَرْطِهِ: إِذَا مَضَتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَاتَّخِذَا سَيُوفَكُمَا
عِصِيًّا، فَجَاءَهُ عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيٍّ وَابْنُ الرُّجْمِيِّ بَابَهُ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، إِنْ هَذَا
أَنْفَعُ لَكُمْ مِنِّي، هُوَ أَشَدُّ بَنِي تَمِيمٍ أَيْدًا وَأَجْمَعُهُمْ^(١) سِلَاحًا وَأَرْبَطُ بِهِمْ جَاشَأً^(٢)،
وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيلٌ، وَاسْتَشْهَدَ جُلَسَاءَهُ، فَقَالَ الْحِجَابُ: إِنْ عَذْرُكَ لَوَاضِحٌ
وَإِنْ ضَعْفُكَ لَبَيِّنٌ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَجْتَرِيَءَ بِكَ النَّاسُ عَلَيَّ، وَبَعْدُ فَأَنْتَ ابْنُ
ضَابِيٍّ صَاحِبُ عُثْمَانَ، ثُمَّ أَمْرُهُ فَقُتِلَ فَاحْتَمَلَ النَّاسُ وَإِنْ أَحَدُهُمْ لَيَتَّبِعُ بَزَادَهُ
وَسِلَاحَهُ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ الزَّيْبِرِ^(٣) الْأَسَدِيُّ:

أَقُولُ لِعَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ لَقِيْتُهُ أَرَى الْأَمْرَ أُمْسَى مُنْصِبًا^(٤) مَتَشَعِّبًا

(١) الأيد: القوة.

(٢) أربطهم جاشأً: أكثرهم ثباتاً.

(٣) ابن الزبير: كأمير وهو جده وأبوه عبد الله.

(٤) المنصب: المتعب.

تَخَيَّرَ فِيمَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِيٍّ عُمَيْرًا وَأَمَّا أَنْ تَزُورَ الْمَهْلَبَا
 هُمَا خُطَّتَا خَسَفٍ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا رَكُوبُكَ حَوْلِيًّا مِنَ الثَّلْجِ أَشْهَبَا
 هُمَا إِنْ أَرَى الْحِجَاجَ يَغْمِدُ سَيْفَهُ يَدَ الدَّهْرِ حَتَّى يَتْرِكَ الطِّفْلَ أَشْيَا
 فَأُضْحَى لَوْ كَانَتْ خُرْسَانُ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا
 وَهَرَبَ سَوَّارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ السَّعْدِيُّ مِنَ الْحِجَاجِ، وَقَالَ:

أَقَاتِلِي الْحِجَاجُ إِنْ لَمْ أُرْزُ لَهُ دَرَابَ وَأَتْرُكُ عِنْدَ هِنْدَ فَوَادِيَا
 وَقَدْ مَرَّتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ. وَخَرَجَ النَّاسُ عَنِ الْكُوفَةِ، وَأَتَى الْحِجَاجُ الْبَصْرَةَ
 فَكَانَ عَلَيْهِمْ أَشَدُّ الْإِحَاحَا، وَقَدْ كَانَ أَتَاهُمْ خَبْرُهُ بِالْكُوفَةِ فَتَحَمَّلَ النَّاسُ قَبْلَ
 قَدُومِهِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا أَعُورَ، وَكَانَ يَجْعَلُ عَلَى
 عَيْنِهِ الْعُورَاءَ صُوفَةً فَكَانَ يَلْقَبُ ذَا الْكُرْسُفَةِ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، إِنْ بِي
 فَتَقًا وَقَدْ عَذَّرَنِي بِشَرِّ وَقَدْ رَدَدْتُ الْعَطَاءَ، فَقَالَ: إِنَّكَ عِنْدِي لَصَادِقٌ، ثُمَّ أَمْرَبَهُ
 فَضَرَبَتْ عُنُقَهُ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ كَعْبُ الْأَشْقَرِيِّ أَوْ الْفَرَزْدَقُ:

لَقَدْ ضَرَبَ الْحِجَاجُ بِالْمَصْرِ ضَرْبَةً تَفَرَّقَ مِنْهَا بَطْنُ كُلِّ عَرِيفٍ^(١)

وَيُرَوَّى عَنْ ابْنِ مَيْرَةَ قَالَ: إِنَّا لَنَسْعُدِي مَعَهُ يَوْمًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ سُلَيْمٍ
 بِرَجُلٍ يَقُودُهُ، فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ إِنْ هَذَا عَاصٍ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أُنْشِدُكَ
 اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فِي دَمِي، فَوَاللَّهِ مَا قَبِضْتُ دِيوَانًا^(٢) قَطُّ وَلَا شَهِدْتُ عَسْكَرًا، وَإِنِّي
 لِحَائِكَ أَخَذْتُ مِنْ تَحْتِ الْحَفِّ، فَقَالَ: اضْرِبُوا عُنُقَهُ. فَلَمَّا أَحْسَ بِالسَّيْفِ
 سَجَدَ فَلَحَقَهُ السَّيْفُ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَمْسَكْنَا عَنِ الطَّعَامِ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا الْحِجَاجُ،
 فَقَالَ: مَالِي أَرَاكُمْ صَفُرَتْ أَيْدِيكُمْ وَاصْفُرَتْ وَجُوهُكُمْ وَحَدَّ نَظْرُكُمْ مِنْ قَتْلِ
 رَجُلٍ وَاحِدٍ! إِنْ الْعَاصِي يَجْمَعُ خِلَالًا يُخْلَى بِمَرْكَزِهِ وَيَعْصِي أَمِيرَهُ وَيَغُرُّ
 الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ أَجِيرٌ لَهُمْ، وَإِنَّمَا يَأْخُذُ الْآجِرَةَ لِمَا يَعْمَلُ وَالْوَالِي مُخَيَّرٌ فِيهِ إِنْ
 شَاءَ قَتَلَ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا.

(١) العريف بالفتح رئيس القوم والنقيب دون الرئيس.

(٢) الديوان في الأصل أهل العطية واستعارة هنا للعطاء.

كتاب الحجاج إلى المهلب

ثم كتب الحجاج إلى المهلب: أما بعد، فإن بشراً رحمه الله استكره نفسه عليك وأراك غناءً عنك، وأنا أريك حاجتي إليك فأرني الجِدُّ في قتال عدوك، ومن خِفَّتْهُ على المعصية ممن قَبَّلَكَ فاقتله فإنني قاتل من قبلي، ومن كان عندي من ولي من هرب عنك فأعلمني مكانه فإنني أرى أن آخذ الولي بالولي، والسبي بالسمي. فكتب إليه المهلب: ليس قبلي إلا مطيع وإن الناس إذا خافوا العقوبة كبروا الذنب وإذا أمنوا العقوبة صغروا الذنب، وإذا يسوا من العفو أكفروهم ذلك، فهب هؤلاء الذين سميتهم عصاة، فإنما هم فرسان أبطال أرجوا أن يقتل الله بهم العدو، ونادى على ذنبه.

فلما رأى المهلب كثرة الناس عليه قال: اليوم وقوتل هذا العدو ولما رأى ذلك قطري قال: انهضوا بنا نريد السردان، فتحصن فيها فقال عبيدة بن هلال: أو نأتي سابور. وخرج المهلب في آثارهم فأتى أرجان وخاف أن يكونوا قد تحصنوا بالسردان، وليست بمدينة ولكن جبال مُحْدَقَةٌ مَنِيعة، فلم يُصِبْ بها أحداً فخرج نحوهم فَعَسَكَرَ بِكَازِرُونَ واستعدوا لقتاله، وخندق على نفسه. ثم وَجَّهَ إلى عبد الرحمن بن مِحْنَفٍ خنِيقٌ على نفسك، فوجه إليه: خنَادُقُنَا سُيُوفُنَا. فوجه إليه المهلب: إني لا آمن عليك البيات. فقال ابنه جعفر: ذاك أهون علينا من ضَرْطَةِ جَمَلٍ. فأقبل المهلب على ابنه المغيرة فقال: لم يصيبوا الرأي ولم يأخذوا بالوثيقة فلما أصبح القوم غادوه الحرب، فبعث إلى ابن مِحْنَفٍ يستمده فأمدّه بجماعة وجعل عليهم ابنه جعفر، فجاءوا وعليهم أَقْبِيَةٌ بِيضٌ جُدَّدٌ فقاتلوا يومئذ حتى عُرِفَ مكانهم، وحاربهم المهلب وأبلى بنوه يومئذ كبلاء الكوفيَّين أو أشد، ثم نظر إلى رئيس منهم يقال له صالح بن مَخْرَاقٍ وهو ينتخب قوماً من جِلَّةِ العسكر حتى بلغوا أربعمائة، فقال لابنه المغيرة: ما يُعِدُّ هؤلاء إلا للبيات.

وانكشف الخوارج والأمر للمهلب عليهم وقد كثر فيهم القتل والجراح،

وقد كان الحجاج في كل يوم يتفقد العصاة ويوجه الرجال، فكان يحبسهم نهاراً ويفتح الحبس ليلاً فينسل الناس إلى ناحية المهلب وكأن الحجاج لا يعلم، فإذا رأى إسراعهم تمثل:

إِنَّ لَهَا لَسَائِقاً عَشَنَزَراً إِذَا وَنِينَ^(١) وَنِيَةً تَغَشَمَراً

العشنزر الصلب، والتغشمر ركوب الرأس، والمتغشمر الجاد على ما خيلت. وكتب إلى المهلب من قبل الوقعة: أما بعد، فإنه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتال العدو، وإني وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي، واخترتك وأنت من أهل عمان، ثم رجل من الأزد فآلقهم يوم كذا في مكان كذا، وإلا أشرعت إليك صدر الرمح. فشاور بنيه، فقالوا: إنه أمير فلا تغلط عليه في الجواب.

جواب المهلب

فكتب إليه المهلب: ورد علي كتابك، تزعم أنني أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو، ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز، وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي، ولو وليتهم لكانا مستحقين لذلك في فضلهم وغنائها وبطشهما، واخترتني وأنا رجل من الأزد، ولعمري إن شراً من الأزد كقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهن، وزعمت أنني لم آلقهم في يوم كذا في مكان كذا أشرعت^(٢) إلي صدر الرمح، فلو فعلت لقلت إليك ظهر المجن^(٣) والسلام. ثم كانت الوقعة، فلما انصرف الخوارج قال المهلب لابنه المغيرة: إني أخاف البيات على بني تميم، فأنهض إليهم فكن

(١) ونين: قصرن.

(٢) أشرعت: وجهت نحوك.

(٣) هذه كلمة تضرب مثلاً لمن كان لصاحبه على مودة أو رعاية ثم حال عن ذلك، والمجن الترس لا يورثي حامله والميم زائدة.

فيهم، فأتاهم المغيرة، فقال له الحريش بن هلال: يا أبا حاتم، أخاف الأمير أن يؤتني من ناحيتنا، قل له فليبت أماناً فإننا كافوه ما قبلنا إن شاء الله. فلما انتصف الليل وقد رجع المغيرة إلى أبيه سرى صالح بن مخراق في القوم الذين أعددهم إلى ناحية بني تميم، ومعه عبيده بن هلال، وهو يقول:

إِنِّي لَمُذَكٌ^(١) لِلشُّرَاةِ نَارَهَا وَمَانِعٌ مِّنْ أَتَاهَا دَارَهَا
وَعَاسِلٌ بِالطَّعْنِ عَنْهَا عَارَهَا

فوجد بني تميم أيقاظاً متحارسين، فخرج إليهم الحريش بن هلال، وهو يقول:

لَقَدْ وَجَدْتُمْ وَقُرّاً أَنْجَاداً لَا كُتُفًا مَيْلًا وَلَا أَوْغَاداً^(٢)
هَيْهَاتَ لَا تُلْفُونَنَا رُقَاداً لَا بَلَّ إِذَا صِيحَ بَنَا آسَاداً^(٣)

ثم حمل على القوم فرجعوا عنه، فاتبعهم وصاح بهم: إلى أين يا كلاب النار؟ فقالوا: إنما أعدت النار لك ولأصحابك. فقال الحريش: كل مملوك لي حر، إن لم تدخلوا النار إن دخلها مجوسي فيما بين سفوان وخرسان. قوله: وجدتم وقوراً، جمع وقور، والنجد ضد البليد، وهو المتيقظ الذي لا كسل عنده ولا فتور. والأميل فيه قولان، قالوا: الذي لا يستقر على الدابة، وقالوا: هو الذي لا سيف معه. والأكشف الذي لا ترس معه. والأجم الذي لا رمح معه، والحاسر الذي لا درع عليه، والأعزل الذي لا يتقوم على ظهر الدابة، والوغد الضعيف. ثم قال بعضهم لبعض نأتي عسربن مخنف فإنه لا خندق عليهم، وقد تعب فرسانهم اليوم مع المهلب، وقد زعموا أنا أهون عليهم من ضرطة جمل فاتوهم. فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه بهم إلا وقد خالطوهم في عسكرهم، وكان ابن مخنف شريفاً، يقول رجل من غامد^(٤)

(١) مذك: من أذكى النار، أوقدها.

(٢) أوغاد: اندال.

(٣) آساد: جمع أسد.

(٤) غامد: أبو قبيلة عمر بن عبد الله لقب به لإصلاحه أمراً كان بين قومه.

لرجل يعاتبه، ويضرب بابن مخنف المثل:

تَرَوْحُ وَتَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ مَعْظَمًا كَأَنَّكَ فِينَا مِخْنَفٌ وَابْنُ مِخْنَفٍ

فترجل عبد الرحمن بن مخنف، فجالدهم فقتل وقتل معه سبعون من القراء فيهم نفر من أصحاب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ونفر من أصحاب ابن مسعود. وبلغ الخبر المهلب وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف عند المهلب، فجاءهم مغيثاً فقاتلهم حتى أرتث^(١) وصرع. ووجه المهلب إليهم ابنه حبيباً فكشفهم، ثم جاء المهلب حتى صلى على ابن مخنف وأصحابه رحمهم الله وصار جنده في جند المهلب، فضمهم إلى ابنه حبيب فعيروهم البصريون، فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن:

تَرَكْتَ أَصْحَابَنَا تَذْمَى نُحُورَهُمْ وَجِئْتَ تَسْعَى إِلَيْنَا خَضْفَةَ الْجَمَلِ

قوله: خضفة الجمل، يريد ضرطة الجمل يقال خصف البعير. وأنشدني الرياشي لأعرابي يذم رجلاً اتخذ وليمة:

إِنَّا وَجَدْنَا خَلْفًا بَسَّ الْخَلْفُ أَغْلَقَ عَنَّا بَابَهُ ثُمَّ خَلَفَ
لَا يُدْخِلُ الْبَوَابُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ عَيْدُ إِذَا مَا نَاءَ بِالْجَمَلِ خَضَفَ

يقال: ناء بحمله، إذا حملة في ثقل وتكلف. وفي القرآن: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾^(٢) والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتيح، وقد مضى تفسير هذا (وتقول العرب حبَّح الرجل وحبَّق وخصف وردم، كل ذلك إذا ضرط) فلامهم المهلب، وقال: بئسما قلتم، والله ما فرؤوا ولا جبنوا ولكنهم خالفوا أميرهم: أفلا تذكرون فراركم يوم دُولَابَ وفراركم بدارس عن عثمان وفراركم عني.

(١) أَرْتَثُ: حُمِلَ مِنَ الْمَرْكَةِ جَرِيحًا.

(٢) سُورَةُ الْقَصَصِ: الْآيَةُ رَقْمُ ٧٦.

البراء بن قبيصة رسول الحجاج إلى المهلب

وَجَهَّ الحجاج البراء بن قبيصة إلى المهلب يستحثه في مُناجزة القوم وكتب إليه: إنك لتحب بقاءهم لتأكل بهم. فقال المهلب لأصحابه: حركوهم، فخرج فرسان من أصحابه إليهم، فخرج إليهم من الخوارج جُمع فاقتلوا إلى الليل، فقال لهم الخوارج: أما تَمْلُون؟ فقالوا: لا، حتى تَمْلُوا. قالوا: فمن أنتم؟ قالوا تميم، قالت الخوارج: ونحن بنو تميم. فلما أُمسوا افترقوا فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب، وخرج إليهم عشرة من الخوارج، فأحفر كل واحد منهم حفيرة وأثبت قدمه فيها، فكلما قُتل رجل جاء رجل من أصحابه فاجتره ووقف مكانه حتى أعتَموا فقال لهم الخوارج: إرجعوا، فقالوا: بل ارجعوا أنتم، فقالوا: ويلكم من أنتم؟ فقالوا تميم! قالوا: ونحن تميم. فرجع البراء بن قبيصة إلى الحجاج فقال له: مَهْ^(١)؟ قال: رأيت قوماً لا يُعِينُ عليهم إلا الله.

وكتب إليه المهلبُ اني منتظر بهم إحدى ثلاثٍ موتٌ ذريع^(٢) أو جوعٌ مُضِرٌّ أو اختلافٌ من أهوائهم. وكان المهلب لا يتكلم في الحراسة على أحدٍ بل كان يتولى ذلك بنفسه، ويستعين بولده وبمن يحل محلهم في الثقة عنده، وقال أبو حرملة العبدي يهجو المهلب:

عَدَمَتَكَ يَا مُهَلَّبُ مِنْ أَمِيرٍ أَمَا تَنْدَى يَمِينُكَ لِلْفَقِيرِ
بِدُولَابٍ أَضَعْتَ دِمَاءَ قَوْمٍ وَطَرْتَ عَلَى مُوَاشِكَةٍ دَرُورِ

فقال المهلب: ويحك! والله إنني لأُقيكمُ بنفسِي وولدي، قال: جعلني الله فداء الأمير، فذاك الذي نكره منك، ما كلنا يحب الموت، قال: ويحك! وهل عنه مُحبصٌ. قال: لا ولكننا نكره التعجيل وأنت تُقدِّمُ عليه إقداماً. قال

(١) مه: أصله ما للاستهماء فأبدل الألف هاء للوقف والسكت.

(٢) موت ذريع: منتشر.

المهلب: أما سمعت قول الكلجة اليربوعي:

فقلت لكأس أجميعها فإنما نزلنا الكتيب من زرود لنفرعا

قال: بلى! والله قد سمعته، ولكن قلني أحب إلي منه:

فلما وقفتكم عذوة وعدوكم إلى مهجتي وليت أعداءكم ظهري
وطرت ولم أحفل بمقالة^(١) عاجز يساقي المنايا بالردئية السمر

فقال المهلب: بش حشو الكتيبة والله أنت، فإن شئت أذنت لك
فانصرفت إلى أهلك، فقال: بل أقيم معك أيها الأمير، فوهب له المهلب
وأعطاه، فقال يمدحه:

يرى حتماً عليه أبو سعيد جلاذ القوم في أولى النفير^(٢)
إذا نادى الشراة أبا سعيد مشى في رفل محكمة القنير^(٣)

الرفل: الذيل، وقال المهلب: ما يسرني أن في عسكري ألف شجاع بدل
بيهس بن صهيب، فيقال له: أيها الأمير بيهس ليس بشجاع، فيقول: أجل،
ولكنه سديد الرأي مُحْكَمُ العقل وذو الرأي جذر سؤل فأنا آمن أن يُغْتَفَلَ فلو
كان مكانه ألف شجاع، قلت: إنهم يتشامون حتى يحتاج إليهم. ومطرت
السماء ليلة مطراً شديداً، وهم بسابور وبين المهلب وبين الشراة عقبة. فقال
المهلب: من يكفينا هذه العقبة الليلة؟ فلم يقم أحد، فلبس المهلب سلاحه
وقام إلى العقبة، واتبعه ابنه المغيرة، فقال رجل من أصحابه يقال له عبد الله:
دعانا الأمير إلى ضبط العقبة، والحظ في ذلك لنا فلم نُطْعُهُ، فلبس سلاحه.
واتبعه جماعة من أهل العسكر فصاروا إليه، فإذا المهلب والمغيرة لا ثالث
لهما، فقالوا: انصرف أيها الأمير فنحن نكفيك إن شاء الله. فلما أصبحوا إذا
بالشراة على العقبة فخرج إليهم غلام من أهل عُمان على فرس، فجعل يحمل

(١) لم أحفل بمقاله: لم أهتم لما قال.

(٢) النفير: القوم ينفرون معك في القتال.

(٣) القنير: بالفتح رؤوس مسامير الدرع.

وفرسه يَزَلُّوْ، وتلقاه مُدْرِكُ بن المهلب في جماعة معه حتى رَدَّهم . فلما كان يومُ النَحْرِ والمهلبُ على المنبر يخطب الناس إذا الشراة قد تَأَلَّبُوا، فقال المهلب: سبحانَ الله! أفي مثل هذا اليوم! يا مُغِيرَةُ أَكْفَيْهِمْ . فخرج إليهم المغيرةُ بن المهلب وأمامه سَعْدُ بن نَجْدِ القُرْدُوسِيّ، وكان سعد شجاعاً متقدماً في شجاعته، وكان المهلبُ إذا ظَنَّ برجل أن نفسه قد أعجبته قال له: لو كنت سعد بن نجد القُرْدُوسِيّ ما عَدَا (وَقُرْدُوسٌ من الأزد). فخرج أمامَ المغيرة، وتبع المغيرة جماعةً من فرسان المهلب، فالتقوا وأمامَ الخوارج غلامٌ جامعُ السلاح مَديدُ القامة، كَرِيهُ الوجه، شديد الحَمَلَةِ صحيحُ الفُروسِيَّةِ. فأقبل يحمل على الناس وهو يقول:

نحن صَبَحْنَاكُمْ غَدَاةَ النحر بالخيَلِ أمثالِ الوَشِيحِ^(١) تَجْرِي

فخرج إليه سعد بن نجد القُرْدُوسِيّ من الأزد، ثم تجاوزا ساعةً قطعته سعد فقتله. والتقى الناسُ فَصُرِخَ يومئذ المغيرةُ، فحامى عليه سعدُ بن نجد وَذُبْيَانُ السِّخْتِيَانِيّ وجماعةٌ من الفُرسَانِ حتى ركب. وانكشف الناس عند سَقْطَةِ المُغِيرَةِ حتى صاروا إلى أبيه المهلب، فقالوا: قُتِلَ المغيرة، ثم أتاه ذُبْيَانُ السِّخْتِيَانِيّ، فأخبره بسلامته فأعتق كل مملوك كان بحضرته.

إرسال الحجاج الجراح للمهلب

وجه الحجاج الجراح بن عبد الله إلى المهلب يستبطنه في مُناجزة القوم، وكتبَ إليه: أما بعد، فإنك جَبَيْتَ الخراج بالِعِلَلِ وتحصنت بالخنادق، وطاولت القوم، وأنت أعزُّ ناصراً وأكثرُ عدداً، وما أظن بك مع هذا معصيةً ولا جُبناً ولكنك اتخذت أكلاً وكان بقاءهم أيسر عليك من قتالهم فناجزهم وإلا أنكرتني^(٢)

(١) الوشيع: شجر الرماح شبه الخيل به في القوة والصلابة.

(٢) وإلا أنكرتني: فعلت بك ما تنكره مني.

والسلام. فقال المهلب للجراح: يا أبا عُبَيْة واللَّه ما تركتُ حيلةً ألا احتلتُها ولا مكيذةً ألا أعملتُها وما العَجَبُ من إبطاء النصر، وتراخي الظفر ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يُبَصِّرُهُ، ثم ناهضهم ثلاثة أيام يُغاديهُم القتال، ولا يزالون كذلك إلى العصر ويصرف أصحابه وبهم قَرْحٌ وقَتْلٌ، فقال له: قد أَعَذَّرْتَ فكتب المهلب إلى الحجاج: أتاني كتابك تستبطني في لقاء القوم على أنك لا تظن بي معصية ولا جبناً وقد عاتبني معاتبة الجبان، وأوعدتني وعيد العاصي فأسال الجراح والسلام. فقال الحجاج للجراح: كيف رأيت أخاك؟ قال: واللَّه ما رأيتُ أيها الأمير مثله قط ولا ظننت أن أحداً يبقى على مثل ما هو عليه، ولقد شهدتُ أصحابه أياماً ثلاثة يغدون إلى الحرب، ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطاعنون بالرماح، ويتجالدون بالسيوف، ويتخابطون بالعمد، ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيئاً رواح قوم تلك عادتُهم وتجارَتهم. فقال الحجاج: لَشَدَّ مَا مدحتُه أبا عُبَيْة، قال: الحقُّ أوَّلَى. وكانت رُكْبُ^(١) الناس قديماً من الخشب، فكان الرجلُ يُضْرَبُ رِكَابُهُ فينقطع، فإذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمدٌ، فأمر المهلبُ فَضْرِبَتِ الرُّكْبُ من الحديد، وهو أول من أمر بطيعها، ففي ذلك يقول عِمْرَانُ بن عِصَامٍ العَنَزِيُّ:

ضربوا الدراهم في إمارتهم وضربت للحدثان والحرب
حلقتُ ترى منها مرافقهم كمناب الجمالة الجرب

كتاب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء

وكتب الحجاج إلى عَتَّاب بن وَرْقَاءَ الرِّياحِي من بني رِيَّاح بن يَرْبُوع بن حَنْظَلَةَ، وهو والي أصبهان يأمره بالمسير إلى المهلب، وأن يضم إليه جُندَ عبد الرحمن بن مِحْنَفٍ فكل بلد تدخلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلب أمير الجماعة فيه، وأنت على أهل الكوفة، فإذا دخلتم بلداً فَتَحْهُ لأهل الكوفة.

(١) الركب بضمين: جمع ركاب وهو للسرّج كالفرس للرمل والفرس ركاب من جلد.

فأنت أمير الجماعة والمهلب على أهل البصرة، فقدم عتاب في إحدى
جُمَادَيَيْنِ من سنة ست وسبعين على المهلب وهو بسابور، وهي من فتوح أهل
البصرة، فكان المهلبُ أمير الناس وعتابُ على أصحاب ابن مخنف،
والخوارج في أيديهم كَرْمَانُ، وهم بإزاء المهلب بفارس يحاربونه من جمع
النواحي. فَوَجَّهَ الحجاجُ إلى المهلب رجلين يَسْتَحِثَّانِهِ مُنَاجَزَةَ القوم: أحدهما
يقال له زيادُ بن عبد الرحمن من بني صعصعة، والآخر من آل أبي عقيل جد
الحجاج، فضم زياداً إلى ابنه حبيب وضم الثقفِيَّ إلى يزيد ابنه، وقال لهما
خُذَا يزيد وحبيبا بالمناجزة فغادُوا الخوارج فاقتتلوا أشدَّ قتال، فَقُتِلَ زيادُ بن
عبد الرحمن وفُقِدَ الثقفِيُّ. ثم باكروهم في اليوم الثاني، وقد وُجِدَ الثقفِيُّ فدعا
به المهلب ودعا بالغذاء فجعل النبل يقع قريباً منهم والثقفِيُّ يعجب من أمر
المهلب، فقال الصَّلَتَانُ العبدِي :

ألا يا أصبحاني^(١) قَبْلَ عَوَقِ العَوَاقِبِ وقبل اختراطِ القوم مثل العقائق
غداة حبيب في الحديد يقودنا نخوضُ المنايا في ظلال الخوافِقِ^(٢)
حرون^(٣) إذا ما الحرب طارَ شرارُها وهماجُ عجاجِ الحرب فوق البوارق
فمَنْ مُبْلِغُ الحجاج أن أُمِنَ زياداً أطاحت رِمَاحُ الأزارق

قوله: وقبل اختراط القوم مثل العقائق، يعني السيوف، والعقائِق جمع
عقيقة يقال سيف كأنه عقيقة بَرَق، أي أنه لمعة برق. ويقال إنعَقُ البرق إذا
تبسم. وللعقيقة مواضع، يقال: فلان بعقيقة الصبي أن بالشعر الذي وُلِدَ به لم
يحلقه، ويقال: عَقَقْتُ الشيء إن قطعته، ومِنْ ذَا فلان يَعُقُّ أبويه. وكذا
عَقَقْتُ عن الصبي إذا ذبحت عنه، وقال أعرابي :

(١) ألا يا أصبحاني: يا داخله على محذوف يريد يا صاحبي أصبحاني أي قدما لي صبحي والفعل
كمنع.

(٢) الخوافِق: أراد بها الرايات التي تخفق وتضطرب.

(٣) حرون: بالفتح هي التي إذا استدرج ربيها وقفت خاص بذرات الخافر واستعاره لمعنى الثبات عند
الفرع.

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا دَارَ بُلْجَاءِ أَنِّي إِذَا أُجْدَبْتُ أَوْ كَانَ خِصْبًا جَنَابُهَا
أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مُشْرِفٍ إِلَيَّ وَسَلَّمِي أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
بِلَادُهَا عَقُّ الشَّبَابِ تَمِيمَتِي وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسْ جُلْدِي تُرَابُهَا

وقوع الخلاف بين المهلب وعتاب

فلم يزل عتاب يأمره بالمسير إليه ليوجهه إلى شبيب، وكتب إلى المهلب بأن يرزق الجند، فرزق المهلب أهل البصرة، وأبى أن يرزق أهل الكوفة. فقال له عتاب: ما أنا بيارح حتى ترزق أهل الكوفة، فأبى، فجرت بينهما غلظة، فقال عتاب: قد كان يبلغني أنك شجاع فرأيتك جباناً، وكان يبلغني إنك جواد فرأيتك بخيلاً. فقال له المهلب: يا ابن اللخناء! فقال له عتاب: لكنك معم مخول، فغضبت بكرب بن وائل للمهلب للحلف، ووثب ابن نعيم بن هبيرة بن أخي مصقلة على عتاب فشتمه. وقد كان كارهاً للحلف، فلما رأى نصرة بكر بن وائل له سره الحلف واغتبط به ولم يزل يؤكد، فغضبت تميم البصرة لعتاب، وغضبت أزد الكوفة للمهلب. فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب، مشى بين أبيه وبين عتاب، فقال لعتاب: يا أبا ورقاء! أن الأمير يصير لك إلى كل ما تحب. وسأل أباة أن يرزق أهل الكوفة، فأجابته، فصالح الأمر، فكانت تميم قاطبة وعتاب بن ورقاء يحمدون المغيرة بن المهلب، وقال عتاب: إني لأعرف فضله على أبيه. وقال رجل من الأزد من بني إياذ بن سود:

أَلَا أُبْلِغُ بَنِي وَرْقَاءَ بَنِي عَنَا فَلَوْلَا أَنَا كُنَّا غَضَابَا
عَلَى الشَّيْخِ الْمَهْلَبِ إِذْ جَفَانَا لَلَاقَتْ خَيْلُكُمْ مِنَّا ضِرَابَا

دماء المهلب

وكان المهلب يقول لبنيه: لا تبدؤهم بقتال حتى يبدؤكم فيئغوا عليكم، فإنهم إذا بغوا نصرتهم عليهم. فشخص عتاب بن ورقاء إلى الحجاج في سنة سبع وسبعين، فوجه إلى شبيب. فقتله شبيب، وأقام على حربهم. فلما

انقضى من مُقَامِهِ ثمانية عشر شهراً اختلفوا، وكان سبب اختلافهم أن رجلاً حدّاداً من الأزارقة كان يعمل نِصَالاً مسمومة فيُرْمَى بها أصحابُ المهلب، فرفع ذلك إلى المهلب، فقال: أنا اكفيكموه إن شاء الله، فَوَجَّه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قَطْرِيٍّ فقال: أَلْقِ هذا الكتاب في عسكر قطري، وأحذر على نفسك، وكان الحدّاد يقال له أبري. فمضى الرسول، وكان في الكتاب: أما بعد، فإن نِصَالَكَ قد وصلت إليّ، وقد وجهتُ إليك بألف درهم فأقبضها وزناً من هذه النصال. فوقع الكتاب والدرهم إلى قطري، فدعا بأبري، فقال، ما هذا الكتاب قال لا أدري! قال: فهذه الدراهم؟ ما أعلم علمها، فأمر به، فقتل فجاءه عبدُ رَبِّهِ الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة، فقال له: أقتلت رجلاً على غير ثقة ولا تبين؟ فقال له: ما حال هذه الدراهم؟ قال: يجوز أن يكون أمرها كذباً، ويجوز أن يكون حقاً، فقال له قطري: قتل رجل في صلاح الناس غير مُنْكَرٍ، وللإمام أن يحكم بما رآه صلاحاً وليس للرعية أن تعترض عليه. فتَنَكَّر له عبدُ رَبِّهِ في جماعة ولم يفارقه، فبلغ ذلك المهلب، فذسَّ إليه رجلاً نصرانياً، فقال له: إذا رأيت قطرياً فاسجد له، فإذا نهاك فقل إنما سجدتُ لك. ففعل النصراني، فقال له قطري: إنما السجودُ لله، فقال: ما سجدت إلا لك، فقال له رجل من الخوارج: قد عَبَدَكَ من دون الله، وتلا: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾^(١). فقال قطري: إن هؤلاء النصارى قد عَبَدُوا عيسى بن مريم، فما ضَرَّ ذلك عيسى شيئاً. فقام رجل من الخوارج إلى النصراني فقتله، فأنكر ذلك عليه. وقال: أقتلت ذمياً! فاختلفت الكلمة، فبلغ ذلك المهلب، فَوَجَّه إليهم رجلاً يسألهم عن شيء تقدم به إليه. فأتاهم الرجل، فقال: أرايتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم فمات أحدهما في الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه، فلم يُجَرِّمِ الحُتَّةَ^(٢) ما تقولون فيهما؟ فقال بعضهم:

(١) سورة الأنبياء: الآية رقم ٩٨.

(٢) الحُتَّة: بالكسر اسم من الامتحان.

أما الميتُ فمؤمن من أهل الجنة، وأما الآخر الذي لا يجز المحنة فكافر حتى يجيزها، وقال قوم آخرون: بل هما كافران حتى يُجيزا المِحنة. فكثر الاختلاف، فخرج قطري إلى حدودِ اضْطَحْرَ، فأقام شهراً والقوم في اختلافهم، ثم أقبل فقال لهم صالح بن مخرق: يا قوم، إنكم قد أقررتُم أُعْيِنَ عدوكم وأطمعتموهم فيكم لما ظهر من اختلافكم فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماع الكلمة. وخرج عمرو القنأ فنادى: يا أيها المُحِلُّون^(١) هل لكم في الطراد فقد طال العهد به ثم قال:

ألم تر أننا منذ ثلاثون ليلةً قريبٌ وأعداء الكتابِ على خفض
فَتَهَائِجِ القومِ وأسرع بعضهم إلى بعض، فأبلى يومئذ المغيرة بن المهلب
وصار في وسط الأزارقة، فجعلت الرماح تحطه وترفعه واعتورت رأسه
السُّيوفُ، وعليه ساعدٌ حديد فوضع يده على رأسه فجعلت السيوف لا تعمل
فيه شيئاً، واستنقذه فرسانٌ من الأزد بعد أن صرَّع، وكان صرعه عبدة بن هلالٍ
وهو يقول:

أنا ابن خير قومي هلالٍ شيخ علي دين أبي بلال
(وذاك ديني آخر الليالي)

فقال رجل للمغيرة: كنا نَعْجَبُ كيف تُصْرَعُ والآن نعجب كيف تنجو!
وقال المهلب لبنيه: إن سَرَحَكُم لَغَارٌ ولست آمنهم عليه، أفوكَلْتُم به أحداً؟
قالوا: لا، فلم يستم الكلام حتى أتاه آتٍ فقال: إن صالح بن مخرق قد أغار
على السَّرَحِ^(٢)، فشق ذلك على المهلب، وقال: كلُّ أمر لا أُلِيه بنفسي فهو
ضائع، وتذمَّرَ عليهم. فقال له بَشْرُ بن المغيرة: أَرَحْ نفسك فإن كنت إنما
تريد مثلك فوالله لا يَعْدِلُ أحدنا شِسْعَ نعلك، فقال: خذوا عليهم الطريق.
فثار بَشْرُ بن المغيرة ومُدْرِكُ والمُفَضَّلُ ابنا المهلب فسبق بشر إلى الطريق، فإذا

(١) المحلون: جمع محل وهو الذي ينتهك الحرام.

(٢) السرح: بالفتح المال السائم والغار الغافل وهنا بمعنى إسم مفعول أي مفعول عنه.

رجل أسود من الأزارقة يَشْلُ السَّرْحَ أي يطرده وهو يقول:

نحن مَمْعِنَاكُمْ بِشَلِّ السَّرْحِ وقد نَكَّأنا القَرْحَ بعد القَرْحِ
الشَّلُّ الطَّرْدُ ويقال: نَكَأْتُ القَرْحَةَ مهموز، ونَكَيْتُ العَدُوَّ غير مهموز من
النكاية، ونَكَأْتُ القَرْحَةَ نَكًّا قال ابن هَرَمَةَ:

ولا أراها تَزَالُ ظالِمةً تُحَدِّثُ لي قَرْحَةً وتَنَكُّؤُها

ولحقه المفضل ومدرِك فصاحا برجل من طيء: أَكْفِنَا الأسودَ، فاعتوره
الطائي وبشر بن المغيرة فقتلاه وأَسْرَا رجلاً من الأزارقة، فقال له المهلب:
ممن الرجل؟ قال: رجل من هَمْدَانَ! قال: إِنَّكَ لَشَيْنٌ هَمْدَانٌ، وَخَلَى سَبِيلَهُ.
وكان عِيَّاشُ الْكِنْدِيِّ شَجَاعاً بَيْساً^(١) فأبلى يومئذ ثم مات على فراشه بعد ذلك،
فقال المهلب: لَا وَأَلْتُ^(٢) نَفْسِي الْجَبَانَ بعد عِيَّاش. وقال المهلب: مَا رَأَيْتُ
كَهَوْلَاءَ كُلَّمَا يُنْقَضُ مِنْهُمْ يَزِيدُ فِيهِمْ. ووجه الحجاج إلى المهلب رجلين
أحدهما من كَلْبٍ والآخر من سُلَيْمٍ يستَحْثَّانِهِ بِالْقِتَالِ. فقال المهلب مَثَلًا:

وَمُسْتَعْجِبٌ مِمَّا يَرَى مِنْ أُنَاتِنَا وَلَوْ زَبَنَتْهُ الْحَرْبُ لَمْ يَتَرَمَّرْ

الشعر لأوس بن حجر. وقوله زَبَنَتْهُ، يقول: دفعته، ولم يترمرم أي لم
يتحرك، يقال قيل له كذا وكذا فما ترمرم. وقال ليزيد: حَرَّكْهُمْ، فحركهم
فتهايجوا، وذلك في قرية من قرى اضْطَخَّرَ، فحمل رجل من أصحاب
المهلب، فطعنه فَشَكَ فَخِذَهُ بالسرج، فقال المهلب لِلْسُلَمِيِّ وَالْكَلْبِيِّ: كَيْفَ
نَقَاتِلُ قَوْمًا هَذَا طَعْنُهُمْ؟ وحمل يزيد عليهم وقد جاء الرُّقَادُ، وهو من فرسان
المهلب، وهو أحد بني مالك بن ربيعة - على فرس له أَدْهَمَ وبه نيف وعشرون
جراحةً، وقد وضع عليها القطن، فلما حَمَلَ يَزِيدُ وَلَّى الْجَمْعُ وَحَمَاهُمْ
فارسان، فقال يزيد لقيس الخُسَيْنِيِّ مَوْلَى الْعَتِيكَ: مَنْ لَهْذِينَ؟ قال: أَنَا، فَحَمَلَ

(١) البئس: الشجاع.

(٢) لَا وَأَلْتُ نفس الجبان جملة أراد بها الدعاء والوأل النجاة وقد وأل يثل فهو وائل إذا التجأ إلى
موضع فنجا.

عليهما فعطف عليه أحدهما فطعنه قيس الخشني فصرعه، وحمل عليه الآخر فعانقه فسقطا جميعاً إلى الأرض، فصاح قيس الخشني: اقتلونا جميعاً، فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما فإذا معانقه امرأة، فقام قيس مستحيًا، فقال له يزيد: أما أنت فبارزتها على أنها رجل، فقال: أرايت لو قُتِلْتُ! أما كان يقال قَتَلْتُهُ امرأة! وأبلى يومئذ ابن المنجب السدوسي، فقال له غلام له يقال له خِلاج. والله لوددنا أنا فضضنا عسكريهم حتى أصير إلى مُستقرهم فأستلب مما هناك جاريتين، فقال له مولاه: وكيف تمنيت اثنتين؟ قال: لاعطيك إحداهما وأخذ الأخرى. فقال ابن المنجب:

أخِلاجُ أنك لن تعانق طفلة شرقاً^(١) بها الجادي كالتمثال
حتى تلاقيني في الكتبية مُعلِّماً عَمَرُوا القنا وعبيدة بن هلال
وترى المُقَطَّرَ^(٢) في الكتبية مُقَدِّماً في عُصبة قَسَطُوا مع الضلال
أو أن يُعلِّمك المهلبُ غزوة وترى جبالاً قد دنت لجبال

قوله: طفلة يقول ناعمة، وإذا كسرت الطاء فقلت طفلة فهي الصغيرة. والجادي: الزعفران، والكتبية، الجيش. وإنما سُمي الجيش كتبية لانضمام أهله بعضهم إلى بعض، وبهذا سمي الكتاب. ومنه قولهم: كَتَبْتُ البغلة والناقة، وكَتَبْتُ القربة إذا خرزت ذلك الموضع منها. والمُعَلِّم الذي قد شَهَرَ نفسه بعلامة، إما بعمامة صبيغ وإما بمُشَهِّرة وأما بغير ذلك. وكان حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه مُعلِّماً يوم بدر بريشة نعام في صدره، وكان أبو دُجَانَةَ وهو سماك بن خُرْشَةَ الأنصاري يوم أحد لما قال رسول الله ﷺ: من يأخذ سيفي هذا بحقه؟ قالوا: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن يُضْرَبَ به العدو حتى يَنَحْنِي، فقال أبو دُجَانَةَ: أنا. فدفعه إليه، فلبس مُشَهِّرة فأَعْلَمَ بها، وكان قومه يعلمون لما بَلَّوْا منه أنه إذا لبس تلك المشهرة لم يَبْقَ في نفسه غاية،

(١) شرقاً: إسم فاعل. شرق. كتنعب قال شرق الدم ونحوه بجذ فلان إذا شرق واشتدت حمرة؟

(٢) المقططر: بفتح الطاء: في قولك قعطره إذا صرعه وأوثقه.

فَفَعَلَ، وَخَرَجَ يَمْشِي بَيْنَ الصَّفِينِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهَا لَمْ شَيْءٌ يُبْغِضُهَا
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ. وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ عَلِيًّا
 صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ، وَرَمَى إِلَيْهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: هَاكَ حَمِيدًا
 فَاغْسِلِي عَنْهُ الدَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَنْ كُنْتُ صَدَقْتُ الْقِتَالَ الْيَوْمَ لَقَدْ
 صَدَّقَهُ مَعَكَ سَمَّاكَ بَنِي خَرْشَةَ وَسَهْلُ بْنُ حَنْفِيٍّ وَالْحَرِثُ بْنُ الصِّمَّةِ. وَفِي
 بَعْضِ الْحَدِيثِ، وَقَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الْأَنْصَارِ. عَادَ الْحَدِيثُ إِلَى
 ذِكْرِ الْخَوَارِجِ. وَعَمَرُو الْقَنَا مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ، وَعُبَيْدَةَ بْنِ
 هَلَالٍ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، وَالَّذِي طَعَنَ صَاحِبَ الْمَهْلَبِ فِي فَخْذِهِ
 فَشَكَّاهَا مَعَ السَّرِجِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، قَالَ: وَلَا أُدْرِي أَعْمَرُوهُ أَمْ غَيْرُهُ، وَالْمَقْعَطَرُ
 مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ. وَقَوْلُهُ: قَسَطُوا، أَيُّ جَارُوا، يُقَالُ: قَسَطَ يَقْسُطُ، فَهُوَ قَاسِطٌ إِذَا
 جَارَ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^(١). وَيُقَالُ:
 أَقْسَطَ يَقْسِطُ، فَهُوَ مُقْسِطٌ إِذَا عَدَلَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ
 الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢). وَكَانَ بَذْرُ بْنُ الْهَدَيْلِ شَجَاعًا، وَكَانَ لِحَانَةً فَكَانَ إِذَا أَحْسَ
 بِالْخَوَارِجِ نَادَى: يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي. وَلَهُ يَقُولُ الْقَائِلُ:

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى الْمَهْلَبِ حَاجَةً عَرَضْتُ تَوَابِعُ دُونِهِ وَعَبِيدُ
 الْعَبْدُ كُرْدُوسُ وَعَبْدُ مِثْلُهُ وَعِلَاجُ بَابِ الْأَحْمَرَيْنِ شَدِيدُ

كُرْدُوسُ رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ، وَكَانَ حَاجِبَ الْمَهْلَبِ. وَقَوْلُهُ: وَعِلَاجُ بَابِ
 الْأَحْمَرَيْنِ شَدِيدُ، الْعَرَبُ تَسْمِي الْعَجَمِ الْحَمْرَاءَ، وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ ذَلِكَ وَلَهُ:
 تَوَابِعُ، أَرَادَ بِهِ الرِّجَالَ فَجَازَ فِي الشَّعْرِ، وَإِنَّمَا رَدَّهُ إِلَى أَصْلِهِ لِلضَّرُورَةِ، وَمَا
 كَانَ مِنَ النَّعَوَاتِ عَلَى فَاعِلٍ، فَجَمَعَهُ فَاعِلُونَ، لِئَلَّا يَلْتَبَسَ بِجَمْعِ فَاعِلَةٍ الَّتِي
 هِيَ نَعْتٌ: وَقَدْ قُلْنَا فِي هَذَا: وَلَمْ؟ قَالُوا: فَوَارِسُ وَهَالِكٌ فِي الْهَوَالِكِ. وَكَانَ
 بَشْرُ بْنُ الْمَغِيرَةِ أَبْلَى يَوْمَئِذٍ بَلَاءً حَسَنًا عُرِفَ مَكَانُهُ فِيهِ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي
 الْمَهْلَبِ جَفْوَةٌ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا بَنِي عَمِّ إِنِّي قَدْ قَصَّرْتُ عَنْ شِكَاةِ الْعَائِبِ

(١) سُورَةُ الْجِنِّ: الْآيَةُ ١٥.

(٢) سُورَةُ الْحَجَرَاتِ: الْآيَةُ ٩ وَسُورَةُ الْمُتَحَنِّنَاتِ الْآيَةُ ٨.

وَجَاوَزْتُ شَكَاةَ الْمُسْتَعْتَبِ حَتَّى كَأَنِّي لَا مَوْصُولَ وَلَا مَحْرُومَ فَاجْعَلُوا لِي فُرْجَةً
أَعِشْ بِهَا وَهَبُونِي أَمْرًا رَجَوْتُمْ نَصْرَهُ أَوْ خَفْتُمْ لِسَانَهُ، فَرَجَعُوا لَهُ وَوَصَلَوْهُ وَكَلَّمُوا
فِيهِ الْمَهْلَبَ فَوَصَلَهُ. وَوَلَّى الْحِجَااجُ كَرْدَمًا فَارِسًا، فَوَجَّهَهُ الْحِجَااجُ إِلَيْهَا
وَالْحَرْبَ قَائِمَةً، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمَهْلَبِ:

وَلَوْ رَأَاهَا كَرْدَمٌ لَكَرْدَمًا كَرْدَمَةَ الْعَيْرِ^(١) أَحْسَنَ الضَّيْعَمَا

الضَّيْعَمُ: الْأَسَدُ، وَالكَرْدَمَةُ: الْغُفُورُ، فَكَتَبَ الْمَهْلَبُ إِلَى الْحِجَااجِ يَسْأَلُهُ
أَنْ يَتَجَاوَزَ لَهُ عَنِ اصْطِخْرٍ وَذَارًا بِجَرْدٍ لِأَرْزَاقِ الْجُنْدِ، فَفَعَلَ. وَكَانَ قَطْرِيٌّ هَدَمَ
مَدِينَةَ اصْطِخْرٍ لِأَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا يَكْتُبُونَ الْمَهْلَبَ بِأَخْبَارِهِ. وَأَرَادَ مِثْلَ ذَلِكَ بِمَدِينَةِ
فَسَا فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ آزَادُ مَرْدُ بَنِ الْهَرَبِيدِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَلَمْ يَهْدَمْهَا فَوَاقِعَهُ
الْمَهْلَبُ فَهَزَمَهُ وَنَفَاهُ إِلَى كَرْمَانَ، وَاتَّبَعَهُ ابْنَةُ الْمَغِيرَةِ، وَقَدْ كَانَ دَفَعَ إِلَيْهِ سَيْفًا
وَجَّهَهُ بِهِ الْحِجَااجُ إِلَى الْمَهْلَبِ، وَأَقْسَمَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِلْدَهُ فَدَفَعَهُ إِلَى الْمَغِيرَةِ بَعْدَمَا
تَقَلَّدَ بِهِ، فَرَجَعَ بِهِ الْمَغِيرَةُ إِلَيْهِ وَقَدْ دَمَّاهُ، فَسَرَّ الْمَهْلَبُ بِذَلِكَ، وَقَالَ: مَا
يَسْرُنِي أَنْ أَكُونَ كُنْتُ دَفَعْتُهُ إِلَى غَيْرِكَ مِنْ وَلَدِي، أَكْفَنِي جَبَايَةَ خَرَاكِ هَاتَيْنِ
الْكُورَتَيْنِ. وَضَمَّ إِلَيْهِ الرُّقَادَ، فَجَعَلَ يَجْنِيانِ وَلَا يُعْطِيَانِ الْجُنْدَ شَيْئًا. فَفِي ذَلِكَ
يَقُولُ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَأَحْسِبُهُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فِي كَلِمَةٍ لَهُ:

وَلَوْ عَلِمَ ابْنُ يَوْسُفَ مَا نَلَّاقِي مِنْ الْأَفَاتِ وَالْكَرْبِ الشَّدَادِ
لِفَاضَتْ عَيْنُهُ جَزَعًا عَلَيْنَا وَأَصْلَحَ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْفَسَادِ
أَلَا قُلْ لِلْأَمِيرِ جُزَيْتَ خَيْرًا أَرْحَنَا مِنْ مُغِيرَةٍ وَالرُّقَادِ
فَمَا رَزَقَا الْجُنُودَ بِهَا قَفْبَزًا وَقَدْ سَأَلَتْ مَطَامِيرُ^(٢) الْحَصَادِ

يَقَالُ: سَاسَ الطَّعَامُ وَأَسَاسَ، إِذَا وَقَعَ فِيهِ السُّوسُ. وَدَادَ وَأَدَادَ مِنَ الدُّودِ.
وَرَوَى أَبُو زَيْدٍ دِيدَ فَهُوَ مَدُودٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى. فَحَارِبَهُمُ الْمَهْلَبُ بِالسَّيْرَجَانِ
حَتَّى نَفَاهُمُ عَنْهَا إِلَى جَيْرُفَتْ، وَاتَّبَعَهُمْ فَتَزَلَّ قَرِيبًا مِنْهُمْ. وَاخْتَلَفَتْ كَلِمَتُهُمْ،

(١) الْعَيْرُ: الْحِمَارُ.

(٢) الْمَطَامِيرُ جَمْعُ مَطْمُورَةٍ الْحَفِيرَةِ تَحْتَ الْأَرْضِ.

وكان سبب ذلك أن عبدة بن هلال اليشكري اتهم بأمة رجل حداد رأوه مراراً يدخل منزله بغير إذن، فأتوا قطرياً فذكروا ذلك له، فقال لهم: إن عبدة من الدين بحيث علمتم، ومن الجهاد بحيث رأيتم، فقالوا: إنا لا نقارُهُ على الفاحشة، فقال: انصرفوا، ثم بعث إلى عبدة فأخبره، وقال: إنا لا نقارُهُ على الفاحشة، فقال: بهتوني يا أمير المؤمنين فما ترى، قال: إني جامع بينك وبينهم فلا تخضع خضوع المذنب، ولا تتطاوّل تطاوّل البريء. فجمع بينهم فتكلموا، فقام عبدة، فقال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم الآيات﴾^(١) فبكوا وقاموا إليه فاعتنقوه، وقالوا: استغفر لنا، ففعل.

إنقسام الخوارج وانضمام بعضهم إلى عبد ربه

فقال لهم عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة: والله لقد خدعكم فبايع عبد ربه منهم ناس كثير لم يظهروا ولم يسجدوا على عبدة في إقامة الحد ثبنا. وكان قطري قد استعمل رجلاً من الدهاقين، فظهرت له أموال كثيرة فأتوا قطرياً، فقالوا: إن عمر بن الخطاب لم يكن يقارُ عماله على مثل هذا، فقال قطري: إني استعملته وله ضياع وتجارات. فأوغر ذلك صدورهم وبلغ ذلك المهلب، فقال: إن اختلافهم أشد عليهم مني. وقالوا لقطري: ألا تخرج بنا إلى عدونا، فقال: لا. ثم خرج. فقالوا: قد كذب وارتد فاتبعوه يوماً، فأحس بالشر، فدخل داره جماعة من أصحابه، فصاحوا به: يا دابة! أخرج إلينا فخرج إليهم، فقال: رجعتم بعدي كفاراً؟ فقالوا: أولست دابة؟ قال الله عز وجل: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾^(٢). ولكنك قد كفرت بقولك إنا قد رجعنا كفاراً فتب إلى الله عز وجل. فشاور عبدة، فقال: إن ثبت لم يقبلوا منك ولكن قل إنما استفهمت. فقلت: أرجعتم بعدي

(١) سورة النور: الآية ٢٤.

(٢) سورة هود: الآية ٦.

كفاراً! فقال ذلك لهم، فقبلوه منه، فرجع إلى منزله وعزم أن يبيع المقعطر العبدى فكرهه القوم وأبوه، فقال له صالح بن مخراق عنه وعن اقوم: آبخ لنا غير المقعطر، فقال قطري: أرى طول العهد قد غيّركم وأنتم بصدد عدوكم، فاتقوا الله وأقبلوا على شأنكم، واستعدوا للقاء القوم، فقال له صالح بن مخراق: إن الناس قبلنا ساموا عثمان بن عفان أن يعزل عنهم سعيد بن العاصي، ففعل، ويجب على الإمام أن يغفي الرعية مما كرهت فأبى قطري أن يعزله، فقال له القوم: إنا خلعتك وولينا عبد ربّه الصغير. فانفصل إلى عبد ربّه أكثر من الشطر وجلّهم من الموالي والعجم، وكان هناك منهم ثمانية آلاف، وهم القراء. ثم ندم صالح بن مخراق، فقال القطري: هذه نفحة من نفحات الشيطان فأعفينا من المقعطر وسرّبنا إلى عدوك، فأبى قطري إلا المقعطر، فحمل فتى من العرب على صالح بن مخراق فطعنه فأنفذه وأجره الرمح فقتله، ومعنى أجره الرمح طعنه وترك الرمح فيه، قال عترة:

وآخر منهم أجزرت رمحي وفي البجلي ميلة^(١) وقيع^(٢)

فَنشِبَتِ الحربُ بينهم، فتهايجوا ثم انجاز كل قوم إلى صاحبهم، فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا قتالاً شديداً، فأجلت الحرب عن ألفي قتيل. فلما كان الغد باكروهم القتال، فلم ينتصف النهار حتى أخرجت العجم العرب من المدينة، وأقام عبد ربّه بها وصار قطري خارجاً من مدينة جيرفت بإزائهم، فقال له عبيدة: يا أمير المؤمنين، إن أقمت لم آمن هذه العبيد عليك إلا أن تُخندق، فخنّدق على باب المدينة، وجعل يناوشهم.

رسول الحجاج للمهلب

وارتحل المهلب فكان منهم على ليلة، ورسول الحجاج معه يستحثه، فقال له: أصلح الله الأمير عاجلهم قبل أن يصطلحوا، فقال المهلب: إنهم

(١) الميلة: بكسر الميم، نصل طويل عريض يجعل في السهم.

(٢) الوقيع: المحدد باليقعة وهي المطرقة.

لن يصطلحوا ولكن دَعُهُمْ فَإِنَّهُمْ سَيَصْبِرُونَ إِلَى حَالٍ لَا يَفْلَحُونَ مَعَهَا. ثُمَّ دَسَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيَّتَ عَسْكَرِ قَطْرِي فَقُلْ إِنِّي لَمْ أَزَلْ أَرَى قَطْرِيًّا يُصِيبُ الرَّأْيَ حَتَّى نَزَلَ مَنْزِلُهُ هَذَا، فَبَانَ خَطْوُهُ، أَنْقِمِ بَيْنَ الْمَهْلَبِ وَعَبْدِ رَبِّهِ يَغَادِيهِ هَذَا الْقِتَالُ وَيُرَاوِحُهُ هَذَا، فَنَمَّا الْكَلَامُ إِلَى قَطْرِيٍّ فَقَالَ: صَدَقَ، تَنَحَّوْا بِنَا عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِنْ أَتَيْعْنَا الْمَهْلَبَ قَاتَلْنَاهُ وَإِنْ أَقَامَ عَلَى عَبْدِ رَبِّهِ رَأَيْتُمْ فِيهِ مَا تَحِبُّونَ، فَقَالَ لَهُ الصَّلْتُ بْنُ مُرَّةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ اللَّهُ فَأَقْدِمْ عَلَى الْقَوْمِ، وَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الدُّنْيَا فَأَعْلِمْ أَصْحَابَكَ حَتَّى يَسْتَأْمِنُوا، وَأَنْشَأَ الصَّلْتُ يَقُولُ:

قَالَ لِلْمَجْلِينَ قَدْ قَرَّتْ غُيُونُكُمْ بَغْرِقَةِ الْقَوْمِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْهَرْبِ
كُنَّا أَنْسَاءً عَلَى دِينٍ فَغَيَّرْنَا طُولُ الْجِدَالِ وَخَلَطُ الْجِدِّ بِاللَّعِبِ
مَا كَانَ إِغْنَى رَجَالًا ضَلَّ سَعْيُهُمْ عَنِ الْجِدَالِ وَأَعْنَاهُمْ عَنِ الْخُطْبِ
أَنِّي لِأَهْوُونَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُضْطَرِبًا^(١) مَالِي سِوَى فَرَسِي وَالرُّمَحِ مِنْ نَشْبِ

ثُمَّ قَالَ: أَصْبَحَ الْمَهْلَبُ يَرْجُو مِنَّا مَا كُنَّا نَطْمَعُ فِيهِ مِنْهُ، فَارْتَحَلَ قَطْرِي. وَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَهْلَبَ فَقَالَ لَهْرِيمَ بْنِ عَبْدِ بْنِ أَبِي طَحْمَةَ الْمُجَاشَعِيِّ: إِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَكُونَ قَطْرِي كَاذِبًا بَتَرَكْ مَوْضِعَهُ، فَادْهَبْ فَتَعَرَّفْ الْخَبَرَ، فَمَضَى هَرِيمُ فِي اثْنَيْ عَشَرَ فَارِسًا فَلَمْ يَرِ فِي الْعَسْكَرِ إِلَّا عَبْدًا وَعِجْأً، فَسَأَلَهُمَا عَنْ قَطْرِي وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَا: مَضَوْا يَرْتَادُونَ غَيْرَ هَذَا الْمَنْزِلِ، فَرَجَعَ هَرِيمُ إِلَى الْمَهْلَبِ فَأَخْبَرَهُ، وَفَارْتَحَلَ الْمَهْلَبُ حَتَّى نَزَلَ خَنْدَقَ قَطْرِي، فَجَعَلَ يَقَاتِلُهُمْ أحيانًا بِالْغَدَاةِ وَأحيانًا بِالْعَشِيِّ. فَبَيْنَ ذَلِكَ يَقُولُ رَجُلٌ مِنْ سَدُوسٍ يَقَالُ لَهُ الْمُعْنِقُ وَكَانَ فَارِسًا.

لَيْتَ الْحَرَائِرَ بِالْعِرَاقِ شَهْدَنَا وَرَأَيْنَا بِالسَّفْحِ ذِي الْأَجْيَالِ
فَنَكْحَنُ أَهْلَ الْجُزْءِ^(٢) مِنْ فَرَسَانَا وَالضَّارِبِينَ جَمْعِ الْأَبْطَالِ

(١) المضطرب: مشتعل من الضرب وهو أن يخرج تاجراً أو غازياً والنشب محرّكاً: المال.

(٢) الجزء: إسم من قوتهم: ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان أي فعل فعلاً ظهر أثره وقام مقاماً لم يقمده غيره.

ووجه المهلب بزيد إلى الحجاج يخبره أنه قد نزل منزل قطري، وإنه مقيم على عبد ربه، ويسأله أن يوجه في أثر قطري رجلاً جليداً في جيش، فسر ذلك الحجاج سروراً أظهره.

كتاب الحجاج إلى المهلب

ثم كتب إلى المهلب يستحثه مع عبيد بن مؤهب، وفي الكتاب: أما بعد، فإنك تتراخى عن الحرب حتى يأتيك رسلي فتتراجع بعذرِكَ، وذلك أنك تُمسِكُ حتى تبرأ الجراح وتُنسى القتلى ويَجْمُ^(١) الناس، ثم تلقاهم فتحتمل منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح، ولو كنت تلقاهم بذلك الجِدُّ لكان الداء قد حَسِمَ والقرن قد قُصِمَ، ولعمري ما أنت والقوم سواء، لأن من ورائك رجالاً وأمامك أموالاً، وليس للقوم إلا ما معهم، ولا يُدْرِكُ الوجيف^(٢) بالديب^(٣) ولا الظفر بالتعذير^(٤). فقال المهلب لأصحابه: إن الله عز وجل قد أراحكم من أقران أربعة: قطري بن الفجاءة وصالح بن مخراق وعبيدة بن هلال وسعد الطلائع، وإنما بين أيديكم عبد ربه في خُشار^(٥) من خُشار الشيطان، تقتلونهم إن شاء الله. فكانوا يتعاضدون القتال ويتراوحن فتصيبهم الجراح، ثم يتحاجزون كأنما انصرفوا من مجلس كانوا يتحدثون فيه فيضحك بعضهم إلى بعض، فقال عبيد بن مؤهب للمهلب: قد بان عذرك وأنا مخبر الأمير، فكتب المهلب إليه: أما بعد، فإنني لم أعطِ رُسُلكَ على قول الحق أجراً ولم أحتج منهم مع المشاهدة إلى تلقين. ذكرت أنني أجمُ القوم ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب ويحتال فيها المغلوب، وذكرت أن في ذلك الجَمَامِ ما يُنسى القتلى وتبرأ منه الجراح، وهيهات أن يُنسى ما بيننا وبينهم.

(١) يجم الناس: تستريح وتكثر.

(٢) الوجيف: ضرب من السير سريع.

(٣) الديب ضده: أي ضرب من السير بطيء.

(٤) التعذير: التقصير.

(٥) خُشار بالضم: الرديء من كل شيء.

تَأْتِي ذَلِكَ قَتْلِي لَمْ تُجِنَّ^(١) وَقَرُوح لَمْ تَتَقَرَّفْ وَنَحْنُ وَالْقَوْمُ عَلَى حَالَةٍ، وَهُمْ يَرْقُبُونَ مِنَّا حَالَاتٍ إِنْ طَمَعُوا حَارِبُوا وَإِنْ مَلَوْا وَقَفُوا وَإِنْ يَشُوا انصرفوا، وَعَلَيْنَا أَنْ نَقَاتِلَهُمْ إِذَا قَاتَلُوا وَنَتَحَرَّزَ إِذَا وَقَفُوا، وَنَطْلُبُ إِذَا هَرَبُوا، فَإِنْ تَرَكْتَنِي وَالرَّأْيَ كَانَ الْقَرْنُ مَقْصُومًا، وَالسَّيِّئُ بِإِذْنِ اللَّهِ مَحْسُومًا، وَإِنْ أَعْجَلْتَنِي لَمْ أُطْعَمْكَ وَلَمْ أُغْصِرْ وَجَعَلْتُ وَجْهِي إِلَى بَابِكَ، وَإِنَّا إِعْوِذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَمَقْتِ النَّاسِ.

ما قاله عبد ربه لأصحابه مع اشتداد الحصار

ولما اشتد الحصارُ على عبد ربه، قال لأصحابه: لا تفتقروا إلى من ذهب عنكم من الرجال، فإنَّ المسلم لا يفتقر مع الإسلام إلى غيره، والمسلم إذا صحَّ توحيدُه غُزُّ برِّه، وقد أراحكم الله من غِلْظَةِ قَطْرِي وَعَجَلَةِ صَالِحِ بْنِ مِخْرَاقٍ وَنَخْوَتِهِ، واختلاطِ عبيدة بن هلالٍ ووَكَلَكُم إلى بصائرِكُم، فألقوا عدوكم بصبر ونية، وانتقلوا عن منزلِكُم هذا. مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ قُتِلَ شَهِيدًا، وَمَنْ سَلِمَ مِنَ الْقَتْلِ فَهُوَ الْمَحْرُومُ. وقدم في هذا الوقت على المهلب عبيد بن أبي ربيعة بن أبي الصلتِ الثَّقَفِيُّ بِسُتَحْتِهِ بِالْقِتَالِ، ومعه أُمَيْنَانِ، فقال له: خالفت وصية الأمير وآثرت المدافعة والمطاولَةَ، فقال له المهلب: ما تركتُ جهداً. فلما كان العشيُّ خرج الأزارقة، وقد حملوا حُرْمَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَخِفَتْ مَتَاعُهُمْ لِيَنْتَقِلُوا، فقال المهلب لأصحابه: الزموا مَصَافِكُمْ وأشرعوا رماحكم ودعوهم والذهاب. فقال له عبيد: هذا لعمري أيسرُ عليك، فقال للناس: رُدُّوهم عن وجْهَتِهِمْ، وقال لَبْنِيهِ: تفرقوا في الناس. وقال لعبيد بن أبي ربيعة: كن مع يزيد فخذهُ بالمحاربة أشدَّ الأخذِ. وقال لأحد الأُمَيْنِينَ: كن مع المغيرة ولا ترخص له في الفُتُورِ. فاقتلوا قتالاً شديداً حتى عُقِرَتِ الدواب، وصُرعَ الفُرسَانُ، وقُتِلَتِ الرِّجَالُ، فجعلتِ الخوارج تقاتلُ على القَدَحِ يُوْخِذُ مِنْهَا وَالسُّوْطِ وَالْعَلَقِ^(٢) أَسَدٌ قَتَالَ، وسقط رمح لرجلٍ من مُرَادٍ مِنْ

(١) لم تجن: لم تستر ولم تدفن.

(٢) العلق بالكسر ويفتح الحراب أو الترس أو السيف.

الخوارج، فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل وذلك مع المغرب، والمرادي يقول:

الليل ليل فيه وئيل وئيل وسال بالقوم الشراة السيل
إن جاز للإعداء فينا قول

فلما عظم الخطب فيه، بعث المهلب إلى المغيرة: خلّ عن الرمح عليهم لعنهم الله. فخلوا لهم عنه، ثم مضت الخوارج حتى نزلوا على أربعة فراسخ من جبرفت ودخلها المهلب، وأمر بجمع ما كان لهم من المتاع وما خلفوه من رقيق، وختّم عليه هو والثقي والأمينان، ثم اتبعهم فإذا هم قد نزلوا على عين لا يشرب منها إلا قوي، يأتي الرجل بالدلو قد شدّها في طرف رمحه فيستقي بها. وهناك قرية فيها أهلها فغاداهم القتال، وضّم الثقي إلى يزيد وأحد الأمينين إلى المغيرة، واقتل القوم إلى نصف النهار. فقال المهلب لأبي علقمة العبدى، وكان شجاعاً عاتياً: أمدد بخيل النخمد وقل لهم، فليعيرونا جماجمهم ساعة. فقال له: إن جماجمهم ليست بفخار فتعار، وليست أعناقهم كرادى فتنبت (قال أبو الحسن الأخفش تقول العرب لأعذاق النخل كراد وهو فارسي أعرب) وقال لحبيب بن أوس: كرّ على القوم فلم يفعل، وقال:

يقول لي الأمير بغير علم تقدّم حين جدّ به المراس^(١)
فمالي إن أطعتك من حياة ومالي غير هذا الرأس رأس

نصب غير لأنه استثناء مقدّم، وقد مضى تفسيره. وقال لمعن بن المغيرة بن أبي صفرة: أحمل. فقال: لا، إلا أن تزوجني أمّ مالك، بنت المهلب، ففعل. فحمل على القوم فكشفهم وطعن فيهم، وقال:

ليت من يشتري الغداة بمال هلّكهُ اليوم عندنا فيرانا
نصل الكرّ عند ذاك بطعن إن للموت عندنا ألوانا

(١) المراس: المعالجة والمزاولة.

ثم جال الناس جَوْلَةً عند حَمَلَةٍ حَمَلَهَا عليهم الخوارجُ، فالتفت عند ذلك المهلب إلى المغيرة، فقال: ما فعل الأمين الذي كان معك؟ قال: قُتل. وكان الثقيفي قد هرب، وقال ليزيد: ما فعل عُبيدُ بن أبي ربيعة؟ قال: لم أره منذ كانت الجولة، فقال الأمين الآخر للمغيرة: أنت قتلت صاحبي. فلما كان العشي رجع الثقيفي، فقال رجل من بني عامر بن صعصعة:

ما زلت يا ثَقَفِي تخطبُ بيننا وتَغْمُنُنا بوصية الحُجَّاجِ
حتى إذا ما الموتُ أقبلَ زاحِراً^(١) وسَمَّا لنا صِرْفاً بغير مزاجِ
وليت يا ثَقَفِي غير مناظرٍ تنسابُ بين أجزءٍ وفجاجِ
ليست مقارعةُ الكُماةِ لدى الوغَى شربُ المُدامةِ في إناء رُجاجِ

قوله بين أجزءٍ هو جمع حزير، وهو متن ينقاد من الأرض ويغلط، والفجاجُ الطرقُ، واحدها فج. وقال المهلب ليمين الآخر: ينبغي أن تتوجه مع ابني حبيب في ألف رجل حتى يُيْتُوا عسكرهم. فقال: ما تريد أيها الأمير ألا أن تقتلني كما قتلت صاحبي. قال: ذاك إليك. وضحك المهلب. ولم تكن للقوم خنادق فكان كل حذاراً من صاحبه، غير أن الطعام والعُدَّة مع المهلب، وهم في زهاء ثلاثين ألفاً. فلما أصبح أشرف على واد، فإذا، هو برجل معه رمح مكسور، وقد خضبه بالدماء، وهو ينشد:

جزاني دوائي ذو الخِمار وصنعتي إذا بات أطواء بني الأصاغرُ
أخادعهم عنه ليُنْبَقَ دونهم وأعلم غير الظن أني مُغاوِرُ^(٢)
كأنني وأبدان^(٣) السلام عشيّة يمرُّ بنا في بطن فيحان^(٤) طائر

فدعاه المهلب، فقال: أتميمي أنت؟ قال: نعم! قال: أحنظلي؟ قال:

(١) زاحراً: ماداً مرتفعاً مستعار من قولهم زخر البحر كمنع طها وعلا.

(٢) مغاور مفاعلة في قولهم غاور فلان أعداء إذا كان يغير عليهم ويغيرون عليه.

(٣) أبدان: جمع بدن بالتحريك وهو الدرع القصيرة.

(٤) فيحان: موضع بديار بني سعد.

نعم! قال: أيربوعي؟ قال: نعم! قال: ثعلبي؟ قال: نعم! قال: أمن آل نؤيرة؟ قال: نعم، أنا من ولد مالك بن نؤيرة وسبحان الله أيها الأمير، أكون مثلي في عسكري لا تعرفه؟ قال: عرفتكَ بالشعر. قوله: ذو الخمار، يعني فرساً. وكان ذو الخمار فرس مالك بن نؤيرة، وقال جرير يهجو الفرزدق:

بيربوع فخرتُ وآل سَعْدِ فلا مَجْدِي بَلَّغْتَ ولا افتخاري
بيربوع فَوَارِسُ كُلِّ يَوْمِ يُوَارِي شَمْسَهُ رَهْجَ الْغَبَارِ
عُتَيْبَةُ وَالْأَحْيَمَرُ وابن عمرو وَعَتَابُ وَفَارِسُ ذِي الْخِمَارِ

قوله: أطواء يقال رجل طَوِيّ البطن أي مُنْطَوٍ يخبر أنه كان يؤثر فرسه على ولده فيشبعه وهم جِياع، وذلك قوله: (أخادعهم عنه ليغبق دونهم) والغبوق شرب آخر النهار، وهذا شيء تفتخر به العرب، قال الأشعر الجعفي:

لكن قَيْعِيدَةٌ^(١) بَيْتَنَا مَجْفُوءَةٌ بَادِ جَنَاجِنُ^(٢) صَدْرُهَا وَلَهَا غِنَى
نُقْفِي بَعِيشَهُ أَهْلَهَا وَثَابَةٌ أَوْ جَرَشَعًا^(٣) نَهْدَ الْمُرَاكِلِ^(٤) وَالشَّوَى^(٥)

إشتداد الحرب بين الفريقين

قال: فمكثوا أياماً على غير خنادق يتحارسون ودوابهم مُسَرَّجَةٌ، فلم يزالوا على ذلك حتى ضَعُفَ الفريقان. فلما كانت الليلة التي قُتِلَ في صبيحتها عبدُ ربِّه جَمَعَ أصحابه، وقال: يا معشر المهاجرين، إن قطرياً وعبيدة هربا طلبَ البقاء، ولا سبيلَ إليه، فألقوا عدوكم فإن غلبوكم على الحياة فلا يغلبُكم على الموت، فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم، وهبوا أنفُسكم لله في

(١) القعيدة: التي تلتزم البيت.

(٢) جناجن: عظام الصدر.

(٣) الجرشع: العظيم في الإبل والخيل.

(٤) المراكل: حيث يركض الفارس من جنب الدابة والنهد المرتفع.

(٥) الشوى: قحف الرأس.

الدنيا يهبها لكم في الآخرة. فلما أصبحوا غادو المهلب فقاتلوه قتالاً شديداً نُسِيَ به ما كان قبله، فقال رجل من الأزد من أصحاب المهلب: من يُبايعني على الموت؟ فبايعه أربعون رجلاً من الأزد وغيرهم، فصرع بعضهم، وقتل بعض، وجرح. وقال عبد الله بن رزام الحارثي لأصحاب المهلب: إحملوا! فقال المهلب: أعرابي مجنون، وكان من أهل نجران، فحمل وحده فاخترق القوم حتى نَجَمَ من ناحية أخرى، ثم رجع ثم كرَّ ثانية ففعل فعلته الأولى، وتهايج الناس فترجلت الخوارج وعقروا دوابهم، فناداهم عمرو القنا، ولم يترجل هو وأصحابه من العرب، وكانوا زهاء أربعمئة: موتوا على ظهور دوابكم ولا تعقروها، فقالوا: أنا إذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار. فاقتلوا، ونادى المهلب بأصحابه: الأرض الأرض! وقال لبيته: تفرقوا في الناس ليروا وجوهكم، ونادى الخوارج ألا أن العيال لمن غلب، فصبر بنو المهلب وصبر يزيد بين يدي أبيه، وقاتل قتالاً شديداً أبلى فيه، فقال له أبو: يا بُني، أني أرى موطناً لا ينجو فيه إلا من صبر وما مرَّ بي يوم مثل هذا منذ مارست الحروب. وكسرت الخوارج أجفان سيوفها وتجاولوا، فأجلت جولتهم عن عبد ربه مقتولاً، فهرب عمرو القنا وأصحابه، واستأمن قوم، وأجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجرحى كثير من الخوارج، فأمر المهلب بأن يُدفع كل جريح إلى عشيرته، وظفر بعسكرهم فحوى ما فيه، ثم انصرف إلى جِيفَت. فقال: الحمد لله الذي ردنا إلى الخفض والدعة، فما كان عيشنا بعيش، ثم نظر إلى قوم في عسكره لم يعرفهم فقال ما أشد عادة السلاح، ناولوني درعي. فلبسها، ثم قال: خذوا هؤلاء! فلما صير بهم إليه قال: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم جئنا لنطلب غرتك لنفتك بك، فأمر بهم، فقتلوا

رسولا المهلب إلى الحجاج

ووجه المهلب كعب بن معدان الأشقري ومرة بن تليد الأزدي من أزد شنوءة فوفد على الحجاج، فلما طلعا عليه تقدم كعب فأنشده:

يا حَفْصَ إِنِّي عَدَانِي عَنْكُمْ السَّفَرُ (وقد سَهَرْتُ فَأَرْدَى نَوْمِي السَّهْرُ)
فقال له الحجاج: أشاعر أم خطيب؟ قال: كلاهما. ثم أنشده القصيدة،
ثم أقبل عليه فقال له: أخبرني عن بني المهلب قال: المغيرة فارسهم
وسيدهم، وكفى يزيد فارساً شجاعاً وجوادهم، وسخيهم قبيصة ولا يستحي
الشجاع أن يفر من مُدْرِكٍ، وعبدُ الملك سُم نافع، وحبیبُ موت زُعاف،
ومحمد ليث غاب، ونفاك بالمفضل نجدة، قال: فكيف كان بنو المهلب
فيكم؟ قال: كانوا حُمَاة السَّرْحِ نهاراً، فإذا أَلِيلُوا فُرسان البِيات، قال: فأئيهم
كان أنجَد؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يُدْرَى أين طَرَفُها، قال: فكيف
كنتم أنتم وعدوكم؟ قال: كنا إذا أخذنا عفونا، وإذا أخذوا يئسنا منهم، وإذا
اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم، فقال الحجاج: إن العاقبة للمتقين كيف
أفلتكم قطري؟ قال: كدناه ببعض ما كادنا به فصبرنا منه إلى الذي نحب،
قال: فهلا اتبعتموه؟ قال كان الحدُّ عندنا آثر من الفلِّ، قال: فكيف كان لكم
المهلبُ وكنتم له؟ قال: كان لنا منه شفقةُ الوالد وله منا برُّ الولد، قال: فكيف
اغتباط الناس؟ قال: فشافيتهم الأمنُ وشملهم النفلُ، قال: أكنت أعددت لي
هذا الجواب؟ قال: لا يعلم الغيب إلا الله، قال: فقال هكذا تكون، والله
الرجال، المهلبُ كان أعلم بك حيث وجَّهَكَ. وكان كتاب المهلب إلى
الحجاج: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الكافي بالإسلام فقدمنا سواه
الذي حكم بأن لا ينقطع المزيدُ منه حتى ينقطع الشكرُ من عباده أما بعد، فقد
كان من أمرنا ما قد بلغك وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين، يسرنا منهم
أكثر مما يسوءنا، ويسوؤهم منا أكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم، فقد
كان علن أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة ونوم به الرضيع فانتهرت منهم الفرصة
في وقت إمكانها، وأدنيت السواد حتى تعارفت الوجوه، فلم نزل كذلك حتى
بلغ الكتاب أجله فقطعت دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

كتاب الحجاج إلى المهلب

فكتب إليه الحجاج: أما بعد، فإن الله عز وجل قد فعل بالمسلمين خيراً وأراحهم من حدّ الجهاد، وكنت أعلم بما قبلك، والحمد لله رب العالمين فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسم في المجاهدين فيهم ونقل الناس على قدر بلائهم، وفضل من رأيت تفضيله، وإن كانت بقيت من القوم بقية فخلّف خيلاً تقوم بإزائهم، واستعمل على كرمان من رأيت وولّ الخيل شهماً من ولدك، ولا ترخص لأحد في اللحاق بمنزله دون أن تقدّم بهم عليّ، وعجل القدوم إن شاء الله. فوّلّ المهلب ابنه يزيد كرمان، وقال له: يا بني إنك اليوم لست كما كنت، إنما لك من مال كرمان ما فضل عن الحجاج، ولن تحتمل إلا على ما احتمل عليه أبوك. فأحسن إلى من معك، وإن أنكرت من إنسان شيئاً فوجهه إليّ وتفضل على قومك.

وقدم المهلب على الحجاج فأجلسه إلى جانبه. وأظهر إكرامه وبرّه، وقال: يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب، ثم قال: أنت والله كما قال لقيط الإيادي:

وَقَلَّدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرْكُكُمْ	رَحِبَ الذِّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلَعاً ^(١)
لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ ^(٢) إِلَّا رَيْثٌ ^(٣) يَبْعَثُهُ	هَمْ يَكَادُ حَشَاهُ يَقْصِمُ الضِّلْعَا
لَا مُتَرَفَاً إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ	وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهُ لَهُ خَشَعاً
مَا زَالَ يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ ^(٤)	يَكُونُ مُتْبِعاً طَوْرًا وَمُتَّبِعاً

(١) مضطلعاً: من الضلاعة وهي القوة يقال اضطلع فلان بحمله إذا قوي عليه ونهض به.

(٢) يطعم: يذوق.

(٣) لا ريث يبعثه يريد إلا قدر ذلك وأكثر ما يستعمل هذا اللفظ إذا كان مقروناً بما تقول جاءني فلان فلم يلبث إلا أينما قلت أي إلا قدر ذلك وقد يستعمل بغيرها.

(٤) أشطره بدل من الدهر. بدل من اشتمال أو بعض من كل والأشطر جمع شطر وهو خلف الناقة وللناقة أخلاف. يقال فلان حلب الدهر أشطره أي اختبر ضرويه من خير وشر.

حتى استمرت على شَرْرِ مَرِيرَتِهِ مُسْتَحْكِمِ الرَّأْيِ لَا قَحْماً وَلَا ضَرْعاً
فقام إليه رجل، فقال: أصلح الله الأمير، والله لكأني أسمع الساعة
قطرياً، وهو يقول المهلبُ كما قال لقيط الأيادي، ثم أنشد هذا الشعر، فسرَّ
الحجاجُ حتى امتلاً سروراً.

شرح الأبيات الواردة هنا

قوله نَقْلٌ، أي أقسم بينهم. والنَقْلُ العطية التي تَفْضُلُ. كذا كان الأصل،
وإنما تفضل الله عز وجل بالغنائم على عباده، قال لبيد:

إِنْ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرُ نَقْلٍ (وبإذن الله رَيْثٌ وَعَجَلٌ)

وقال جل جلاله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾^(١) ويقال نَقْلُكَ كذا وكذا أي
أعطيتك. ثم صار النَقْلُ لازماً واجباً. وقول الإيادي رَحْبَ الذراع، فالرَّحْبُ
الواسع، وإنما هذا مَثَلٌ يريد واسع الصدر، متباعد ما بين المَنْكِبَيْنِ
والذراعين، وليس المعنى على تَبَاعُدِ الْخَلْقِ، ولكن على سهولة الأمر عليه،
قال الشاعر:

رَحْبُ الذراعِ بالتي لا تشينه وإن قِلَتِ الْعَوْرَةُ^(٢) ضاق بها ذرعاً

وكذلك قوله جل وعز: ﴿يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضِيقاً حَرَجاً﴾^(٣). وقوله مضطلعاً
إنما هو مُفْتَعِلٌ من الضَّلِيع، وهو الشديد يريد أنه قوي على أمر الحرب مستقل
بها، وقوله: يكون متبَعاً طوراً ومتبَعاً أي قد اتَّبَعَ الناس، فعلم ما يُضْلِحُ
الرئيس، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قد أُلْنَا وإِيلَ علينا، أي قد
أصلحتنا أمور الناس وأصلحت أمورنا. وقوله على شَرْرِ مَرِيرَتِهِ فهذا مَثَلٌ يقال
شَرَّرْتُ الحبل، إذا كررت قتله بعد استحكامه راجعاً عليه والمَرِيرَةُ الحبل،

(١) سورة الأنفال: الآية ١.

(٢) ضاق بها ذرعاً: ضيق الذرع قصرها كما أن سعتها معناه طولها.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

والضَرْعُ الصغير الضعيف، والقَحْمُ آخر سن الشيخ، قال العَجَّاجُ.

رأينا قَحْمًا شاب وأَقْلَحَمًا طال عليه الدهر فأسْلَهُمَا

والمُقْلَحِمُ مثل القحمة، وهو الجاف ويقال للصبي: مقلحَمٌ إذا كان سيء الغذاء أو ابن هَرَمَيْنِ، ويقال رجلٍ انْقَحَلَ وامرأة انْقَحَلَتْ إذا أُسِنَ حتى يبيس، والمُسْلَهُمُ الضامر، قال الشاعر:

(لما رأني خَلَقًا انْقَحَلًا). ويقال في معنى قحمة قَحْرٌ، ويقال بغير قَحَارِيَّةٍ في هذا المعنى. وقوله: لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه هَمٌّ، فَرِيثٌ وَعَوْضٌ مما يضاف إلى الأفعال. وتأويله أنه لا يَطْعَمُ النوم إلا يسيراً حتى يبعثه الهَمُّ. فعناه مقدار ذلك، ومما يضاف إلى الأفعال أسماء الزمان كقوله عز ذكره: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾^(١) فأسماء الزمان كلها تضاف إلى الفعل نحو قولك آتاك يوم يخرج زيد وجئتك يوم قام عبد الله، وما كان منها في معنى الماضي جاز أن يضاف إلى الابتداء والخبر، فنقول: جئتك يوم زيد أمير ولا يجوز ذلك في المستقبل، وذلك لأن الماضي في معنى إذ وأنت تقول جئتك إذ زيد أمير، والمستقبل في معنى إذا فلا يجوز أن تقول أحيثك إذا زيد أمير فلذلك لا يجوز أحيثك يوم زيد أمير. فأما الأفعال في إذ وإذا فهي بمنزلة واحدة تقول: جئتك إذ قام زيد وأحيثك، فهذا واضح بين، ومما يضاف إلى الفعل ذو في قولك: إِفْعَلْ ذاك بِذِي تَسْلَمَ وافعلاه بِذِي سَلَمَانَ، معناه بالذي يُسَلِّمُكُما، ومن ذلك آية في قوله:

بِآيَةِ تَقْدِمُونَ الْخَيْلَ شُعْثًا كَأَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا مُدَامًا

والنحو ويتصل بكثير، وإنما تركنا الاستقصاء لأنه موضع اختصار. فقال المهلب إنا والله ما كنا أشدَّ على عدونا ولا أحمَدُ ولكن دَمَغَ الحقُّ الباطلَ وقهرت الجماعةُ الفتنةَ والعاقبةُ للتقوى، وكان ما كرهناه من المطاولة خيراً مما أحببناه من العجلة، فقال له الحجاج: صدقت أذكر لي القوم الذين أبلَّوا

(١) سورة المائدة: الآية ١١٩.

وَصِفْتُ لِي بَلَاءُهُمْ. فَأَمَرَ النَّاسَ، فَكَتَبُوا ذَلِكَ لِلْحِجَاكِ، فَقَالَ لَهُمُ الْمَهْلَبُ: مَا ذَخَرَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ عَاجِلِ الدُّنْيَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ ذَكَرَهُمُ لِلْحِجَاكِ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ فِي الْبَلَاءِ وَتَفَاضُلِهِمْ فِي الْغِنَاءِ، وَقَدَّمَ بَنِيهِ الْمُغِيرَةَ وَيَزِيدَ وَمُذْرِكًا وَحَبِيبًا وَقَبِيصَةَ وَالْمُفَضَّلَ وَعَبْدَ الْمَلِكِ وَمُحَمَّدًا، وَقَالَ: إِنَّهُ وَاللَّهِ لَوْ تَقَدَّمَهُمْ أَحَدٌ فِي الْبَلَاءِ لَقَدَّمْتُهُ عَلَيْهِمْ، وَلَوْلَا أَنْ أَظْلَمَهُمْ لِأَخْرَجْتَهُمْ، قَالَ الْحِجَاكِ صَدَقْتَ وَمَا أَنْتَ بِأَعْلَمَ بِهِمْ مِنِّي، وَإِنْ حَضَرْتَ وَغَبْتُ. إِنَّهُمْ لَسُيُوفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ. ثُمَّ ذَكَرَ مَعْنُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَالرُّقَادَ وَأَشْبَاهَهُمَا، فَقَالَ الْحِجَاكِ أَيْنَ الرُّقَادُ؟ فَدَخَلَ رَجُلٌ طَوِيلٌ أُجْنَأٌ^(١)، فَقَالَ الْمَهْلَبُ: هَذَا فَارِسُ الْعَرَبِ، فَقَالَ الرُّقَادُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنِّي كُنْتُ أَقَاتِلُ مَعَ غَيْرِ الْمَهْلَبِ فَكُنْتُ كِبَعُضِ النَّاسِ، فَلَمَّا صِرْتُ مَعَ مَنْ يُلْزِمُنِي الصَّبْرَ وَيَجْعَلُنِي إِسْوَةً نَفْسِهِ وَوَلَدَهُ وَيَجَازِينِي عَلَى الْبَلَاءِ، صِرْتُ أَنَا وَأَصْحَابِي قُرْسَانًا. فَأَمَرَ الْحِجَاكِ بِتَفْضِيلِ قَوْمٍ عَلَى قَوْمٍ عَلَى قَدَرِ بِلَانِهِمْ، وَزَادَ وَلَدَ الْمَهْلَبِ الْفَيْنَ وَفَعَلَ بِالرُّقَادِ وَجَمَاعَةٍ شَبِهَا بِذَلِكَ، قَالَ يَزِيدُ بْنُ حَبْنَاءَ مِنْ الْأَزَارِقَةِ:

دَعِيَ اللَّوْمَ إِنْ الْعَيْشَ لَيْسَ بِدَائِمٍ	وَلَا تَعْجَلِي بِاللَّوْمِ يَا أُمَّ عَاصِمٍ
فَإِذَا عَجَلْتَ مِنْكَ الْمَلَامَةُ فَاسْمَعِي	مُقَابِلَةً مَعْنِي بِحَقِّكَ عَالِمٍ
وَلَا تَعْذُلِينَا فِي الْهَدِيَّةِ إِنَّمَا	تَكُونُ الْهَدَايَا مِنْ فُضُولِ الْمَغَانِمِ
فَلَيْسَ بِمُهْدٍ مَنْ يَكُونُ نَهَارُهُ	جَلَادًا وَيُمْسِي لَيْلُهُ غَيْرَ نَائِمٍ
يُرِيدُ ثَوَابَ اللَّهِ يَوْمًا بَطْعَنَهُ	غَمُوسٌ كَشِدْقِ الْعَنْبَرِيِّ بْنِ سَالِمٍ
أَبَيْتُ وَسِرْبَالِي ^(٢) دِلَاصُ ^(٣) حَصِينَةٍ	وَمِغْفَرُهَا وَالسَّيْفُ فَوْقَ الْحَيَازِمِ
حَلَفْتُ بِرَبِّ الْوَاقِفِينَ عَشِيَّةً	لَدَى عُرْفَاتٍ خَلْفَةً غَيْرَ آثِمٍ
لَقَدْ كَانَ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ لَقِيْتَهُمْ	بَسَابُورٍ شَغْلٌ عَنْ بَرُوزِ اللَّطَائِمِ
تَوَقَّدُ فِي أَيْدِيهِمْ زَاعِبِيَّةٌ	وَمُرْهَفَةٌ تَقْرِي شُؤُونَ الْجَمَاجِمِ

(١) أجنأ: الذي في ظهره أو عنقه جنا وهو ميل في أحدهما.

(٢) السربال: الدرع.

(٣) دلاص: ملساء لينة.

قوله: من يكون نهاره جلاداً ويمسي ليلة غير نائم، يريد يمسي هو في ليله ويكون هو في نهاره، ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة، وفي القرآن: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(١)، والمعنى بل مكرم في الليل والنهار. وقال رجل من أهل البحرين من اللصوص:

أما النهار ففي قيدٍ وسلسلةٍ والليل في جوفٍ منحوتٍ من الساج
وقال آخر:

لقد لُمْتِنا يا أمَّ غَيْلانَ في السُّرى ونمت وما ليلَ المَطيِّ بنائم

ولو قال: من يكون نهاره جلاداً ويمسي ليلة نائم: لكان جيداً وذاك أنه أراد من يكون نهاره يجالد جلاداً، كما تقول: إنما أنت سيراً وإنما أنت ضروباً، تريد تسير سيراً وتضرب ضرباً فأضمر لعلم المخاطب أنه لا يكون هو سيراً، ولو رفعه على أن يجعل الجلاد في موضع المُجالد على قوله: أنت سير أي أنت سائر، كما قالت الخنساء: (فإنما هي إقبال وإدبار) وفي القرآن: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾^(٢) أي غائراً، وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح. ولو قال ويمسي ليلة غير نائم لجاز يُصير اسمه في يمسي ويجعل ليله ابتداء، وغير نائم خبره، على السعة التي ذكرنا. وقوله: غموس يريد واسعة محيطه، والعنبري بن سالم رجل منهم كان يقال له الأشدق، واللطائم واحدتها لطيمة، وهي الإبل التي تحمل البز والعطر. وقوله: توقد في أيديهم زاعبية يعني الرماح والتوقد للأسنة والزاعبية منسوبة إلى زاعب وهو رجل من الخزرج كان يعمل الرماح، وتفري تقد، يقال: فرى إذا قطع وأفرى إذا أصلح، وقال حبيب بن عوف من قوادٍ المهلب:

أبا سعدٍ جزاك اللهُ صالحَةً فقد كفَّيتَ ولم تَعْفُفْ على أحدٍ
داوَّيتَ بالحلم أهلَ الجهل فانقمعوا وكنت كالوالد الحاني على الولد

(١) سورة مباء: الآية ٣.

(٢) سورة الملك: الآية ٣٠.

وقال عبيدة بن هلال في هربهم مع قَطْرِي :
 ما زالت الأقدارُ حتى قَذَفْتَنِي بِقُومِسَ^(١) بين الفَرَّخَانِ وَصُولِ
 ويروى أن قاضي قَطْرِي، وهو رجل من بني عبد القيس سمع قول
 عبيدة بن هلال :

علا فوق عَرْشٍ فوق سبع ودونه سماء ترى الأواح من دونها تجزى
 فقال له العبدِيّ: كفرت إلا أن تأتي بمَخْرَجٍ، قال: نعم، روح المؤمن
 تعرج إلى السماء، قال: صدقت، وقال يذكر رجلاً منهم :

يَهْوِي وترفعه الرِّمَاحُ كأنه شِلْوُ^(٢) تَشَبَّ في مَخَالِبِ ضاري
 فَثَوَى صَرِيحاً والرِّمَاحُ تنوشه إن الشُّرَاةُ قصيرةُ الأعمارِ
 تنوشه تأخذه وتتناوله، قال الله عز وجل : ﴿وَإِنِّي لَهُمُ بِالتَّناوُسِ مِنْ مَّكَانٍ
 بعيدٍ﴾^(٣) أي التناول، ومثل بيته هذا قول حبيب الطائي :

فيم السَّمَاءُ إعلناً بأشدِّ وغَى أَفْناهم الصبرُ إذ أبقاكم الجَزَعُ

وقال أيضاً في شبيه بهذا المعنى:

إِنْ يَتَنَحَّلُ^(٤) حَدَثَانُ الموتِ أَنْفُسَكُمْ وَيَسْلَمُ النَّاسُ بَيْنَ الحَوْضِ وَالْعَطْنِ^(٥)
 فالماء ليس عجيباً أَنْ أَعَذَّبَهُ يَفْنَى ويمتد عمرُ الأَجْنِ الأَسَنِ
 وقال أيضاً :

عليك سلامُ الله وَقَفاً فَإِنِّي رَأَيْتُ الكَرِيمَ الحُرَّ ليس له عُمرُ
 وقال القاسم بن عيسى :

(١) القومس : بالضم والفتح صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

(٢) الشلو : بالكسر العضو أو كل مسلوخ أكل منه شيء أو بقيت منه بقية .

(٣) سورة سبأ : الآية ٥٢ .

(٤) يتنحل : يختار ويصطفي .

(٥) العطن : مبرك الأبل حول الماء .

أَجْبُكَ يَا جَنَانُ فَأَنْتَ مِنِّي مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ بَدَنِ الْجَبَانِ
وَلَوْ أَنِّي أَقُولُ مَكَانَ رُوحِي لَخِفْتُ عَلَيْكَ بِأَدْرَةِ الزَّمَانِ
لِأَقْدَامِي إِذَا مَا الْحَرْبُ جَاشَتْ وَهَابَ حُمَاتُهَا حَرَّ الطَّعَانِ

وقال معاوية بن أبي سفيان في خلاف هذا المعنى :

أَكَانَ الْجَبَانُ يُرَى أَنَّهُ يُدَافِعُ عَنْهُ الْفِرَارُ الْأَجَلُ
فَقَدْ تُدْرِكُ الْحَادِثَاتُ الْجَبَانَ وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشُّجَاعُ الْبَطْلُ

رجع الحديث، وقال رجل من عبد القيس من أصحاب المهلب :

سَائِلُ بَنَى عَمَرَوُ الْقَنَا وَجُنُودَهُ وَأَبَا نَعَامَةَ سَيِّدَ الْكُفَّارِ

وأبو نعامه هو قطري . وقال المغيرة ابن حبياء الحنظلي من أصحاب المهلب :

أَنِّي أَمْرٌ كَفَّنِي رَبِّي وَأَكْرَمَنِي عَنْ الْأُمُورِ الَّتِي فِي رَعِيهَا وَخَمٌ^(١)
وَأِنَّمَا أَنَا إِنْسَانٌ أَعِيشُ كَمَا عَاشَتْ رِجَالٌ وَعَاشَتْ قَبْلَهَا أُمَمٌ
مَا عَاقَنِي عَنْ قُفُولِ الْجُنْدِ إِذَا قَفَلُوا عَنِّي بِمَا صَنَعُوا عَجَزَ وَلَا بِكُمْ
وَلَوْ أَرَدْتُ قُفُولًا مَا تَجَهَّمَنِي^(٢) إِذْ أَمِيرٌ وَلَا الْكُتَّابُ إِذْ رَقَمُوا
إِنَّ الْمَهْلَبَ إِنْ أَشْنَقَ لِرُؤَيْتِهِ أَوْ أَمْتَدَحَهُ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ عَلِمُوا
أَنَّ الْأَرِيبَ^(٣) الَّذِي تُرْجَى نَوَافِلُهُ وَالْمُسْتَعَانَ الَّذِي تُجْلَى بِهِ الظُّلُمُ
الْقَائِلُ الْفَاعِلُ الْمِيمُونُ طَائِرُهُ أَبُو سَعِيدٍ إِذَا مَا عُذَّتِ النِّعَمُ
أَزْمَانُ أَزْمَانٍ إِذْ عَضَّ الْحَدِيدُ بِهِمْ وَإِذْ تَمْنَى رِجَالٌ أَنَّهُمْ هُزِمُوا

قال أبو العباس : وهذا الكتاب لم نبتدئه لتتصل فيه أخبار الخوارج، ولكن ربما اتصل شيء بشيء، والحديث ذو شجون، ويقترح المُقْتَرِحُ ما

(١) وخم : أن يثقل في الطعام ولا يأبه للنتيجة .

(٢) تجهم : تلقاه بوجه كربه .

(٣) الأريب : العاقل الفطن .

يُفَسِّخُ بِهِ عَزَمَ صَاحِبُ الْكِتَابِ، وَيَصُدُّهُ عَنْ سُنَنِهِ، وَيَزِيلُهُ عَنْ طَرِيقِهِ، وَنَحْنُ رَاجِعُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى مَا ابْتَدَأْنَا لَهُ هَذَا الْكِتَابَ، فَإِنْ مَرَّ مِنْ أَخْبَارِ الْخَوَارِجِ شَيْءٌ مَرَّ كَمَا يَمُرُّ غَيْرُهُ، وَلَوْ نَسَقْنَاهُ عَلَى مَا جَرَى مِنْ ذِكْرِهِمْ لَكَانَ الَّذِي يَلِي هَذَا خَبْرُ نَجْدَةَ وَأَبِي فُذَيْكٍ، وَعُمَارَةُ الرَّجُلِ الطَّوِيلِ، وَشَبِيبٍ، وَلَكَانَ يَكُونُ الْكِتَابُ لِلْخَوَارِجِ مُخْلَصًا.



مركز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٥٣ - باب في اختصار الخطب والتحميد والمواعظ

كان الحسن يقول: الحمد لله الذي كلفنا ما لو كلفنا غيره لَصِرْنَا فيه إلى معصيته، وآجرنا على ما لا بد لنا منه، يقول: كلفنا الصبر ولو كلفنا الجَزَعَ لم يمكننا أن نُقيم عليه وآجرنا على الصبر، ولا بُدُّ لنا من الرجوع إليه. وكان عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، يقول عند التعزية: عليكم بالصبر، فإن به يأخذُ الحازمُ وإليه يعود الجازعُ. وقال للأشعث بن قيس: إن صبرتَ جرى عليك القدرُ وأنت مأجورٌ، وإن جَزَعْتَ جرى عليك القدرُ وأنت موزورٌ^(١)، وقال الحرّيمي:

ولو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتُهُ عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وفي هذا الشعر، وإن لم يكن من هذا الباب:

وأَعَدَدْتُه ذُخْراً لكل مُلِمَّةٍ وسَهْمُ المَنَايا بالذخائر مولع^(٢)

وخطب أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله ﷺ في تزوجه خديجة بنت خويلدِ رحمة الله عليها، فقال: الحمد الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الحُكَّامَ على الناس، ثم أن محمد بن عبد الله ابن أخي: مَنْ لا يُوازنُ به فتى من قريش إلا رَجَحَ

(١) أنت موزور: اسم مفعول من الوزر بالكسر وأصله الحمل الثقيل وأكثر ما يطلق في لسان الشرع على الذنب والاثم والفعل كوزن.

(٢) مولع: إذا أغري به.

عليه برّاً وفضلاً وركماً وعقلاً ومجداً ونُبلاً، وإن كان في المال قُلٌّ، فإنما المال ظلٌّ زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتُم من الصداق فعليّ. وهذه الخطبة من أقصد خطب الجاهلية. ومن جميل محاورات العرب ما روي لنا عن يحيى بن محمد بن عروة عن أبيه عن جده، قال: أَقْحَمَتِ السَّنةُ علينا النابغةَ الجعديّ فلم يشعر به ابن الزبير حين صلى الفجر حتى مثل بين يديه، يقول:

حكيت لنا الصديق حين وليتنا	وعثمان والفاروق فارتاح مُعْدِمُ
وسوّيت بين الناس في العدل فاستووا	فعاد صباحاً حالِكُ الليل ^(١) مَظْلُمُ
اتاك أبو ليلى ^(٢) يشقُّ به الدجى	دجى الليل جوابُ الفلاةِ عَثْمُ
لترفع منه جانباً دَعْدَعَتْ به	صُروف الليالي والزمانُ المُصَمُّ؟

فقال له ابن الزبير: هَوْنٌ عليك أبا ليلى، فأيسرُ وسائلكَ عندنا الشعر، أما صَفْوَةُ أُمّالنا فلبنى أسدٍ، وأما عَفْوَتُها فلأل الصديق، ولك في بيت المال حقان، حقٌ لعصبتك رسول الله ﷺ، وحقٌ بحقك في المسلمين، ثم أمر له بسبع قلائص وراحلة رحيل. ثم أمر بأن تُوفَّرَ له حباً وتمرّاً، فجعل أبو ليلى يأخذ التمر فيستجمع به الحب فيأكله، فقال له ابن الزبير: لَشَدُّ ما بلغ منك الجَهْدُ يا أبا ليلى، فقال النابغة: أما على ذاك لسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ما اسْتُرْجِمْتُ قَرِيشُ فَرَحِمْتُ وَسُئِلْتُ فَأَعْطُتُ، وَحَدَّثْتُ فَصَدَقْتُ وَوَعَدْتُ فَأَنْجَزْتُ، فأنا والنبليون على الحوض فُرَّاطٌ لقادمين، قوله: إقحمت السنة يكون على وجهين، يقال: اقتحم إذا دخل قاصداً. وأكثر ما يقال من غير أن يدخل ويكون من القُحمة، وهي السنة الشديدة، وهو أشبه الوجهين، والآخر حسن والسنة الجذب، يقال أصابتهُم سنة، أي جذب. ومن ذا قوله جل وعز: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾^(٣) أي بالجذب. وقوله: صَفْوَةُ، فهي في

(١) حالِكُ الليل: شديد السواد وهو السيد الجامع لكل خير.

(٢) أبو ليلى: كنية للنابغة.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٣٠.

معنى الصَّفْو، وأكثر ما يستعمل الكسر، والباب في المصادر للحال الدائمة الكسر كقولك حسن الجلسة والركبة والمشية والنية، كأنها خُلقة. والعِفْو إنما هو ما عفا أي ما فضل وُحِد العَفْو، قالوا: الفضل. وكذلك قوله جل اسمه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾^(١). وقوله: عشم، يريد المَوْتَق الخلق الشديد، وذعدعت، أي أذهبت ماله وِفَرَّتْ حاله. وقوله: راحلة رحيل أي قوية على الرحلة مُعَوَّدة لها، ويقال: فحل فحيل، أي مُسْتَحْكَم في الفَحْلَة. وفي الحديث أن ابن عمر قال لرجل: اشتر لي كبشاً لأضحى به أُمْلَحَ واجعله أَقْرَنَ فحياً. وقوله فأنا والنبيون على الحوض فراط^(٢) القادمين، الفارط الذي يتقدم القوم، فَيُصْلِحُ لهم الدلاء والأرشيّة وما أشبه ذلك من أمرهم حتى يردوا من ذلك قول المسلمين في الصلاة على الطفل: اللهم أجعله لنا سلفاً وفراطاً. وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: أنا فَرَطُكُمْ على الحوض، وكان يقال يكفيك من قريش أنها أقرب الناس من رسول الله ﷺ نسباً ومن بيت الله بيتاً. ويقال إن دار أسد بن عبد العزّي كان يقال لها رَضِيعُ الكعبة، وذلك أنها كانت تفيء عليها الكعبة صباحاً ونفيء على الكعبة عشياً، وإن كان الرجل من ولد أسد ليطوف بالبيت فينقطع شَيْعُ نعله، فيرمي بنعله في منزله فتُصْلَحُ له، فإذا عاد في الطواف رُمِيَ بها إليه. وفي ذلك يقول القائل:

لهاشمٍ وزُهَيْرٍ فَضْلٌ مَكْرُمَةٌ بحيث خَلَّتْ نجومُ الكبش والأسد^(٣)
مُجاوِرُ البيتِ ذي الأركانِ بيتهما ما دونهم في جوارِ البيت من أحدٍ

وقال آخر:

سَمِينُ قُرَيْشٍ مانِعٌ منك لحمه وعثُ قريشٍ حيث كان سَمِينُ

وقال آخر:

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٩.

(٢) فراط جمع فارط وهو المقدم والقاصفون المزدحمون.

(٣) الكبش: والأسد برجان من بروج الشمس، وأراد بالكبش هنا المحل.

وَإِذَا مَا أَصَبْتَ مِنْ قَرِيشٍ هَاشِمِيًّا أَصَبْتَ قَصْدَ الطَّرِيقِ
وَقَالَ حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ لِأَبِي مَطَرٍ الْحَضْرَمِيِّ يَدْعُوهُ إِلَى جُلْفِهِ وَنَزُولِ مَكَّةَ :

أَبَا مَطَرٍ هَلُمَّ إِلَى صَلاَحٍ فَتَكْنَفُ^(١) كَالنَّدَامَى مِنْ قَرِيشٍ
وَتَأْمَنَ وَشَطَهُمْ وَتَعِيشَ فِيهِمْ أَبَا مَطَرٍ هُدَيْتَ لَخَيْرِ عَيْشٍ
وَتَسْكُنَ بِلَدَةً عَزَّتْ قَدِيمًا وَتَأْمَنَ أَنْ يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشٍ

صَلاَحُ : إِسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ مَكَّةَ ، وَكَانَتْ مَكَّةُ بِلَدًا لِقَاحًا وَاللَّقَاحُ الَّذِي لَيْسَ
فِي سُلْطَانِ مَلِكٍ ، وَكَانَتْ لَا تُغْزَى تَعْظِيمًا لَهَا حَتَّى كَانَ أَمْرُ الْفِجَارِ ، وَإِنَّمَا
سُمِّيَ الْفِجَارُ لَفُجُورِهِمْ إِذَا قَاتَلُوا فِي الْحَرَمِ ، وَكَانَتْ قَرِيشٌ تُعِزُّ الْحَلِيفَ وَتُكْرِمُ
الْمَوْلَى وَتَكَادُ تُلْحِقُهُ بِالضَّمِيمِ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ ، وَلِقَرِيشٍ فِيهِ تَقَدُّمٌ .

وَدَخَلَ سُذَيْفٌ مَوْلَى أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَعِنْدَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ أَدْنَاهُ وَأَعْطَاهُ يَدَهُ فَقَبَّلَهَا ، فَلَمَّا
رَأَى ذَلِكَ سَدِيقُ أَقْبَلَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ، وَقَالَ :

لَا يَغُرُّكَ مَا تَرَى مِنْ أَنَاسٍ إِنْ تَحْتَ الضُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيًّا^(٢)
فَضَعَ السِّيفَ وَارْفَعَ السُّوْطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُورًا

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ سُلَيْمَانُ ، فَقَالَ : قَتَلْتَنِي أَيُّهَا الشَّيْخُ قَتَلَكَ اللَّهُ . وَقَامَ أَبُو
الْعَبَّاسِ فَدَخَلَ فَإِذَا الْمُنْدِيلُ قَدْ أُلْقِيَ فِي عُنُقِ سُلَيْمَانَ ثُمَّ جُرَّ فَقُتِلَ .

وَدَخَلَ شُبُلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ . وَقَدْ
أَجْلَسَ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى سُمُطِ الطَّعَامِ ، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ :

أَصْبَحَ الْمَلِكُ ثَابِتَ الْآسَاسِ بِالْبَهَالِيلِ^(٣) مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ
طَلَبُوا وَثَرَ هَاشِمٍ فَشَفَوْهَا بَعْدَ مِيلٍ مِنَ الزَّمَانِ وَيَاسَ

(١) تَكْنَفُ : تَعِينَ - تَجَعَلَ فِي كَنْفِكَ .

(٢) دَوِيًّا : دَفِينًا لَا يَطْلُعُ .

(٣) الْبَهَالِيلُ : مَفْرَدُهَا بَهْلُولٌ ، وَهُوَ السَّيِّدُ الْجَامِعُ لِكُلِّ خَيْرٍ .

لا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شمسٍ عِشاراً
 ذُلُّها أَظْهَرَ التَّوَدُّدِ مِنْها
 ولقد غاظني وغازَ سَواثي
 أنزلوها بَحيثُ أنزلها اللهُ
 واذكروا مَضْرَعَ الحَسينِ وزيداً^(١)
 والقَتيلَ الَّذي بَحْرانَ أَضْحى
 نَعَم سَبُلُ الهِراسِ مولاكَ سَبُلُ
 واقطَعَنَّ كُلَّ رَقْلَةٍ وَأَواسي
 وبها مِنْكَ كَحَزِّ المَواسي
 قُرْبُهُمْ مِنْ نَمارِقٍ وَكَراسي
 بدارِ الهَوانِ والإِتعاسِ
 وَقَتيلًا بِجانبِ المِهراسِ^(٢)
 ثاويًا بَينَ غُربَةٍ وَتَناسِ^(٣)
 لو نَجَا مِنْ حَبائِلِ الإِفلاسِ

فأمر بهم عبد الله فشَدَّخوا بالعمدِ، وبُسِطَتْ عليهم البُسُطُ، وجلس عليها ودعا بالطعام، وأنه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً. وقال لِشَبَلٍ: ولولا أنك خلطت كلامك بالمسئلة لأغْنَمْتُكَ جميع أموالهم، ولَعَقَدْتُ لكَ على جميع موالي بني هاشم. قوله الأساس، واحدها أُسٌّ، وتقديرها فُعْلٌ وأفعال، وقد يقال للواحد: أُساسٌ، وجمعه أُسُسٌ. والبهلول الضحَّاكُ. وقوله بعد ميل من الزمان ويأس يقال فيكَ مَيْلٌ علينا، وفي الحائِط مَيْلٌ، وكذلك كل منتصب. وقوله واقطعن كل رقلة، الرقلة: النخلة الطويلة، ويقال إذا وُصف الرجل بالطول: كأنه رَقْلَةٌ. والأواسي ياؤه مشددة في الأصل، وتخفيفها يجوز، ولو لم يَجْز في الكلام لجاز في الشعر لأن القافية تقتطعه وكل مثقل فتخفيفه، في القوافي جائز، كقوله:

أَصَحَّوتَ اليَومَ أُمَ شاقَّتَكَ هِرْ (ومن الحُبِّ جَنُونٌ مُسْتَعِينُ

وواحدها آسِيَّةٌ، وهي أصل البناء بمنزلة الأساس، وقوله وغازَ سَواثي، تقول: ما عندي رجل سَوى زيدٍ، فَتَقْصُرُ إذا كسرت أوله فإذا فتحت أوله على هذا المعنى مددت، قال الأعشى:

(١) زيداً: زيد بن علي بن الحسين.

(٢) قتيل المهراس: حمزة بن عبد المطلب.

(٣) قتيل حران: إبراهيم بن محمد.

تَجَانَفُ^(١) عَنْ جَوِّ الْإِمَامَةِ^(٢) نَاقَتِي وَمَا قَصَدْتُ مِنْ أَهْلِهَا لَسَوَائِكَ

وَالسَّوَاءُ مَمْدُودٌ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ مَعَانِيهِ فَهَذَا وَاحِدٌ مِنْهُ،
وَالسَّوَاءُ الْوَسْطُ مِنْهُ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾^(٣). وَقَالَ
حَيَّانُ:

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ

وَالسَّوَاءُ الْعَدْلُ وَالْإِسْتَوَاءُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ﴾^(٤) وَمِنْ ذَلِكَ عَمْرُو وَزَيْدٌ سَوَاءٌ، وَالسَّوَاءُ التَّمَامُ، يُقَالُ: هَذَا دَرَاهِمُ
سَوَاءٍ وَأَصْلُهُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِلْسَّائِلِينَ﴾^(٥)
مَعْنَاهُ تَمَاماً وَمِنْ قَرَأَ سَوَاءً فَإِنَّمَا وَضَعَهُ فِي مَوْضِعِ مُسْتَوِيَّاتٍ. وَالنَّمَارِقُ وَاحِدَتُهَا
نَمْرُقَةٌ، وَهِيَ الْوَسَائِدُ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

وَإِنَّا لَتَجْرِي الْكَأْسُ بَيْنَ شُرُوبِنَا^(٦) وَبَيْنَ أَبِي قَابُوسَ فَوْقَ النَّمَارِقِ
وَقَالَ نَضِيبٌ:

إِذَا مَا بِسَاطِ اللَّهْوِ مُدَّ وَقُرْبَتْ لِلذَّاتِ أَنْمَاطُهُ وَنَمَارِقُهُ

مِصْرَعُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ

وقوله: مِصْرَعُ الْحُسَيْنِ^(٧) وزيد، يعني زيد بن علي بن الحسين كان
خَرَجَ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَقَتْلَهُ يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِو الثَّقَفِيِّ وَصَلَبَهُ بِالْكُنَاسَةِ
عَرِيَاناً هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. وَيُرْوَى الزُّبَيْرِيُّونَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِو

(١) تَجَانَفُ: تَعَدَلُ وَتَحِيلُ.

(٢) جَوِّ: الْإِمَامَةُ إِضَافَةً لِلْبَيَانِ لِأَنَّ الْإِمَامَةَ تَسْمَى جَوًّا.

(٣) سُورَةُ الصَّافَّاتِ: الْآيَةُ ٥٥.

(٤) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ ٦٤.

(٥) سُورَةُ فَصَّلَتْ: الْآيَةُ ١٠.

(٦) شُرُوبِنَا: بِالضَّمِّ - الْقَوْمُ إِذَا اجْتَمَعُوا لِلشَّرَابِ.

(٧) مِصْرَعُ الْحُسَيْنِ: يَعْنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الثَّقَفِي، وبين رجلٍ إحنة^(١)، فكان يطلب عليه عِلَّةً، فلما ظفر بزيد بن علي وأصحابه أحسّوا بالصلب، فأصلحوا من أبدانهم واستَحَدُّوا، فـصُلبوا عُـرَاقاً وأخذ يوسف عدوّه ذلكَ فَنَحَلَه^(٢)، أنه كان من أصحاب زيد فقتله وصلبه، ولم يكن استعداد لآنه كان عند نفسه آمناً، وكان بالكوفة رجل معتوه عَقْدُه التَّشْيِيعُ، فكان يجي فيقف على زيد وأصحابه، فيقول: صلى الله عليك يا بن رسول الله فقد جاهدت في الله حقَّ جهاده وأنكرت الجور ودافعت الظالمين. ثم يُقْبِلُ عليهم رجلاً رجلاً، فيقول: وأنت يا فلان فجزاك الله خيراً فقد جاهدت في الله حق جهاده وأنكرت الجور ونصرت ابن رسول الله ﷺ، حتى يقف على عدو يوسف، فيقول: فأما أنت يا فلان فوفور عانتك يدل على أنك بريء مما قُـرِفَتْ به.

في تفسير بعض الألفاظ العربية

وقال حبيب بن جَدْرَة، ويقال جُدْرَة وهي السِّلْعَةُ الهَلَالِي (قال الأخفش الصحيح عندنا ابن خِذْرَة بالخاء وكسرهما وقال المبرد: لم أسمعها إلا جَدْرَة ويقال جُدْرَة) وهو من الخوارج يعني زيد بن علي.
يا با^(٣) حُسَيْن لو شُرَاة عِصَابَة صَبْحُوكَ كَانَ لِسُورِدِهِمْ إِصْدَار
يا با حسين والجديدُ إلى بلى أولادُ دَرَزَة^(٤) أسلموك وطاروا

تقول العرب للسَفِلَةِ والسُّقَاطِ أولادُ دَرَزَة، وتقول لمن تَسُبُّهُ: ابن قَرْتَنِي وأولاد قَرْتَنِي، وتقول للصَّوَص: بنو غُبْرَاء وفي هذا باب. ويروى أن شاعراً لبني أُمَيَّة، قال معارضاً للتَّشْيِيعِ في تسميتهم زيدا المهدي، والشاعر هو الأَعْوَرُ الكَلْبِيُّ:

(١) إحنة: حقد.

(٢) فنحله: أي نسيه إلى أنه كان من أصحاب زيد بالباطل.

(٣) يا با حسين: حذفَت الالف للتخفيف والمقصر ١٠ أبا.

(٤) أولاد درزة: السفلة من الناس والحماكة والخياطون.

صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى جَذَعِ نَخْلَةٍ وَلَمْ نَرِ مَهْدِيًّا عَلَى الْجَذَعِ يُصَلَّبُ
وَنُظِرَ بَعْدَ زَمَيْنٍ إِلَى رَأْسِ زَيْدٍ مُلْقَى فِي دَارِ يَوْسُفَ وَدِيكَ يَنْقُرُهُ، فَقَالَ قَائِلٌ
مِنَ الشَّيْعَةِ:

اطْرُدُوا الدِّيكَ عَنْ ذُؤَابَةِ زَيْدٍ طَالَ مَا كَانَ لَا تَطَاهُ الدَّجَاجُ

وقوله: وقتيلاً بجانب المهراس، يعني حمزة بن عبد المطلب،
والمهراس ماء بأحد. ويروى في الحديث أن رسول الله ﷺ عَطَشَ يَوْمَ أَحَدٍ
فَجَاءَهُ عَلِيٌّ فِي دَرَقَةٍ^(١) بِمَاءٍ مِنَ الْمِهْرَاسِ، فَعَافَهُ فَغَسَلَ بِهِ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ
ابْنُ الزَّبْعَرِيِّ فِي يَوْمِ أَحَدٍ:

لَيْتَ أَشْيَاخِي بَبَذَرُوا شَهْدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ
فَاسْأَلِ الْمِهْرَاسَ مَنْ سَاكِنُهُ بَعْدَ أَبْدَانٍ وَهَامٍ كَالْحَجَلِ

وإنما نَسَبَ شِبْلٌ قَتَلَ حَمْزَةَ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ، لِأَنَّ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ كَانَ
قَائِدَ النَّاسِ يَوْمَ أَحَدٍ. وَالْقَتِيلُ الَّذِي بَحْرَانٌ هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ وَهُوَ
الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْإِمَامُ، وَكَانَ يُقَالُ صَحْحَى بَنُو حَرْبٍ بِالْدِّينِ يَوْمَ كَرْبَلَاءَ، وَصَحْحَى
بَنُو مَرْوَانَ بِالْمُرُوءَةِ يَوْمَ الْعَقْرِ. فَيَوْمَ كَرْبَلَاءَ يَوْمَ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
وَأَصْحَابِيهِ، وَيَوْمَ الْعَقْرِ يَوْمُ قَتْلِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَأَصْحَابِهِ. وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا
لِتَقْدَمَ قَرِيشٌ فِي إِكْرَامِ مَوَالِيهَا.

مَكَانَةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشَ مُوتَةَ زَيْدًا مَوْلَاهُ، وَقَالَ: إِنْ قُتِلَ فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرُ،
وَأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَبَلَغَهُ أَنَّ قَوْمًا قَدْ طَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ وَكَانَ أَمْرُهُ عَلَى
جَيْشٍ فِيهِ جِلَّةُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ طَعَنْتُمْ فِي إِمْرَتِهِ
لَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ، وَلَقَدْ كَانَ لَهَا أَهْلًا، وَإِنْ أُسَامَةُ لَهَا لِأَهْلٍ. وَقَالَتْ

(١) الدرة: معركة ترس من جلد لا خشب فيه ويقال لها الجحفة.

عائشة: لو كان زيد حياً ما استخلف رسول الله غيره. وقال عبد الله بن عمر لأبيه: لم فضلت أسامة عليّ وأنا وهوسيّان. فقال: كان أبوه أحبّ إلى رسول الله من أبيك، وكان أحبّ إلى رسول منك. وأوصى رسول الله ﷺ بعض أزواجه لتُطيّط عن أسامة أذى من مخاط أو لعاب فكانها تَكَرَّهَتْهُ فتولى منه ذلك رسول الله ﷺ بيده وقال له يوماً ولم يكن أسامة من أجمل الناس: لو كنت جارية لنَحَلْنَاكَ وحَلَيْنَاكَ حتى يرغب الرجال فيك. وفي بعض الحديث أنه قال: أسامة من أحبّ الناس إليّ، وكان ﷺ أدّى إلى بني قُرَيْظَةَ مكاتبة سلمان، فكان سلمان مولى رسول الله ﷺ، فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: سلمان منا أهل البيت. ويروى أن المهديّ نُظِرَ إليه ويَدُّ عمارَةَ بن حمزة في يده، فقال له رجل: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: أخي وابن عمّي عُمارة بن حمزة، فلما وَلَّى الرجل ذكر ذلك المهديّ كالممازح لعمارة، فقال له عمارَة: انتظرتُ أن تقول ومولاي فَأَنْقُضَ وَاللَّهِ يَدَكَ من يدي، فبَسَمَ أميرُ المؤمنين المهديّ. ولم يكن الإكرام للموالي في جُفَاءِ العرب

الموالي عند العرب

زعم الليثي أنه كانت بين ابن سليمان وبين مِسْمَعٍ بن كِرْدِينَ منازعة، وبين يدي مسمع مولى له، له بهاء ورواء وَلَسَنٌ، فَوَجَّهَ جعفرُ إلى مسمع مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل، فقال: إن أنصفي واللّه جعفر أنصفته، وإن حضر حضرتُ معه، وإن عَنَدَ عن الحق عَنَدْتُ، وإن وَجَّهَ إليّ مولى مثل هذا، وأوماً إلى مولى جعفر، فقال مولى مثل هذا عاضاً لما يكره وجهتُ إليه. وأوماً إلى مولاه، فَعَجِبَ أهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذي تَبَهَّى بمثله العرب. وقد قيل الرجل لأبيه والمولى من مواليه. وفي بعض الأحاديث أن المُعْتَقَ من فضل طينة المُعْتِقِ، ويروى أن سلمان أخذ من بين يدي رسول الله ﷺ تمرّة من تمر الصدقة، فوضعها في فيه فانتزعها منه رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا عبد الله إنما يحلّ لك من هذا ما يحلّ لنا. ويروى أن رجلاً من

موالي بني مازن يقال له عبد الله بن سليمان، وكان من جِلَّة الرجال نازع عمرو بن هذَّاب المازني، وهو في ذلك الوقت سيد بني تميم قاطبة، فظهر عليه المولى حتى أُذِنَ له في هدم داره، فأدخل الفعلة دارَ عمرو فلما خَلَعَ من سطحه سافاً^(١) كَفَّ عنه، ثم قال: يا عمرو، قد أريتكَ القُدرة وسأريك العفو. وقد كان في قریش مَنْ فيه جَفوة وَنبوة: كان نافع بن جُبَيْر أحد بني نُوَفل بن عبد مناف إذا مُرَّ عليه بالجنزة سأل عنها فإن قيل قرشي قال: واقوماه! وإن قيل عربي، قال: ومادَّناه! وإن قيل مولى أو عجمي، قال: اللهم همَّ عبادك تأخذ منهم من شئت وتَدَعُ مَنْ شئت. ويروى أن ناسكاً من بني الهُجَيم بن عمرو بن تميم كان يقول في قَصَصِهِ: اللهم أغفر للعرب خاصة وللموالي عامة، فأما العجم فهم عبيدك والأمر إليك. وزعم الأصمعي، قال: سمعتُ أعربياً يقول لآخر: أترى هذه العجم تنكِحُ نساءنا في الجنة؟ قال: أرى ذلك والله بالأعمال الصالحة، قال: تُوطأُ والله رقابنا قبل ذلك. وهذا باب لم نكن ابتدأنا ذكره ولكن الحديث يَجُرُّ بعضُه بعضاً ويَحْمَلُ بعضه على لفظ بعض. ثم نعود إلى ما ابتدأناه إن شاء الله وهو ما نختاره من مختصرات الخطب وجميل المواعظ والزهد في الدنيا المتصل بذلك. وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحيم: قد ذكرنا في صدر كتابنا هذا أنا نذكر فيه خطباً ومواعظ.

في أشعار الرثاء

فما نذكره من ذلك أمر التعازي والمرائي فإنه باب جامع، وقد قيل إنه لم يُقَلَّ في شيء قطُّ كما قيل في هذا الباب، لأن الناس لا ينفكون من المصائب ومن لم يَعْدَمْ نفيساً كان هو المعدوم دون النفس، وحقُّ الإنسان الصبرُ على النوائب واستشعار ما صدرناه إذ كانت الدنيا دارَ فراق ودار بوار، لا دار استواء، وعلى فراق المألوف حُرقة لا تُدْفَعُ ولوعة لا ترد، وإنما يتفاضل الناس بصحة الفكر وحسن العزاء والرغبة في الآخرة، وجميل الذكر فقد قال أبو

(١) الساف: كل عرق في الحائط.

خِرَاشٍ الْهُذَلِيُّ، وهو أحد حكماء العرب يذكر أخاه عُرْوَةَ بن مُرَّة:

تقول أراه بعد عُرْوَةَ لاهياً وذلك رُزْءٌ لو علمت جليلاً
فلا تحسبي إني تناسيتُ عهدَه ولكن صبري يا أُمَيِّمٌ جميلٌ

وقال عمرو بن مَعْدِي كَرَب:

كم من أخ لي حازمٍ بَوَّأَهُ بِيَدِي لِحَدَا
أَعْرَضْتُ عَنْ تَذْكَارِهِ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدَا

وكان يقال: من حَدَّثَ نفسه بالبقاء ولم يُوطِّئها على المصائب فعاجز الرأي. وعَزَى رجلٌ رجلاً عن ابنه، فقال: أكان يغيب عنك؟ قال: كانت غيبتُه أكثر من حضوره، قال: فَأَنْزَلُهُ غَائِباً عَنْكَ فإنه إن لم يَقْدَمْ عليك قدمت عليه.
وقال إبراهيم بن المَهْدِيِّ يذكر ابنه:

ولاني وإن قُدِّمْتَ قبلي لَعَالَمٌ بَأْنِي وَإِنْ أَبْطَأْتُ مِنْكَ قَرِيبُ
وإن صباحاً نلتقي في مَسَائِهِ صَبَاحٌ إِلَى قَلْبِي الْغَدَاةَ حَبِيبُ

وكفى باليأس مُعْزِياً ويانقطاع الطمع زَجْراً، كما قال الشاعر:

أيا عَمُرُو لم أَصبر ولي فيكَ حيلةٌ ولكن دعاني اليأسُ مِنْكَ إلى البصير
تَصَبَّرْتُ مغلوباً ولاني لَمَوْجَعٌ كما صَبَرَ العطشانُ في البلدِ الْفَقْرُ

وقال بعض المُحَدِّثِينَ: (قال الأخفش هو حَبِيبُ الطَّائِي) وليس بناقِصِهِ
حَظُّهُ مِنَ الصَّوَابِ أَنَّهُ مُحَدَّثٌ يَقُولُهُ لِرَجُلٍ رثاه:

عجبتُ لصبري بعده وهو ميت وقد كنتُ أبكيه دماً وهو غائبُ
على أنها الأيامُ قد صِرْنَ كُلُّهَا عجائبٌ حتى ليس فيها عَجَائِبُ

وَحَدَّثْتُ أَنَّ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ لما مات ابنه عبد الملك خَطَبَ النَّاسَ، فقال: الحمد لله الذي جعل الموت حقاً واجباً على عباده، فَسَوَّى فِيهِ بَيْنَ ضَعِيفِهِمْ وَقَوِيهِمْ وَرَفِيعِهِمْ وَدَنِيهِمْ، فقال: تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

الموت^(١). فليعلم ذوو النهى^(٢) منهم أنهم صائرون إلى قبورهم مفردون بأعمالهم. واعلموا أن لله مسألة فاحصة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣) وله يقول القائل:

تَعَزَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ لَمَّا قَدْ تَرَى يُغْذَى الصَّغِيرُ وَيُولَدُ
هَلْ ابْنُكَ إِلَّا مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ لِكُلِّ عَلَى حَوْضِ الْمَنِيَةِ مَوْرِدُ

وقال رجل من قريش يرثي ابنه (قال أبو الحسن هو العُتْبِيُّ):

بَأَبِي وَأُمِّي مَنْ عَبَّاتُ حَنَوطُهُ^(٤) بِيَدِي وَوَدَّعَنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
كَيْفَ السُّلُوكُ^(٥) وَكَيْفَ صَبْرِي بَعْدَهُ وَإِذَا دُعِيتُ فَإِنَّمَا أَكُنِي بِهِ

وقال ابنُ لعمر بن عبد العزيز يرثي عاصمَ بنَ عُمَرَ:

فَإِنْ يَكُ حُزْنٌ أَوْ تَجَرُّعُ غُصَّةٍ أَمَارًا^(٦) نَجِيعًا^(٧) مِنْ دَمِ الْجَوْفِ مُنْقَعًا
تَجَرُّعَتُهُ فِي عَاصِمٍ وَاحْتَسَيْتُهُ لِأَعْظَمُ مِنْهُ مَا احْتَسَى وَتَجَرَّعَا

وقال أبو سعيد اسحق بن خلف يرثي ابنة أخته، وكان تبنَّاها، وكان حديبا عليها كلفا بها:

أَمَسْتُ أُمَيْمَةً مَعْمُورًا بِهَا الرَّجَمُ^(٨) لَقَى صَعِيدٍ عَلَيْهَا التَّرْبُ مُرْتَكِمٌ
يَا شِقَّةَ النَّفْسِ إِنْ النَّفْسَ وَالْهَةَ حَرَى عَلَيْكَ وَدَمْعُ الْعَيْنِ مُنْسَجِمٌ
قَدْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْهَا أَنْ تُقَدِّمَنِي إِلَى الْحِمَامِ فَيَبِيدِي وَجْهَهَا الْعَدَمُ
فَالآنَ نَمْتُ فَلَا هُمْ يُؤَرِّقُنِي يَهْدَا الْغَيُورُ إِذَا مَا أَوْدَتْ الْحَرَمُ

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

(٢) النهى: الألباب العقول.

(٣) سورة الحجر: الآية ٩٣.

(٤) حنوط: كل طيب يخلط للميم، وعبا: هيا.

(٥) السلوك: النسيان.

(٦) أمارا: اسالا.

(٧) النجيع: ما كان مائلا إلى السواد من الدم.

(٨) الرجم: بالتحريك - القبر.

للموت عندي أيادٍ لست أنكرها أخيا سروراً وبى مما أتى ألم

وهذه المراثية ليست مما تقع مع الجزع القراح^(١) والحزن المفرد، ولكنه باب للمراثي يجمع إفراط الجزع وحسن الاقتصاد، والميل إلى التشكي والركون إلى التعزي، وقول من كان له واعظ من نفسه أو مذكّر من ربه ومن غلبت عليه الجساة^(٢)، وكان طبعه إلى القساوة فقد اختلط كل بكل. وقال رجل من المحدثين يرثي أخاه:

تَجَلَّ رَزِيَّاتٌ وَتَغَرُّوْ مَصَائِبُ وَلَا مِثْلَ مَا أُنَحَّتْ عَلَيْنَا يَدُ الدَّهْرِ
لَقَدْ عَرَكْنَا لِلزَّمَانِ مُلِمَّةً أَذْمَتُ^(٣) بِمَحْمُودِ الْجَلَادَةِ وَالصَّبْرِ

فهذا يحسن من قائله، أن الرزء كان جليلاً بإجماع، فللقائل أن يتفصح في القول فيه. وهذا يقوله عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان عبد الرحيم من جلة أهله لسنا ونعمة وسنا وولاية، ومات معزولاً عن اليمن في حبس الخليفة. وأم جعفر بن سليمان أم حسن بنت جعفر بن حسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، فلذلك يقول عبد العزيز في هذه القصيدة:

بموتك يا عبد الرحيم بن جعفر تَفَاحَشَ صَدْعُ الدِّينِ عَنِ الْأَمِّ الْكَسْرِ
فيا ابن النبي المصطفى وابن بته وَيَا ابْنَ عَلِيٍّ وَالْفَوَاطِمِ وَالْخَبْرِ
ويا ابن اختيار الله من آل آدم أَبَا قَابَأَ طُهْرًا يُؤَدِّي إِلَى طُهْرِ
ويا ابن سليمان الذي كان ملجأ لِمَنْ ضَاقت الدُّنْيَا بِهِ مِنْ بَنِي فَهْرِ
ومن ملأ الدنيا سماحاً ونائلاً وَرَوَى حَجِيجاً بِالْمَلْمَعَةِ^(٤) الْقُفْرِ
لَعَزُّ بَمَا قَدْ نَالْنَا مِنْ رَزِيئَةٍ بِمَوْتِكَ مَجْبُوساً عَلَى صَاحِبِ الْقَبْرِ

(١) القراح: الخالص.

(٢) الجساة: اسم من قوله جسا جسوا: إذا صلب.

(٣) أذمت: أعيت وأقعدت من كان ذا صبر وتجلد.

(٤) الملمعة: بكسر الميم الفلاة يلمع فيها السراب.

فَإِنْ تُضَحِّحْ فِي حَبْسِ الْخَلِيفَةِ ثَاوِيًا أَيْبًا لِمَا يُعْطَى الدَّلِيلُ عَلَى الْقَسْرِ
لَكُمْ مِنْ عَدُوٍّ لِلْخَلِيفَةِ قَدْ هَوَى بِكَفْكَ أَوْ أُعْطِيَ الْمَقَادَةَ عَنْ صُغْرِ
فَوَاحِزَنَا لَوْ فِي الْوَعَى كَانَ مَوْتُهُ بَكِينًا عَلَيْهِ بِالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ
وَكُنَّا وَقَيْنَاهُ الْقَنَا بِنُحُورِنَا وَفَاتَ كَذَا فِي غَيْرِ هَيْجٍ وَلَا نَفْرِ

وَحَدَّثْتُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، لَمَّا وَلِيَ كَعْبَ بْنَ سُورٍ الْأَزْدِيَّ قِضَاءَ
الْبَصْرَةِ أَقَامَ عَامِلًا لَهُ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ اسْتَشْهَدَ عَلَى أَنَّهُ كَانَ قَدْ عَزَلَهُ، ثُمَّ رَدَّهُ.
فَلَمَّا قَامَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَقْرَهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجَمَلِ خَرَجَ مَعَ إِخْوَةٍ لَهُ قَالُوا
ثَلَاثَةٌ وَقَالُوا أَرْبَعَةٌ، وَفِي عُنُقِهِ مَصْحَفٌ فَقُتِلُوا جَمِيعًا. فَجَاءَتْ أُمَّهُمْ حَتَّى وَقَفَتْ
عَلَيْهِمْ، فَقَالَتْ:

يَا عَيْنَ جُودِي بَدَمَعَ سَرَبٌ عَلَى فُتَيْةٍ مِنْ خِيَارِ الْعَرَبِ
وَمَا لَهُمْ غَيْرَ حَيْنِ النَفْسِ سَ أَيُّ أَمِيرِي قَرِيشَ غَلَبَ

هَذِهِ الرِّوَايَةُ سَرَبٌ، وَقَالُوا: مَعْنَاهُ جَارٍ فِي طَرِيقِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ: انْسَرَبَ فِي
حَاجَتِهِ. وَبَيْتُ ذِي الرُّمَّةِ يُخْتَارُ فِيهِ الْفَتْحُ (كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّي^(٤) مَغْرِيَّةٍ سَرَبٌ) لِأَنَّهُ إِسْمٌ
وَالْأَوَّلُ الْمَكْسُورُ نَعْتٌ، وَيُقْبَحُ وَضْعُ النِّعْتِ فِي مَوْضِعِ الْمَنْعُوتِ غَيْرِ
الْمَخْفُوضِ (قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: حَقَّ النِّعْتُ أَنْ يَأْتِيَ بَعْدَ الْمَنْعُوتِ، وَلَا يَقَعُ فِي
مَوْقِعِهِ حَتَّى يَدُلَّ عَلَيْهِ فَيَكُونُ خَاصًّا لَهُ دُونَ غَيْرِهِ، تَقُولُ: جَاءَنِي إِنْسَانٌ طَوِيلٌ،
فَإِنْ قُلْتَ: جَاءَنِي طَوِيلٌ لَمْ يَجْزِ، لِأَنَّهُ طَوِيلٌ أَعْمٌ مِنْ قَوْلِكَ إِنْسَانٌ، فَلَا يَدُلُّ
عَلَيْهِ، فَإِنْ قُلْتَ: جَاءَنِي إِنْسَانٌ مُتَكَلِّمٌ، ثُمَّ قُلْتَ بَعْدُ جَاءَنِي مُتَكَلِّمٌ جَازٍ لَأَنَّكَ
تَدُلُّ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ. فَهَذَا شَرْحُ قَوْلِهِ الْمَخْصُوصِ) وَقَوْلُهَا: غَيْرَ حَيْنِ
النَّفُوسِ، نُصِبَ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ الْخَارِجِ مِنْ أَوَّلِ الْكَلَامِ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ مُشْرُوحًا.
وَالْمِرَاثِيُّ كَثِيرَةٌ كَمَا وَصَفْنَا، وَإِنَّمَا نَكْتُبُ مِنْهَا الْمَخْتَارَ وَالنَّادِرَ، وَالْمُتَمَثِّلَ بِهِ
السَّائِرَ، فَمَنْ مَلِيحٌ مَا قِيلَ قَوْلُ رَجُلٍ يَرِثِي أَبَاهُ (قَالَ أَبُو الْحَسَنِ يَقَالُ إِنَّهُ ابْنُ
لَأَبِي الْعَتَاهِيَّةِ):

(٤) الكل: جمع كلبية وهي لحمة حمراء، لازقة بعظمهم الصلب عند الخاصرة

قَلْبٍ يَا قَلْبٍ أَوْجَعَكَ
يَا أَبِي ضَمَّكَ الشَّرَى
لَيْتَنِي يَوْمَ مِتُّ صِرَ
رَحِمَ اللَّهُ مَضْرَعَكَ
مَا تَعْدَى فَضْضَعَكَ
وَطَوَى الْمَوْتَ أَجْمَعَكَ
تُ إِلَى تُرْبَةٍ مَعَكَ
بَرَدَ اللَّهُ مَضْجَعَكَ

وقال إبراهيم بن المهدي يرثي ابنه، وكان مات بالبصرة:

نَآى آخَرَ الْأَيَّامِ عَنْكَ حَبِيبُ
دَعَتْهُ نَوَى لَا يُرْتَجَى أَوْبَةُ لَهَا
يُؤُوبُ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلُّ غَائِبٍ
تَبَدَّلَ دَارًا غَيْرَ دَارِي وَجِيرَةٍ
أَقَامَ بِهَا مَسْتَوِطًا غَيْرَ أَنَّهُ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ كَالْغُضَنِ فِي مَبْعَةِ الضُّحَى^(١)
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ كَالدَّرِّ يَلْمَعُ نُورُهُ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ زَيْنَ الْفَنَاءِ وَمَعْقِلَ النَّدَى
وَرِيحَانَ صَدْرِي كَانَ حِينَ أَشْمُهُ
وَكَانَتْ يَدِي مَلَأَى بِهِ ثُمَّ أَصْبَحْتُ
قَلِيلًا مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ يَرَوْا نَاطِرِي
كَظَلِّ سَحَابٍ لَمْ يَقُمْ غَيْرَ سَاعَةٍ
أَوِ الشَّمْسِ لَمَّا مِنْ غَمَامٍ تَحَسَّرْتُ
سَابِكِيكَ مَا أَبْقَتْ دَمْعِي وَالبُكَى
وَمَا غَارَ نَجْمٌ أَوْ تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ
حَيَاتِي مَا دَامَتْ حَيَاتِي فَإِنْ أُمْتُ

فَللْعَيْنِ سَحٌّ دَائِمٌ وَغُرُوبُ^(٢)
فَقَلْبِكَ مَسْلُوبٌ وَأَنْتَ كَثِيبُ
وَأَحْمَدُ فِي الْغُيَّابِ لَيْسَ يُوُوبُ
سِوَايَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنُوبُ
عَلَى طَوْلِ أَيَّامِ الْمُقَامِ غَرِيبُ
سَقَاهُ النَّدَى فَاهْتَزَّ وَهُوَ رَطِيبُ
بِأَصْدَافِهِ لَمَّا تَشِينُهُ ثُقُوبُ
مَسَاءٍ إِذَا يَوْمٌ يَكُونُ عَصِيبُ
وَمُؤَيِّنٌ قَصْرِي كَانَ حِينَ أَغِيبُ
بِحَمْدِ إِلَهِي وَهِيَ مِنْهُ سَلِيبُ
بِهَا مِنْهُ حَتَّى أَعْلَقَتْهُ شَعُوبُ^(٣)
إِلَى أَنْ أَطَاحَتْهُ فِطَاحُ جَنُوبُ^(٤)
مَسَاءٍ وَقَدْ وَلَّتْ وَحَانُ غُرُوبُ
بِعَيْنِي مَاءٌ يَا بُنَيَّ يُجِيبُ
أَوْ اخْضَرُّ فِي فَرْعِ الْأَرَاكِ قَضِيبُ
ثَوَيْتُ وَفِي قَلْبِي عَلَيْكَ نُدُوبُ^(٥)

(١) الغروب بالضم جمع غرب بالفتح وهو انهلال الدمع من العين.

(٢) مبة الضحى: النهار أو أوله.

(٣) شعوب بالفتح من أسماء المنية غير مصروف وسميت شعوب لأنها تفرق.

(٤) جنوب: من أسماء الرياح.

(٥) الندوب: جمع ندبة وهي أثر الجراح.

وأَضْمِرُ إِن أَنْقَدْتُ دَمْعِي لَوَعَةً
دَعَوْتُ أَطِبَّاءَ الْعِرَاقِ فَلَمْ يُصَبِّ
وَلَمْ يَمْلِكِ الْأَسْوَنَ (٢) دَفْعاً لِمُهْجَةٍ
قَصَمْتَ جَنَاحِي بَعْدَ مَا هَذَا مِنْكِبِي
فَأَصْبَحْتُ فِي الْهَلَاكِ إِلَّا حُشَّاشَةً
تَوَلَّيْتُمَا فِي حِقْبَةٍ (٣) فَتَرَكْتُمَا
فَلَا مَيِّتَ إِلَّا دُونَ رُزْئِكَ رُزْؤُهُ
وَإِنِّي وَإِنْ قُدِّمْتَ قَبْلِي لَعَالَمٌ
وَأَنْ صَبَاحاً نَلْتَقِي فِي مَسَائِهِ

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُتْبِيُّ، وَتَابِعَ لَهُ بَنُونَ:

كُلُّ لِسَانِي عَنْ وَصْفِ مَا أَجَدُ
وَأَوْطَنْتُ حُرْقَةً حَشَايَ فَقَدُ
مَا عَالَجَ الْحُزْنَ وَالْحَرَارَةَ فِي الْأُ
فُجِعْتُ بِسَاتْنَيْنِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا
فَكُلُّ حُزْنٍ يَبْلَى عَلَى قَدَمِ الدَّهْرِ
وَذَكَرَ بَعْضُ الرُّوَاةِ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَكَانَ عَامِلاً

لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى الْيَمَنِ، فَشَخَّصَ إِلَى عَلِيٍّ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْيَمَنِ
عَمْرُو بْنُ أَرَاكَةَ الثَّقَفِيُّ، فَوَجَّهَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْيَمَنِ وَنَوَاحِيهَا بِسَرِّ بْنِ أَرْطَاةٍ أَحَدِ
بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، فَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ أَرَاكَةَ فَجَزَعَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ أَخُوهُ جَزَعاً
شَدِيداً، فَقَالَ أَبُوهُ:

لَعَمْرِي لئن أَتَبَعْتَ عَيْنِيكَ مَا مَضَى
لَتَسْتَفِدَّنْ مَاءَ الشُّوونِ (٤) بِأَسْرِهِ
بِهِ الدَّهْرُ أَوْ سَاقَ الْجِمَامِ إِلَى الْقَبْرِ
وَلَوْ كُنْتَ تَمْرِيهِنَّ مِنْ ثَبَجِ الْبَحْرِ

(١) وجيب: الخفافان.

(٢) الأسون: ج اس: وهو الطبيب.

(٣) الحقة: بالكسر السنة.

(٤) الشوون: عظام الرأس.

لعمري لقد أَرَدَى ابنُ أَرطاةَ فارساً بصَنعاء كالليث الهَزْبِرِ أبي أجرة
وقلتُ لعبدِ الله إذ حَنَّ باكياً تَعَزَّ وماءُ العينِ مُنْهَمِرٌ يجري
تَبَيَّنَ فإن كان البُكا رَدُّ هالكاً على أهله فاشدُّ بكاكِ على عمرو
ولا تَبْكِ مَيْتاً بعد مَيْتِ أَجْنَه عليَّ وعباسَ وآلِ أبي بَكْرِ

وقوله: من ثبج البحر فثبج كل شيء وسطه. ويروى في الحديث^(١):
كنتُ إذا فاتحتُ الزُّهريَّ فَتَحْتُ منه ثُبَجَ البحرِ. وقوله: تمرهين، هو مثل
يقال: مَرَيْتُ الناقةَ إذا مسحتَ ضرعها لِتُدْرَ، فإنما هو استخراج اللبن،
ويقال: مَرَيْتُ برجلي الأرضَ إذا مسحتها، والأصل ذلك فإنما أراد، كنتُ
تستخرج الدموع من ثبج البحر، وكان بسر بن أَرطاة في تلك الحروب أُرْشِدَ
على ابنين لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما طفلان وأُمهُما من بني
الحرث بن كعب فوارتَهما، فيقال: أخذهما من تحت ذَيْلِها فقتلهما، ففي ذلك
تقول الحارثية:

أَلَا مَنْ بَيَّنَ الْأَخَوَ بَيْنَ أُمَّهُمَا هِيَ الشُّكْلَى
تُسَائِلُ مَنْ رَأَى ابْنَيْهَا وَتُسْتَبْغِي فَمَا تُبْغَى

مركز توثيق ودراسات إسلامية

وفي ذلك تقول أيضاً:

يَا مَنْ أَحْسَ بُنْيُ الَّذِينَ هُمَا كَالدُّرَّتَيْنِ تَشْطِي عَنْهُمَا الصَّدْفُ
يَا مَنْ أَحْسَ بُنْيُ الَّذِينَ هُمَا سَمْعِي وَطَرْفِي فَطَرُ فِي الْيَوْمِ مُخْتَلَفُ
يَا مَنْ أَحْسَ بُنْيُ الَّذِينَ هُمَا مَخُ الْعِظَامِ فَمُخِي الْيَوْمِ مُزْدَهَفُ^(٢)
نُبْتُ بُسْراً وَمَا صَدَقْتُ مَا زَعَمُوا مِنْ قَوْلِهِمْ وَمَنِ الْإِفْكَ^(٣) الَّذِي اقْتَرَفُوا^(٤)
أُنْحَى عَلَى وَدَجِي طِفْلِي مُرْهَفَةً مَشْجُودَةً وَعَظِيمُ الْإِفْكَ يُقْتَرَفُ

(١) هذا خطأ والأصح أن الحديث هنا حديث الزهري.

(٢) مزدَهَف: ازدهف الشيء، أي ذهب به وأهلكه.

(٣) الإفك: الكذب.

(٤) اقترفوا: اكتسبوا.

مَنْ ذَلُّ وَالْهَمَّةُ^(١) حَرَى مُفْجَعَةً عَلَى صَبِيَّينَ غَابَا إِذْ مَضَى السَّلَفُ
ويروى أن معاوية لما أتاه موت عُتْبَةَ تَمَثَّلَ :

إِذَا سَارَ مَنْ خَلَفَ أَمْرِي وَأَمَامِي وَأَوْحِشَ مِنْ أَصْحَابِي فَهُوَ سَائِرُ
فلما أتاه موتُ زِيَادٍ تَمَثَّلَ :

وَأَفْرَدْتُ سَهْمًا فِي الْكِنَانَةِ وَاحِدًا سَيَّرَمِي بِهِ أَوْ يَكْسِرُ السَّهْمَ كَاسِرُ
وماتت امرأة للفرزدق بِجُمُعٍ ، ومعنى جُمُعٍ وَلَدُهَا فِي بَطْنِهَا ، (وإن شئت
قلت جُمُعٍ يَا فَتَى) فقال :

وَجَفَنَ سِلَاحٌ قَدْ رُزِّتُ فَلَمْ أَنْحُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيَا
وفي جوفه من دارمِ ذُو حَفِيطَةٍ لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا أَنْسَأَتْهُ^(٢) لِيَالِيَا

وهذا من البَغْيِ فِي الْحُكْمِ وَالتَّقَدُّمِ . قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ فِي ابْنِ
لَعْبَدِ اللَّهِ ابْنِ طَاهِرٍ أَصِيبَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَهُمَا طِفْلَانِ شَبِيهَانِ بِهَذَا وَلَكِنَّهُ اعْتَذَرَ ،
فَحَسَّنَ قَوْلَهُ ، وَصَحَّ مَعْنَاهُ بِاعْتِذَارِهِ وَهُوَ الطَّائِي :

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهِمَا لَوْ أُمِهَلْتُ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلًا
إِنْ الْهَلَالُ إِذَا رَأَيْتُ نُمُوهُ أَيْقَنْتُ أَنَّ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا
وقال الفرزدق يرثي حَذْرَاءَ الشَّيْبَانِيَّةِ :

يَقُولُ ابْنُ صَفْوَانَ بِكَيْتٍ وَلَمْ تَكُنْ عَلَى امْرَأَةٍ عَيْنِي إِخَالُ لَتَذَمُّعَا
يَقُولُونَ رُزَّ حَذْرَاءُ وَالتُّرْبُ دُونَهَا وَكَيْفَ بِشَيْءٍ عَهْدُهُ قَدَدُ تَقَطُّعَا
وَلَسْتُ وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ بِزَائِرٍ تَرَابًا عَلَى مَرْمُوسَةٍ^(٣) قَدْ تَضَعَضَعَا
وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ إِذَا الْمَوْتُ نَالَهُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ تَقَنُّعَا
وما مات عند ابن المَرَاغَةِ مِثْلَهَا وَلَا تَبَعْتُهُ ظَاعِنًا يَوْمَ وَدُّعَا

(١) الواهية : كل أنثى فقدت ولدها .

(٢) أنسأته : أخرته .

(٣) المرموسة : التي ألقيت في الرمس .

وقال جرير يرثي امرأته :

لولا الحياءُ لهاجني استِعبارُ وَلَزُزْتُ قَبْرَكَ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ
نَعَمَ الْخَلِيلُ وَكُنْتَ عِلْقَ مَضْنَةٍ^(١) وَلَدَيْكَ مِنْكَ سَكِينَةٌ وَوَقَارُ
لَنْ يُلْبِثَ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُورُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ
صَلَى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخَيَّرُوا وَالصَّالِحُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ
أَفْأَمَ حَزْرَةَ^(٢) يَا فَرَزْدَقُ عَيْتُمْ غَضِبَ الْمَلِكُ عَلَيْكُمْ الْجَبَّارُ

وقال رجل من خزاعة وَيُنَحِّلُهُ كَثِيرٌ يرثي عمر بن عبد العزيز بن مروان :
(قال أبو الحسن الذي صح عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوي).

أما القُبُورُ فَإِنَّهِنَّ أَوَانِسُ بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورُ
جَلَّتْ رَزِيئَتُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ
(رَدَّتْ صَنَائِعُهُ^(٣) إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ)
وَالنَّاسُ مَا تَمُّهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدُ فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ
يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانٌ مَنْ لَمْ تُؤْلِهِ خَيْرًا لَأَنَّكَ بِالشَّأْنِ جَدِيرُ

ومثله قول عُمارة بمدح خالد بن يزيد بن مزيدي :

أرى النَّاسَ طُرًّا حَامِدِينَ لَخَالِدٍ وَمَا كُلُّهُمْ أَفْضَتْ إِلَيْهِ صَنَائِعُهُ
وَلَنْ يَتْرَكَ الْأَقْوَامُ أَنْ يَمْدَحُوا الْفَتَى إِذَا كَرُمَتْ أَخْلَاقُهُ وَطَبَائِعُهُ
فَتَى أَمَعَنْتَ^(٤) ضَرَّاءَهُ فِي عَدُوِّهِ وَخَصَّصْتَ وَعَمَّتَ فِي الصَّدِيقِ مَنَافِعُهُ

ومن قوله : والناس ما تمهم عليه واحد : أخذ الطائي في مرثيته :

لئن أَبْغَضَ الدَّهْرُ الْخَوُونَ لِفَقْدِهِ لَعَهْدِي بِهِ حَيًّا يُحِبُّ بِهِ الدَّهْرُ

(١) مضنة : بفتح الضاد وقد تكسر نفيس يضمن به .

(٢) حزرة : ابن جرير .

(٣) صنائعه : معروفه وإحسانه واحدا صنيعة .

(٤) أمعنت بالغت حتى شملت أعداءه .

لَنْ عَظُمَتْ فِيهِ مَصِيبَةُ طَيِّبٍ لَمَّا عُرِّيَتْ مِنْهَا تَمِيمٌ وَلَا بَكْرٌ

وقال القرشي :

وقد كنت أبكي على مَنْ فات من سلفي وأهل وُدِّي جميع غير أشتات
فاليوم إذ فرقت بيني وبينهم نوى بكيت على أهل المروآت
وما بقاء امرئ كانت مدامعه مقسومة بين أحياء وأموات

ويروى أن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، تمثل في قبر فاطمة عليها السلام :

(لكل اجتماع من خليلين قرقة وإن السذي دون الفراق قليل)
وإن افتقادي واحداً بعد واحدٍ دليلاً على أن لا يدوم خليل

وقال عقیل بن علفه المُرِّي من غطفان :

لعمري لقد جاءت قوافل خبرت بأمر من الدنيا علي ثقیل
وقالوا ألا تبكي لمصرع هالكٍ أصاب سبيل الله خير سبيل
كأن المَنایا تبتغي في خيارنا لها ترة^(١) أو تهتدي بدليل
لتأت المَنایا حيث شاءت فإنها مُحللة^(٢) بعد الفتى بن عقیل
فتى كان مولاه يحل بنجوة^(٣) فحل الموالى بعده بمسيل^(٤)

وتمثلت عائشة عند قبر عبد الرحمن بن أبي بكر بقول مُتَمِّم ابن نُؤيرة :

وكُنَّا كندمانِي جَذِيمَةً حِقْبَةً^(٥) من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

(١) ترة: الثأر.

(٢) محللة: تهون علي وتصغر من قولهم هذا شيء جلل أي هين، يسير.

(٣) نجوة: كل ما ارتفع من الأرض.

(٤) المسيل: مجرى السيل وخرب ذلك مثلاً لعزلة مولاه وذل مولى غيره.

(٥) حقة: هنا مدة من الزمن وندمانا جذيمة مالك وعقیل ابنا قارح رجلان من بني القين وهما اللذان حملا عمرو بن هدي إلى جذيمة بعد أن غاب عنه زمناً طويلاً لا يدري أين هو فاخصها لنادمته.

وَعِشْنَا بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبْلَنَا أَصَابَ الْمَنَابِيَا رَهْطٌ كِشْرَى وَتُبْعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولُ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

ومات صديق لسليمان بن عبد الملك يقال له شراحيل، فتمثل عنده قبره :
وَهَوْنٌ وَجُدِي عَنْ شَرَا حَيْلٍ أَنِّي إِذَا شِئْتُ لَاقَيْتُ امْرَأً مَاتَ صَاحِبُهُ
وقال أعرابي :

إِلَّا لَهْفَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى وَلَهْفَ الْبَاكِياتِ عَلَى قُصَيِّ
لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى قُصَيِّ مَتَأَلَفَ بَيْنَ حَجَرٍ (١) وَالسُّلَيِّ (٢)
وَلَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى قُصَيِّ جَرِيرَةَ رَمَحِهِ فِي كُلِّ حَيٍّ
فَتَى الْفَتَيَانِ مُخْلُولٍ مُمِرٍّ وَأَمَارٍ بِإِرْشَادٍ وَعِيٍّ

فهذا الشعر من أجفى أشعار العرب، ينبىء صاحبه أن تقديره في المرثية أن تكون منيته قتلاً ويأسف من موته حُتِفَ أنفه. ويقول في مدحه (وأمار بإرشاد وغي) وشبيه بهذا قول لبيد في أخيه أربد لما أصابته الصاعقة، وأصابته عامراً الغدّة بدعوة رسول الله ﷺ، وكان عامر بن الطفيل صار إلى رسول الله ﷺ، ومعه أربد فقال لأربد: أنا أشغله لك وأضرته أنت بالسيف من ورائه. فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام على أن يجعل له أعنة الخيل، فقال عامر: ومن يمنعها اليوم مني، ولكن إن شئت فلَكَ المَدْرُ ولي الوبر أو لي المَدْرُ ولك الوبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، فقال: فاجعل لي هذا الأمر بعدك، فأعلمه النبي أن ذلك ليس بكائن، قال: فأبشّر بخيل أولها عندك وآخرها عندي، فقال رسول الله ﷺ: يا أيُّ الله ذلك وأبنا قيلة، يعني الأوس والخزرج. ويروى أن سعد بن عبادة قال: يا رسول الله، علامَ يَسْحَبُ هذا الأعرابي لسانه عليك دَغْنِي أَقْتَلَهُ. ويروى أن عامراً قال للنبي عليه السلام:

(١) حجر بالفتح وادي.

(٢) السلي: بالضم وتشديد الياء وادي.

لَا غَرْوَنَكَ عَلَى أَلْفِ أَشْقَرٍ وَأَلْفِ شَقْرَاءَ. فلما قال، قال رسول الله ﷺ اللهم أكفنيهما. وتروى قيس أنه قال: اللهم إن لم تهدها عامراً فأكفنيه، وقال عامر لأربد: قد شغلته عنك مراراً فألاً ضربته؟ قال أربد: أردت ذلك مرتين فاعترض لي في إحداهما حائط من حديد، ثم رأيتك الثانية بيني وبينه أفاقتك؟ قلم يصل واحد منهما إلى منزله، أما عامر فعُد في ديار بني سلول بن صُصعة، فجعل يقول: أَغْدَةُ^(١) كغدة البعير وموتاً في بيت سلولية، وأما أربد فارتفعت له سحابة فرمته بصاعقة فأحرقتة. وكان أخا لبيد لأمه فقال يرثيه:

أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الْحُتُوفَ وَلَا	أَرْهَبُ نَوْءَ ^(٢) السِّمَاكِ وَالْأَسَدِ
مَا إِنْ تُعْرِي الْمَنُونُ مِنْ أَحَدٍ	لَا وَالِدٍ مَشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ
فَجَعَنِي الرِّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْفِ	لَارِسِ يَوْمِ الْكَرِيهَةِ النَّجْدِ ^(٣)
يَا عَيْنَ هَلَا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إِذَا	قَمْنَا وَقَامَ الْعَدُوُّ فِي كَبَدٍ ^(٤)

وقال أيضاً:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ	وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرِبِ
يَتَحَدَّثُونَ مَخَافَةً وَمَلَادَةً	وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْغَبْ
يَا أَرْبَدَ الْخَيْرِ الْكَرِيمِ جُدُودُهُ	غَادَرْتَنِي أَمْشِي بِقَرْنٍ أَغْضَبِ
إِنْ الرِّزْيَةُ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا	فَقَدَانُ كُلِّ أَخٍ كَضُوءِ الْكَوْكَبِ

قوله خَلْفٍ، يقال هو خَلْفُ فلان لمن يَخْلُفُهُ من رهطه، وهؤلاء خَلْفُ فلان إذا قاموا مقامه من غير أهله. وقلما يُسْتَعْمَلُ خَلْفٌ إِلَّا فِي الشَّرِّ وَأَصْلُهُ مَا ذَكَرْنَا. وَالْمَخَانَةُ مَصْدَرٌ مِنَ الْخِيَانَةِ، وَالْمَلُودُ الَّذِي لَا يَصْدُقُ فِي مَوَدَّتِهِ، يُقَالُ:

(١) الأغدة بالنصب على أنه مفعول مطلق حذف عامله وهي الضم لحم يحدث من داء بين الجلد واللحم ويتحرك بالتحريك وهي للبعير كالطاعون للإنسان.

(٢) نوء: النجم: حال الغروب أو سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله.

(٣) النجد: بضم الجيم وكسرهما، القوي والشجاع.

(٤) الكبد: محركاً، الضيق والشدة.

رجل مَلُودٌ وَمَلْدَانٌ، وملاذةٌ مصدره. والأَعْصَبُ المقطوع. وفي الحديث: لا يُضْحَى بَعْضُهَا. ويروى أن رجلاً قال لمَعْنِ بن زائدة في مرضه: لولا ما مَنَّ اللَّهُ به من بقائك لكنا كما قال لبيد:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ كَجِلْدِ الْأَجْرِبِ
فَقَالَ لَهُ مَعْنٌ: إِنَّمَا تَذَكَّرُ أَنِّي سُدْتُ حِينَ ذَهَبَ النَّاسُ، هَلَا قُلْتَ كَمَا قَالَ
نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ:

قَلَّدَتْهُ عُرَى الْأُمُورِ نِزَارٌ قَبْلَ أَنْ تَهْلِكَ السَّرَاةُ الْبُحُورُ
ثُمَّ نَرَجِعُ إِلَى ذِكْرِ الْمَرَاثِي، وَقَالَ أَعْرَابِي:

لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ نَعِيٌّ حَيِّيٌّ أَنْ سَيِّدَكُمْ هَوَى
أَجَلَ صَادِقًا وَالْقَاتِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي إِذَا قَالَ قَوْلًا انْبَطَّ الْمَاءُ فِي الثَّرَى^(١)
فَتَى قُبْلُ لَمْ تُعْنِسِ الْمِنْ وَجْهَهُ سَوَى وَصَحَّ فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الدُّجَى
أَشَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ^(٢) فَجَاءَهَا يُقْعِقِعُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى
وَلَمْ يَجْنُهَا لَكِنْ جَنَاهَا وَلِيُّهُ فَاسَى وَأَدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى
وَيُرْوَى أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَظَرَتْ إِلَى الْخَنَسَاءِ، وَعَلَيْهَا صِدَارٌ مِنْ
شَعْرِ فَقَالَتْ: يَا خَنَسَاءُ، أَتَلْبَسِينَ الصِّدَارَ وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ؟
فَقَالَتْ: لَمْ أَعْلَمْ بِنَهْيِهِ، وَلَكِنْ لِهَذَا الصِّدَارِ سَبَبٌ! فَقَالَتْ: وَمَا هُوَ؟ قَالَتْ لَهَا:
كَانَ زَوْجِي رَجُلًا مُتْلَفًا فَأَخْفَقَ فَأَرَادَ أَنْ يَسَافِرَ فَقُلْتُ لَهُ: أَقِمْ وَأَنَا آتِي أَخِي
صَخْرًا فَاسْأَلْهُ، فَأَتَيْتُهُ، فَشَاطَرَنِي مَالُهُ فَأَتَلَفَهُ زَوْجِي فَعُدْتُ لَهُ، فَعَادَ لِي بِمِثْلِ
ذَلِكَ فَأَتَلَفَهُ زَوْجِي، فَعُدْتُ لَهُ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ:
إِنَّ هَذَا الْمَالَ مُتْلَفٌ فَاْمْنَحْهَا شِرَارَهَا، فَقَالَ صَخْر:

وَاللَّهِ لَا أَمْنَحُهَا شِرَارَهَا وَلَوْ هَلَكْتُ خَرَقْتُ خِمَارَهَا

وَاتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارَهَا

(١) الثرى: التراب الندي.

(٢) الحرب العوان بالفتح التي قوتل فيها مرة بعد أخرى.

فلما هَلَكَ اتَّخَذْتُ هَذَا الصِّدَارَ، وَكَانَ صَخْرَ أَخَا الْخَنَسَاءِ لِأَبِيهَا فَقَطَّ.
وَيُرْوَى عَنْ بَعْضِ نِسَاءِ بَنِي سُلَيْمٍ، أَنَّهَا نَظَرَتْ إِلَيْهَا فِي صِدَارٍ، وَهِيَ تَصْنَعُ
طَبِيباً لِابْنِهَا لِتَنْقُلَهَا إِلَى زَوْجِهَا، فَقَاوَلَتْهَا فِي شَيْءٍ كَرِهَتْهُ الْخَنَسَاءُ فَقَالَتْ لَهَا:
اسْكُتِي، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَبْسَطُ مِنْكَ عَرْقاً، وَأَطْيَبُ مِنْكَ وَرْساً، وَأَحْسَنُ مِنْكَ
عُرْساً، وَأَرْقُ مِنْكَ نَعْلاً وَأَكْرَمُ مِنْكَ بَعْلاً. وَكَانَ بَشَارُ يَقُولُ: لَمْ تَقُلْ امْرَأَةً شِعْراً
قَطَّ إِلَّا تُبَيِّنُ الضَّعْفُ فِيهِ. فَقِيلَ لَهُ: أَوْ كَذَلِكَ الْخَنَسَاءُ؟ فَقَالَ: تِلْكَ كَانَتْ لَهَا
أَرْبَعُ خُصَاصٍ! وَقَالَ الْقُرَشِيُّ، وَتَتَابَعَ لَهُ بَنُونَ:

أُسْكَاكَ بَطْنُ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفِدَا
فِيَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ
فَمَاتُوا كَأَنَّ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ
لَقَدْ شِمَّتِ الْأَعْدَاءُ بِي وَتَغَيَّرَتْ
تَجَرِّي عَلَى الدَّهْرِ لَمَّا فَقَدْتُهُ
وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِي مُشَاطِرَا
فَدَيْتُمْ وَأَعْطَيْنَا بِكُمْ سَاكِنَ الظَّهْرِ
عَلَيْهَا تَوَى فِيهَا مَقِيماً إِلَى الْحَشْرِ
فَتُكَلُّ عَلَى تُكَلِّ وَقَبْرَ عَلَى قَبْرِ
عُيُونُ أَرَاهَا بَعْدَ مَوْتِ أَبِي عَمْرٍو
وَلَوْ كَانَ حَيّاً لَاجْتَرَأْتُ عَلَى الدَّهْرِ
فَلَمَّا تَوَفَّى شَطْرَهُ مَالٌ فِي شَطْرِي

وَحَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَرَجِ الرَّيَّاشِيُّ قَالَ: قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَلَمَّا صَارَ
بِجَبَلِ سَنَامٍ^(١) مَاتَ لَهُ يَنُونَ، فَدَفَنَهُمْ هُنَاكَ، وَقَالَ:

دَفَنْتُ الدَّافِعِينَ الضَّيْمَ عَنِّي
أَقُولُ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهُمْ
فَلَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ مَاتُوا جَمِيعاً
بِرَابِيعٍ مُجَاوِرَةِ سَنَامَا
بِنَفْسِي تِلْكَ أَصْدَاءُ^(٢) وَهَامَا^(٣)
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ هَذَا الْعَامِ عَاماً

(قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ، وَفِيهَا عَنْ غَيْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ):

فَلَيْتَ حَمَامُهُمْ إِذْ فَارَقُونِي
تَلَقَّانَا فَكَانَ لَنَا حِمَامَا

(١) جَبَلُ سَنَامٍ: جَبَلٌ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْيَمَامَةِ.

(٢) أَصْدَاءُ: جَمْعُ صَدَى وَهُوَ جَسَدُ الْإِنْسَانِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

(٣) الْهَامُ: وَهِيَ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ.

قال أبو العباس: ويروى أن رجلاً كان له بنون سبعة. يروي ذلك أبو الحسن المداثني، قال أبو العباس: فاختلف عليّ فيهم، فقال قوم: كانوا تحت حائط، وقال قوم آخرون: بل حلب لهم في علب، فمَجّ فيها أفعى فبعث بها إليهم فشربوها فماتوا جميعاً، والرجل يقال له الحرث ابن عبد الله الباهلي، وهلك لجار له شاة فجعل يُعلن بالبكاء عليها، فقال قائل:

يا أيها الباكي على شاتِه يبكي جهاراً غير إسرار
إن الرزيمات وأمثالها ما لقي الحرث في الدار
دعا بني^(١) معن وإخوانهم فكلهم يعدو بمحفار

قال أبو العباس: والمصائب ما عظم منها وما صغر تقع على ضربين، فالحزم التسلي عما لا يغني الغم فيه، والإحتيال لدفع ما يُدفع بالحيلة. ومن أحسن القول في هذا المعنى في الإسلام قول عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، حين مات ابنه فلم ير منه جزع، فسئل عن ذلك، فقال: أمر كنا نتوقعه، فلما وقع لم ننكره. وفي هذا زيادة تتظر، وفضل تسليم لقضاء الله عز وجل، والعرب تقول: الحذر أشد من الوقعة. وقال رجل من الحكماء إنما الجزع والإشفاق قبل وقوع الأمر، فإذا وقع فالرضا والتسليم. ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله إذا استأثر الله بشيء فآله عنه، يقال لهيت عن الأمر ألهي إذا أضربت عنه، ولهوت الهو من اللعب. ومن أقدم ما قيل في هذا المعنى قول أوس بن حجر الأسيدي، من بني أسيد بن عمرو بن تميم يرثي فضالة بن كلدة، أحد بني أسد بن خزيمه:

أيتها النفس أجمل جزعاً إن الذي تحذرين قد وقعا
إن الذي جمع السماحة وال نجدة والحزم والقوى جمعا

(١) دعا بني معن الخ يقول إن الحرث دعا أهل حيه وأهل بلدة من بني معن لينقلوا أولاده فكلهم أتى باله الحفر وهذا يؤيد من قال إنهم كانوا تحت حائط.

(أَوْدَى فِيمَا تَنَفَّعَ الْإِشَاحَةُ^(١) مِنْ
الْأَلْمَعِيِّ الَّذِي يَظُنُّ لَكَ الـ
الْمُخْلِيفُ الْمُتَلَفُ الْمُرْزَأُ لَمْ
وَالْحَافِظُ النَّاسَ فِي تَحَوُّطٍ إِذَا
وَعَزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيحُ وَقَدْ
وَشُبَّهَ الْهَيْدَبُ الْعَبَامُ مِنْ
وَكَانَتْ الْكَاعِبُ الْمُمْنَعَةُ الْحَسَدُ
لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ وَالْمُدَامَةُ وَالْفِتْ
وَذَاتُ هِذْمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا
شَيْءٌ لِمَنْ قَدْ تَحَاوَلَ الْبِدْعَا
ظَنُّ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
يُمْتَنِعُ بِضَعْفٍ وَلَمْ يَمِتْ طَبْعَا
لَمْ يُرْسِلُوا حَلَقَ عَائِدٍ رُبْعَا
أَمْسَى كَمِيعُ الْفِتَاةِ مُلْتَفِعَا
الْأَقْوَامُ سَقْبًا مُلْبَسًا فَرْعَا
سَاءٌ فِي زَادِ أَهْلِهَا سَبْعَا
سَيَانُ طُرًّا وَطَامِيعُ طَمِعَا
تُصِمْتُ بِالْمَاءِ تَوَلَّيْتُ جَدِيعَا

وفيهما زيادة لكنا اخترنا قوله، الألمعي الحديد اللسان والقلب، وقد أبانه
بقوله، الذي يظن كل الظن كأن قد رأى وقد سمعا، وقوله: المخلف
المتلف، أراد أنه يتلف ماله كرمًا ويخلفه نجدة، كما قال:

نَاقَتُهُ تُرْقِلُ فِي الثَّقَالِ مُتَلَفٌ مَالٍ وَمُفِيدٌ مَالٍ

وقال آخر (فأتلف ذلك متلاف كسوب). والمرزأ الذي تناله الرزشات في
ماله لما يُعْطَى وَيُسْتَلُّ، والإمتاع الإقامة، فيقول: لم يُقَمِّ وهو ضعيف، والطبع
أسوأ الطمع، وأصله أن القلب يعتاد العجلة الدنيئة فنركبه كالحائل بينه وبين
الفهم لقبح ما يظهر منه، وهذا مثل وأصله في السيف وما أشبهه يقال: طبع
السيف، إذا ركب صداً يستبر حديده، وطبع الله على قلوبهم من ذا. ونحوط
وقحوط إسمان للسنة الجذبة، كما يقال حجرة وكحل. وقوله: لم يرسلوا
خلف عائد ربعا، فالعائد الحديثة النتاج، والربع الذي ينتج في الربيع، ومن
شأنهم في سنة الجذب أن ينحروا الفصال لئلا ترضع فتضر بالأمهات. وقوله:
وعزت الشمال الرياح. يقول غلبتها وتلك علامة الجذب وذهاب الأمطار، ومن
ذلك قولهم: مَنْ عَزَّ بَزْ أَي من غلب استلب. وفي القرآن: ﴿وَعَزَّنِي فِي

(١) الاشاحة: الحذر.

الخطاب^(١)، أي غلبني بالمخاطبة. وقوله: وقد أمسى كميع الفتاة، فالكميع الضجيع، وهو الكمع، قال الراجز: (ومشحوذ الغرار يبيت كمعي) يعني السيف أي يبيت مضاجعي ملتفعا، يقال: تَلَفَعَ في مطرفه وفي كسائه إذا تلفف وتزمل فيه، فيقول من شدة الصرّ يلتفع به دون ضجيعه، والكاعب التي كعب ثديها، يقول: تصير كالسبع في زاد أهلها بعد أن كانت تعاف طيب الطعام. وقوله: وذات عدم، يعني امرأة ضعيفة، والهذم الكساء الخلق الرث، وقوله: عار نواشرها، النواشر عروق الساعد، ولتولب الصغير، والجدع السيء الغذاء، وهو الجحُن^(٢) والقتين^(٣)، وقال أعرابي:

خليلي عوجا بارك الله فيكما على قبر أهبان سقته الرواعد^(٤)
فذاك الفتى كل الفتى كان بينه وبين المزجي^(٥) نفنف^(٦) متباعدا
إذا نازع القوم الأحاديث لم يكن عييا^(٧) ولا عيا على من يقاعد
وقالت ليلي الأخيلىة:

دعا قابضا^(٨) والمرهفات ينشئه فقبحت مذعوا وليك داعيا
فليت عيىد الله كان مكانه صريعا ولم أسمع لتوبة ناعيا

وكان سبب هذا الشعر أن توبة بن حمير العقيلي: ثم الخفاجي غزافغيم ثم انصرف فعرس في طريقة فأمن، فقال^(٩): فندت^(١٠) فرسه فأحاط به عدوه ومعا

(١) سورة ص: الآية ٢٣.

(٢) الجحُن: ككتف بتقديم الجيم على الحاء السيء الغذاء.

(٣) القتين: الرجل الحقير الذليل.

(٤) الرواعد: مفردا راعلة وهي السحابة التي تحمل الرعد.

(٥) المزجي: من قولهم زجي الشيء إذا ساقه ودفنه كازجاء.

(٦) النفنف ما بين الجبلين أو المفازة.

(٧) يقال عي فلان بالامر إذا لم يهتد لوجه مراده.

(٨) دعا المقصود هنا توبة بن الحمير.

(٩) فقال: نام وقت القائلة.

(١٠) ندت: شردت ونفرت.

عبيد الله أخوه وقابض موله، فدعاهما فذئب عبيد الله شيئاً وانهزما، وقيل توبة. ففي ذلك تقول ليلي الأخيلية:

أَعْيَنِي أَلَا فَاكِكِي عَلَى ابْنِ حُمَيْرٍ	بدمع كَفَيْضِ الْجَذُولِ الْمُتَفَجِّرِ
لَتَبِكَ عَلَيْهِ مِنْ خَفَاجَةٍ نِسْوةٌ	بماء شُؤُونِ الْعَبْرَةِ الْمُتَحَدِّرِ
سَمِعَنْ بِهِيْجَا أَزْحَفْتُ فَذَكَرْنُهُ	وَقَدْ يَبْعَثُ الْأَحْزَانَ طُولُ التَّذَكُّرِ
كَأَنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْخَ	بَنَجْدٍ وَلَمْ يَطْلُعْ مَعَ الْمُتَغَوِّرِ
وَلَمْ يَرِدِ الْمَاءُ السَّدَامَ إِذَا بَدَا	سَنَا الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ أَخْضَرَ مُذِيرِ
وَلَمْ يَقْدَعْ الْخَصَمَ الْأَلْدَ وَيَمْلَأِ	حِجْفَانَ سَدِيفاً يَوْمَ نَكْبَاءِ صَرْصَرِ
أَلَا رَبُّ مَكْرُوبٍ أَجَبَتْ وَخَائِفِ	أَجَرَتْ وَمَعْرُوفٍ لَدَيْكَ وَمُنْكَرِ
فِيَا تَوْبَ لِلْمَوَلَى وَيَا تَوْبَ لِلنَّدَى	وَيَا تَوْبَ لِلْمُسْتَنْجِحِ الْمُتَنَوِّرِ

في شرح هذه الأبيات

قولهما: لتبك عليه من خفاجة نسوة، تعني خفاجة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، والهيحاء تمد وتقصّر، وقد مر هذا. وقولها بنجد ولم يطلع مع المتغور، فالنجد كل ما أشرف من الأرض، والغور كل ما انخفض. ويقال ماء سدام، ومياه سُدُم، وهي القديمة المتدفقة، قال الشاعر:

وعلمي بأسدام المياه فلم تزل قلائص تُحْدِي فِي طَرِيقِ طَلَائِحُ^(١)

وسنا الصبح ضوءه، وهو مقصور، فإذا أردت الحسب مددت، والأخضر الذي ذكرت هو الليل، والعرب تسمي الأسود آخر. وقولها ولم يقْدَعْ الخصم الألد، فالألد الشديد الخصام، والسديف شقق السنام، والنكباء الريح بين الريحين، الشديدة الهبوب. والصرصر الشديدة الصوت، والمستنجح الذي يسري فلا يعرف مقصداً فينبح لتجيئه الكلاب، فيقصدوها، والمتنور الذي

(١) طلائح: جمع طليح وهو البعير الذي أعياه السفر.

يلتمس ما يُلَوِّحُ له من النار فيقصده . قال الأَخطلُ يَعْبُرُ جَرِيرًا :

قَوْمٌ إِذَا اسْتَبَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبَهُمُ قَالُوا لِأُمَّهُمْ بُؤْلِي عَلَى النَّارِ

فيقال أن جريراً توجع من هذا البيت، وقال جَمَعَ بهذه الكلمة ضرورياً من الهجاء والشتم: منها البخلُ الفاحش، ومنها عقوق الأم في ابتذالها دون غيرها، ومنها تقذير الفناء، ومنها السوءة التي ذكرها من الوالدة، وقال آخر:

وَإِنِّي لِأَطْوِي البطنَ من دونِ مِلْثِهِ لِمُخْتَبِطٍ^(١) فِي آخِرِ اللَّيْلِ نَابِحِ
وَإِنْ امْتَلَأَ البطنُ فِي حَسَبِ الْفَتَى قَلِيلُ الْغَنَاءِ وَهُوَ فِي الْجِسْمِ صَالِحِ

وقالت لَيْلَى الأَخِيلِيَّةُ :

نَظَرْتُ وَرَكْنٌ مِنْ بُؤَانَةٍ^(٢) دُونَا وَأَرْكَانُ حِسْمِي^(٣) أَيْ نَظَرَةٍ نَاطِرِ
إِلَى الْخَيْلِ أَجْلَى شَأُوهَا^(٤) مِنْ عَقِيرَةٍ لِعَاقِرِهَا فِيهَا عَقِيرَةٌ عَاقِرِ
كَأَنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْخَ قَلَانِصُ يَفْحَضُنِ الْحَصَى وَالْكَرَاكِرِ^(٥)
وَلَمْ يَتَيْنِ^(٦) أِبْرَادَ أَرْقَاقاً لِفَتِيَةٍ كِرَامٍ وَنَرَحُلٌ قَبْلَ فَيْءِ الْهُوَاجِرِ
فَتَى لَا تَخْطَاهُ الرِّفَاقُ وَلَا يَرَى لِقَدْرِ عِيَالاً دُونَ جَارٍ مُجَاوِرِ
وَكُنْتُ إِذَا مَوْلَاكَ خَافَ ظِلَامَهُ دَعَاكَ وَلَمْ يَقْعِ سِوَاكَ بِنَاصِرِ
قولها: أَيْ نظرة ناظر، يصلح فيه الرفع والنصب على قوله نظرت وأَيَّةَ نظرة وأَيُّمَا نظرة وأَيُّمَا نظرة، كما نقول: مررتُ برجل أَيْمَا رجلٍ . وتأويله: مررتُ برجل كامل، فأَيُّمَا في موضع: كامل . وتقول: مررتُ بزيد أَيْمَا رجل، على الحال . ومن قال: أَيُّ نظرة ناظر، فعلى القطع والابتداء،

(١) مختبط: طالب الرفد من غير سابق معرفة .

(٢) بؤانة بالضم: هضبة من وراء نبع .

(٣) حسمى: بالكسر والقصر وهي أرض .

(٤) أجلى شأوها: كشف وأظهر .

(٥) الكراكر جمع كركره بالكسر وهي رحي زور البعير أو صدر كل ذي خف .

(٦) البناء هنا ضرب الخيام أو إقامتها على أوتاد مضروبة بالأرض .

والمَخْرُجُ مَخْرَجُ اسْتِفْهَامٍ، وتقديره أي نظرة هي، كما تقول: سبحان الله أي رجل زيد. وهذا البيت يُنشد على وجهين:

فَأَوْمَأْتُ إِيْمَاءً خَفِيًّا لِحَبْرٍ وَلِلَّهِ عَيْنَا حَبْرٍ أَيْمًا فَتَى

وأيما إن شئت على ما فسرنا. قولها إلى الخيل أجلاً شأوها عن عقيرة، شأوها طلقها. وقولها: لعاقرها فيها عقيرة عاقر، أي قد أصابوا عقيرة نفيسة، كقول القائل: نعم غنيمة المغتتم، وكقولهم: عقيرة وكما تكون، وهذا نظير قوله:

وَلَمَّا أَصَابُوا نَفْسَ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ أَصَابُوا بِهِ وَتَرَأَ يُنِيمُ ذَوِي السَّوْتِ
يقال: ثار منيم إذا أصابه المثير هَذَا واستقر لأنه أصاب كفوًا، وهذا خلاف قول الآخر:

فَسُومَ إِذَا جَرَّجَانِي ^(١) قَوْمِهِمْ أَمِنُوا . لِلْوَمِ أَحْسَابُهُمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا

وخلاف قول الحرث بن عباد:

لَا بُجَيْرٌ ^(٢) أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا زَهْدٌ كَلَيْبٍ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلَالِ

ولكن كما قال دريد بن الصمة:

نَلِيتُ بَعِيدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ^(٣) ذُوَابًا فَلَمْ أَفْخَرْ بِذَاكَ وَأَجْزَعَا

وكما قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي، من بني تميم اللات بن سبئة، حيث قتل مُضْعَبَ بن الزبير بأخيه النأبي بن زياد:

إِنْ عُيِّدَ اللَّهُ مَا دَامَ سَالِمًا لَسَارٍ عَلَى رَغَمِ الْعَدُوِّ وَغَادِي

(١) جر. جنى يقال جر فلان على نفسه وعلى غيره جريرة أي جنى جنابة.

(٢) بجير: ابنه الذي قتله مهلهل أخو كليب وكان الحارث يرى أن يقتله تضيع الحرب أوزارها.
(٣) لندت: جمع لدة بالكسر وهو التراب.

ونحن قتلنا ابن الزبير ورأسه حَزَرْنَا برأس النابي بن زياد
كسر الياء على الأصل، كما قال ابن قيس الرقيات:

لا بَارِكَ اللهُ في الغواني هل يُضِحْنَ إِلَّا لَهُنَّ مُطْلَبٌ

ومن أخذه من نبات على القوم، أي طلعت عليهم فلا علة فيه ولا ضرورة
(قال الأخفش: المعروف فيه الهمزة والمبرد لم يهمله، وإنما أخذه من نبا
ينبوا، فصار مثل رام وقاض، وما أشبههما) وقال أبو الأسد مؤلفي خالد بن
عبد الله القسري، لما قتلوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخالد بن عبد الله:

فإن تَقْتُلُوا منا كَرِيساً فإننا قتلنا أمير المؤمنين بخالد
وإن تَشْغَلُونَا عن نَدَا فإننا شغلنا وليداً عن غناء الولائد
تركنا أمير المؤمنين بخالد مكباً على خيشومه غير ساجد

وقال الخزاعي بعد:

قتلنا بالفتى القسري منهم وليدهم أمير المؤمنين
(ومرواناً قتلنا عن يزيد كذاك قضاؤنا في المعتدين
وبابن السبط منا قد قتلنا محمداً بن هارون الأميناً)
فمن يك قتله سوقاً^(١) فإننا جعلنا مقتل الخلفاء ديناً

وقولها: ويرحل قبل بني الهواجر، تريد أنه متيقظ طعناً. والمولى في
قولها: إذا مولاك خاف طلامه، يحتمل ضروباً، فالمولى ابن العم. وقوله عز
وجل: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَّ مِنْ وَرَائِي﴾^(٢)، يريد بني العم، قال الفضل بن
العباس:

مهلاً بني عمنا مهلاً سواليها لا تنبشوا بيننا ما كان مدفوناً

(١) سوق كصرد: جمع سوقة بالضم وهي الرعية وهذا الجمع يقل استعماله عندهم.

(٢) سورة مريم: الآية رقم د

ويكون المولى المُعْتَق، ويكون المولى من قوله جَسَلٌ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَإِنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^(١) ويكون المولى الذي هو أَحَقُّ وَأَوْلَى بِهِ، قوله: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾^(٢)، أي أولى بكم، والمولى المالك. وقولها ولم يكن أبراداً تريد الخيام.

في من فضل العرب من النسوة

قال أبو العباس: وكانت الخَنَسَاء وَلِيْلَى بائنتين في أشعارهما، متقدمتين لأكثر الفحول، ورب امرأة تتقدم في صِنَاعَةٍ، قلما يكون ذلك، والجملة ما قال الله عز وجل: ﴿أَوْ مِنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٣) وقال النبي ﷺ: إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ عَوْجَاءٍ، وَإِنَّكَ إِنْ تَرَدَّ إِقَامَتُهَا تَكْسِرُهَا فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا. فمن نَذَرَ من النساء في باب من الأبواب، أم أيوب الأنصارية، وأم الدرداء، ورابعة القيسية، ومُعَاذَةُ الْعَدَوِيَّةُ. فإن هؤلاء النسوة تَقَدَّمْنَ فِي الْفَضْلِ وَالصَّلَاحِ عَلَى تَقَدُّمِ بَعْضِهِنَّ بَعْضًا. حدثني الجاحظ عن إبراهيم بن السِّنْدِيِّ قال: كانت تصير إليَّ هَاشِمِيَّةٌ حَمْدُونَةُ، في حاجات صاحبتهَا فَاجْتَمَعَ نَفْسِي لَهَا وَأَطْرَدُ الْخَوَاطِرَ عَنْ فِكْرِي، وَأَحْضِرُ ذَهْنِي جَهْدِي خَوْفًا مِنْ أَنْ تَوَرَّدَ عَلَيَّ مَا لَا أَفْهَمُهُ، لِبُعْدِ عَوْرِهَا وَاقْتِدَارِهَا عَلَى أَنْ تُجَرِّيَ عَلَى لِسَانِهَا مَا فِي قَلْبِهَا. وكذلك ما يُوَثِّرُ عَنْ خَالِصَةِ وَعُتْبَةِ جَارِيَتِي رَيْطَةَ بِنْتُ أَبِي الْعَبَّاسِ. فأما النساء الأشراف فإن القول فيهن كثير مُتَّسِعٌ فَمِمَّا نَذَرَ مِنْ شَعْرِ الْخَنَسَاءِ.

رثاء الخنساء أخاها صخرًا

قولها ترثي صخرًا:

يا صخر ورأد ماءٍ قد تناذرة^(٤) أهل المياه وما في وردي عار

(١) سورة محمد: الآية رقم ١١.

(٢) سورة الحديد: الآية رقم ١٥.

(٣) سورة الزخرف: الآية ١٨.

(٤) تناذره: ينذر بعضهم بعضًا.

مشى السَّبْتِي إلى هَيْجَاءٍ مُعْضِلَةٍ
وما عَجُولٌ على بَوْتَجِنٍ له
تَرْتَعُ^(١) ما غَفَلْتُ حتى إذا اذْكَرْتُ
يوماً بأَوْجَعَ مني يوم فارقني
وإن صَخراً لَوَالِينَا وسيدنا
وإن صَخراً لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ به
لم تره جارةً يمشي بساحتها

قولها:

يا صخر ورّاد ماءٍ قد تناذره أهل المياه وما في ورده عار

تعني الموت، أي لإِقْدَامِهِ على الحرب، والسَّبْتِي والسَّبْنَدِي واحد، وهو الجريء الصدر وأصله في النَمِر. والعجول التي فارقها ولدها، والبوّ قد مضى تفسيره. وكذلك فإنما هي إقبال وإدبار، وقد شرحنا كيف مذهبه في النحو وقولها: إلى هيجاء معضلة، تعني الحرب، وقولها: كأنه علم في رأسه نار، فالعلم الجبل، قال الله جل وعز: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٢). وقال جرير (إذا قَطَعْنِي علماً بدا علم) ومن حسن شعرها قولها:

أَعَيْنِي جُوداً وَلَا تَجُمُدا
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرِيءَ الْجَمِيلَ
طَوِيلَ النِّجَادِ رَفِيعَ الْعِمَا
إِذَا الْقَوْمُ مَدُّوا بِأَيْدِيهِمْ
فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
يَكْلَفُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ
تَرَى الْحَمْدَ يَهْوِي إِلَى بَيْتِهِ
أَلَا تَبْكِيَانِ لَصَخَرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
دِ سَادَ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا
إِلَى الْمَجْدِ مَدُّ إِلَيْهِ يَدَا
مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ مَضَى مُضِعِدَا
وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلِدَا
يَرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا

(١) ترتع: تاكل وتشرب ما شاءت في خصب وسعة.

(٢) سورة الرحمن: الآية رقم ٢٤.

شرح شعر الخنساء في رثاء وصخر

قولها: طويل النجاد، النجاد حمائل السيف، تريد بطول نجاده طول قامته. وهذا مما يمدح به الشريف، قال جرير:

فاني لأرضي عبدَ شمس وما قَضَتْ وأرضى الطوال البيض من آلِ هاشم
وقال مروان للمهدي:

قَصُرَتْ حمائله عليه فقلصت ولقد تأنق قينها^(١) فأطالها
وقال رجل من طيء:

جدير أن يقل السيف حتى ينوس^(٢) إذا تمطى في النجاد
وقال الحكمي أبو نواس:

سبط^(٣) البنان إذا احتبى بنجاده غمر الجماجم والسماط^(٤) قيام
وقال عنتره:

بطل كأن ثيابه في سرحة يُحذى نعال السبت ليس بتوأم
وقولها: رفيع العماد، إنما تريد ذلك يقال رجل مُعمد أي طويل. ومنه قوله عز وجل: ﴿إِرم ذات العماد﴾^(٥) أي الطوال. وقولها: ما عالهم، أي نابهم ونزل بهم. تقول العرب ما عالك فهو عائلي، أي ما نابك فهو نائبي، ومن ذا قول كثير:

با عين بكى للذي عالني منك بدمع مُسيل هامل
ومن جيد قولها:

(١) تأنق فيها: عملها ياتقان وحكمة.

(٢) ينوس: يتحرك.

(٣) السبط: بالفتح ضد الجعد.

(٤) السماط: الصف.

(٥) سورة النجر: الآية رقم ٧.

أَبْعَدَ ابْنُ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيبِ إِذَا حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالُهَا
لَعَمْرُ أَبِيهِ لِنِعْمِ الْفَتَى إِذَا النَّفْسُ أَعْجَبَهَا مَا لَهَا
فَإِنْ تَكُ مُرَّةً أُوذْتُ بِهِ فَقَدْ كَانَ يُكْثِرُ تَقْتَالُهَا
فَخَرَّ الشَّوَامِخُ مِنْ فَقْدِهِ وَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالُهَا
فَمَمَّتْ بِنَفْسِي كُلَّ الْهَمُومِ فَأُولَى لِنَفْسِي أُولَى لَهَا
لَأَحْمِلَ نَفْسِي عَلَى آلِهِ فَأَمَّا عَلَيْهَا وَإِمَّا لَهَا

قولها: حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالُهَا، حَلَّتْ مِنَ الْحَلْيِ، تقول زينتُ به الأرضَ الْمَوْتَى، وقال المفسرون في قول الله عز وجل: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾^(١). قالوا الموتى. وقولها: لِنِعْمِ الْفَتَى إِذَا النَّفْسُ أَعْجَبَهَا مَا لَهَا، تقول: يَجُودُ بِمَا هُوَ لَهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُؤَثِّرُهُ أَهْلُهُ عَلَى الْحَمْدِ، وَالشَّوَامِخُ الْجِبَالُ وَالشَّامِخُ الْعَالِي، وَيُقَالُ لِلْمَتَكْبِرِ شَمَخَ بَأَنفِهِ. وقولها على آله، أي على حالة، وعلى خُطَّةٍ هِيَ الْفَيْضَلُ، فَأَمَّا ظَفِرْتُ وَإِمَّا هَلَكْتُ. وقولها فَأُولَى لِنَفْسِي أُولَى لَهَا، يقول الرجل: إِذَا حَاوَلَ شَيْئاً فَأَفْلَتَهُ مِنْ بَعْدِمَا كَادَ يَصِيبُهُ، أُولَى لَهُ. وَإِذَا أَفْلَتَ مِنْ عَظِيمَةٍ، قَالَ: أُولَى لِي. وَيُرْوَى عَنْ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِذَا مَاتَ مِيتٌ فِي جُوَارِهِ أَوْ فِي دَارِهِ، أُولَى لِي، كَيْدْتُ وَاللَّهِ أَكُونُ السَّوَادَ الْمُخْتَرَمَ، وَقَدْ مَضَى هَذَا مُفْسِراً. وَأُنْشِدَ لِرَجُلٍ يَقْتَنِصُ إِذَا أَفْلَتَهُ الصَّيْدَ، قَالَ: أُولَى لَكَ، فَكَثُرَ ذَلِكَ مِنْهُ فَقَالَ:

فَلَوْ كَانَ أُولَى يُطْعِمُ الْقَوْمَ صَدْتَهُمْ وَلَكِنْ أُولَى بَتَرَكَ الْقَوْمَ جُوعاً

رثاء الخنساء لأخيها معاوية

وقالت الْخَنْسَاءُ تَرثِي أَخَاهَا مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرٍو، وَكَانَ مَعَاوِيَةُ أَخَاهَا لِأَبِيهَا وَأُمِّهَا، وَكَانَ صَخْرٌ أَخَاهَا لِأَبِيهَا، وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهَا، وَكَانَ صَخْرٌ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ مِنْهَا بِأُمُورٍ مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ مَوْصُوفاً بِالْجِلْمِ وَمَشْهُوراً بِالْجُودِ، وَمَعْرُوفاً بِالتَّقَدُّمِ فِي

(١) سورة الزلزلة: الآية رقم ٢.

الشجاعة، ومَحْظُوظاً في العَشيرة:

أَرِيقِي مِنْ دُمُوعِكَ وَاسْتَفِيقِي
وَقُولِي أَنْ خَيْرَ بَنِي سُلَيْمٍ
أَلَا هَلْ تَرَجِعُنْ لَنَا اللَّيَالِي
وَإِذْ نَحْنُ الْفَوَارِسُ كُلُّ يَوْمٍ
وَإِذْ فِينَا مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو
فَبَكِّيهِ فَقَدْ أَوْدَى حَمِيداً
فَلَا وَاللَّهِ لَا تَسْلَاكَ نَفْسِي
وَلَكِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْراً
وَصَبُوراً إِنْ أَطَقْتَ وَلَنْ تُطِيقِي
وَفَارِسَهَا بِصُخْرَاءِ الْعَقِيقِ
وَأَيَّامُ لَنَا بِلَوَى الشَّقِيقِ
إِذَا حَضَرُوا وَفَتَيَانُ الْحُقُوقِ
عَلَى أَدْمَاءٍ كَالْجَمَلِ الْفَنِيقِ
أَمِينَ الرَّأْيِ مَحْمُودَ الصَّدِيقِ
لِفَاحِشَةٍ أَتَيْتِ وَلَا عُقُوقِ
مِنَ النَّعْلَيْنِ^(١) وَالرَّأْسِ الْحَلِيقِ

قولها: أَرِيقِي مِنْ دُمُوعِكَ وَاسْتَفِيقِي، معناه أَنْ الدَّمْعَةَ تُذْهِبُ اللَّوْعَةَ.

ويروى عن سليمان بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوب لعمر بن عبد العزيز وَرَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ: إِنْني لَأَجِدُ فِي كَبْدِي جَمْرَةً لَا تَطْفِئُهَا إِلَّا عَبْرَةٌ، فقال عمر: أَذْكَرَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَيْكَ الصَّبْرُ، فنظر إلى رجاء بن حيَّوَةَ كَالْمُسْتَرِيحِ إِلَى مَشُورَتِهِ، فقال له رجاء: أَفْضَلُهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا بِذَاكَ مِنْ بَأْسٍ فَقَدْ دَمَعْتُ عَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَالَ: الْعَيْنُ تَدْمَعُ وَالْقَلْبُ يُوجَعُ وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ وَإِنَّا بِكَ إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ. فَأَرْسَلَ سُلَيْمَانُ عَيْنَهُ، فَبَكَى حَتَّى قَضَى أَرْبَاءً. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ: لَوْلَمْ أَنْزِفْ هَذِهِ الْعَبْرَةَ لَأَنْصَدَعَتْ كَبْدِي. ثُمَّ لَمْ يَبْكْ بَعْدَهَا وَلَكِنَّهُ تَمَثَّلَ عِنْدَ قَبْرِهِ لَمَّا دَفَنَهُ وَحَثَا عَلَى قَبْرِهِ التُّرَابَ، وَقَالَ: يَا غَلَامُ دَابَّتِي، ثُمَّ وَقَفَ مُلْتَفِتاً إِلَى قَبْرِهِ فَقَالَ:

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ مُقِيمٍ بِقَفْرَةٍ مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقٍ

عودة إلى تفسير ما قالت الخنساء

رجعنا إلى تفسير قولها. وقولها: وَصَبُوراً إِنْ أَطَقْتَ وَلَنْ تُطِيقِي، كقول

(١) مِنَ النَّعْلَيْنِ: مَا تَلْدَمُ بِهِ وَجْهَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ.

القائل : إن قدرت على هذا فافعل . ثم أبانت عن نفسها ، فقالت : ولن تطيق . وقولها : فلا والله لا تسلاك نفسي . تريد لا تسلو عنك ، كقوله عز وجل : ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(١) أي كالوا لهم أو وزنوا لهم . وقولها : لفاحشة أتيت ولا عقوق ، معناه لا أجد فيك ما تسلو نفسي عنك له ، ثم اعتذرت من إقصارها بفضل الصبر فقالت :

ولكنني رأيت الصبر خيراً من النعلين والرأس الحليق
تأويل النعلين : أن المرأة كانت إذا أصيبت بحميم جعلت في يديها
نعلين تُصَفَّقُ بهما وجهها وصدرها ، قال عبد مناف بن ربيع الهذلي :

ماذا يغير ابنتي ربيع عويلهما لا ترقدان ولا يؤسى لمن رقدا
كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصباً من بطن حلية لا رطباً ولا نقدا
إذا تأوب نوح قامتا معه ضرباً أليماً بسبت يلعج الجلدا
قوله : ماذا يغير ابنتي ربيع عويلهما ، يعني أخته يقول : ماذا يرؤ عليهما العويل
والسهر ، وقوله كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصباً أراد لترديد النائحة صوتاً كأنه
زمر ، وإنما يعني بالقصب المزمار ، قال الراعي :

زجل الحذاء كأن في خيزومه قصباً ومقنعة الحنين عجولا

(قال الأخفش : الزجل اختلاط الصوت الذي لصوته تطريب ، والحيزوم
الصدر ، وقصباً يعني زماراً شبه صوت الحادي بالمزمار ، وصوت مقنعة يعني
ناقة . ثم حذف الصوت وأقام مقنعة مقامه) وقال عنترة :

بركت على ماء الرداع كأنما^(٢) بركت على قصب أجش^(٣) مهضم^(٤)

قال الأصمعي : هو نرمناي ، وقوله : لا رطباً ولا نقداً ، يقول : ليس برطب

(١) سورة المطففين : الآية رقم ٣ .

(٢) ماء الرداع : بكسر الراء .

(٣) أجش : الغليظ الصوت .

(٤) مهضم : فيه رخاوة .

لا يبين فيه الصوت، ولا بمؤتكل. يقال: نَقَدْتُ السِّنَّ إِذَا مَسَهَا اثْتِكَالٌ،
وكذلك القَرْنُ. قال الشاعر:

(يَأْلُمُ قَرْنًا أَرَوْمُهُ نَقْدٌ) وقوله: بسبت، يعني المُنْجَرْدَةَ، ويلعب يُؤثِّرُ واحتاج
إلى تحريك الجِلْدِ فَاتَّبَعَ آخره أوله، وكذلك يجوز في الضرورة في كل شيء
ساكن. وأما قول الفرزدق:

خَلَعْنَ حُلِيِّهِنَّ فَهِنَّ عُظْلٌ ويعن به المُقَابِلَةُ التَّوَامَا

يعني اشترين النعال، فليس هذا من هذا الباب، إنما سُبِينُ فاشترين نعالاً
للخدمة، وكذلك قوله:

أَخِذْنِ حَرِيرَاتٍ وَأَبْدَيْنِ مِجْلَدًا ودار عليهنَّ المُنْقَشَةُ الصُّفْرُ

يعني القِدَاح، يقول: سُبِينُ فاقْتَسِمْنَ بِالْقِدَاحِ.

مقتل معاوية أخى الخنساء

وإنما قالت الخنساء هذا الشعر في معاوية أخيها قبل أن يُصَابَ صَخْرُ
أخوها، فلما أُصِيبَ صَخْرُ تَسَيَّتَ بِهِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ. وكان معاوية فارساً شجاعاً،
فأغار في جميع من بني سليم على غطفان، وكان صميم خيلهم، فنذِرَ به
القوم فاحتَرَبُوا فلم يزل يَطْعُنُ فيهم ويضرب. فلما رأوا ذلك تهيأ له ابنا حرملة
دُرَيْدٌ وهاشم، فاستطردا له أحدهما، فحمل عليه معاوية فطعنه، وخرج عليه
الآخر وهو لا يشعر فقتله، فتنادى القوم قُتِلَ معاوية. فقال خُفَافُ بْنُ نُدْبَةَ:
قتلني الله إن رميت حتى أثارَ به. فَحَمَلَ عَلَى مَالِكِ بْنِ حِمَارٍ، وهو سيد بني
شَمْخِ بْنِ فِزَارَةَ فقتله، وقال:

فَإِنْ تَكْ خَيْلِي قَدْ أُصِيبَ صَمِيمُهَا فَعَمْدًا عَلَى عَيْنِي تَيَمَّمْتُ مَالِكَا
وَقَفْتُ لَهُ عَلَوَى^(١) وَقَدْ خَامَ^(٢) صَحْبَتِي لِأَبْنِي مَجْدًا أَوْ لِأَنَارِ هَالِكَا

(١) علوى: إسم فرسه.

(٢) خام: نكص وجبن.

أقول له والرمح ياطرمتته^(١) تأمل خفافاً إنني أنا ذلكا

فلما دخلت الأشهر الحرم، ورد عليهم صخر، فقال: أيكم قاتل أخي؟ فقال أحد ابني حرملة للآخر: خبره! فقال: استطرذت له فطعني هذه الطعنة، وحمل عليه أخي فقتله، فأينا قتلت فهو ثأرك. أما إنا لم نسلب أخاك، قال: فما فعلت فرسه السمي؟ قال: ها هي تلك فخذها، فانصرف بها. ف قيل لصخر: ألا تهجوهم؟ فقال: ما بيني وبينهم أقذع^(٢) من الهجاء، ولو لم أمسك عن سبهم إلا صيانة لللساني عن الخنا لفعلت، ثم خاف أن يُظن به عيٌّ فقال:

وعاذلة هبت بليل تلومني
تقول ألا تهجو فوارس هاشم
أبي الشتم أني قد أصابوا كريمي
إذا ما امرء أهدى لميت تحية
وهون وجدي أنني لم أقل له
كذبت ولم أبخل عليه بماليا



قال أبو عبيدة: فلما أصاب دُرَيْدًا زاد فيها:

وذي إخوة قطعت أرحام بينهم
كما تركوني واجداً لا أخاليا
قال أبو الحسن الأخفش: وزادني الأخول بعد قوله معاوية:

لنعم الفتى أدنى ابن صرمة بزة
إذا راح فحل الشول أجذب عاريا
قال أبو العباس: فلما انقضت الأشهر الحرم جمع لهم ليغير عليهم، فنظرت غطفان إلى خيله بموضعها، فقال بعضهم لبعض: هذا صخر بن الشريد على فرسه السمي، ف قيل: كلاً السمي غراء وكان قد حمم غزتها^(٣) فأصاب فيهم وقتل دُرَيْد بن حرملة، وأما هاشم فإن قيس بن الأسوار الجشمي

(١) ياطرمتته: يشني للينه.

(٢) أقذع في الهجاء: أفحش.

(٣) الغرة: بالضم بياض في الجبهة.

من جُشْمُ بن هُوَازن بن منصور لقيهم منصرفين كل واحد منهم من وجهه، فرآه وقد انفرد لحاجته، فقال: لا أطلب بمعاوية بعد اليوم فأرسل عليه سهماً ففلق قُحُقْحَهُ^(١)، فقالت الخنساء:

فَدَى لِلْفَارِسِ الْجُشْمِي نَفْسِي وَأَفْدِيهِ بَمَنْ لِي مِنْ حَمِيمٍ
فَدَاكَ الْحَ حَيُّ بَنِي سُلَيْمٍ بظاعنهم وبالأُنسِ^(٢) المَقِيمِ
كَمَا مِنْ هَاشِمٍ أَقْرَرْتُ عَيْنِي وَكَانَتْ لَا تَنَامُ وَلَا تُنِيمُ^(٣)

فأما صخر فسندكر مَقْتَلَهُ مع انقضاء ما نذكر من مراثي الخنساء إياه، قالت الخنساء:

أَلَا يَا صَخْرُ إِنْ أَبَكَيْتَ عَيْنِي لَقَدْ أَضْحَكْتَنِي دَهْرًا طَوِيلًا
بَكَيْتُكَ فِي نِسَاءٍ مُعُولَاتٍ وَكُنْتُ أَحَقُّ مَنْ أَبَدِي الْعَوِيلَا^(٤)
دَفَعْتُ بِكَ الْجَلِيلَ وَأَنْتَ حَيٌّ فَمَنْ ذَا يَدْفَعُ الْخُطْبَ الْجَلِيلَا
إِذَا قُبِحَ الْبُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ رَأَيْتُ بِكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَا
وَقَالَتْ أَيْضًا:

تَعْرِفَنِي^(٥) الدَّهْرُ نَهْسًا^(٦) وَجَزَا^(٧) وَأَوْجَعَنِي الدَّهْرُ قَرْعًا^(٨) وَغَمَزًا^(٩)
وَأَقْنَى رَجَالِي فَبَادُوا مَعًا فَاصْبَحَ قَلْبِي بِهِمْ مُسْتَفْزَا^(٩)
كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا جَمِيًّا يُتَّقَى إِذَا النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزَا^(١٠)

(١) القحقع: العظم المحيط بدبره.

(٢) الأنس: الجماعة الكثيرة.

(٣) تنيم: ترى نائمة.

(٤) العويل: رفع الصوت بالبكاء.

(٥) تعرفني: اضعفني وصل جسمي متسعار من قولك تعرفت العظم إذا أخذت ما عليه بأسنانك.

(٦) النهس: أخذ اللحم بأطراف الاسنان.

(٧) القرع: الضرب بسوط ونحوه.

(٨) الغمز: النخس بأطراف الأصابع وهذا تمثيل كما أصابها من محن الدهر ومصائبه.

(٩) مستفزاً: منزعجا، مفزعاً.

(١٠) من عزبزا. أي أن الناس عند اشتداد الأمر وتفاقم الخطب تقول من عزبزا.

وكانوا سراة بني مالك
 وهم في القديم سراة الأديم
 وهم منحو جازهم والنسا
 غداة لقوهم بملومة^(١)
 وخيل تكدس^(٢) بالدرعين
 فيض الصفاح وسمر الرماح
 جززنا نواصي فرسانهم
 ومن ظن ممن يلاقي الحروب
 نعرف ونعرف حق القرى

وزين العشيرة مجداً وعزاً
 هم والكائنون من الخوف جزاً
 يحفز أحشاءها الخوف حفزاً^(١)
 رداح تغادر للأرض ركزاً
 تحت العجاجة يجمزون جمزاً
 فبالبيض ضرباً وبالسمر وخزاً
 وكانوا يظنمون ألا تجزاً
 بأن لا يصاب فقد ظن عجزاً
 وتتخذ الحمد ذخراً وكنزاً

وكان سبب قتل صخر بن عمرو بن الشريد، أنه جمع جمعاً وأغار على
 بني أسد بن خزيمه، فنذروا به فالتقوا، فاقتلوا قتلاً شديداً، فرفض أصحاب
 صخر عنه وطعنه أبو نور طعنه في جنبه استقل بها، فلما صار إلى أهله تعالج
 منها فتناً من الجرح كمثل اليد فأضناه ذلك حولا، فسمع سائلاً يسأل امرأته
 وهو يقول: كيف صخر اليوم؟ فقالت: لا ميت فينقى ولا صحيح فيرجى.
 فعلم أنها قد برمت به، ورأى تحرق أمه عليه، فقال:

أرى أم صخر ما تجف دموعها
 وما كنت أخشى أن أكون جنازة
 أهدم بأمر الحزم لو أستطيعه
 لعمري لقد أنبئت من كان نائماً
 فأني امرئ ساوى بأمر حليمة

وملئت سليمى مضجعي ومكاني
 عليك ومن يغتر بالحديان
 وقد جيل بين العير والنزوان
 وأسمعت من كانت له أذنان
 فلا عاش إلا في شقى وهوان

ثم عزم على قطع ذلك الموضع، فلما قطعه يئس من نفسه، فبكاها
 فقال:

(١) حفز: دفع.

(٢) ملومة: كثيرة.

(٣) تكدس: تسرع والدارعون من عليهم دروع من الانسان وغيره عدا عدواً دون الحضرة.

أيا جارتا إنَّ الخُطوبَ غريب
من الناس كلَّ المخطئين تُصيبُ
أيا جارتا إنا غريبان ههنا
وكلُّ غريب للغريب نسيبُ
كأنِّي وقد أدنوا إليَّ شِفَارَهُمْ^(١)
من الأدمِ مصقُولُ السَّراةِ نَكيبُ

قال أبو العباس: ومن حُلُو المراثي وحسن التأيين شعرُ ابن مُناذِر، فإنه كان رجلاً عالماً مقدِّماً شاعراً مُعَلِّقاً، وخطيباً مصقَّعاً وفي دهر قريب، فله في شعره شِدَّةُ كلام العرب بروايته، وأدبه وخلاوة كلام المُحدَثين بعصره ومشاهدته ولا يزال، وقد رَمَى في شعره بالمثلِ السائر، والمعنى اللطيف، واللفظ الفخْمُ الجليل، والقول المُتسبي النَّبيل. وقصيدته لها امتداد وطول وإنما نُملِي منها ما اخترنا من نحو ما وصفنا. قال يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب الثَّقَفِي، وكان به صَباً واغْتَبِطَ عبدُ المجيد لعشرين سنة من غير ما علَّة. وكان من أجمل الفتيان وآدبهم، وأظرفهم فذلك حيث يقول ابن مُناذِر:

حين تَمَّتْ آدابه وتَرَدَى
برداءٍ من الشَّبابِ جَدِيدِ
وسَقَاهُ ماءُ الشَّيْبَةِ فاهْتَزَى
اهتزاز الغُضِّ النَّدي الأملود^(٢)
وسَمَتْ نَحْوَهُ العيونُ وما كا
ن عليه لزائدٍ من مَزِيدِ
وكأنِّي أدعوه وهو قريبُ
اهتزاز الغُضِّ النَّدي الأملود^(٣)
فلئن صار لا يجيبُ لقد كا
حين أدعوه من مكان بعيدِ
يا فتى كان للمُقاماتِ زِيناً
ن سَمِعاً هَشّاً^(٣) إذا هو نُودي
لَهْفَ نَفْسِي أَمَا أراك وما عند
لا أراه في المُحْفَلِ المشهودِ
كان عبْدُ المَجدِ سَمُّ الأَعادي
خُتَّتْكَ الوُدُّ لَمْ أَمِتْ كَمَدّاً بعد
لو فَدَى الحَيُّ مَيْتاً لَفَدَتْ نَفْسُ

(١) الشفار بالكسر: جمع شفرة بالفتح وهي السكين العظيم وما عرض من الحديد.

(٢) الأملود: بالضم: الناعم اللين.

(٣) الهش: بالفتح من الهشاشة وهي الخفة والنشاط.

ولئن كنت لم أمت من جوى الحز
لأقيم مآتما كنجوم الليل
موجعات يتيك للكد الحري
ولعين مطروفة أبدا قا
كلما عزك البكاء فأنفذ
لفتى يحسن البكاء عليه
وأول هذا الشعر:

كل حي لاقى الحمام فمودي
لا تهاب المنون شيئا ولا تر
يقذح الدهر^(٢) في شماريخ^(٣) رضوى^(٤)
ولقد ترك الحوادث والأيام
وفي هذا الشعر مما استحسنته:

أين رب الحصن الحصين بسورا
شاد أركانه وبوئه بلا
كان يجبي إليه ما بين صنعا
وترى خلفه زرافات خيل
وزب القصر المنيف المشيد
بي جديد وحفقه بجنود
فمضر إلى قرى بيرو^(٥)
جافلات تعدو بمثل الأسود

(١) العميد: الحزين، شديد الحزن.

(٢) يقذح الدهر: يؤثر فيه.

(٣) شماريخ واحدها شمراخ وهو الجبل العالي.

(٤) رضوى: جبل بالمدينة.

(٥) هبود: تنور وهو ماء لا ميل ولا موضع وإنما الجبل اسمه عبود بالعين المهملة لا بالهاء ولعله الرواية.

(٦) الوهي: مصدر قولك وهي الحائط وغيره إذا ضعف واسترخى.

(٧) الصنجد: الشديدة.

(٨) بيرو: يرجح أن يكون المقصود بيروت، فقد ذكر اليمن ومصر والشام على هذا الشكل.

فَرَمَى شَخْصَهُ فَأَقْصَدَهُ الدَّهْرُ
 ثُمَّ لَمْ يُنْجِهِ مِنَ الْمَرَاتِ جِصْنُ
 وَمُلُوكُ سَنَ قَبْلَهُ غَمَرُوا الْأَرَضِينَ
 فَلَوْ أَنَّ الْأَيَّامَ أَخْلَدَنَ حَيًّا
 مَا دَرَى نَفْسُهُ وَلَا حَامِلُوهُ
 وَيَنْحَ أَيْدٍ حَثَّتْ عَلَيْهِ وَأَيْدٍ
 إِنْ عَبْدَ الْمَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى
 (وَأَرَانَا كَالزَّرْعِ يَحْصُدُهُ الدَّهْرُ
 وَكَأَنَّا لِلْمَوْتِ رَكْبٌ مُخْبَوُّونَ
 هَذَا رُكْنِي عَبْدُ الْمَجِيدِ وَقَدْ كُنْتُ بَرَكْنَ أَنْوَّهُ مِنْهُ شَدِيدِ

(فَبَعْدَ الْمِجْدِ تَأْمُورٌ^(١)) نَفْسِي
 وَبَعْدَ الْمَجِيدِ شَلَّتْ يَدَيَّ الْيَمْنَى
 وَفِي هَذَا الشَّعْرُ:

فَبِرْغَمِي كُنْتُ الْمُقَدَّمُ قَبْلِي
 كُنْتُ لِي عِصْمَةٌ وَكُنْتُ سَمَاءً بِكَ تَحْيَا
 قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ تُقَدِّمُ مِرَاثِي وَتَفْضُلَهَا، وَتَرَى قَائِلَهَا بِهَا
 فَوْقَ كُلِّ مُؤَنٍّ، وَكَأَنَّهَا يَرُونَ مَا بَعْدَهَا مِنَ الْمِرَاثِي مِنْهَا أُخِذَتْ، وَفِي كَنْفِهَا
 تَصْلُحُ. فَمِنْهَا قَصِيدَةُ أُعْشَى بَاهِلَةً، وَيُكْنَى أَبَا قَحَافَةَ الَّتِي يَرِثِي بِهَا الْمُتَشِيرُ بْنُ
 وَهْبِ الْبَاهِلِيِّ، وَكَانَ أَحَدَ رِجْلَيْ الْعَرَبِ (قَالَ الْأَخْفَشُ: هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى
 الرَّجُلِ) وَهُمْ السَّعَادَةُ السَّابِقُونَ فِي سَعِيهِمْ، وَكَانَ مِنْ خَبْرِهِ أَنَّهُ أَسْرَ صِلَاءَةَ بْنَ
 الْعَنْبَرِ الْحَارِثِيِّ، فَقَالَ أَفَدِ نَفْسَكَ، فَأَبَى. فَقَالَ: لَأَقْطَعَنَّكَ أُنْمَلَةً وَغُضُوءًا
 مَا لَمْ تَقْتَدِ نَفْسَكَ. فَجَعَلَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ، ثُمَّ حَجَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 الْمُتَشِيرُ ذَا الْخُلْصَةِ، وَهُوَ بَيْتٌ كَانَتْ خُثْعَمُ تَحْجُّهُ. زَعَمَ أَبُو عِيْدَةَ أَنَّهُ
 بِالْعَبَلَاتِ، وَأَنَّهُ مَسْجَدُ جَامِعِهَا فَذَلَّتْ عَلَيْهِ بَنُو نُفَيْلِ بْنِ كِلَابِ الْحَارِثِيِّينَ،

(١) تَأْمُورُ النَّفْسِ: إِنْتَعَاشُ الْجُدُودِ، نَهَضُهَا مِنْ عَثَرَتِهَا.

فقبضوا عليه، فقالوا: لنفعلن بك كما فعلت بصلاة، ففعلوا ذلك به، فلقي راكب أعشى باهلة، فقال له أعشى باهلة: هل من جائية خبر؟ قال: أسرت بنو الحرث المنتشر، وكانت بنو الحرث تسمى المنتشر مجذعا، فلما صار في أيديهم، قالوا: لنقطعنك كما فعلت بصلاة، فقال أعشى باهلة يرثي المنتشر:

إني أتني لسان لا أسر بها
فبت مرتفقا للنجم أرقبه
فجاشت النفس لما جاء جمعهم
يأتي على الناس لا يلوي على أحد
ينعى امرءا لا تغب الحي جفته^(١)
من ليس في خيره شر يكدره
طاوى المصير على العزاء منصلت
لا تنكر البازل^(٢) الكوماء^(٣) ضربته
وتفرغ الشول منه حين تبصره
لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه
نكفيه فلذة كبد إن ألم بها
لا يتأري لما في القدر يرقبه
لا يغمز الساق من أين^(٤) ولا وصب
مهفهف^(٥) أهضم الكشحين^(٦) منخرق

من عل لا عجب منها ولا سخر
خير إن ذا حذر لو ينفع الحذر
وراكب جاء من تثليث^(٧) معتمر^(٨)
حتى التقينا وكانت دوننا مضر
إذا الكواكب أخطا نوءها الماطر
على الصديق ولا في صفوه كدر
بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر
بالمشرفي إذا ما أجلود السفر
حتى تقطع في أعناقها الجزر
وكل أمر سوى الفحشاء ياتمر
من الشواء ويكفي شربه الغمر
ولا تراه أمام القوم يقتغر
ولا يعض على شرسوفه الصفر
عنه القميص لسير الليل مختقر

(١) تثليث: موضع.

(٢) معتمر: القاصد إلى الشيء أو الزائر.

(٣) لا تغب الحي جفته: لا تغيب عن أحد الحي وقوله إذا الكواكب: يريد وقت المحل والقحط وذلك يكون زمن البرد.

(٤) البازل في الإبل: الذي بلغ ثمان سنين ودخل في التاسعة.

(٥) الكوماء: عظمة السنام.

(٦) الأين: التعب.

(٧) مهفهف: ضامر البطن.

(٨) أهضم الكشحين: لطيف الكشحين.

عِشْنَا بِذَلِكَ دَهْرًا ثُمَّ فَارَقْنَا
 (فَإِنْ جَزَعْنَا فَقَدْ هَدَّتْ مُصِيبَتُنَا
 إِنِّي أَشَدُّ حَزِيمِي ثُمَّ يُذَرِكُنِي
 لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمَسَاهُ وَمُصْبَحَهُ
 أَمَا يُصِيبُكَ عَدُوٌّ فِي مُبَاوَاةٍ
 لَوْ لَمْ تَخُنْهُ نَفِيلٌ وَهِيَ خَائِنَةٌ
 وَرَأْدُ حَرْبٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
 أَمَا سَلَكَتَ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكَهَا
 مَنْ لَيْسَ فِيهِ إِذَا قَاوَلْتَهُ رَهَقُ
 كَذَلِكَ الرُّمَحُ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ
 وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعْشَرُ صَبْرُ
 مِنْكَ الْبَلَاءُ وَمِنْ آلائِكَ الذِّكْرُ
 مِنْ كُلِّ أَرْبٍ وَإِنْ لَمْ يَأْتِ يُتَنَظَّرُ
 يَوْمًا فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَعْلِي وَتَتَصَبَّرُ
 أَلَمْ بِالْقَوْمِ وَرَدُّ مِنْهُ أَوْ صَدْرُ
 كَمَا يَضِيءُ سَوَادُ السَّطْحِيَةِ الْقَمَرُ
 فَاهْبِ فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ مَتَشِيرُ
 وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا عَاسَرْتَهُ عَسَرُ

في بعض جموع العرب

قوله: إِنِّي أَتَنِي لِسَانٌ، يقال هو اللسان، وهي اللسان. فَمَنْ ذَكَرَ فَجَمَعَهُ
 أَلْسِنَةً، ونظيره حِمَارٌ، وَأَحْمَرَةٌ وَفَرَّاشٌ وَأَفْرَشَةٌ، وَإِزَارٌ وَأَزْرَةٌ. وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ:
 لِسَانٌ وَأَلْسُنٌ، كَمَا تَقُولُ ذِرَاعٌ وَأَذْرُعٌ وَكِرَاعٌ وَأَكْرُعٌ لَا تَبَالِي، أَمْضُمُومُ الْأَوَّلِ
 كَانَ أَمْ مَفْتُوحًا أَوْ مَكْسُورًا، إِذَا كَانَ مُؤَنَّنًا. إِلَّا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ شِمَالٌ وَأَشْمَلُ
 قَالَ أَبُو النَّجْمِ: (يَأْتِي لَهَا مِنْ أَيْمَنِ وَأَشْمَلٍ) وَقَالَ آخِرُ أَشْدَنِيهِ الْمَازِنِي:

فَظَلْتُ تَكُوسُ^(١) فِي أَكْرُعٍ ثَلَاثٌ وَكَانَ لَهَا أَرْبَعُ
 وَأَرَادَ بِاللِّسَانِ هَهُنَا الرِّسَالَةَ. وَقَوْلُهُ: مِنْ عَلٍ: يَقُولُ مِنْ فَوْقَ، فَإِذَا كَانَ
 مَعْرِفَةً مَفْرُودًا بُنِيَ عَلَى الضَّمِّ كَقَبْلُ وَبَعْدُ وَإِذَا جَعَلْتَهُ نَكْرَةً نَوْنَةً، وَصَرَفْتَهُ كَمَا
 قَالَ جَرِيرٌ:

إِنِّي انْصَبَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يَا فَرَزْدَقُ مِنْ عَلٍ
 وَالْقَوَافِي مَجْرُورَةٌ وَإِنْ شِئْتَ رَدَدْتَ مَا ذَهَبَ مِنْهُ، وَهِيَ أَلْفٌ مَنْقَلِيَّةٌ مِنْ
 وَاوٍ، لِأَنَّ بِنَاءَهُ فَعَلٌ مِنْ عَلَا يَا فَتَى، قَالَ الرَّاجِزُ:

(١) تَكُوسُ: الْبَعِيرُ تَمَشِي عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ.

وهي تنوش الحوض نَوْشاً^(١) من علا نَوْشاً به تَقْطَعُ أجوار الفلا^(٢)

وقوله: فَبِتُّ مرتفقاً، وهو المتكىء على مِرْفَقِهِ، وإنما أراد السهر، كما قال أبو ذؤيب:

إِنِّي أَرَقْتُ فَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقاً كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ

وقوله: جاشت النفس، يقول: خَبِثَتْ يكون ذلك من تذكرها للتَهَوُّعِ، ومن جَزَعها منه. ويروى عن معاوية أنه قال: اجعلوا الشعر أكثر همِّكم وأكثر آدابكم، فإن فيه مآثر أسلافكم ومواضع إرشادكم، فلقد رأيتني يوم الهَرِيرِ، وقد عَزَمْتُ على الفِرَارِ. فما يَرُدُّني إلا قول ابن الإطنابة الأنصاري:

أَبَتْ لِي عِفَّتِي وَأَبَى بَلَاثِي وَأَخَذِي الْحَدَّ بِالثَّمَنِ الرِّيحِ
وَأَجْشَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةً الْبَطْلِ الْمُشِيحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَّاتُ وَجَشَّاتُ مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تُسْتَرِيحِي

يقال: جَشَّاتُ مهموز، وجَشَّاتُ غير مهموز، وتثليث موضع بعينه
وقوله: لا يلوي على أحد، يقال: استقام فلانٌ فما لَوَى^(٣) على أحد، ويقال:
أَلَوَى بالشيء إذا ذهب به. وقوله: إذا الكواكب أخطأ نوءها المطر، فالنَّوَاءُ
عندهم طلوع نجمٍ وسقوط آخر، وليس كلُّ الكواكب لها نوء، وإنما كانوا
يتقولون هذا في أشياء بعينها. ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: إذا ذُكِرَتِ
النجومُ فأمسكوا، يعني أَمَرَ الأنواءَ لم يختلف في ذلك المفسرون. وعنه عليه
السلام في غِبِّ سَمَاءٍ: أتدرون ما قال ربكم تبارك وتعالى قال: «أصبح
عبادي مؤمناً بي وكافراً بالكواكب وكافراً بي ومؤمناً بالكواكب»^(٤). فأما المؤمنُ
بي الكافر بالكواكب، فهو الذي يقول: مُطِرْنَا بنوء الرِّحْمَةِ، والمؤمن بالكواكب

(١) النوش: الطلب والاسراع يقول إن هذه الأيد تسرع إلى الحوض.

(٢) أجواز الفلا: أوساطها.

(٣) لوى على التفت عليه... عطف عليه...

(٤) حديث قدسي.

الكافر بي الذي يقول: مُطَرْنَا بنوء كذا. والنَّوْءُ مهموز، وهو من قولك ناء
 بِجَمْلِهِ، أي استَقَلَّ به في ثَقُلَ. فالنَّوْءُ مهموز، وهو في الحقيقة الطالع من
 الكواكب لا الغائر. وكان الأصمعي لا يُفسِّرُ من الشَّعْرِ ما فيه ذكرُ الأنواء بل
 كان لا يسمع ما فيه هجاء أو كان فيه ذكر النجوم، ولا يفسِّرُ ما وافق تفسيره
 بعض ما في القرآن إلا ساهياً فيما يذكر أصحابه عنه. ويروى أنه سئل عن غير
 شيء من ذلك فأباه، وزَجَرَ السائل. وقوله: طاوي المصير، يقال لواحد
 المَصْرانِ مَصِيرٌ، وتقديره قَضِيبٌ وقُضْبَانٌ، وكَثِيبٌ وكُثْبَانٌ. والعزاء الأمر
 الشديد، يقال: فلان صابر على العزاء، كذلك الأواء، وكذلك الجُلَى
 مقصور. فأما العزاء والأواء. فممدودان. وقوله: منصلت وصلت، وهو
 السَّيْفُ إذا جُرِّدَ من عِمْدِهِ. وقوله: ليلة لا ماء ولا شجر، يريد القفر ووقت
 الصعوبة. وقوله: لا تنكر البازل الكوماء ضربته بالمشرفي. يقول: قد عَوَّدَ
 الإبل أن ينحرها. ومن شأنهم أن يعرقوها قبل النحر والمشرفي السيف، وهو
 منسوب إلى المَشَارِفِ. وقوله إجلوداً امتدَّ يعني، وأنشدني الزياتي لرجل من
 أهل الحجاز أحسبه ابن أبي ربيعة:

ألا حَبِّذا حَبِّذا حَبِّذا حَبِّبٌ تحملتُ منه الأذى
 ويا حَبِّذا بَرْدُ أنسابه إذا أظلمَ الليلُ واجلوداً

وقوله: حتى تَقَطَّعَ في أعناقها الجَزْرُ: يقول: حتى اعتادت أن ينحرها
 فهي تَفَرَّعُ منه حتى تَقَطَّعَ جَرَّتُها، ومثل هذا قول الخنوث:

سأبكي خليلي عَنَّتْراً بعد هَجْعَةٍ وَسَيْفِي مِرْداساً قَتِيلَ قَنان^(١)
 قَتِيلانٍ لا تبكي اللقحاحُ عليهما إذا شَبِعَتْ من قَرْمَلٍ وأفان

يقول: كانا ينحران الإبل فهي لا تجزع لفقدتهما، وقرمل وأفان ضربان
 من النبت، وشبيه بهذا قوله حيث يقول:

^(١) قَنان: بالفتح: جبل لبني أسد.

فلو كان سيفي باليمين تباشرت ضباب الملا من جمعهم بقتيل^(١)

يقول: هؤلاء قوم كانوا يحترشون الضباب، فكلما قُتل منهم واحد سُرَّت بذلك الضباب واستبشرت. وقوله: لا يتأري^(٢) لما في القدر يرقبه، يقول لا ينحبس له، ومن ذا سمي الأري لأنه محبس الدابة. وقوله: ولا تراه أمام القوم يقتفر، يقول: لا يسبقهم إلى شيء من الزاد. وقوله: ولا يعص على شرسوفه الصفر، الشراسيف أطراف الضلوع، والصفر ههنا حية البطن، وله مواضع. وقوله مهفهف يعني ضامراً، وأهضم الكشحين تأكيد له. وقوله: أما يصبك عدو في مباوأة، يقول في وتر يقال: باء فلان بكذا، كما قال مهلهل بؤيشع كليب، أي هو ثار بالشسع والطخية والطخية ثلاث لغات شدة الظلمة، وكان الذي أصابه هند بن أسماء الحارثي، ففي ذلك يقول:

أصبت في حرم منا أخت ثقة هند بن أسماء لا يهنئ لك الظفر

يقال: هنأه ذلك وهنأ له، كما تقول: هنأ لك، قال الأخطل:

إلى إمام تغاديننا فواضله أضفرة الله فليهنئ له الظفر

وقوله: وليس فيه إذا عاسرته عسرة، مدح شريف مثل قولهم: إذا عز أخوك فهن. وإنما هذا فيمن لا يخاف استدلاله بأن يخرج صاحبه عند مساهلته إلى باب الذل، فأما من كان كذلك فمعاسرته أحمد ومدافعته أمدح، كما قال جرير:

بشر أبو مروان إن عاسرته عسر وعند يساره ميسر

قال أبو العباس: ومن أشعار العرب المشهورة والمتخيرة في المراثي

(١) فلو كان سيفي: هذا الشاعر يقول لو كان معي سيفي لقتلت هؤلاء القوم وطرحتهم في الفلاة. الضباب الكريم فسر بهم وتشبع من لحومهم لأنهم كانوا يحترشونها.

(٢) لا يتأري لما في القدر أي لا يتحراه لعفته وطيب نفسه.

قصيدة مُتَمِّمِ بْنِ نُؤَيْرَةَ فِي أَخِيهِ مَالِكٍ، وسنذكر منها أبياتاً نختارها، من ذلك قوله:

أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَابِهِ
سَقَى اللَّهُ أَرْضاً حُلَّهَا قَبْرُ مَالِكِ
وَأَثَرَ سَيْلِ الْوَادِيَيْنِ بِدِيْمَةٍ
تَحِيَّتُهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيًّا
فَمَا وَجَدُ أَظَارِ ثَلَاثِ رَوَائِمِ
يُذَكِّرُنْ ذَا أَلْبَثِ الْحَزِينِ بِبَيْتِهِ
بِأَوْجَعِ مِنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مَالِكاً
وفيها:

وَكُنَّا كَنُذْمَانِي جَذِيْمَةً حَقْبَةً
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكُ
وَعِشْنَا بِخَيْرِ فِي الْحَيَاةِ وَقَبْلُنَا
فَإِنْ تَكُنِ الْآيَامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا
تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِيِّ مَالِكُ بَعْدَمَا
فَقَلْتُ لَهَا طَوْلُ الْأَسَى إِذْ سَأَلْتَنِي
وَفَقَدُ بَنِي أُمِّ تَفَانُوا فَلَمْ أَكُنْ
وَلَسْتُ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَحْدَثَ نَكْبَةً
وَلَا فَرَحٍ إِنْ كُنْتُ يَوْمًا بِغُبْطَةٍ
وَلَكِنِّي أَمْضِي عَلَى ذَاكَ مُقَدِّمًا
فَعَمْرُكَ أَلَّا تُسْمِعَنِي مَلَامَةً
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
لطول اجتماع لم نبث ليلة معا
أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فقد بان محموداً أخي يوم ودعا
أراك حديثاً ناعم البال أفرعا
ولوعة حزن تترك الوجه أسفعا
خلافهم أن استكين وأسرعنا
ورزاً بزوار القرائب أخضعنا
ولا جزع أن ناب دهر فأوجعنا
إذا بعض من لاقى الخطوب تكعكعا (٣)
ولا تنكثي قرح الفؤاد فيبيجعا (٤)

(١) الغواضي : واحدها غادية وهي السحابة تنشأ غدوة.

(٢) المدجنات : التي طبقت الأفاق وأقطار السماء .

(٣) تكعكعا : ضعفا .

(٤) فيبيجعا : لغة من مضارع وجع .

وَقَضَرَكِ إِنِّي قَدْ شَهِدْتُ فَلَمْ أَجِدْ بِكَفَى عَنْهُ لَلْمَنِيَّةِ مَدْفَعَا
فَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى أَصَابَ مُتَالِعَا أَوْ الرُّكْنَ مِنْ سَلَمَى إِذَا لَتَضَعُضَعَا

وفي هذه القصيدة:

لَقَدْ كَفَّنَ الْمِنْهَالَ تَحْتَ رِدَائِهِ فَتَى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
وَلَا بَرَمَ تُهْدِي النِّسَاءَ لِعَرْسِهِ إِذِ الْقَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ تَقَعَّقَعَا^(١)
لَبِيئاً أَعَانَ اللَّبَّ مِنْهُ سَمَاحَةٌ خَصِيصاً إِذَا مَا زَائِدُ الْجَذْبِ أَوْضَعَا
تَرَاهُ كَنْضَلِ السِّيفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ امْرِئٍ السَّوْءِ مَطْمَعَا
إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ الْقِدَاحَ وَأَوْقَدَتْ لَهُمْ نَارُ أَيْسَارِ كَفَى مَنْ تَضَجَّعَا^(٢)
بِمَشْنَى الْأَيَادِي^(٣) ثُمَّ لَمْ تُلَفِ مَالِكَا عَلَى الْفَرَثِ يَحْمِي اللَّحْمَ أَنْ يُتَمَزَّعَا

وقوله: وقد طار السنا في ربابه، السنا الضوء، وهو مقصور، وقال الله
جل وعز: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾^(٤). والسنا من الحسب ممدود،
والرباب سحاب دون السحاب، كالمعلق بما فوقه. قال المازني:

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُونِ السَّحَابِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجُلِ

وقوله: يسح معناه يصب، فإذا قلت: يسحو أو يسحى فمعناه يقشر، ومن
ذا سُمِيتُ سَحَاءَةُ الْقِرْطَاسِ وَسَحَائَتُهُ. ومنه قيل للجديد التي يُقْشَرُ بِهَا وَجْهُ
الْأَرْضِ مِسْحَاءَةً قَالَ عَنَتْرَةُ:

سَحَا وَسَاحِيَةٌ فَكُلُّ قَرَارَةٍ يَجْرِي عَلَيْهَا الْمَاءُ لَمْ يَتَصَرَّمْ

وقوله: تريع أي كثر حتى جاء وذهب يقال: راع يريع إذا رجع، ومنه
سمي رَيْعُ الطَّعَامِ لِأَنَّهُ يَرْجِعُ بِفَضْلٍ. قال مُزَرَّدُ:

(١) تققععا: أدتا صوتاً.

(٢) تضجعاً: نام، أي قرأ في بيته، وهو ضعيف الرأي.

(٣) الأبادي: العطاء والجود.

(٤) سورة النور: الآية رقم ٤٣.

خَلَطَتْ بِصَاعِي عَجْوَةٍ صَاعٍ حَنْطَةٍ إِلَى صَاعٍ سَمْنٍ فَوْقَهُ يَتَرَيُّعُ
وَالذِّهَابُ الْأَمْطَارُ اللَّيْنَةُ، وَالْمُدْجَنَاتُ مِنَ السَّحَابِ السُّودِ، وَهُوَ مَأْخُودٌ مِنَ
الدَّجَنِ وَالذُّجْنَةِ، وَمَعْنَاهُ: الْبَاسُ الْغَيْنِ وَظَلَمَتُهُ، قَالَ طَرْفَةُ:
وَنُصِّيرُ يَوْمَ الدَّجَنِ وَالذُّجْنَ مُعْجَبٌ بِيَهْكَنَةٍ^(١) تَحْتَ الطَّرَافِ^(٢) الْمُمَدَّدِ
وَيَقَالُ: أَمْرَعُ الْوَادِي إِذَا أُخْصِبَ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مَوْلَاةِ ابْنِ الْأَجِيدِ عَنْ
أَوْفَى بْنِ دُلْهَمٍ، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: حَدَّثَنِي بِهِ ابْنُ الْمَهْدِيِّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
النَّحْوِيُّ يُحَدِّثُ بِهِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَوْلَاةِ ابْنِ الْأَجِيدِ عَنْ أَوْفَى.

تضييق العرب للنساء

قَالَ فِي النِّسَاءِ: أَرْبَعُ فَمِنْهُنَّ الصَّدْعُ تَفَرَّقُوا وَلَا تَجْمَعُ، وَمِنْهُنَّ مَنْ لَهَا
شَيْئُهَا أَجْمَعُ، وَمِنْهُنَّ غَيْثٌ وَقَعَ فِي بَلَدٍ فَأَمْرَعُ، وَمِنْهُنَّ التَّبَعُ تَرَى وَلَا تَسْمَعُ،
قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَجُلٍ فَقَالَ: وَمِنْهُنَّ الْقَرْئُوعُ، قُلْتُ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: الَّتِي
تَكْحُلُ عَيْنًا وَتَدْعُ الْأُخْرَى، وَتَلْبِسُ ثَوْبَهَا مَقْلُوبًا (قَالَ الْأَخْفَشُ: حَدَّثَنِي بِذَلِكَ
أَبَرُ الْعَيْنَاءِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ، وَذَكَرَ نَحْوَ ذَلِكَ) وَقَوْلُهُ: وَآثَرُ سَيْلِ الْوَادِيَيْنِ بِدِيمَةٍ:
زَعَمَ الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الدِّيمَةَ الْمَطَرُ الدَّائِمُ أَيَّامًا بِرَفْقٍ،
وَقَوْلُهُ: تَرَشَّحَ وَاسْمِيَّ أَيَّ تَهْيِئَتِهِ، لِذَلِكَ يَقَالُ فُلَانٌ: يُرَشَّحُ لِلْخِلَافَةِ، وَالْوَسْمِيُّ
أَوَّلُ مَطَرٍ يَسِمُ الْأَرْضَ، وَالْوَلِيُّ كُلُّ مَطَرَةٍ بَعْدَ مَطَرَةٍ فَالثَّانِيَةُ وَلِيُّ لِلْأُخْرَى لِأَنَّهَا
تَلِيهَا، وَالْجُرُوعُ كُلُّ عَوْدٍ ضَعِيفٍ. وَقَوْلُهُ: فَمَا وَجَدَ أَظَارَ جَمْعِ ظُفْرِ، وَهِيَ
النُّبَّةُ، تَعَطَّفَ عَلَى الْحَوَارِ فَتَأَلَّفَهُ. وَرَوَائِمُ وَاحِدَتُهَا رُؤُومٌ. وَمَعْنَى تَرَأُّمُهُ تَشْمُهُ،
وَالْحَوَارُ وَلَدُ النَّاقَةِ. وَيَقَالُ لَهُ حَيْثُ يَسْقُطُ مِنْ أُمِّهِ: سَلِيلٌ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهِ
الْأَسْمَاءُ فَإِنْ كَانَ ذَكَرًا فَهُوَ سَقَبٌ، وَإِنْ كَانَتْ أُنْثَى فَهِيَ حَائِلٌ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ
كَلِمَةُ حَوَارٍ سَنَةٍ. وَقَوْلُهُ: نَدْمَانِي جَذِيمَةٌ يَعْنِي جَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ الْأَزْدِيِّ، وَكَانَ

(١) يَهْكَنَةُ: الْمَرْأَةُ الْغَضَبَةُ الشَّابَّةُ.

(٢) الطَّرَافُ: الْكَسْبُ، بَيْتٌ مِنْ آدَمَ.

ملكاً، وهو الذي قتلته الزُّبَاء وهو أول من أوقدَ بالشمع ونصب المنجنيق للحرب. وله قصص تطول وقد شرحنا ذلك في كتاب الاختيار، ونديماه يقال لهما مالك وعَقِيلٌ، ففي ذلك يقول أبو خراش الهذلي:

ألم تعلمي أن قد تَفَرَّقَ قَبْلَنَا خَلِيلاً صَفَاءِ مَالِكٍ وَعَقِيلٍ
والمثل يضرب بهما لطول ما نادماه كما يُضْرَبُ باجتماع الفرقدين، قال عمرو بن معدي كرب:

وكل أخٍ مُفَارِقُهُ أخوه لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ

قال هذا من قبل أن يُسَلِّمَ. وقال اسمعيل بن القاسم:

ولم أرَ ما يدومُ له اجتماعٌ سَيَفْتَرِقُ اجتماعَ الْفَرَقْدَيْنِ

وقوله: أراك حديثاً ناعمَ البال أفرعاً، الأفرعُ: التامُّ شعر الرأس، وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: الفرعانُ خيرُ أم الصُّلعانُ، فقال بل الفرعان، وكان أبو بكر أفرعاً، وكان عمر أضلعٌ فوقع في نفسه أنه يُسأل عنه وعن أبي بكر، والأسفعُ الأسود، يقال سَفَعَتْهُ النارُ أي غَيَّرَتْ وَجْهَهُ إلى السواد. وقوله: فعمرك يقسم عليهما، ويقال: عَمْرُكَ اللَّهُ. أي أَذْكَرُكَ اللَّهُ، قال:

عَمْرُتُكَ^(١) اللَّهُ إِلَّا مَا ذَكَرْتَ لَنَا هل كنتِ جارتنا أيامَ ذي سَلَمٍ

وقوله: غير مبطان العشيات، يقول: كان لا يأكل في آخر نهاره انتظاراً للضيف. ويروى أن عمر بن الخطاب سألَه، فقال: أَكْذِبْتَ في شيء مما قلتَه في أخيك، فقال: نعم، في قولِي غير مبطانٍ، وكان ذا بطنٍ. ويقال في غير هذا الحديث: إن من سِيما الرئيسِ السيدِ أن يكونَ عَظِيمَ البطنِ ضَخَمَ الرأسِ فيه طَرَشٌ. وقال رجل لفتى: واللَّهِ ما أنتَ بعَظِيمِ الرأسِ فتكونَ سَيِّداً ولا بَأَرْسَحَ^(٢)

(١) عمرك الله: أذكرك الله تذكيراً.

(٢) أرسح: الذي لا عجز فيه أو هي لاصقة بالظهر صغيرة.

فتكون فارساً. وقال رجل لرجل: والله ما فتقت فتق السادة، ولا مطلت مظل
الفرسان. والأروع ذو الروعة، والهيئة والبرم الذي لا ينزل مع الناس ولا يأخذ
في الميسر، ولا ينزع إلا نكداً، قال النابغة:

هلا سألت بني دُبَّانَ ما حَسبي إذا الدُّخانُ تَغَشَّى الأشمطَ البرما

وقوله: إذا القشع وهو الجليد اليابس، ويقال لكناسة الحمام القشع، قال
أبو هريرة: وكذبت حتى رُميت بالقشع. وحدثني العباس بن الفرَج الرياشي
عن محمد بن عبد الله الأنصاري القاضي في أسناد ذكره، قال: صلى مُتَمِّمٌ
مع أبي بكر الصديق الفجر في عقب قتل أخيه، وكان أخوه خرج مع خالد
مَرَجَعُهُ من الإمامة يظهر الإسلام، فظن به خالد غير ذلك، فأمر ضَرَارَ بن
الأزور الأسدي فقتله. وكان مالك من أرداف الملوك، ومن متقدمي فرسان
بني يربوع قال: فلما صلى أبو بكر قام متمم بجذائه، واتكأ على سِيَّةِ^(١) قوسه،
ثم قال:

نعم القَتِيلُ إذا الرياحُ تَنَافَحَتْ^(٢) خَلَفَ البيوتَ قَتَلَتْ يا ابن الأزورِ
ولنعم حَشَوُ الدِرْعِ كُنْتُ وحاسراً^(٣) ولنعم مأوى الطارقِ^(٤) المُنْتَوِرُ^(٥)
أَدْعَوْتُهُ بالله ثم غَرَرْتُهُ^(٦) لو هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لم يَغْدِرْ

وأوماً إلى أبي بكر، فقال: والله ما دعوته ولا غررتي، ثم أتم شعره فقال:
لا يُمَسِّكُ الفَحْشَاءُ^(٧) تحت ثيابه حُلُو شَمَائِلُهُ عَفِيفُ المِثْرِ^(٨)

ثم بكى وانحط على سِيَّةِ قوسه، وكان أعور دميماً، فما زال يبكي حتى

(١) سية القوس: بكسر السين مخففة الياء ما عطف من طرفها ولها سياتان.

(٢) تنافح الرياح: تقابلها حيث لا تكون من مهب واحد وذلك زمن الجذب عندهم.

(٣) الحاسر: من ليس عليه درع.

(٤) الطارق: من يأتيك ليلاً.

(٥) المنتور: الذي ينور النار من بعيد ويبصرها.

(٦) لا يمسك الفحشاء: لا يضر سؤاً ولا ضغناً.

(٧) عفيف المثر: كناية عن الطهارة.

دمعت عينه العوراء، فقام إليه عمر بن الخطاب، فقال: لَوِدِدْتُ أَنِّي رَثَيْتُ
أَخِي زَيْدًا بِمِثْلِ مَا رَثَيْتَ بِهِ مَالَكَ أَخَاكَ، فقال: يَا أَبَا حَفْصٍ، وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ
أَنْ أَخِي صَارَ بِحَيْثُ صَارَ أَخُوكَ مَا رَثَيْتُهُ. فقال عمر: مَا عَزَّانِي أَحَدٌ بِمِثْلِ
تَعَزِّيْتِكَ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ قُتِلَ شَهِيدًا يَوْمَ الْيَمَّامَةِ. وَكَانَ عَمْرٌ يَقُولُ: إِنِّي
لَأَهْشُ لِلصَّبَا لِأَنَّهَا تَأْتِينَا مِنْ نَاحِيَةِ زَيْدٍ. وَيُرْوَى عَنْ عَمْرٍ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ كُنْتُ أَقُولُ
الشَّعْرَ كَمَا تَقُولُ لَرَثَيْتُ أَخِي كَمَا رَثَيْتَ أَخَاكَ. وَيُرْوَى أَنَّ مَتَمِّمًا رَثَى زَيْدًا،
فَلَمْ يُجِدْ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ: لِمَ تَرِثُ زَيْدًا كَمَا رَثَيْتَ أَخَاكَ مَالِكًا! فَقَالَ: لِأَنَّهُ
وَاللَّهِ يَحْرِكُنِي لِمَالِكٍ مَا لَا يَحْرِكُنِي لَزَيْدٍ، وَمِنْ طَرِيفِ شَعْرِهِ:

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْيِينِ هَالِكٍ	وَلَا جَزَعٍ وَالْمَتُّ يَذْهَبُ بِالْفَتَى
لَكُنْ مَالِكُ خَلَى عَلَيَّ مَكَانَهُ	لَفِي أَسْوَةٍ إِنْ كُنْتَ بَاغِيَةً الْأَسَا
كُهُولٌ وَمُرْدٌ مِنْ بَنِي عَمِّ مَالِكٍ	وَأَيْفَاعُ ^(١) صَدَقٍ قَدْ تَمَلَّيْتُهُمْ رِضَا
سُقُوا بِالْعُقَارِ الصِّرْفِ حَتَّى تَتَابَعُوا	كَذَّابٍ ثُمُودٍ إِذْ رَغَا سَقْبُهُمْ ضُحَى ^(٢)
إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى لِمَلِمَةٍ	فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى وَلَكِنَّهُ الْفَتَى

ومثل هذا الشعر قول الهشلي:

لو كان في الألف منا واحد فدعوا
وأول هذا المعنى لطرفة:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى خِلْتُ أَنِّي
وَقَالَ مَتَمِّمٌ أَيْضًا فِي كَلِمَةٍ لَهُ يَرِثِي لَهَا مَالِكًا:

جَمِيلُ الْمُحَيَّا ضَا حَكٌ عِنْدَ ضَيْفِهِ	أَغْرُ جَمِيعُ الرَّأْيِ مُشْتَرَكُ الرَّحْلِ
وَقَوْرٌ إِذَا الْقَوْمُ الْكَرَامُ تَقَاوَلُوا	فَعُلْتُ حُبَاهُمْ وَاسْتَطِيرُوا مِنَ الْجَهْلِ

(١) إيفاع صدق: واحدة يقع محرکاً وهو الغلام إذا شارف الاحتلام ولما يحلم وأضاف إلى الصدق لأنهم لازموه.

(٢) إذا رغا شقيهم: كناية عن نزول العذاب بهم.

وكنْتُ إلى نفسي أشدَّ حلاوةً من الماء بالماذِيّ من عَسَل النحل
وكلُّ فتى في الناس بعد ابن أمِّه كساقطةٍ إحدى يَدَيْهِ من الخبل
وبعضُ الرجال نخلةٌ لا جنَى لها ولا ضِلٌّ إلا أن تُعدَّ من النخل

وقال له عمر بن الخطاب: إنك لَجَرُلٌ فأين كان أخوك منك؟ فقال: كان والله أخي في الليلة المظلمة ذات الأزير والصُّرَادِ يركب الجمل الثفال^(١) ويجنب الفرس الجرور، وفي يده الرمح الثقيل وعليه الشملة الفلوت، وهو بين المزادتين حتى يُصْبَحَ فيُصْبَحَ أهله متبسِّماً. الجمل الثفال البطيء الذي لا يكاد ينبعث والفرس الجرور الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنبه إنما يجرّ الجمل، والشملة الفلوت التي لا تكاد تثبت على لابسها. وذكر لنا أن مالكا كان من أرداف الملوك، وفي تصدّاق ذلك يقول جريرٌ يفخرُ ببني يربوع:

منهم عُتَيَّةٌ والمُجِلُّ وقَعْنَبُ والْحَنْتَفَانِ^(٢) ومنهم الرَدْفَانِ

فأحدُ الردفين مالكُ بن نُؤيرةَ اليربوعي، والردف الآخر من بني رياح بن يربوع، وللردافة موضعان أحدهما أن يردفه الملك على دابته في صيد أو ترفيف، أو ما أشبه ذلك من مواضع الأنس. والوجه الآخر أنبل، وهو أن يخلف الملك إذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده:

(١) الثفال: البطيء.

(٢) الحنتفان: حنتف وأخوه سيف أو الحارث ابنا أوس.

٥٤ - باب في من جزعوا عند الموت

قال أبو العباس: لما احتضر إبراهيم النخعي رحمه الله جَزَعاً شديداً، فقليل له في ذلك، فقال: وأيّ خَطَرٍ أعظم من هذا، إنما أتوقع رسولاً يردُّ عليَّ من ربي إما بالجنة وإما بالنار. ولما احتضر ابن سيرين، جعل يقول: نفسي والله أعزُّ الأنفس عليَّ. ولما احتضر جُحْرُ بن عَدِيٍّ لِيُقْتَلَ، سأل أن يُمَهَّلَ حتى يصلي ركعتين، وظهر منه جزع شديد. فقال له قائل: أتجزع؟ فقال: وكيف لا أجزع؟ سيف مشهور، وكفن منشور، وقبر محفور، ولست أدري أيُّؤدِّيني إلى جنة أم إلى نار. (قال أبو الحسن: ما يقوم بقتل حجر بن عدي شيء، وإنني لأعجبُ من قوله هذا، ولست أدري أيُّؤدِّيني إلى جنة أو إلى نار، وهو شهيد الشهداء رحمه الله. وقد ذكرنا موت عمرو بن العاصي وكلامه عند الموت؟ وممن ظهرت منه عند الموت قَسْوَةُ خَلْحَلَةَ الْفَزَارِيِّ، وسعيد بن أبان بن عُيَيْنَةَ بن حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فإن عبد الملك لما أحضرهما ليقيد منهما قال لخلحة: صَبْرًا خَلْحَلْ؟ فقال: إي والله:

اضْبِرْ من ذي ضَاغِطٍ^(١) عَرَكْرَكَ^(٢) أَلْقَى بَوَانِي^(٣) زَوْرِهِ لِلْمَبْرَكِ
ثم قال لابن الأسود الكلبي: أَجِدِ الضَّرْبَةَ فَإِنِّي وَاللَّهِ ضَرَبْتُ أَبَاكَ ضَرْبَةً
أَسْلَحَتُهُ فَعَدَدْتُ النُّجُومَ فِي سِلْحَتِهِ، ثم قال عبد الملك لسعيد بن أبان:
صَبْرًا سَعِيدُ؟ فقال إي والله:

(١) عركرك: الجمل الغليظ.

(٢) بواني الزور: اضلاعه الواحدة بانية وهذه الكلمة لم ترد عن العرب إلا مجموعة.

أَصْبَرُ مِنْ عَوْدِ بَجَنِّيهِ الْجَلْبُ قَدْ أَثَرَ الْبِطْطَانُ فِيهِ وَالْحَقَبُ
 وَمِنْهُمْ وَكَيْعُ بْنُ أَبِي سُودٍ أَحَدُ بَنِي غُدَانَةَ بْنِ يَرْبُوعَ، فَإِنَّهُ لَمَّا يُشَسُّ مِنْهُ
 خَرَجَ الطَّبِيبُ مِنْ عِنْدِهِ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ ابْنُهُ: مَا تَقُولُ؟ قَالَ: لَا يُصَلِّي الظَّهْرَ.
 وَكَانَ مُحَمَّدٌ نَاسِكًا، فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ، قَالَ لَهُ أَبُوهُ وَكَيْعُ: مَا قَالَ لَكَ الْمَعْلُوجُ؟
 قَالَ: وَعَدَ أَنْكَ تَبْرَأُ، قَالَ: أَسْأَلُكَ بِحَقِّي عَلَيْكَ. قَالَ: ذَكَرَ أَنَّكَ لَا تَصَلِّي
 الظَّهْرَ! قَالَ: وَيْلِي عَلَى ابْنِ الْخَبِيثَةِ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ فِي شِدْقِي لَلَكْتُهَا إِلَى
 الْعَصْرِ. وَيُرْوَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ النَّخْعِيَّ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ: وَاللَّهِ
 لَوَدِدْتُ أَنَّهَا تَلْجُلُجُ فِي حَلْقِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَفِي وَكَيْعِ بْنِ أَبِي سُودٍ يَقُولُ
 الْفَرَزْدَقُ:

لَقَدْ رُزِنْتُ بِأَسَاً وَحَزْماً وَسُودَداً تَمِيمُ بْنُ مُمَرٍّ يَوْمَ مَاتَ وَكَيْعُ
 وَمَا كَانَ وَقَافاً وَكَيْعُ إِذَا دَنَتْ سَحَابُ مَوْتٍ وَبَلْهَنُ نَجِيعُ
 إِذَا التَقَتِ الْأَبْطَالُ أَبْصَرَتْ لَوْنَهُ مُضِيئاً وَأَعْنَاقُ الْكُمَاةِ خُضُوعُ
 فَصَبْرًا تَمِيمُ إِنَّمَا الْمَوْتُ مَنَهْلٌ يَصِيرُ إِلَيْهِ صَابِرٌ وَجَزُوعُ

وَقَالَ أَيْضاً: مَرْكَزُ تَحْقِيقِ تَكْوِينِ عِلْمِ رَسْمِي

لِتَبْكِ وَكَيْعاً خَيْلُ لَيْلٍ مُغِيرَةٌ تَسَاقَى^(١) الْمَنَايَا بِالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمَرِ
 لَقُّوا مِثْلَهُمْ فَاسْتَهْزَمُوهُمْ بِدَعْوَةٍ دَعَّوْهَا وَكَيْعاً وَالْجِيَادُ بِهِمْ تَجْرِي

وَمِنَ الْجَفَاةِ عِنْدَ الْمَوْتِ هُدْبَةُ بْنُ خَشْرَمٍ الْعُذْرِيُّ، وَكَانَ قَتَلَ زِيَادَةَ بْنَ
 رِيْدِ الْعُذْرِيِّ، فَلَمَّا حُمِلَ إِلَى مَعَاوِيَةَ تَقَدَّمَ مَعَهُ عَبْدُ الرَّحَنِ أَخُو زِيَادَةَ بْنَ زَيْدٍ،
 فَادَّعَى عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: مَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَتَحِبُّ أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ شِعْراً
 أَمْ نَثْراً؟ قَالَ: بَلْ شِعْراً فَإِنَّهُ أَمْتَعُ، فَقَالَ هُدْبَةُ:

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهَا هِيَ ضَرْبَةٌ مِنْ السِّيفِ أَوْ إِبْغَضَاءِ عَيْنٍ عَلَى وَتَرٍ
 عَمَدْتُ لِأَمْرِ لَا يُعَيَّرُ وَالِدِي خَزَايَتُهُ وَلَا يُسَبُّ بِهِ قَبْرِي

(١) تَسَاقَى: يَحْذِفُ أَحَدُ النَّاسِ مِنَ الْآخَرِ وَأَصْلُهُ تَسَاقَى.

رَمِينَا قَرَامِينَا فَصَادَفَ سَهْمُنَا مَيِّئَةً نَفْسٍ فِي كِتَابٍ وَفِي قَلْبٍ
وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا لَنَا وَرَاءَكَ مِنْ مَعْدِيٍّ وَلَا عَنْكَ مِنْ قَضَرٍ
فَإِنْ تَكُ فِي أَمْوَالِنَا لَا نَضِيقُ بِهَا دِرَاعاً وَإِنْ صَبْرُ فَنَصْبِرُ لِلصَّبْرِ

فقال له معاوية: أراك قد أقررت يا هذبة؟ قال: هو ذاك، فقال له عبد الرحمن: أقدني^(١)، فكَرِهَ ذَاكَ مَعَاوِيَةَ، وَضَمَّ بِهَذْبَةٍ عَنِ الْقَتْلِ، وَكَانَ ابْنُ زِيَادَةَ صَغِيراً، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: أَوْ مَا عَلَيْكَ أَنْ تَشْفِي صَدْرَكَ وَتَحْرِمَ غَيْرَكَ. ثُمَّ وَجَّهَ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: يُحْبَسُ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ ابْنُ زِيَادَةَ، فَبَلَغَ. وَكَانَ وَالِي الْمَدِينَةِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي، فَمِمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ مِنْ قِسْوَتِهِ قَوْلُهُ:

وَلَمَّا دَخَلْتُ السَّجْنَ يَا أُمَّ مَالِكٍ ذَكَرْتُكَ وَالْأَطْرَافُ فِي حَلْقِ سُمْرٍ
وَعِنْدَ سَعِيدٍ غَيْرَ أَنْ لَمْ أَبْحَ بِهِ ذَكَرْتُكَ إِنْ الْأَمْرَ يُذَكِّرُ بِالْأَمْرِ

فَسُئِلَ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ، فَقَالَ: لَمَّا رَأَيْتُ ثَغْرَ سَعِيدٍ، وَكَانَ سَعِيدٌ حَسَنَ الثَّغْرِ جَدًّا ذَكَرْتُ بِهِ صَغَرَهَا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ عَرَضَ عَلَى ابْنِ زِيَادَةَ عَشْرَ دِيَّاتٍ، فَأَبَى إِلَّا الْقَوْدَ، وَكَانَ مِمَّنْ عَرَضَ الدِّيَّاتِ عَلَيْهِ مِمَّنْ ذَكَرَ لَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي، وَمُرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ، وَسَائِرُ الْقَوْمِ مِنَ الْأَنْصَارِ. فَلَمَّا خَرَجَ بِهِ لِيُقَادَ بِالْحَرَّةِ، جَعَلَ يُنْشِدُ الْأَشْعَارَ، فَقَالَتْ لَهُ حُبِّي الْمَدِينِيَّةُ: مَا رَأَيْتُ أَقْسَى قَلْباً مِنْكَ، أَتَنْشِدُ الْأَشْعَارَ وَأَنْتَ يُمَضِّي بِكَ لَتُقْتَلَ، وَهَذِهِ خَلْفُكَ كَأَنَّهَا ظَبْيٌ عَطْشَانٌ تُؤَلِّوُلُ^(٢). تعني امرأته، فوقف ووقف الناسُ معه، فَأَقْبَلَ عَلَى حُبِّي، فَقَالَ:

أَمَّا وَجِدْتُ وَجْدِي بِهَا أُمَّ وَاحِدٍ وَلَا وَجَدَ حُبِّي بَابِنَ أُمَّ كِلَابٍ
رَأَتْهُ طَوِيلَ السَّاعِدَيْنِ شَمَرٌ دَلَاً^(٣) كَمَا أَنْعَتَتْ مِنْ قُوَّةٍ وَشَبَابٍ
فَأَغْلَقْتُ حُبِّي الْبَابَ فِي وَجْهِهِ، وَسَبَّتُهُ، وَعَرَضَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ

(١) أقدني: اقتص لأخي من هذبة.

(٢) الولولة: صوت متتابع بالعويل والاستغاثة أو هي حكاية صوت النائمة.

(٣) الشمر دل الشمر دل الفتى الحسن الخلق.

حسان، فقال أنشدني . فقال له : أعلى هذا الحال؟ قال : نعم . فأنشده :

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتبعي الشر والشر تاركي ولكن متى أحمل على الشر أركب
وحر بني مولاي^(١) حتى غشيتهُ متى ما يحربك ابن عمك تحرب
فلما قدّم نظر إلى امرأته، فدخلته غيرة، وقد كان جديع في حربهم،
فقال :

فإن يك أنفي بأن منه جماله فما حسبي في الصالحين بأجدعا
فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا
فقالت : قفوا عنه ساعة . ثم مضت ورجعت، وقد اضطلمت أنفها،
فقالت : أهذا فعل من له في الرجال حاجة! فقال : الآن طاب الموت . ثم
أقبل على أبويّه، فقال :

أبليان اليوم صبرا منكما إن حزنا منكما اليوم لشر
ما أظن الموت إلا هينا إن بعد الموت دار المستقر
ثم قال :

إذا العرش إني عائد بك مؤمن مقر بزلأتي إليك فقير
وإني وإن قالوا أمير مسلط وحجاب أبواب لهن صرير
لأعلم أن الأمر أمرك أن تدن قرب وإن تغفر فأنت غفور

ثم قال لابن زيادة : أثبت قدميك وأجد الضربة، فإني أيتمك صغيراً،
وأرملت أمك شابة . ويسزع بعض أصحاب الأخبار أنه قال : ما
أجزع من الموت، وآية ذلك أني أضرب برجلي اليسرى بعد القتل ثلاثاً، وهو
باطل موضوع، ولكن سأل فك قيوده، ففكت، فذلك حيث يقول :

فإن تقتلوني في الحديد فإني قتلت أحاكم مطلقاً لم يقيد

(١) المولى هنا أقاربه وبنو عمه وحربي أي أغضبني .

قال أبو العباس، ووقف حَبَّارُ بن سَلَمَى على قبر عامر بن الطفيل. ثم
 يكن حَضْرَهُ. فقال: أَنْعِمُ صباحاً أبا عليّ، فوالله لقد كنتَ سريعاً إلى المولى
 بوَعْدِكَ، بطيئاً عنه بإيعادك، ولقد كنتَ أَهْدَى من النجم، وأَجْرَى من السيل.
 ثم التفت إليهم، فقال: كان ينبغي أن تجعلوا قبر أبي عليّ ميلاً في ميل.
 وذكر الجَرْمَازِيُّ أن الأحنَفَ بن قيسٍ لما مات، وكان موته بالكوفة، مشى
 المُضْعَبُ بن الزبير في جنازته بغير رداء، وقال اليوم مات سيدُ العرب. فلما دُفِنَ
 قامت امرأة على قبره أحسبُها من بني منقِرٍ، قالت: لله دَرُكٌ من مُجَنٍّ^(١) في
 جَنٍّ^(٢)، ومُذْرَجٍ في كفن، فنسأل الذي فَجَعنا بموتك، وابتلانا بفقدك أن يجعل
 سبيلَ الخير سبيلك، ودليلَ الخير دليلك، وأن يُوسِّعَ لك في قبرك، ويغفر لك
 يوم حشرِكَ فوالله لقد كنتَ في المحافل شريفاً، وعلى الأرامِل عَطوفاً، ولقد
 كنتَ في الحيّ مُسَوِّداً، وإلى الخليفة مُوَفِّداً. ولقد كانوا لقولك مستمعين،
 ولرأيك متبعين. قال: فقال الناسُ مع ما سمعنا كلامَ امرأةٍ أبلغَ ولا أَصْدَقَ معنى
 منها. ووقف رجل على قبر النجاشي^(٣) فترجَّم وقال: لولا أن القول لا يُحيطُ بما
 فيكَ، والوصفُ يَقْصُرُ دونك لأَطْنَبْتُ بل لَأَشْهَبْتُ ثم عَقَرَ ناقته على قبره، وقال:
 عَقَرْتُ على قبر النجاشي نَاقَتِي بأبيض غَضِبٍ أَخْلَصَتْهُ صَيَاقِبَةُ
 على قبر مَنْ لو أَنِّي مُتُّ قبله لَهَانَتْ عليه عند قبري رَوَاحِلُهُ
 وروى ابن دَابٍّ أن حَسَانَ بن ثابت الأنصاري، اجتاز بقبره ربيعة بن
 مَكْدَمٍ، فأنشد:

لا يَتَعَدَّنْ ربيعةُ بن مَكْدَمٍ	وسَقَى الغَوادي قبره بِذَنُوبٍ
نَفَرْتُ قَلُوصِي من حجارةِ حَرَّةٍ	نَصَبْتُ على طَلْقِ اليَدَيْنِ وَهَوْبٍ
لا تَنْفِرِي يا نَاقَ منه فإنه	شَرِيبُ خَمَرٍ مِسْعَرٌ لِحَرُوبٍ

(١) المجن: اسم مفعول من قولك أجنه إذا غطاء وستره.

(٢) الجنن: القبر.

(٣) النجاشي: بتشديد الياء وتخفيفها أفصح وتكسر النون وهو أفصح ملك الحبشة.

لولا السِّفَارُ وطولُ قَفَرِ مَهْمَةٍ لتركَّها تَحَبُّوا على العُرْقُوبِ
 نَعَمَ الْفَتَى أَدَّى نُبَيْشَةَ رَحْلَهُ يَوْمَ الْكَدِيدِ نُبَيْشَةُ بْنُ حَبِيبٍ
 وَرَبِيعَةُ بْنُ مُكْدَمٍ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، وَكَانَ قَتَلَهُ أَهْبَانُ بْنُ غَادِيَةَ
 الْخُزَاعِيَّ، وَقَيْسٌ يَقُولُ: قَتَلَهُ نُبَيْشَةُ بْنُ حَبِيبِ السُّلَمِيِّ، وَكَانَ أَهْبَانُ أَخَا نُبَيْشَةَ
 لَأُمِّهِ. وَكَانَ أَتَاهُ زَائِرًا، وَأَغَارَ رَبِيعَةُ بْنُ مَكْدَمٍ عَلَى بَنِي سُلَيْمٍ فَخَرَجَ أَهْبَانُ مِنْ
 أَخِيهِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، وَحَمَلَ أَخُو رَبِيعَةَ عَلَى أَهْبَانٍ فَقَاتَهُ فَلَأَنَّهُ فِي بَنِي
 سُلَيْمٍ، قَالَ حَسَانُ، (نَفَرْتُ قُلُوصِي مِنْ حَجَارَةِ حَرَّةٍ، لِأَنَّ الْحَرَّةَ هُنَاكَ لِبَنِي
 سُلَيْمٍ، وَفِي تَصْدَاقٍ مَا تَدْعِيهِ خُزَاعَةٌ، يَقُولُ أَهْبَانُ:

وَلَقَدْ طَعَنْتُ رَبِيعَةَ بْنَ مُكْدَمٍ يَوْمَ الْكَدِيدِ فَخَرَّ غَيْرَ مُوسَّدٍ
 فِي عَارِضٍ^(١) شَرْقٍ^(٢) بَنَاتُ فُؤَادِهِ مِنْهُ بِأَحْمَرَ كَالنَّقِيعِ^(٣) الْمُجَسَّدِ^(٤)
 وَلَقَدْ وَهَبْتُ سِلَاحَهُ وَجَوَادَهُ لِأَخِي نُبَيْشَةَ قَبْلَ لَوْمِ الْحُسَدِ

وَقَالَ أَخُو رَبِيعَةَ يَجِيهِ:

فَاتِ ابْنُ غَادِيَةَ الْمُنِيَّةَ بَعْدَمَا رَفَعْتُ أَسْفَلَ ذِيهِ بِالْمِطْرَدِ^(٥)
 قُلْ لَابْنِ غَادِيَةَ الْمُتَاحَ لَقَتُنَا مَا كَانَ يَقْتُلُنَا الْوَحِيدُ الْمُفْرَدُ
 يَرِيدُ أَنْ أَهْبَانُ مُفْرَدٌ مِنْ قَوْمِهِ فِي أَخْوَالِهِ، وَقَالَ أَيْضًا:

فَإِنْ تَذَهَبُ سُلَيْمٌ بِوَتَرٍ قَوْمِي فَأَسْلَمُ مِنْ مَنَازِلِنَا قَرِيبُ
 وَقَالَتْ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ:

آلَيْتُ^(٦) أَبْكَى بَعْدَ تَوْبَةٍ هَالِكَا وَأُخْفِلُ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ

(١) العارض: يحتمل ضرورياً من المعاني فالعارض صفحة الحذر وصفحتنا العنق وجانبنا الوجه، وما يستقبلك من الإنسان وغيره.

(٢) شرق: ممتلئ دماً وفعله كفرح.

(٣) النقيع: صبغ مخلوط بأفواه الطيب.

(٤) المجسد الذي فيه الجسد وهو الزعفران أو العصفر.

(٥) المطرد: كمثبر: الرمح القصير.

(٦) آليت أبكى: تريد الابكي. وكثيراً ما ي حذف حرف النفي بعد القسم.

لَعَمْرُكَ مَا بِالمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى إِذَا لَمْ تُصِبْهُ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَايِرُ
فَلَا يَتَّعِدُنَكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ إِنَّمَا لِقَاءُ الْمَنَايَا دَارِعاً مِثْلُ حَاسِرٍ

ويروى:

فَلَا يَبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ هَالِكاً أَخَا الْحَرْبِ إِنْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ
فَكُلُّ جَدِيدٍ أَوْ شَبَابٍ إِلَى بَلَى وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ صَائِرُ

وذكر المدائني أن رجلاً عَزَى رجلاً أَفْرَطَ عَلَيْهِ الْجَزَعُ عَلَى ابْنِهِ، فَقَالَ: يَا هَذَا سُرِرْتُ بِهِ، وَهُوَ حُزْنٌ وَفِتْنَةٌ، وَجَزَعَتْ عَلَيْهِ، وَهُوَ صَلَاةٌ وَرَحْمَةٌ، فَفُسِّرِي^(١) عَنْهُ. وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ تَعَزَّوْا عَنْ مَصَائِبِكُمْ بِي. وَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَمْرِو: أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ! فَقَالَ: نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُ أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ إِنَّمَا دَعَا بِأَنْ يَكْثُرَ مَا يُؤَجَّرُ عَلَيْهِ، وَذَلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْمَصَائِبِ تَعَزَّيْتُهُ إِيَّاهُ:



مركز تحقيقات کتب و تدریس علوم اسلامی

(١) فسرى عنه: كشف عنه الخوف والجزع.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٥٥ - وهذا باب طريف من أشعار المحدثين

قال مطيع بن إياس الليثي يرثي يحيى بن زياد الحارثي . وكان صديقه
وكانا مرميين جمعاً بالخروج عن الملة :

يا أهل بكوا لقلبي القرح	وللدموع الهوامل السفح
راحوا يخسوا إلى مغيبة	في القبر بين التراب والصفح
راحوا يبحى ولو تطاوعني الأقد	دار لم يبتكر ولم يرح
يا خير من يحسن البكاء له	اليوم ومن كان أمس للمدح

وفي يحيى يقول مطيع لنبوة كانت بينهما .

كنت ويخس كيدي واحد	نرمي جميعاً ونرامي معا
إن سره الدهر فقد سرنى	أو حادث ناب فقد أقطعا
أو نام نامت أعين أربع	منا وإن هب فلن أهجعا
حتى إذا ما الشيب في عارضي	لاح وفي مفرقه أسرعا
سعى وشاة طبن ^(١) بيننا	فكاد جبل الوصل أن يقطعا

فلم ألم يخس على حادث ولم أقل خان ولا ضيعا
وقال أبو عبد الرحمن العتيبي يرثي علي بن سهل بن الصباح ، وكان له
صديقاً :

(١) وشاة طبن : كأنه جمع طابن وهو الفطن ، يقال طبن فلان لكذا إذا هجم عليه وخبره وعرف أنه بما
يواتيه على المراودة .

يا خير إخوانه وأعطفهم عليهم راضياً وغضباناً
أَمْسَيْتَ حُزْناً وصار قُرْبُكَ لي بعداً وصار اللقاء هَجْراً
إِنَّا إلى الله راجعون لقد أَصْبَحَ حَزْني عَلَيْكَ أَلْواناً
حُزْنُ اشتياقٍ وحُزْنُ مَرَزَّةٍ إذا انقضى عاد كالذي كانا

قوله: يا خيراً إخوانه محال وباطل. وذلك أنه لا يضاف أفعال إلى شيء إلا وهو جزء منه. وقال أيضاً:

دَعْوَتُكَ يَا أَخِي فَلَمْ تُجِبْنِي فَرَدَّتْ دَعْوَتِي حُزْناً عَلَيَّ
بِمَوْتِكَ مَاتَتِ اللَّذَاتُ مِنِّي وَكَانَتْ حَيَّةً إِذْ كُنْتُ حَيًّا
فِيَا أَسْفِي عَلَيْكَ وَطَوَّلَ شَوْقِي إِلَيْكَ لَوْ أَنَّ ذَاكَ يَرُدُّ شَيْئاً

وحدثني رجل من أصحابنا، قال شهدت رجلاً في طريق مكة معتكفاً على قبر يردد شيئاً ودموعه تكف من لحيته^(١)، فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ لِأَسْمَعَ مَا يَقُولُ فَجَعَلَتِ الْعَبْرَةُ تَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِبَانَةِ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا! فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ، وَكَأَنَّمَا هَبَّ مِنْ رُقْدَةٍ فَقَالَ: مَا تَشَاءُ؟ فَقُلْتُ: أَعَلَى ابْنِكَ تَبْكِي؟ قَالَ: لَا. قُلْتُ: فَعَلَى أَبِيكَ؟ قَالَ: لَا، وَلَا عَلَى نَسِيبٍ وَلَا صَنْدِيقٍ، وَلَكِنْ عَلَى مَنْ هُوَ أَخْصُ مِنْهُمَا، قُلْتُ: أَوْ يَكُونُ أَحَدُ أَخْصَ مِنْ ذَكَرْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَنْ أَخْبَرَكَ عَنْهُ، إِنْ هَذَا الْمَذْفُونُ كَانَ عَدُوًّا لِي مِنْ كُلِّ بَابٍ: يَسْعَى عَلَيَّ فِي نَفْسِي، وَفِي مَالِي، وَفِي وَلَدِي فَخَرَجَ إِلَى الصَّيْدِ أَيَّامَ مَا كُنْتُ مِنْ عَطْبِهِ وَأَكْمَلُ مَا كَانَ مِنْ صَحْتِهِ، فَرَمَى ظَبِيًّا فَأَقْصَدَهُ فَذَهَبَ لِيَأْخُذَهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ أَنْفَذَهُ حَتَّى نَجَمَ سَهْمُهُ مِنْ صَفْحَةِ الظَّبْيِ فَعَثَرَ فَتَلَقَّى بِفُؤَادِهِ ظَبَّةَ السَّهْمِ فَلَحِقَهُ أَوْلِيَاؤُهُ فَانْتَزَعُوا السَّهْمَ، وَهُوَ وَالظَّبْيُ مَيِّتَانِ فَنَمَى إِلَيَّ خَبْرُهُ فَأَسْرَعْتُ إِلَى قَبْرِهِ مُغْتَبِطاً بِفَقْدِهِ، فَإِنِّي لَصَاحِكُ السِّنِّ إِذْ وَقَعَتْ عَيْنِي عَلَى صَخْرَةٍ فَرَأَيْتُ عَلَيْهَا كِتَاباً فَهَلُمَّ فَاقْرَأْهُ، وَأَوْماً إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا عَلَيْهَا:

وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرُ أَنَّنَا أَقْمْنَا قَلِيلاً بَعْدَهُمْ وَتَقَدَّمُوا

(١) تكف من لحيته: تقطر وتسيل.

قلتُ أشهد أنك تبكي على مَنْ بُكَاءُكَ عليه، أحقُّ من النسيب. ومما استطرفنا من شعر المُحدِّثين قولُ يعقوب بن الربيع في جارية^(١) طالَبَهَا سبع سنين يَبْذُلُ فيها جاهه وماله وإخوانه حتى ملكها، فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتت. فقال فيها أشعاراً كثيرة، اخترنا منها بعضها من ذلك قوله :

لِلَّهِ اِنْسَةٌ فُجِغْتُ بِهَا	ما كان أَبْعَدَهَا من الدَّنَسِ
أَتَيْتِ الْبِشَارَةَ وَالنَّعِيَّ مَعاً	يا قُرْبَ مَاتِمِهَا من العُرْسِ
يا مُلْكُ نالِ الدَّهْرُ فُرْصَتَهُ	فَرَمَى فُوَاداً غيرَ مُحْتَرِسِ
كم من دُمُوعٍ لا تَجِفُّ ومن	نَفْسٍ عَلَيْكَ طَوِيلَةُ النَّفْسِ
أَبْكِيكَ ما نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ	تحت الظلام تَنُوحُ في الغَلَسِ
يا مُلْكُ فيَّ وفيكَ مُعْتَبَرٌ	ومواعظُ يُوحِشْنَ ذا الأُنْسِ ^(٢)
ما بعد فُرْقَةٍ بَيْنَنا أبدأ	في لَذَّةٍ دَرَكٌ لِمُلْتَمِسِ

وأخذ في صدر هذا الكلام من قول القائل :

رُبَّ مَفْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ	فَقَدْنُهُ كَفُّ مُغْتَرِسِهِ
وكذاكَ الدَّهْرُ مَاتِمُهُ	أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ من عُرْسِهِ

وقريب من هذا قول امرأة شريفة ثرثي زوجها، ولم يكن دخل بها :

أَبْكِيكَ لا لِلنَّعِيمِ وَالْأُنْسِ	بل لِلْمَعَالِي والرُّمَحِ والْفَرَسِ
أَبْكِي على فَارِسٍ فُجِغْتُ بِهِ	أَرْمَلَنِي قبل ليلة العُرْسِ
يا فارساً بِالْعَرَاءِ مُطْرَحاً	خَانَتُهُ قُوَادُ مع الحَرَسِ
مَنْ لِلْيَتَامَى إِذَا هُمْ سَغَبُوا ^(٣)	وكلُّ عَانٍ وَكُلُّ مُحْتَبَسِ
أَمْ مَنْ لِبِرٍّ أَمْ مَنْ لِفَائِدَةٍ	أَمْ مَنْ لِدُكْرِ الْإِلَهِ في الغَلَسِ

ومما استطرفه من شعر يعقوب، قوله :

(١) جارية : آنسة طيبة النفس .

(٢) الأنس : بضمين واصله الأنس بالضم فحركة للشعر وكذا العرس مثله .

(٣) سغبوا : من السغب محركاً وهو الجوع والعاني الأسير .

لَبِثْتُ شُعْرِي بِأَيِّ ذَنْبٍ لِمُلْكٍ^(١)
 الذَّنْبُ حَقْدَتُهُ كَانَ مِنْهَا
 أَمْ لِأَمْنِي لِسُخْطِهَا وَرِضَاهَا
 سَا وَفِي فِي الْعِبَادِ حَيٍّ لَمَيِّتٍ
 وَفِي هَذَا الشَّعْرِ:

إِنَّمَا حَسَرْتِي إِذَا مَا تَذَكَّرُ
 لَمْ أَزَلْ فِي الْإِطْلَابِ سَبْعَ سِنِينَ
 فَاجْتَمَعْنَا عَلَى اتِّفَاقٍ وَقَدَّرُ
 أَشْهُرًا سِتَّةَ صَحْبَتُكَ فِيهَا
 وَأَتَانِي النَّعِيُّ مِنْكَ مَعَ الْبَشَرِ
 وَمِنْ مَلِيحِ شَعْرِهِ قَوْلُهُ يَرِثُهَا:

حَتَّى إِذَا فَتَرَ اللِّسَانَ وَأَصْبَحْتَ
 وَتَسَلَّلْتَ مِنْهَا مَحَاسِنُ وَجْهِهَا
 رَجَعَ الْيَقِينُ مَطَامِعِي بِأَمْسٍ كَمَا
 رَجَعَ الْيَقِينُ مَطَامِعَ الْمُتَلَمِّسِ^(٢)
 وَمِنْ مَلِيحِ شَعْرِهِ أَيْضًا قَوْلُهُ:

فَجَعَلْتُ بِمُلْكٍ وَقَدْ أَيْنَعْتُ
 فَأَصْبَحْتُ مُغْتَرِبًا بَعْدَهَا
 أَرَانِي غَرِيبًا وَإِنْ أَصْبَحْتُ
 خَلَفْتُ عَلَى أُخْتِهَا بَعْدَهَا

(١) ملك: اسم امرأة.

(٢) المتلمس: صاحب طرفة بن العبد واسمه جرير بن عبد المسيح، وكان قد أخذ كتابين من عمرو بن هند ملك العرب إلى أحد عماله، كل واحد كتاب فيه قتلة وهما يظنان أن فيها البر والإحسان، فمر المتلمس على شيخ جالس فأطلععه على الكتاب فأخذه بما فيه فألقاه في النهر وانقلب إلى أهله، وذهب طرفة لحثفه.

فَأَقْبَلْتُ أَبْكِي وَتَبْكِي مَعِي
وَقُلْتُ لَهَا مَرْحَباً مَرْحَباً
سَأُضْفِيكَ وَدِّي جِفاظاً لَهَا
أَرَاكَ كَمُلِّكَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ

ومما اخترنا من مرثية يزيد المهلبى للمتوكل على الله قوله :

لَا حُزْنَ إِلَّا أَرَاهُ دُونَ مَا أَجِدُ
لَا يَتَعَدَّنْ هَالِكُ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ
لَا يَذْفَعُ النَّاسُ ضَيْمًا بَعْدَ لَيْلَتِهِمْ
لَوْ أَنَّ سَيْفِي وَعَقْلِي حَاضِرَانِ لَهُ
جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِعَةٌ
هَلَا أَتَتْهُ أَعَادِيهِ مُجَاهِرَةٌ
فَخَرَّ فَوْقَ سَرِيرِ الْمُلْكِ مُنْجَدِلًا
قَدْ كَانَ أَنْصَارُهُ يَحْمُونَ حَوَازَتَهُ (١)
وَأَصْبَحَ النَّاسُ (٢) فَوْضَى يَعْجَبُونَ لَهُ
عَلَّتْكَ أَسْيَافُ مَنْ لَا دُونَهُ أَحَدٌ
جَاؤُوا عَظِيمًا لِدُنْيَا يَسْعُدُونَ بِهَا
ضَجَّتْ نِسَاؤُكَ بَعْدَ الْعِزِّ حِينَ رَأَتْ
أَضْحَى شَهِيدُ بَنِي الْعَبَّاسِ مَوْعِظَةٌ
خَلِيفَةٌ لَمْ يَنْلُ مَا نَالَه أَحَدٌ

وَهَلْ كَمَنْ فَقَدَتْ عَيْنَايَ مُفْتَقِدُ
كَمَا هَوَى عَنْ غِطَاءِ الزُّبَيْدَةِ الْأَسَدُ
إِذْ لَا تُمَدُّ إِلَى الْجَانِي عَلَيْكَ يَدُ
أَبْلَيْتُهُ الْجُهْدَ إِذَا لَمْ يَبْلِهِ أَحَدُ
هَلَا أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَالْقَنَا (٣) قِصْدُ
وَالْحَرْبُ تُسْعَرُ وَالْأَبْطَالُ تَجْتَلِدُ
لَمْ يَخِمِهِ مُلْكُهُ لَمَّا انْقَضَى الْأَمَدُ
وَلَمْ يَرُدِّي دُونَ أَرْصَادِ (٤) الْفَتَى رَصْدُ
لَيْثًا ضَرِيعًا تَنْزَى حَوْلَهُ النَّقْدُ
وَلَيْسَ فَوْقَكَ إِلَّا الْوَاحِدُ الصَّمَدُ
فَقَدْ شَقُوا بِالَّذِي جَاؤُوا وَمَا سَعِدُوا
خَدًّا كَرِيمًا عَلَيْهِ قَارَتْ (٥) جَسِدُ
لِكُلِّ ذِي عِزَّةٍ فِي رَأْسِهِ صَيْدُ (٦)
وَلَمْ يُضْغِ مِثْلَهُ رَوْحٌ وَلَا جَسَدُ

(١) القنا قصد : كعنب واحدها قصدة بالكسرة وهي القطعة مما يكسر.

(٢) الحوزة بيضة الملك.

(٣) الأرصاد : جمع رصد بالتحريك وهو القوم الراصدون.

(٤) وأصبح الناس فوضى : لا رئيس لهم ولا ملك والنقد محركاً في الأصل جنس من الغنم الفبيح الشكل.

(٥) قارت : الدم الذي ييس.

(٦) الصيد : ميل في العنق.

كم في أديمك من فوهاء هادرة
 إذا بُكيت فإن الدمع منهمل
 قد كنت أسرف في مالي وتخلف لي
 لما اعتقدتم^(١) أناساً لا حلوم لهم
 ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم
 قوم هم الجذم والإنساب تجمعهم
 إذا قریش أرادوا شدّ ملكهم
 قد وتر الناس طراً ثم قد صمتوا
 من الأولى وهبوا للمجد أنفسهم
 من الجوائف يغلى فوقها الزبد
 وإن رثيت فإن القول مُصرد
 فعلمتني الليالي كيف اقتصد
 ضيقتهم وضيعتكم من كان يعتقد
 حمتكم السادة المذكوة الحشد
 والمجد والدين والأرحام والبلد
 بغير قحطان لم يبرخ به أود
 حتى كأن الذي نيلوا به رشد
 فما يبالون ما نالوا إذا حمدا

(قال أبو الحسن، قوله: قارت، يقال: قَرَتِ الدَّمُ يَقْرُتُ قُرُوتاً، ودم قارت
 قد يبس بين الجلد واللحم، ومسك قارت، وهو أخفه وأجوده قال: (يعلُّ
 بقراتٍ من المسك قاتين) وقرأتُ فعلاً، وقاتن مسك قاتن قد قَنَ قُتُوناً، أي
 يابس لا ندوة فيه).



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

(١) لما اعتقدتم أناساً: يريد أن بعض ملوك بني العباس اتخذ بطانة من دون أهله وقومه وبني جنسه
 فأضاعوا ملكهم وتوئبوا عليهم وأزهقوهم بالقتل وساموهم الذل والخسف.

٥٦ - باب ذكر الأذواء من اليمن في الاسلام

فأما في الجاهلية، فيكثرون نحو ذي يَزَن، وذي كَلاع وذي نَواس وذي رُعَيْن وذي أَصْبَح وذي المناور وذي القرنين. فأما في الإسلام، فمنهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، سماه رسول الله ﷺ وهو أنصاري. ومنهم قتادة بن النعمان الأنصاري ذو العَيْن. كانت عينه أُصِيبَتْ فردها رسول الله ﷺ، فكانت أحسن عينيه. وكانت تَعْتَلُّ عينه الصحيحة فلا تَعْتَلُّ المردودة معها ومنهم أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري ذو السيفين كان يتقلد سيفين في الحرب. ومنهم حُباب بن المُنْذِر بن الجُموح ذو الرأي، وهو صاحب المشورة يوم بدر، أخذ برأيه رسول الله ﷺ، وكانت له آراء في الجاهلية مشهورة، ومنهم سَعْدُ بن صَفِيح^(١) ذو السِيال^(٢)، ومنهم ذو المشهورة، وهو أبو دُجَانَةَ سَمَّاكُ بن خَرَشَةَ، وكانت له مشهورة إذا لبسها وخرج يختال بين الصنفين لم يَبْقَ ولم يَذَرْ وكل هؤلاء من الأنصار، ومن اليمن من غيرهم عبدُ الله بن الطفيل الأزدي، ثم الدؤسي ذو النور أعطاه رسول الله ﷺ نوراً في جبينه ليدعوه قومه، فقال: يا رسول الله، هذه مُثَلَّة. فجعله رسول الله ﷺ في سَوْطِهِ. فلما ورد على قومه بالسراة جعلوا يقولون: إن الجبل لَيَلْتَهَبُ، وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة. ومنهم ثم من خُزَاعَةَ ذو اليدين سماه رسول الله ﷺ ذا اليدين، وكان قبل يدعى ذا الشمالين، وكان رسول الله ﷺ صَلَّى بهم الظهر فسَلَّمَ في الركعة

(١) سعد بن صفيح: خال أبي هريرة رضي الله عنها.

(٢) السبال: ككتاب.

الثانية، فقال ذو اليمين: يا رسول الله، أَقْصُرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ؟ فقال ما كان ذاك. فقال: بلى يا رسول الله. فالتفت إلى أصحابه، فقال: ما يقول ذو اليمين؟ فقالوا: صدق يا رسول الله. فنهض فَأَتَمَّ، ثم قال: إني لِأَنْسَى أَوْ أَنْسَى لِأَسْتَنْ.

وهذه تسمية من كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية.

منهم سعد بن معاذ الأنصاري، وهبط لموته سبعون ألف ملك لم يهبطوا إلى الأرض قبلها، وَقَبِضَ رسول الله ﷺ من رجليه في المشي لئلا يَطَأَ على جناح مَلَك، واهتز لموته عَرْشُ الله جل وعز. وفي ذلك يقول حسان:

وما اهْتَزَّ عَرْشُ الله^(١) من موت هالكٍ سمعنا به إلا لِسَعْدِ أَبِي عمرو
وَكَبَّرَ عليه رسول الله ﷺ تسعاً، كما كبر على حمزة بن عبد المطلب،
وَشُمَّ من تراب قبره رائحةُ الْمِسْكِ. ومنهم حسان بن ثابت الأنصاري، قال له
رسول الله ﷺ: اهْجُئْهُمْ وَرُوحُ الْقُدُسِ معك! وقال في حديث آخر: إن الله
مُؤَيَّدٌ حَسَنًا بِرُوحِ الْقُدُسِ، ^(٢) ما نافع^(٢) عن نبيه، وقالت عائشة: كان يوضع
لحسان منبر في مؤخر المسجد فينافع عن رسول الله ﷺ. ومنهم حَنْظَلَةُ بن
أبي عامر الأنصاري غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، وذلك أنه خرج يوم أُحُدٍ فَأَصِيبَ، فقال
رسول الله ﷺ: صَاحِبُكُمْ هَذَا قَدْ غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ. فسئل عن ذلك، فقالت
امراته: كان معي علي ما يكون الرجل مع امرأته. فَأَعَجَلَتْهُ حَطْمَةٌ^(٣) بلغت في
المسلمين، فخرج، فَأَصِيبَ. ففي ذلك يقول الأخوص بن محمد بن
عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح حَمِيَّ الدَّبْرِ^(٤)، وكان خال أبيه:

غَسَلَتْ خَالِي الْمَلَائِكَةُ الْأَبَ رَارَ مَيْتاً أَكْرَمَ بِهِ مِنْ صَرِيعٍ

(١) إن عرش الله جل وعلا، لا يهتز لموت بشر وفي البيت مبالغة مذمومة.

(٢) ما نافع: دافع والمنافحة المدافعة وهنا يريد بمنافحته هجاء المشركين ومجاهبتهم على أشعارهم.

(٣) حطمة بلغت: إزدحام المشركين على المسلمين والتفافهم بهم حتى كادت الهزيمة تقع على المسلمين.

(٤) الدبر: يسكون الباء النحل أو الزناير.

وأنا ابنُ الذي حَمَتَ ظهرَه الدَّبُّ رُقَيْلُ اللّٰحِيَانِ يَوْمَ الرَّجِيعِ
 ومنهم حارثَةُ بن النعمان، رأى جبريلَ ﷺ مرتين وأقرأه جبريلُ السلام،
 ومنهم ثَمُّ من خُزَاعَةَ عِمْرَانُ بن حُصَيْنٍ، كانت تصافحه الملائكةُ، وتَعُوذُهُ ثم
 افتقدوها فَأَتَى رسولُ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله إن رجالاً كانوا يأتونني لم أرَ
 أحسنَ منهم وجوهاً، ولا أطيبَ أرواحاً. ثم قد انقطعوا عني، فقال رسولُ
 الله ﷺ: أصابك جُرْحٌ فكنْتَ تكتمه، فقال: أجل. قال: ثم أظهرته. قال:
 قد كان ذلك. قال: أما لو أقمتَ على كِتْمَانِهِ لزارتكَ الملائكةُ إلى أن تموت.
 ومنهم جَرِيرُ بن عبد الله البَجَلِيُّ، قال رسولُ الله ﷺ: يَطْلُعُ عليكم من هذا
 الفَجِّ خَيْرُ ذِي يَمَنِ عَلَيْهِ مَسْحَةٌ مَلِكٌ^(١). ومنهم دِحْيَةُ بن خليفة الكلبي، كان
 جبريلُ صلى الله عليه يَهْبِطُ في صورته فمن ذلك يوم بني قُرَيْظَةَ لما انصرفَ
 رسولُ الله ﷺ من الخَنْدَقِ، وهبط عليه جبريلُ عليه السلام، فقال: يا محمد،
 قد وَضَعْتُمْ سِلَاحَكُمْ ما وَضَعَتِ الملائكةُ أَسْلِحَتَهَا بَعْدُ، إن الله يأمرُك أن
 تسيرَ إلى بني قريظة، وها أنا ذا سائرُ إليهم فَمُرُّوا بِهِمْ، فأمر رسولُ الله ﷺ
 الناسَ ألا يُصَلُّوا العصرَ إلا في بني قريظة، فجعل يمر بالناس، فيقول: أَمْرٌ
 بكم أحد؟ فيقولون: مر بنا دِحْيَةُ بن خليفة على بَعْلَةٍ عليها قُطِيفَةٌ^(٢) خَزٌّ^(٣) نحوبني
 قريظة. فيقول: ذاك جبرائيلُ ثم مرَّ دِحْيَةُ بعد ذلك، وكان لا يزال عليه السلام
 في غير هذا اليوم في ينزل في صورته كما ظهر إبليسُ في صورة الشيخ
 النَجْدِيِّ.

(١) مسحة ملك. يقال على فلان مسحة ملك أو مسحة جمال، أي أثر ظاهر منه ولا يقال ذلك إلا في المدح.

(٢) القُطِيفَةُ: كساء مخمل.

(٣) الخَزُّ: ثياب من صوف.



مرکز تحقیقات کتب و تواتر علوم اسلامی

٥٧ (وهذا باب قد تقدم ذكرنا إياه وَعَدْنَا استقصاءه)

إِعلم أن كل شيء من الحيوان كان مما يُخْبِرُ النَّاسُ عنه كما يخبرون عن أنفسهم، ومما يقتنونه ويتخذونه فِيهِمْ حاجةً إلى الفصل بين معرفته ونكرته، ومذكره ومؤنثه، تقول: جاءني رجل إذا لم تَدْرِ مَنْ هو بعينه أو دَرَيْتَ فلم ترد أن تُبَيِّنَ، ثم تُعَرِّفه لصاحبك إذا أردت ذلك إما بألف ولام وإما باسم معروف أو إضافة أو غير ذلك. وكذلك يفصل الناس بين الخيل بأسماء أو نُعُوت يعرفون بها بعضها من بعض، وكذلك الشَّاء والكلاب والإبل، لولا تمييز بعضها من بعض لم يستقم الإخبار عنها، والاختصاص بما أريد منها. فإذا كان الشيء ليس مما يتخذونه لم يحتاجوا إلى التمييز بين بعضه وبعض يقول: الرجل رأيت الأسد، فليس يعني أسداً بعينه ولكن يريد الواحد من الجنس الذي قد عرفت، وكذلك الذئب والعقرب والحية، وما أشبه ذلك. ألا ترى أن ابن عَرَسٍ، وسامٌ أبرص وأمٌ حُبَيْنٌ^(١) وأبا الحرث وأبا الحُصَيْنِ، معارف لا على أن تُمَيِّزَ بعضها من بعض، ولكن تعريف الجنس، وقولك: ابن مخاض وابن لبون وابن ماء نكرات لأن هذا ما يتخذه الناس، وابن ماء إنما هو مضاف إلى الماء الذي يعرف. فإذا أردت التعريف من هذا لهذه النكرات أدخلت، فيما أضيفت إليه الألف واللام أو لَقَّبْتُهَا الْقَاباً تُعرف بها كزيد وعمرو. وأعلم أن كل جمع مؤنث لأنك تريد معنى جماعة. ولا تُذَكِّرُ من ذلك إلا ما كان فعله يجري بالواو والنون في الجمع، وذلك كُلُّ ما يَعْقِلُ، تقول: مسلم ومسلمون.

(١) أم حبين كزبير عظمة منتنة وربما دخلها ال.

كما تقول قوم يُسَلِّمون، وتقول للجمال هي تسير وهنَّ يَسِرْنَ، كما تقول للمؤنث لأن أفعالها على ذلك، وكذلك المَوَاتُ قال الله عز وجل في الأصنام: ﴿رَبِّ انهنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ (١)، والواحد مذكر، وقال المفسرون في قوله: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَنَا﴾ (٢)، قالوا: المَوَاتُ (٣) فكل ما خرج عما يعقل فجمعه بالتأنيث، وفعلُهُ عليه لا يكون إلا ذلك، إلا ما كان من باب المنقوص نحو سِنِينَ وعِزِينَ وليس هذا موضعه، وجملته أنه لا يكون إلا مؤنثاً فلهذا كان يقع على بعض هذا الضرب الاسم المؤنثُ فَيَجْمَعُ الذَّكَرَ والأنثى. فمن ذلك قولهم: عقرب فهو إسم مؤنث، ألا أنك إن عَرَفْتَ الذَّكَرَ قلت: هذا عقرب. وكذلك الحية، تقول للأنثى: هذه حية، وللذكر: هذا حية. قال جرير:

أَن الْحَفَافِيثُ مِنْكُمْ يَا بَنِي لَجَأٍ يُطَرِّقْنَ حَيْثُ يَصُولُ الْحِيَةُ الذَّكَرُ

(قال الأخفش: الحفافيث ضرب من الحيات يكون صغير الجرم ينتفخ، ويعظم وينفخ نفخاً شديداً لا غائلة له) وتقول: هذا بَطَّةٌ. للذكر، وهذه بَطَّةٌ للأنثى. وهذا دَجَاجَةٌ، وهذه دَجَاجَةٌ. قال جرير:

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالدَّيْرَيْنِ أَرْقَنِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرْعُ بِالنَّوَاقِيسِ

يريد زُقاء الديوك، فالاسم الذي يجمعها دُجَاجَةٌ للذكر والأنثى. ثم يُخَصُّ الذَّكَرُ بأن يقال: ديك، وكذلك تقول: هذا بقرة لهما جميعاً، وهذا حُبَارَى. ثم يُخَصُّ الذَّكَرُ فتقول: ثور. وتقول للذكر من الحبارى حَرْبٌ. فعلى هذا يَجْرِي هذا الباب. وكل ما لم نذكره فهذا سبيله. وقد كنا أَرْجَأْنَا أَشْيَاءَ ذَكَّرْنَا أَنَا سَنَذْكُرُهَا فِي آخِرِ هَذَا الْكِتَابِ مِنْهَا خُطَبٌ وَمَوَاعِظٌ وَرِسَائِلٌ. وَنَحْنُ ذَاكِرُونَ مَا تَهَيَّأَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فِيمَا بَلَّغَنِي خَطْبَنَا

(١) سورة إبراهيم: الآية رقم ٣٦.

(٢) سورة النساء الآية رقم ١١٧.

(٣) الموات بالفتح ما لا روح منه.

أعرابي بالبادية، فحمد الله واستغفره، ووَحَّدَهُ وصلى على نبيه. فَبَلَغَ في إيجاز. ثم قال: أيها الناس، إن الدنيا دارُ بِلَاحٍ^(١)، والآخرة دارُ قرار، فخذوا من مَفَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، ولا تَهْتِكُوا أَسْثَارَكُمْ عند من لا تخفي عليه أسراركم، في الدنيا كنتم ولغيرها خُلِقْتُمْ. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والمُصَلِّي عليه رسول الله، والمدعو له الخليفة، والأمير جعفر بن سليمان. وُحْدْتُ في بعض الأسانيد أن عمر بن عبد العزيز، قال في خطبة له: أيها الناس، إنما الدنيا أَمَلٌ مُحْتَرَمٌ، وَأَجَلٌ مُتَقَصِّرٌ، وبِلاغٌ إلى دارٍ غيرها، وسيرٌ إلى الموت ليس فيه تَغْرِيجٌ^(٢)، فَرَحِمَ اللهُ أَمْرًا فَكَّرَ في أمره، وَنَصَحَ لنفسه وراقب ربه، واستقال ذنبه، وَنَوَّرَ قلبه. أيها الناس، قد علمتم أن أباكم قد أُخْرِجَ من الجنة بذنب واحد، وأن ربكم وَعَدَ على التوبة، فليكن أحدكم من ذنبه على وَجَلٍ، ومن ربه على أَمَلٍ. ويروى أن رجلاً معروفاً ذهب اسمه عني، قال: أتيت ابن عمر، فقلت: أَتَجِبُ الجنةَ لعاملٍ بكل الخيرات، وهو مُشْرِكٌ؟ فقال: لا. فقلت له: أَتَجِبُ النارَ لعاملٍ بالشر كله وهو مُوَحِّدٌ؟ قال: عَشٌّ ولا تَغْتَرَّ، قال: قال: وأتيت ابن عباس، فسألته، فأجابني بمثل جوابه سواءً وقال: عَشٌّ ولا تَغْتَرَّ^(٣). قال: وحدثني بهذا الحديث القاضي (يعني إسحاق بن إسحق) وذكر العُتْبِيُّ، أحسبه عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعد القُصَيْرِ، قال: خَطَبَ الناس بالمَوْسِمِ عُتْبَةُ في سنة إحدى وأربعين، وعَهْدُ الناس حديثاً بالفتنة، فاستفتح ثم قال: أيها الناس، إنا قد وَلِينَا هذا الموضعَ الذي يُضَاعِفُ اللهُ فيه للمحسن الأجرَ، وعلى المسيء الوزرَ، فلا تمدوا الأعناقَ إلى غيرنا، فإنها تنقطع دوننا، ورب مُتَمَنَّ في أَمْنِيَّتِهِ، اقبلوا العافية ما قبلناها منكم وفيكم، وإياكم ولَوْ، فقد أَتَعَبْتُ من كان قبلكم ولن تُرِيحَ مَنْ بعدكم، فاسألوا الله أن يُعِينَ كُلًّا على كُلِّ، فَتَعَقَّ به اعرابي من مؤخر المسجد، فقال: أيها الخليفة!

(١) البلاغ ما يتلغ به ويوصل إلى المطلوب.

(٢) التمرج: حبس المطية على المنزل والإقامة به.

(٣) مثل تضربه العرب بطلب فيه الحذر.

فقال : لَسْتُ بِهِ وَلَمْ تُبْعِدْ . قال : فَيَا أَخَاهُ . قال : قَدْ أَسْمَعْتُ فَعَلْتُ ، فَقَالَ :
وَاللَّهِ لَأَنْ تُحْسِنُوا وَقَدْ أَسَانَا خَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَسِيؤُوا وَقَدْ أَحْسَنَّا فَإِنْ
كَانَ الْإِحْسَانُ لَكُمْ فَمَا أَحَقُّكُمْ بِاسْتِمَامِهِ ، وَإِنْ كَانَ لَنَا فَمَا أَحَقُّكُمْ بِمُكَافَأَتِنَا .
رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ يُمُتُّ إِلَيْكُمْ بِالْعُمُومَةِ وَيَخْتَصُّ إِلَيْكُمْ بِالْخَوْلَةِ ، وَقَدْ وَطَّئَهُ
زَمَانٌ ، وَكَثُرَ عِيَالٌ فِيهِ أَجْرٌ وَعِنْدَهُ شُكْرٌ فَقَالَ عَتَبَةُ : أَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ مِنْكَ وَأَسْتَعِينُهُ
عَلَيْكَ ، قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِغِنَاكَ ، فَلَيْتَ إِسْرَاعِنَا إِلَيْكَ يَقُومُ بِالْهَائِنَا عَنْكَ . وَذَكَرَ
الْعَتَبِيُّ أَنَّ عَتَبَةَ خَطَبَ النَّاسَ بِمِصْرَ عَنْ مَوْجِدَةٍ فَقَالَ : يَا حَامِلِي الْأُمِّ أَنْفِي
رُكِبْتُ بَيْنَ أَغْيُنٍ ، إِنِّي وَإِنَّمَا قَلَّمْتُ أَظْفَارِي عَنْكُمْ لَيْلِينَ مَسِيٍّ لَكُمْ ، وَسَأَلْتُكُمْ
صَلَاحَكُمْ إِذَا كَانَ فَسَادُكُمْ بَاقِيًا عَلَيْكُمْ . فَأَمَّا إِذَا أُبَيْتُمْ إِلَّا الطَّعْنَ عَلَى السُّلْطَانِ
وَالْتَنَقُصَ لِلْسَّلَفِ ، فَوَاللَّهِ لَا قُطْعَنَ بِطَوْنِ السِّيَاطِ عَلَى ظَهْرِكُمْ فَإِنْ حَسَمْتُ
أَدْوَاءَكُمْ وَإِلَّا فَإِنَّ السَّيْفَ مِنْ دَوْرَائِكُمْ ، فَكَمْ مِنْ حِكْمَةٍ مَنَا لَمْ تَعِهَا قُلُوبُكُمْ ،
وَمِنْ مَوْعِظَةٍ مَنَا صَمَمْتُ عَنْهَا آذَانُكُمْ وَلَسْتُ أَبْخُلُ عَلَيْكُمْ بِالْعَقُوبَةِ إِذَا جُدْتُمْ
بِالْمَعْصِيَةِ ، وَلَا أُوَسِّدُكُمْ مِنْ مَرَاجِعَةِ الْحُسْنَى إِنْ صَرْتُمْ إِلَى الَّتِي هِيَ أَبْرُ وَأَتَقَى
ثُمَّ نَزَلَ .

مَا قِيلَ فِي عِزِّهِ بِنِ مَعَاوِيَةَ بِأَبِيهِ

وَذَكَرَ الْعَتَبِيُّ أَوْ غَيْرُهُ أَنَّ دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ خَطَبَ
النَّاسَ فِي أَوَّلِ مَوْسَمٍ مَلَكَهُ بَنُو الْعَبَّاسِ بِمَكَّةَ فَقَالَ : شُكْرًا شُكْرًا إِنَّا وَاللَّهِ مَا
خَرَجْنَا لِنُخْفِرَ فِيكُمْ نَهْرًا ، وَلَا لِنُبْنِي فِيكُمْ قَصْرًا ، أَظُنُّ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ
عَلَيْهِ أَنْ رُوخِي لَهُ مَنْ خِطَامِهِ حَتَّى عَثَرَ فِي فَضْلِ زَمَانِهِ . فَالآنَ حَيْثُ أَخَذَ
الْقَوْسَ بَارِيهَا وَعَادَتِ النَّبْلُ إِلَى النَّزْعَةِ ، وَرَجَعَ الْمُلْكُ فِي نِصَابِهِ فِي أَهْلِ بَيْتِ
الْبَنُوَّةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَتَوَجَّعُ لَكُمْ وَنَحْنُ فِي فُرْشِنَا ، أَمِنْ الْأَسْوَدِ
وَالْأَحْمَرِ ، لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ ، لَكُمْ ذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكُمْ ذِمَّةُ الْعَبَّاسِ ، وَلَا وَرَبَّ
هَذِهِ الْبَنِيَّةِ . وَأَوَّمَا بِيَدِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ . لَا نَهِيْجُ مِنْكُمْ أَحَدًا . قَالَ : وَخَطَبَ النَّاسَ
مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي
مِنْ رِزْعٍ قَدْ اسْتَحْصَدَ وَلَقِ يَأْتِيَكُمْ بَعْدِي إِلَّا مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ كَمَا لَمْ يَكُنْ قَبْلِي

إلا مَنْ هو خير مني . وفي غير هذا الخبر أنه قال لبناته عند وفاته : قَلْبَنِي
فَفَعَلْنَ ! فقال : انكنْ لَتَقْلَبْنَهُ حَوْلًا قَلْبًا إِنْ وَقِيَ كَبَّةُ النَّارِ ، ثم قال متمثلاً :

لَا يَتَّعِدَنَّ رُبِيعَةُ بْنُ مُكْدَمٍ وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبٍ

وقال لابنته قَرظَةَ ابكيني فقالت :

أَلَا أَبْكِيهِ أَلَا أَبْكِيهِ أَلَا كُلُّ الْفَتَى فِيهِ

فلما مات دخل الناسُ على يزيد يُعَزِّونَهُ بِأَبِيهِ ، وَيُهَنِّونَهُ بِالْخِلَافَةِ ، فَجَعَلُوا
يَقُولُونَ حَتَّى دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحِمَةَ
اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ ، إِنَّكَ قَدْ فُجِّعْتَ بِخَيْرِ الْأَبَاءِ وَأُعْطِيتَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ ، فَاصْبِرْ عَلَى
الرَّزِيئَةِ وَأَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى حُسْنِ الْعَطِيَّةِ ، فَلَا أُعْطِيَ أَحَدٌ كَمَا أُعْطِيتَ ، وَلَا رُزْيَ
كَمَا رُزِيتَ . فَقَامَ ابْنُ هَمَّامٍ السَّلُولِيُّ فَأَنْشَدَهُ شِعْرًا ، كَأَنَّمَا فَاوَضَهُ الثَّقَفِيُّ فَقَالَ :

أَصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ وَاشْكُرْ بَلَاءَ الَّذِي بِالْمُلْكِ أَصْفَاكَ
أَصْبَحْتَ تَمْلِكُ هَذَا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ فَأَنْتَ تَرْعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرْعَاكَ
مَا إِنْ رُزِيَ أَحَدٌ فِي النَّاسِ نَعْلَمُهُ كَمَا رُزِيتَ وَلَا عُقْبِي كَعُقْبَاكَ
وَفِي مَعَاوِيَةَ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ إِذَا نَعِيتَ وَلَا تَسْمَعُ بِمَنْعَاكَ

الْحَوْلُ مَعْنَاهُ ذُو الْحِيلَةِ ، وَالْقَلْبُ الَّذِي يَقْلِبُ الْأُمُورَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ . وَقَوْلُهُ :
إِنْ وَقِيَ كَبَّةُ النَّارِ . فَكَبَّةُ النَّارِ مَعْظَمُهَا ، وَكَذَلِكَ كَبَّةُ الْحَرْبِ ، وَيُقَالُ : لَقِيتَهُ فِي
كَبَةِ الْقَوْمِ ، وَيُرْوَى عَنْ بَعْضِ الْفَرَسَانِ أَنَّهُ طَعَنَ رَجُلًا فِي حَرْبٍ ، فَقَالَ : طَعَنْتَهُ
فِي الْكَبَةِ فَوَضَعْتَ رَمَحِي فِي اللَّبَةِ وَأَخْرَجْتَهُ مِنَ السَّيِّئَةِ . وَالسَّيِّئَةُ الدُّبُرُ . وَيُرْوَى
أَنْ خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ دَخَلَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَهُوَ يَتَغَذَّى ، فَقَالَ : اذْنُ فَكُلْ
يَا أَبَا صَفْوَانَ ، قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ لَقَدْ أَكَلْتُ أَكْلَةً لَسْتُ نَاسِيَهَا ، قَالَ : وَمَا
أَكَلْتُ ؟ قَالَ : أَتَيْتُ ضَيْعَتِي لِإِبَّانِ الْغِرَاسِ ، وَأَوَانَ الْعِمَارَةِ فَجُلْتُ فِيهَا جَنُودَةً
حَتَّى إِذَا صَخَدَتْ ^(١) الشَّمْسُ ، وَأَزْمَعْتُ بِالرُّكُودِ مِلْتُ إِلَى غُرْفَةٍ لِي هَفَافَةٍ ^(٢) فِي

(١) صَخَدَتِ الشَّمْسُ : اشْتَدَّ حَرُّهَا .

(٢) غُرْفَةُ هَفَافَةٍ : فِيهَا رِيحٌ طَيِّبَةٌ سَاكِنَةٌ .

حَدِيقَةٌ قَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، وَنُضِجَ بِالماءِ جَوَانِبُهَا ، وَفُرِشَتْ أَرْضُهَا بِألوانِ
الرياحين ، مِنْ بَيْنِ ضَمْرَانٍ^(١) نَافِحٍ وَسُمْسِقٍ^(٢) فَائِحٍ ، وَأَقْحُوَانٍ زَاهِرٍ وَوَرْدٍ نَاضِرٍ .
ثُمَّ أُتِيَتْ بِخَبِيزِ أَرْضٍ كَأَنَّهُ قِطْعُ الْعَقِيقِ ، وَسَمَكٍ بُنَانِيٍّ^(٣) بَيَضَ البَطُونِ زُرْقِ الْيَعُونِ
سُودِ الْمُتُونِ عِرَاضِ السَّرَرِ غِلَاطِ الْقَصْرِ وَدُقَّةِ وَخْلُولِ وَمُرِيٍّ وَبُقُولٍ . ثُمَّ
أُتِيَتْ بِرُطَبٍ أَصْفَرٍ صَافٍ غَيْرِ أَكْدَرٍ لَمْ تَبْتَذِلْهُ الْأَيْدِي وَلَمْ يَهْشِمَهُ كَيْلُ
الْمَكَايِيلِ ، فَأَكَلْتُ هَذَا ثُمَّ هَذَا . فَقَالَ يَزِيدُ : يَا ابْنَ صَفْوَانَ لَأَلْفُ جَرِيبٍ مِنْ
كَلَامِكَ مَزْرُوعٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ جَرِيبٍ مَذْرُوعٍ .

كتاب المنصور إلى محمد بن عبد الله

وَنَحْنُ ذَاكِرُونَ الرِّسَائِلَ بَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ وَبَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ الْعَلَوِيِّ ، كَمَا وَعَدْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ ، وَنَخْتَصِرُ مَا يَجُوزُ
ذِكْرُهُ مِنْهُ وَنُتَمِّسُكَ عَنِ الْبَاقِي فَقَدْ قِيلَ الرَّأْيَةُ أَحَدُ الشَّاتِمِينَ ، قَالَ : لَمَّا خَرَجَ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْمَنْصُورِ كَتَبَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَمَّا بَعْدُ
فَأَمَّا جَزَاءُ الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا
أَوْ يُصَلَّبُوا ، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ
خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَلَكَ عَهْدُ اللَّهِ وَدِمَّتُهُ وَمِيثَاقُهُ ،
وَحَقُّ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنْ تُبِتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُقْدِرَ عَلَيْكَ أَنْ أَوْمَنْكَ عَلَى نَفْسِكَ
وَوَلَدِكَ وَإِخْوَتِكَ وَمَنْ بَايَعَكَ وَتَابَعَكَ وَجَمِيعَ شِيعَتِكَ . وَأَنْ أُعْطِيَكَ أَلْفَ أَلْفِ
دِرْهَمٍ وَأُنْزَلَكَ مِنَ الْبِلَادِ حَيْثُ شِئْتَ وَأَقْضِيَ لَكَ مَا شِئْتَ مِنَ الْحَاجَاتِ ، وَأَنْ
أُطْلِقَ مَنْ فِي سِجْنِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ وَشِيعَتِكَ وَأَنْصَارِكَ ثُمَّ لَا أَتَّبِعَ أَحَدًا مِنْكُمْ

(١) الضمران : من ريحان البر والريحان الفارسي .

(٢) السمسق : الياسمين .

(٣) سمك بناني : واحده بني بالضم وتشديد الباء وهو صنف جيد من السمك .

بمكروهه فإن شئت أن تتوثق لنفسك فَوَجِّهْهُ إِلَيَّ مَنْ يَأْخُذُ لَكَ مِنَ الْمِيثَاقِ وَالْعَهْدِ
وَالْأَمَانِ مَا أَحْبَبْتَ، وَالسَّلَامُ.

جواب محمد إلى المنصور

فكتب إليه محمد بن عبد الله: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله
محمد المهدي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد: ﴿أما بعد طسم تلك
آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون﴾^(١) بالحق لقوم
يؤمنون، أن فرعون علا في الأرض، وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم
يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْكَدِينَ، «ونريد أن نمنَّ على
الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُم الْوَارِثِينَ وَنُكِّنَ لَهُمْ
فِي الْأَرْضِ، وَنُبْرِئَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ»^(٢)، وَأَنَا
أَعْرِضُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَمَانِ مِثْلَ الَّذِي أُعْطَيْتَنِي، وَقَدْ تَعَلَّمُ أَنَّ الْحَقَّ حَقُّنَا، وَأَنْكُمْ
إِنَّمَا طَلَبْتُمُوهُ بِنَا وَنَهَضْتُمْ فِيهِ بِشِيعَتِنَا وَخِيطْتُمُوهُ بِفَضْلِنَا، وَإِنْ أَبَانَا عَلِيًّا عَلَيْهِ
السَّلَامُ كَانَ الْوَصِيُّ وَالْإِمَامُ، فَكَيْفَ وَرَثْتُمُوهُ دُونَنَا، وَنَحْنُ أَحْيَاءُ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ
لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَمُتُ بِمِثْلِ فَضْلِنَا وَلَا يَقْفِرُ بِمِثْلِ قَدِيمِنَا وَحَدِيثِنَا،
وَنَسَبِنَا وَسَبِينَا، وَأَنَا بَنُو أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو فِي الْجَاهِلِيَّةِ دُونَكُمْ
وَبِنُو ابْنَةِ فَاطِمَةَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ بَيْنَكُمْ، فَأَنَا أَوْسَطُ بَنِي هَاشِمٍ نَسَباً، وَخَيْرُهُمْ
أُمّاً وَأَباً، لَمْ تَلِدْنِي الْعَجَمَ، وَلَمْ تُعْرِقْ فِيَّ أُمّهَاتُ الْأَوْلَادِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى لَمْ يَزَلْ يَخْتَارُ لَنَا فَوَلَدَنِي مِنَ النَّبِيِّينَ أَفْضَلُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَمِنْ أَصْحَابِهِ
أَقْدَمُهُمْ إِسْلَاماً، وَأَوْسَعُهُمْ عِلْماً، وَأَكْثَرُهُمْ جِهَاداً عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَمِنْ
نِسَائِهِ أَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَصَلَّى الْقِبْلَةَ، وَمِنْ بَنَاتِهِ
أَفْضَلُهُنَّ وَسِيدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِنْ الْمَوْلُودِينَ فِي الْإِسْلَامِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ
سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. ثُمَّ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ هَاشِماً وَلَدَ عَلِيّاً مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّ عَبْدَ
الْمَطْلَبِ وَلَدَ الْحَسَنَ مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَدَنِي مَرَّتَيْنِ مِنْ قَبْلِ جَدِّي

(١) سورة القصص رقم ٣.

(٢) سورة الشعراء - ١ - ٢.

الحسن والحسين. فما زال الله يختار لي حتى اختار لي في النار، فولدني أرفع الناس درجة في الجنة، وأهون أهل النار عذاباً. فأنا ابن خير الأخيار، وابن خير الأشرار، وابن خير أهل الجنة، وابن خير أهل النار، ولك عهد الله إن دخلت في بيعتي أن أؤمنك على نفسك وولدك، وكل ما أصبته إلا حداً من حدود الله، أو حقاً لمسلم أو معاهيد فقد علمت ما يلزمك في ذلك، فأنا أوفى بالعهد منك، وأخرى لقبول الأمان. فأما أمانك الذي عرضت علي فأبي الأمانات هو. أمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله ابن علي، أم أمان أبي مسلم والسلام.

جواب المنصور

فكتب إليه المنصور: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله أمير المؤمنين، إلى محمد بن عبد الله. أما بعد، فقد أتاني كتابك وبلغني كلامك فإذا جل فخرك بالنساء لتفضل به الجفأة والغوغاء، ولم يجعل الله النساء كالعمومة، ولا الآباء كالعصبة والأولياء، ولقد جعل العم أباً وبدأ به على الوالد الأذن، فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ (١) ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ وعمومته أربعة، فأجابه اثنان أحدهما أبي وكفر اثنان أحدهما أبوك، فأما ما ذكرت من النساء وقربائهن، فلو أعطيت على قرب الأنساب وحق الأحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب، ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه، فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب، فإن الله لم يهدي أحداً من ولدها للإسلام، ولو فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير في الآخرة والأولى، وأسعدهم لدخول الجنة غداً. ولكن الله آبي ذلك، فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ الْهَلَّ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٢). فأما ما

(١) سورة يوسف: الآية رقم ٣٨.

(٢) سورة القصص: الآية رقم ٥٦.

ذَكَرَتْ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ أُمِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَفَاطِمَةَ أُمِّ الْحَسَنِ، وَأَنْ هَاشِمًا وَلَدَ عَلِيًّا مَرَّتَيْنِ، وَأَنْ عَبْدَ الْمَطْلَبِ وَلَدَ الْحَسَنَ مَرَّتَيْنِ، فَخَيْرُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَلِدْهُ هَاشِمٌ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَمْ يَلِدْهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّكَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾^(١). وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَلَكِنْكُمْ بَنُو ابْنَتِهِ، وَإِنَّهَا لَقَرَابَةٌ قَرِيبَةٌ، غَيْرَ أَنَّهَا امْرَأَةٌ لَا تَحُوزُ الْمِيرَاثَ وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَوِّمَ، فَكَيْفَ تَوَرَّثَ الْإِمَامَةُ مِنْ قَبْلِهَا، وَلَقَدْ طَلَبَ بِهَا أَبُوكَ بِكُلِّ وَجْهِ، فَأَخْرَجَهَا تُخَاصِمُ، وَمَرَضَهَا سِرًّا وَدَفَنَهَا لَيْلًا. فَأَبَى النَّاسُ إِلَّا تَقْدِيمَ الشَّيْخِينَ، وَلَقَدْ حَضَرَ أَبُوكَ، وَفَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِالصَّلَاةِ غَيْرُهُ ثُمَّ أَخَذَ النَّاسُ رَجُلًا رَجُلًا فَلَمْ يَأْخُذُوا أَبَاكَ فِيهِمْ. ثُمَّ كَانَ فِي أَصْحَابِ الشُّوْرَى فَكُلُّ دَفْعَةٍ عَنْهَا بَايَعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَثْمَانَ وَقَبِلَهَا عَثْمَانُ، وَحَارَبَ أَبَاكَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، وَدَعَا سَعْدًا إِلَى بَيْعَتِهِ فَأَغْلَقَ بَابَهُ دُونَهُ، ثُمَّ بَايَعَ مُعَاوِيَةَ بَعْدَهُ وَأَفْضَى أَمْرُ جَدِّكَ إِلَى أَبِيكَ الْحَسَنِ فَسَلَّمَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِخَرْقٍ وَدِرَاهِمٍ. وَأُسْلِمَ فِي يَدَيْهِ شِيعَتُهُ، وَخَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَدَفَعَ الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، وَأَخَذَ مَالًا مِنْ غَيْرِ حِلٍّ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِيهَا شَيْءٌ فَقَدْ بَعَثْتُمُوهُ. فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَكَ فِي الْكُفْرِ فَجَعَلَ أَبَاكَ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا، فَلَيْسَ فِي الشَّرِّ خِيَارٌ، وَلَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ هَيِّئٌ، وَلَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَفْخَرَ بِالنَّارِ، وَسَتَرْدُ فَتَعْلَمَ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢). وَأَمَّا قَوْلُكَ أَنَّكَ لَمْ تَلِدْكَ الْعَجْمَ وَلَمْ تُعْرِقْ فِيكَ أُمَّهَاتُ الْأَوْلَادِ، وَأَنَّكَ أَوْسَطُ بَنِي هَاشِمٍ نَسَبًا وَخَيْرُهُمْ أَمًّا وَأَبًّا، فَقَدْ رَأَيْتَكَ فَخَرْتَ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ طَرًّا وَقَدَّمْتَ نَفْسَكَ عَلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ أَوْلًا وَآخِرًا، وَأَصْلًا وَفَصْلًا. فَخَرْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى وَالِدِ وَلَدِهِ. فَانْظُرْ وَيْحَكَ أَيْنَ تَكُونُ مِنَ اللَّهِ غَدًا، وَمَا وَلَدَ فِيكُمْ مَوْلُودٌ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ عَلِيِّ بْنِ

(١) سورة الأحزاب: الآية رقم ٤٠.

(٢) سورة الشعراء: الآية رقم ٢٢٧.

الحسين، وهو لأمٌ وَلِدَ، ولقد كان خيراً من جدك حسن بن حسن، ثم ابنه محمد بن علي خير من أبيك وجدته أمٌ وَلِدَ. ثم ابنه جعفر وهو خير منك. ولقد علمت أن جدك علياً حَكَمَ حَكَمَيْنِ وأعطاهما عهدَه وميثاقَه على الرضا بما حكما به، فاجتمعا على خَلْعِهِ ثم خرج عَمَّكَ الحسين بن علي بن ابن مَرْجَانَةَ، فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه. ثم اتُّوا بكم على الأفتاب بغير أَوْطِيهِ كَالسَّبْيِ المجلوب إلى الشام، ثم خرج منكم غير واحد فَقَتَلْتُمْ بنو أُمَيَّةَ وَحَرَّقَوْكُمْ بالنار وَصَلَبُوكُمْ على جذوع النخل، حتى خرجنا عليهم فَأَدْرَكْنَا بئاركم إذ لم تُدْرِكُوهُ، ورفعنا أقداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم، بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما تُلَعْنُ الكفرةُ فَعَنَفْنَاهُمْ وَكَفَرْنَاهُمْ وَبَيَّنَّا فضله وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجةً وظننت أنا لما ذكرنا من فضل عليٍّ أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر، كل أولئك مَضُوءًا سَالِمِينَ مُسَلَّمًا منهم، وابتلي أبوك بالدماء، ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سِقَايَةُ الْحَجِيجِ الْأَعْظَمِ وَوِلَايَةُ زَمْزَمَ، وكانت للعباس دون إخوانه فنازعنا فيها أبوك إلى عمر، فقضى لنا عمر عليه، وتوفي رسول الله ﷺ وليس من عمومته أحد حيًّا إلا العباس، فكان وارثه دون بني عبد المطلب، وطلَّبَ الخلافةَ غيرُ واحدٍ من بني هاشم فلم يَنْلُهَا إِلَّا وَلَدُهُ فَاجْتَمَعَ للعباس أنه أبو رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء وبنوه القادةُ الخلفاء، فقد ذهب بفضل القديم الحديث، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كَرَّهًا لَمَاتَ عَمَّاكَ طَالِبٌ وَعَقِيلٌ جَوْعًا، أَوْ يَلْحَسَا جِفَانٌ عُتْبَةٌ وَشَيْبَةٌ فَأَذْهَبَ عَنْهُمَا الْعَارُ وَالشَّارَ، ولقد جاء الإسلام، والعباسُ يَمُونُ أَبَا طَالِبٍ لِلْأُزْمَةِ التي أصابتهم. ثم فَدَى عَقِيلًا يوم بدر: فَقَدْ مُنَّاكُمْ فِي الْكُفْرِ وَفَدَيْنَاكُمْ مِنَ الْأَمْرِ وَوَرِثْنَا دُونَكُمْ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وحزنا شرف الآباء، وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه، ووضعناكم بحيث لم تَضَعُوا أَنْفُسَكُمْ وَالسَّلَامَ.

رسالة هشام إلى خالد بن عبد الله

قال أبو العباس: وقد ذكرنا رسالة هشام إلى خالد بن عبد الله وإنا

سنذكرها بتمامها في غير هذا الموضع الذي ابتدأنا ذكرها أولاً فيه، وكان سبب هذه الرسالة إفراط خالد في الدالة على هشام وأنه أخذ ابن حسان النبطي فضربه بالسياط، وكان يقال له سهيل، قال: فبعث بقميصه إلى أبيه وفيه آثار الدم فأدخله أبوه إلى هشام مع ما قد أوغر صدر هشام عليه من إفراط الدالة واحتجاج الأموال، وكفر ما أسداه إليه من توليته إياه العراق. فكتب هشام إلى خالد: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين. عنك أمر لم يحتمله لك إلا لما أحب من رب الصنعة قبلك، واستتمام معروفة عندك، وكان أمير المؤمنين أحق من استصلح ما فسد عليه منك فإن تعذ لمثل مقالتك وما بلغ أمير المؤمنين عنك رأى في معاجلتك بالعقوبة، رآه أن النعمة إذا طالت بالعبد ممتدة أبطرت فأساء حمل الكرامة، واستقل العافية، ونسب ما في يديه إلى حيلته وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته. فإذا نزلت به الغير وانكشطت عنه عماية الغي والسلطان دل منقاداً وندم حسيراً، وتمكن منه عدوه قادراً عليه قاهراً له، ولو أراد أمير المؤمنين إفسادك لجمع بينك وبين من شهد فلتات خطلك، وعظيم زللك حيث تقول لجلسائك والله ما زادني ولاية العراق شرفاً: ولا ولاني أمير المؤمنين شيئاً لم يكن من قبلي ممن هو دوني يلي مثله، ولعمري لو ابتليت ببعض مقاوم الحجاج في أهل العراق في تلك المضايق التي لقي لعلمت أنك رجل من بجيلة فقد خرج عليك أربعون رجلاً فغلبوك على بيت مالك، وخزائنك حتى قلت أطعموني ماء دهنشاً ويغلاً وجبناً فما استطعتهم إلا بأمان. ثم أخفرت ذمتك منهم رزين وأصحابه، ولعمري أن لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخطلك في مجلسك، وجحودك فضله إليك، وتصغير ما أنعم به عليك فحل، العقدة ونقض الصنعة وردك إلى منزلة أنت أهلها كنت لذلك مستحقاً، فهذا جدك يزيد بن أسد قد حشد مع معاوية في يوم صفين، وعرض له دينه ودمه، فما اصطنع إلا عنده، ولا ولأه ما اصطنع إليك أمير المؤمنين وولاك. وقبلة من أهل اليمن وبيوتاتهم من قبيلة أكرم من قبيلتك، من كندة وغسان وآل ذي يزن وذي كلاع وذي رعين في نظرائهم من

بيوتات قومهم . كلهم أكرم أوله وأشرف أسلافاً من آل عبد الله بن يزيد، ثم
 أترك أمير المؤمنين بولاية العراق، بلا بيت رفيع، ولا شرف قديم، وهذه
 البيوتات تغلوك وتغمرك وتسكتك، وتتقدمك في المحافل والمجامع عند بدء
 الأمور، وأبواب الخلفاء. ولولا ما أحب أمير المؤمنين من رد غريبك لعاجلك
 بالتي كنت أهلها وإنها منك لقريب مأخذها سريع مكروها فيها إن أبقي الله
 أمير المؤمنين زوال نعمه عنك، وحلول نعيمه بك فيما ضيعت وارثك بالعراق
 من استعانتك بالمجوس، والنصارى، وتوليتهم رقاب المسلمين وجبوة
 خراجهم، وتسلطهم عليهم، نزع بك إلى ذلك عرق سوء فيهم من التي قامت
 عنك، فبش الجنين أنت يا عدي نفسيه، وإن الله عز وجل لما رأى إحسان
 أمير المؤمنين إليك، وسوء قيامك بشكره، قلب قلبه فأسخطه عليك حتى
 قبحت أمورك عنده، وآيسه من شكر ما ظهر من كفر النعمة عندك،
 فأصبحت تنتظر سقوط النعمة، وزوال الكرامة وحلول الخزي. فتأهب لنوازل
 عقوبة الله بك، فإن الله عليك أوجد ولما عملت أكره. فقد أصبحت وذنبك
 عند أمير المؤمنين أعظم من أن يكتك إلا راتباً بين يديه، وعنده من يقرر بها
 ذنباً ذنباً، ويكتك بما أتيت أمراً. فقد نسيته وأحصاه الله عليك، ولقد
 كان لأمر المؤمنين زاجر عنك فيما عرفك به من التسرع إلى حماقتك في غير
 واحدة، منها القرشي الذي تناولته بالحجاز ظالماً فضربك الله بالصوت الذي
 ضربته به مفتضحاً على رؤوس رعيتك، ولعل أمير المؤمنين يعود لك بمثل
 ذلك فإن يفعل فأهله أنت، وإن يصفح فأهله هو. ومن ذلك ذكرك زمزم وهي
 سقى الله وكرامته لعبد المطلب، وهذا الحي من قريش تسميها أم جعار: فلا
 سقاك الله من حوض رسوله وجعل شركما لخيركما الفداء. والله أن لو لم
 يستدل أمير المؤمنين على ضعف نحائرك وسوء تدبيرك، إلا بغسالة دخائلك
 ويطانتك وعمالك، والغالبه عليك جاريتك الرائفة بائعة الفهود، ومستعملة
 الرجال، مع ما أتلقت من مال الله في المبارك فإنك ادعيت أنك أنفقت عليه
 إثني عشر ألف ألف درهم، والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما

احتمل لك أمير المؤمنين ما أفسدت من مال الله، وضيعت من أمور المسلمين، وسلطت من ولاية السوء على جميع أهل كور عملك، تجمع إليك الدهاقين هدايا النيروز والمهرجان حابساً لأكثره، رافعاً لأقله، مع مخايب مساويك التي قد أخر أمير المؤمنين تقريرك بها ومناصبتك أمير المؤمنين في مولاه حسان ووكيله في ضياعه وأخواجه في العراق، وإقدامك على ابنه بما أقدمت به. وسيكون لأمر المؤمنين في ذلك نبأ إن لم يعف عنك، ولكنه يظن أن الله طالبك بأمور أتيتها غير تارك لتكثيفك عنها، وحملك الأموال ناقصة عن وظائفها التي جباها عمر بن هبيرة، وتوجيهك. أخاك أسد إلى خرسان، مظهراً العصبية بها متحاملاً على هذا الحي من مضر قد أتت أمير المؤمنين بتصغيره بهم، واحتقاره لهم، وركوبه إيهم الثقات ناسياً لحديث زرنب، وقصص الهجريين كيف كانت في أسد بن كرر، فإذا خلوت أو توسطت ملاً فاعرف نفسك وخف رواجع البغي عليك وعاجلات النقم فيك. وأعلم أن ما بعده كتاب أمير المؤمنين هذا أشد عليك، وأفسد لك، وقيل أمير المؤمنين خلف منك كثير في أحسابهم وبيوتاتهم وأديانهم. وفيهم عوض منك، والله من وراء ذلك. وكتب عبد الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة.



مرکز تحقیقات کاپیویر علوم اسلامی

خاتمة الكتاب

(هذا الكتاب قد وَفَّيْنَاهُ جَمِيعَ حَقُوقِهِ . وَوَفَّيْنَا بِجَمِيعِ شُرُوطِهِ إِلَّا مَا أَذْهَلَ عَنْهُ النِّسيَانُ . فَإِنَّهُ قَلِمًا يُخْلَى مِنْ ذَلِكَ ، وَنَحْنُ خَاتِمُوهُ بِأَشْعَارِ طَرِيفَةٍ وَآخِرُ ذَلِكَ الَّذِي نَخْتَمُ بِهِ آيَاتُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّوْقِيفِ عَلَى مَعَانِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ) قال الشاعر:

أَذْكُرُ مَجَالِسَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ بَعُدُوا وَخَنَ إِلَيْهِمُ الْقَلْبُ
الشَّرْقُ مَنْزِلُنَا وَمَنْزِلُهُمْ غَرِبْتُ وَأَنْتَ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ
مِنْ كُلِّ أَبْيَضٍ جُلُّ زِينَتِهِ وَسَيِّدُكَ أَحْمُ وَصَارُمُ عَضْبُ

مركز تحقيقات كليات علوم وادب

وقال آخر:

حَيَاةُ أَبِي الْعَوَّامِ زَيْنٌ لِقَوْمِهِ لِكُلِّ أَمْرٍ قَاسَ الْأُمُورَ وَجَرُّبَا
وَتَعْتَبُ أَحْيَانًا عَلَيْهِ وَلَوْ مَضَى لَكُنَّا عَلَى الْبَاقِي مِنَ النَّاسِ أَعْتَبَا

وقال مسلم:

حَيَاتُكَ يَا ابْنَ سَعْدَانَ بْنِ يَحْيَى حَيَاةُ لِلْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي
جَلَبْتُ لَكَ الشَّاءَ فَجَاءَ عَفْوًا وَنَفْسُ الشُّكْرِ مُطْلَقَةُ الْعِقَالِ
وَتَرْجِعُنِي إِلَيْكَ وَإِنْ نَأَتْ بِي دِيَارِي عَنْكَ تَجْرِبَةُ الرِّجَالِ

وقيل في المثل: المبالغة في النصيحة تقع بك على عظيم الظنة، وأنشدني العباس بن الفرَجِ الرياشي:

وَكَمْ سَقَتْ فِي آثَارِكُمْ مِنْ نَصِيحَةٍ وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنُّ الْمُتَنَصِّحُ

وَأَنْشَدَنِي الرِّيشِيُّ :

إِذَا الْأَمْرُ أَغْنَى عَنْكَ جُنُوبَهُ فَاجْتَنِبْ مَعْرَةً أَمْرٍ أَنْتَ عَنْهُ بِمَعْرُزٍ
وَقَالَ الْعَتَّابِيُّ :

لَا تَرْجُ رَجْعَةَ مَذْنِبٍ خَلَطَ احْتِجَاجاً بِاعْتِذَارٍ
وَقَالَ أَيْضاً :

وَفَيْتُ كُلَّ خَلِيلٍ وَدَنِي ثَمَناً إِلَّا السُّؤْمَلَ دَوْلَاتِي وَأَيَّامِي

وقيل للعتابي : ما أقربُ البلاغة؟ قال : ألاَّ يُؤْتَى السامعُ من سوءِ إفهامِ
القائل ، ولا يُؤْتَى القائلُ من سوءِ فهمِ السامع . وقال ابنُ يسيرٍ :

أَقْدِرْ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْرِ مَنْزِلَهَا فَمَنْ عَلَا زَلْقاً عَنْ غِرَّةٍ زَلَقَا

وكان يقال : أَصُمْتُ لَتَفْهَمَ ، وَاذْكُرْ لَتَعْلَمَ ، وَقُلْ لَتَذُلُقَ . ونذكر آيات من
القرآن ربما غلط في مجازها التحويين ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ
الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ ^(١) . فجاز الآية ، إن المفعول الأول محذوف ، ومعناه
يخوفكم من أوليائه . وفي القرآن : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ ^(٢) ،
والشهر لا يغيب عنه أحد ، ومجاز الآية : فمن كان منكم شاهداً بلده في
الشهر فليصمه والتقدير . فمن شهد منكم أي فمن كان شاهداً في شهر رمضان
فليصمه ، نَصَبَ الظروفِ لا نَصَبَ المفعولِ به . وفي القرآن في مخاطبة
فرعون : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾ ^(٣) . فليس معنى
تنجيك نخلصك ، ولكن نلقيك على نَجْوَةٍ من الأرض ببदनك ، بِدِرْعِكَ يَدُلُّ
على ذلك لتكون لمن خلقك آية . وفي القرآن : ﴿ يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ

(١) سورة آل عمران : الآية ١٧٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية رقم ١٨٥ .

(٣) سورة يونس : الآية رقم ٩٢ .

تؤمنوا بالله ربكم^(۱)، فالوقف يخرجون الرسول، وإياكم. أي يخرجونكم
لأن تؤمنوا بالله ربكم.

وصلی اللہ علی محمد خاتم النبیین ونستغفر اللہ ما قلناه من عمْدٍ وقصدٍ
وزللٍ وخللٍ.



مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی

(۱) سورة الممتحنة: الآية رقم ۱.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفهرس

٤٦ - باب في ما يريغ القارىء

٥	ويصرف عنه الملل
٨	الوليد بن يزيد يفتخر
٨	ضروب الكناية
١٠	متابعة ضروب الكناية
١٤	في الساكن والمتحرك
١٥	من غزل ذي الرمة
١٥	من طرائف العشاق
١٧	هدية أبي العتاهية إلى أمير المؤمنين
١٨	من نسيب ذي الرمة
١٩	من أحاديث عمر بن الخطاب
٢١	في صفات الله
٢٥	بين الكذب وإفشاء السر
٢٨	بكر بن النطاح يمدح مالكا الخزاعي
٢٨	مدح الخليل لعاصم الغساني
٣٠	من الأشعار التي قيلت في سعيد بن سلم
٣٠	في رثاء سعيد بن سلم
٣٣	مبلغ احتقار العرب لباهلة
٣٤	في مجلس قتيبة بن مسلم
٣٦	مديح للأعشى

٣٧	شرح هذا الشعر
٤٣	عمارة بن عقيل يهجو بني حنيفة
٤٤	للوليد بن عقبة
٤٦	في رثاء عثمان
٤٩	٤٧ - باب من تشابه العرب
٥٥	في المدح والذم
٥٦	من أعاجيب التشابه
٦١	أما قيل في الخمريات
٦١	من مدح يزيد بن يزيد
٦٤	من أشعار الهجاء
٦٥	كما يستعمل عند العرب لتشابه النساء
٦٨	من وصف العرب للرياح
٧١	نذر لبيد بن ربيعة
٧٤	في وصف البر
٧٦	للسليك يرثي فرسه
٧٩	من وصايا العرب
٧٩	ما قيل في الترفع عن الوضع
٨٢	حلم الأحنف
٨٧	في غزل ابن هبيرة
٨٨	شرح الأبيات
٩٠	للمهلهل
٩١	الراجز يصف غيماً
٩٢	بعض ما قيل في الآيات القرآنية
٩٣	حديث العجلي مع هشام بن عبد الملك
٩٩	من مدح عمر بن أبي ربيعة
١٠٣	من التشابه
١١٢	في نوح الحمام
١١٤	في الغناء

١١٥	 عودة إلى التشبيه
١١٩	 من تشابه العرب
١٢٢	 من مدح المهدي
١٢٣	 من خمرات أبي نواس
١٢٤	 في وصف الفرس
١٢٦	 في وصف الخمر
١٣١	 في الهجاء

٤٨ - باب في فنون الشعر التي

١٣٥	استشهد بها العرب
١٣٥	 من مدح للحاج
١٣٦	 في الذم
١٣٧	 مما قيل في البخل

٤٩ - باب من أخبار الخوارج

١٤١	 في بيعة الخوارج
١٤٣	 من حديث مع عمر بن الخطاب
١٤٤	 حديث عمران بن حطان
١٤٥	 حديث عمران بن حطان مع عبد الملك
١٤٨	 من تفسير لفظة المشوى
١٥٥	 مناظرة علي للخوارج
١٥٦	 الراعي يخاطب عبد الملك
١٥٧	 محاربة المهلب لأصحاب نافع بن الأزرق
١٦١	 حادثة الرجل الأسود مع رسول الله
١٦٣	 بشار بن برد يهجو واصل بن عطاء
١٦٥	 عودة إلى الخوارج ومحاربة علي لهم
١٦٥	 اتفاق ثلاثة على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص
١٦٩	 في رثاء علي بن أبي طالب
١٧٢	 من أوقاف علي رضي الله عنه
١٧٤	 حديث علي مع الخوارج

١٧٧	 غيلان بن خرشة عند زياد
١٨٠	 من الخمريات
١٨١	 عودة إلى الخوارج
١٨٢	 في تفسير الآيات القرآنية
١٨٤	 هجاء جرير للمهلب
١٨٥	 حوار نافع بن الأزرق وابن عباس
١٧٨	 من قصائد عمر بن أبي ربيعة
١٨٩	 في تفسير أبيات عمر
١٨٩	 بعض ما ذكر عن رسول الله ﷺ
١٩٠	 إعجاب عبد الملك برجل من الخوارج
١٩١	 وفادة أحدهم على معاوية
١٩٤	 سؤال أصحاب النخيلة في سبأ
١٩٥	 أول من خرج بعد مقتل علي
١٩٦	 خبر المستورد والخارجي وآدابه
١٩٦	 مما جرى مع رسول الله ﷺ
١٩٨	 خروج قريب مرة وزحاف الطائي
٢٠٠	 قتل امرأة في الخوارج في البلجاء
٢٠١	 أخبار مرداس بنت حدير
٢٠٤	 عيس بن فاتك يمدح الخوارج
٢٠٦	 عمران بن حطان يرثي مرداساً
٢٠٧	 مقتل عباد بن أخضر المازني
٢١٠	 سياسة زياد مع الخوارج
٢١٢	 المختار بن أبي عبيد الثقفي ودعوته

٥٠ - باب اللام التي للاستغاثه

والتي للإضافة

٢١٧	 عودة إلى الخوارج
٢١٨	 خروج الخوارج
٢٢٠	 خروج الأزارقة إلى ابن الزبير
٢٢١	

٢٢٥	 ما حدث مع الأزارقة في البصرة
٢٢٩	 في قتل عثمان
٢٣٢	 مقتل نافع بن الأزرق
٢٣٤	 في شرح بعض ما ورد من ألفاظ
٢٣٧	٥١ - باب فعل في النسب
٢٤٠	 عودة إلى الخوارج الأزارقة وتكفير من قتل مسلماً
٢٤١	 وقائع الأزارقة مع ولاية ابن الزبير
٢٤١	 إستنجاد أهل البصرة بالأحنف
٢٣٩	٥٢ - باب النسبة إلى المضاف
٢٤٦	 خطبة المهلب في أصحابه
٢٤٧	 في ما يستحسن من الكذب
٢٤٨	 أحد بني تميم يذم المهلب
٢٥٠	 في شرح لفظة الضمار
٢٥١	 في شرح لفظة كائن
٢٥١	 قتال المهلب للخوارج
٢٥٥	 كتاب المهلب إلى الحارث
٢٥٦	 مبايعة الخوارج للزبير
٢٥٨	 توليه مصعب بن الزبير على البصرة
	مشاورة بين مصعب والناس بشأن الخوارج
٢٥٩	 وولاية عمر بن عبيد الله
٢٦٠	 مقتل عمرو بن هيصص
٢٦٤	 ما دار بين خالد بن حصوان وبلال ابن أبي مروة
٢٦٥	 حصار الخوارج لعتاب بن ورقاء
٢٦٦	 الحديث على مواقع لولا في اللغة
٢٦٧	 مبايعة الخوارج لقطري بعد مقتل الزبير
٢٦٩	 طرد الخوارج من الأهواز
٢٧٠	 فيروز حصين ومآثره
٢٧١	 بعض ما حدث مع فيروز

٢٧٥	بين الصعب بن يزيد والمهلب
٢٧٧	كتاب خالد إلى عبد الملك
٢٧٩	موت بشر
٢٨٠	ولاية الحجاج للعراق
٢٨٢	كتاب الحجاج إلى المهلب
٢٨٣	جواب المهلب
٢٨٦	البراء بن قبيصة رسول الحجاج إلى المهلب
٢٨٨	إرسال الحجاج الجراح للمهلب
٢٨٩	كتاب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء
٢٩١	وقوع الخلاف بين المهلب وعتاب
٢٩١	دماء المهلب
٢٩٨	إنقسام الخوارج وانضمام بعضهم إلى عبد ربه
٢٩٩	رسول الحجاج للمهلب
٣٠١	كتاب الحجاج إلى المهلب
٣٠٢	ما قاله عبد ربه لأصحابه مع اشتداد الحصار
٣٠٥	اشتداد الحرب بين الفريقين
٣٠٦	رسولا المهلب إلى الحجاج
٣٠٨	كتاب الحجاج إلى المهلب
٣٠٩	شرح الأبيات الواردة هنا

٥٣ - باب في اختصار الخطب

والتحميد والمواعظ

٣١٧	مصرع زيد بن علي بن الحسين
٣٢٢	في تفسير بعض الألفاظ العربية
٣٢٣	مكانة أسامة بن زيد عند رسول الله ﷺ
٣٢٤	الموالي عند العرب
٣٢٥	في أشعار الرثاء
٣٢٦	شرح شعر الخنساء في رثاء صخر
٣٥٠	رثاء الخنساء لأخيها معاوية
٣٥١	

٣٥٢		عودة إلى تفسير ما قالت الخنساء
٣٥٤		مقتل معاوية أخى الخنساء
٣٦٨		تضييق العرب للنساء
٣٧٣		٥٤ - باب في من جزعوا عند الموت
٣٨١		٥٥ - باب طريف من أشعار المحدثين
		٥٦ - باب ذكر الأذواء من
٣٨٧		اليمين في الإسلام
		٥٧ - باب قد تقدم ذكرنا إياه
٣٩١		وعدنا استقصاءه
٣٩٤		ما قيل في عزاء يزيد بن معاوية بأبيه
٣٩٦		كتاب المنصور إلى محمد بن عبد الله
٣٩٧		جواب محمد إلى المنصور
٣٩٨		جواب المنصور
٤٠٠		رسالة هشام إلى خالد بن عبد الله
٤٠٥		خاتمة الكتاب



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامية